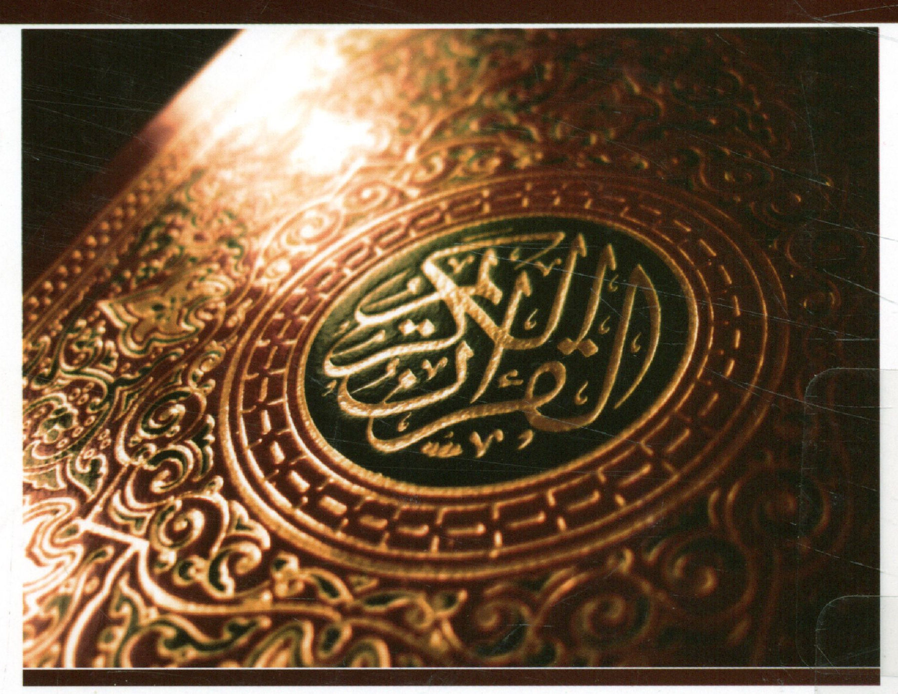
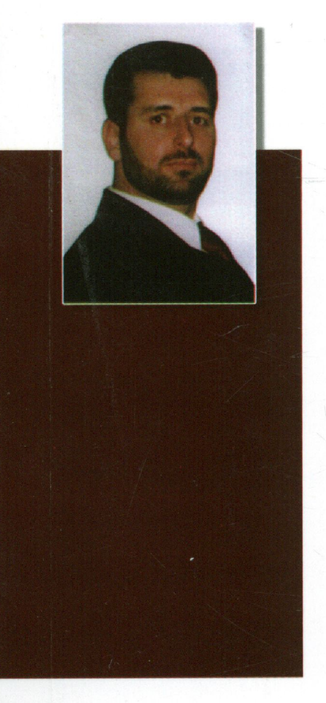
إبراهيم حسن أبوحسنية

التواصل في القرآن الكريم





www.darkonoz.com



يقوم هذا البحث بدراسة تفصيلية عن التواصل في القرآن الكريم، من خلال تحليل الآيات التي تحدثت عن مختلف أنواع التواصل، كالتواصل الروحي والتواصل الرباني وتأثيره على الصحة النفسية وأشتمل كذلك على التواصل المكتوب واللفظي وغير اللفظي: مثل حركة الجسد والإشارات والإيماءات والملبس والمشرب والعطور وغيرها.

كما أشتمل البحث على قيم التواصل في القرآن الكريم التي تضبط نية وفعل المرسل والمستقبل وتحدث أيضا عن أهدافه ومظاهره وضوابطه ووسائله وقنواته، وتحدثت عن الوحي والإلهام والوجد والكشف والحدس والإحساس، كما أشتمل البحث على الحوار القرآني في التعامل والتواصل مع الآخر وفرق بين الحوار والجدال وناقش قضية احترام رأي الآخر حتى وإن كان معارضا له ولما يطرح، كما بين لنا البحث التقرير الرباني في حرية الاعتقاد والاختيار دون أن يسبب هذا الاختلاف أي خلاف أو اصطدام، لأن الله عز وجل خلق الناس مختلفين في اللون واللسان والعقيدة والفكر والمنهج، وأنه تعالى خلقهم مختلفين للتعارف وليس للتناحر والاصطدام.

قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (الحجرات/ ١٣) وقال أيضا: { وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ } (الروم/ ٢٢) وقال كذلك: { وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } (هود/ ١١٨) .



9789957742980



دار كنوز المعرفة العلمية
للنشر والتوزيع

الأردن - عمان
وسط البلد - مجمع الفحيص
هاتف : 877 4655 6 962+
فاكس : 875 4655 6 962+
خلوي : 494 795525 962+
ص.ب : 712577
Dar_konoz@yahoo.com
info@darkonoz.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التواصل في القرآن الكريم

التواصل في القرآن الكريم

ابراهيم حسن ابو حسنية



الطبعة الأولى
1435هـ - 2014م

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (2013/8/2849)

220

يوسف، إبراهيم محمد

التواصل في القرآن الكريم/ إبراهيم محمد يوسف.ـ عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، 2013

(   ) ص.

ر.أ: (2013/8/2849)

الواصفات: / القرآن الكريم//

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرس والتصنيف الأولية

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ردمك: ISBN: 978 - 9957 - 74 - 298 - 0



دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع

الأردن - عمان - وسط البلد - مجمع الفحيص التجاري

تلفون: 4655877 6 962+ - فاكس: 4655875 6 962+

موبايل: 5525494 79 962+ - ص. ب 712577 عمان

الموقع الإلكتروني: www.darkonoz.com

إيميل: dar_konoz@yahoo.com - info@darkonoz.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

التواصل في القرآن الكريم

المقدمـة

عندما بدأت التفكير في مشروع تقديم رسالة الماجستير، لم أكن أفكر البتة بأن أقدمها في مجال علم التواصل في القرآن الكريم، بل كان كل تفكيري ينصب في اتجاه آخر بعيد كل البعد عن هذا المجال، إلى حين أن جلست مع أستاذي المشرف على هذه الرسالة الدكتور يونس علوي مدغري حفظه الله، حينها طرح علي الفكرة، وأخذ يشرح ويسترسل في الموضوع حتى أني ظننت حينها أنه متخصص في هذا المجال من شدة حبه للموضوع وغزارة معرفته لما كان يطرحه، فأحببت الموضوع وقررت أن أخوض هذه التجربة وأنا كلي حماسة ونشاط، رغم تحول فكري عما كنت أنوي أن أقدم فيه رسالة الماجستير، إلا أن هذا التحول أصبح يأخذ منحى تعلقي الشديد لهذا الموضوع الذي هو نادر في طرحه "بما له من أهمية حيوية عالية، وتعلق متميز بأعظم كتاب في تاريخ البشر"[1]، فأخذت أطالع وأقرأ وأبحث في الكتب والمقالات وعلى صفحات الإنترنت، وأصبحت أتعمق في الموضوع، وكل ما تعمقت أكثر كل ما زاد حبي له أكثر فأكثر، وزاد شغفي لأن أعرف المزيد والمزيد... حتى أصبحت قناعتي الكاملة بأهمية هذا العلم الذي أخذ لا يفارقني في كل مجالات حياتي اليومية، فكلما اطلعت على جديد وتعلمته، أخذت بمحاولة تطبيقه على أرض الواقع . ومن ذاك الحين أصبحت تتبلور الفكرة لدي معرفة وتطبيقا، كما أصبحت هذه الفكرة تتطور في كل مرة مع زيادة المطالعة والمعرفة، وكنت لا أجد مانعا من أن أغير أو أطور ما كتبته ودونته مسبقا، إذا ظهرت لي فكرة جديدة، وكان يحصل ذلك أيضا عند مناقشاتي مع الدكتور يونس وتقديم توجيهاته لي التي كان يطرحها علي في كل لقاء يتم بيننا .

وبرغم قلة ما كتب في مجال علم التواصل في القرآن الكريم، إلا أني سلكت سبيل تدبر القرآن لما يحتوي من مواضيع في هذا المجال، رغم أني أقر وأعترف أن ما كتبته في هذا البحث لا يعني الشمولية الكاملة للموضوع وما يتضمنه القرآن الكريم، لكن حسب ما وصل إليه فهمي ومعرفتي بالقرآن، فقد أخذت بتسطير ووضع المنهاج لهذا البحث، الذي هو بذرة من محصول كبير، اعتمدت فيه على القرآن الكريم أولا حالا مرتحلا [2] ، وكتب التفسير التراثية والمعاصرة، ومدونات الحديث النبوي" ، والمعاجم وكتب اللغة، وكتب علم التواصل وعلوم الإدارة، وكتب علم النفس.

---

[1] - إضافة الدكتور يونس علوي، المشرف على الرسالة

[2] - قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: و ما الحال المرتحل: قال الذي يبدأ من أول القرآن إلى آخره كلما حل ارتحل.... رواه الترمذي 2948

ومع قلة المراجع في هذا الموضوع بالتحديد، كان عامل الانشغالات المتعددة وعدم التفرغ التام يكبل يدي عن الكتابة، ويحول بيني وبين المطالعة والقراءة في كثير من الأحيان، لكن العزيمة والتوكل على الله عز وجل ومحبتي للموضوع كانت عوامل تحفزني دوما وتشجعني لدرجة عشق الموضوع والشوق إلى القراءة والمطالعة والكتابة من أجله .

أما بالنسبة للرسالة فإنها تتكون من مدخل وتمهيد وأربعة أبواب وخاتمة، وتحتوي الرسالة على مصطلحات باللغة الإنكليزية والهولندية وبعض منها بالفرنسية . أما **المدخل** فقد تحدثت فيه عن علم التواصل وتاريخه وأهم علمائه ومدوناته وعن أبرز مصطلحات هذا العلم ومجالاته .
وخصصت **التمهيد** للتعريفات بعلم التواصل ومتعلقاته .
أما بما يخص الأبواب فقد قسمتها كالآتي:
الباب الأول: التواصل في القرآن الكريم، لقد قسمت هذا الباب لخمسة فصول، **أولها** تعريف التواصل في القرآن الكريم، وأما **الفصل الثاني**، فقد جعلته لورود ذكر التواصل في القرآن الكريم، وهو مقسم **لثلاثة مباحث** هي: **المبحث الأول** ألفاظ عبارة التواصل، وأما **المبحث الثاني**، فقد أفردته للكلمات المرادفة للتواصل، وجعلت **المبحث الثالث** لأضداد كلمة التواصل في القرآن الكريم، وأما **الفصل الثالث**، فقد تحدثت فيه عن شرح التواصل في القرآن الكريم، وفي **الفصل الرابع**، تحدثت عن تعريف التواصل في القرآن الكريم، وأما **الفصل الخامس** فقد تكلمت فيه عن أنواع التواصل في القرآن الكريم، وهو مقسم **لخمسة مباحث** أيضا.

الباب الثاني: مستويات التواصل في القرآن الكريم
قسمت هذا الباب إلى ستة فصول، حيث تطرقت في **الفصل الأول** إلى **التواصل الإلهي**، وهذا الفصل يشتمل على سبعة مباحث، ففي **المبحث الأول**: ذكرت التواصل مع الله تعالى، من خلال الثناء والتنزيه وشهادته لنفسه بالأولوهية، وأما **المبحث الثاني**: فجعلته لتواصل الله عز وجل مع الملائكة، وفيه تظهر الآيات كيفية ونوع هذا التواصل، وفي **المبحث الثالث**: تواصل الله عز وجل مع الجن والشياطين، وأما **المبحث الرابع** فقد جعلته لتواصل الله عز وجل مع الأنبياء، حيث تبين الآيات كيفية هذا التواصل وأنواعه ودرجاته، وفي **المبحث الخامس**: تواصل الله مع

المؤمنين، وأما **المبحث السادس**: فقد بينت فيه تواصل الله مع بقية البشر ، **وأما** بالنسبة **للمبحث السابع**: فقد جعلته لتواصل الله عز وجل مع باقي الأشياء .

وأما **الفصل الثاني** فقد أفردته **لتواصل الملائكة في القرآن الكريم** وفيه بينت تواصلهم مع بعضهم ومع باقي المخلوقات في أربعة مباحث، حيث جعلت **المبحث الأول** لتواصلهم مع بعضهم البعض، وأما **المبحث الثاني** فجعلته لتواصلهم مع البشر، وفي **المبحث الثالث** تواصلهم مع الجن، وأما **المبحث الرابع** فقد خصصته لتواصلهم مع الأشياء.
وأما **الفصل الثالث** فقد تكلمت فيه عن تواصل الجن والبشر مع بعضهم البعض.

وفي **الفصل الرابع** تحدثت عن تواصل البشر مع البشر وأولهم الأنبياء، حيث قسمته إلى ثلاثة مباحث، أما **المبحث الأول** فقد جعلته لتواصل الأنبياء مع أقوامهم، وأما **المبحث الثاني** فقد جعلته لتواصل الأنبياء مع أهليهم، وهذا المبحث قسمته لثلاثة عشر مطلبا، وأما **المبحث الثالث**، فقد أفردته لتواصل البشر مع البشر عامة في القرآن الكريم، وقسمته لثماني مطالب. وأما **الفصل الخامس**، فقد جعلته لتواصل البشر مع الحيوانات، **والفصل السادس** جعلته لتواصل البشر مع الأشياء .

وأما **الباب الثالث**: **فخصصته لوسائل وقنوات التواصل في القرآن الكريم**، فقد قسمته لسبعة فصول، **أولها** القناة الشفهية، وهو من ثلاثة مباحث، **فأما المبحث الأول**: وسيلة الكلام والحوار، وأما **المبحث الثاني**: وسيلة الصراخ، وفي **المبحث الثالث** تكلمت عن وسيلة الأنين.
وأما **الفصل الثاني** فقد أفردته للقناة الكتابية، وهو من مبحث واحد وأربعة مطالب هي:
المطلب الأول: القلم، وأما **المطلب الثاني** فقد تحدثت فيه عن الحبر، وفي المطلب **الثالث** تكلمت عن الورق، وأما **المطلب الرابع** فقد أفردته للحفظ والتخزين (الأرشيف).
وفي **الفصل الثالث** تحدثت عن القناة الإشارية غير اللفظية، حيث قسمت هذا الفصل لستة مباحث هي: الإشارات والإيماءات وحركة الجسد وحركة العيون وتعبيرات الوجه والسير والتنقل.

وأما **الفصل الرابع** فقد تكلمت فيه عن قناة اللمس، وجعلته من ستة مباحث، حيث تحدثت في **المبحث الأول** عن النكاح، وأما **المبحث الثاني** فقد تحدثت فيه عن البطش، وفي **المبحث**

الثالث تكلمت عن المسح، وأما **المبحث الرابع** فقد تحدثت فيه عن القبض، وفي **المبحث الخامس** تناولت موضوع الأخذ، وحيث أفردت **المبحث السادس** لتصفيق الكفين.

وأما **الفصل الخامس** فجعلته لقناة الذوق والشم، وقد قسمته لستة مباحث، حيث تحدثت في **المبحث الأول** عن الأكل، وأما **المبحث الثاني** فقد تكلمت فيه عن الشرب، بينما تحدثت عن التجرع في **المبحث الثالث**، وأما **المبحث الرابع** فقد تكلمت فيه عن الذوق، وفي **المبحث الخامس** تحدثت عن الشم، وختاما تحدثت في **المبحث السادس** عن الرائحة.

وأما **الفصل السادس** فقد خصصته للقناة السمعية، وقسمته لأربع مباحث، حيث تحدثت في **المبحث الأول** عن السمع، وفي **المبحث الثاني** تكلمت عن الاستماع، وأما في **المبحث الثالث** فقد تحدثت عن الإصغاء، وختاما جعلت **المبحث الرابع** للإنصات.

وأما **الفصل السابع** فقد أفردته للقناة الباطنية غير الفيزيائية، وقسمت هذا الفصل أيضا لستة مباحث، **أولها** الوحي، وأما **المبحث الثاني** فقد تحدثت فيه عن الإلهام، وفي **المبحث الثالث** تحدثت عن الكشف، كما تحدثت في **المبحث الرابع** عن الحدس، بينما تحدثت في **المبحث الخامس** عن الوجد، و **المبحث السادس** تحدثت فيه عن الإحساس.

أما **الباب الرابع**: **فأفردت فيه وظائف التواصل وضوابطه وآثاره العمرانية**، وقد قسمته لسبعة فصول هي: **الفصل الأول** وظائف التواصل في القرآن الكريم، حيث جعلت هذا الفصل من ثلاثة مباحث، ففي **المبحث الأول** تحدثت عن وظيفة التبليغ، وأما **المبحث الثاني** فجعلته لوظيفة الإقناع، وفي **المبحث الثالث** تحدثت فيه عن وظيفة التودد.
وأما **الفصل الثاني** فقد أفردته لقيم التواصل في القرآن الكريم، حيث قسمته لأربعة مباحث هي: **المبحث الأول** معنى القيم، وأما **المبحث الثاني** فقد تحدثت فيه عن قيم تحكم المتواصل، وأما **المبحث الثالث** فقد تكلمت فيه عن قيم تحكم مقصد المتواصل، وحيث تحدثت في **المبحث الرابع** عن قيم تحكم فعل المتواصل.

وكما تحدثت في **الفصل الثالث** عن ضوابط التواصل في القرآن الكريم، ويتكون هذا الفصل من مبحثين، حيث تكلمت في **المبحث الأول** عن ضوابط الإرسال والتبليغ، وأما **المبحث الثاني** فقد تحدثت فيه عن ضوابط التلقي والاستقبال.

وأما **الفصل الرابع** فقد أفردته لمبادئ التواصل في القرآن الكريم، وهو من مبحثين، حيث تكلمت في **المبحث الأول** عن شق يتعلق بالمرسل، **والمبحث الثاني** عن شق يتعلق بالمستقبل.

وأما **الفصل الخامس** فخصصته لأهداف التواصل في القرآن الكريم

وفي **الفصل السادس** تكلمت فيه عن مظاهر التواصل في القرآن الكريم

أما في **الفصل السابع** فقد تحدثت عن مكونات عملية الاتصال في القرآن الكريم

وأما **الفصل الثامن** فأفردته لأهمية التواصل الرباني وتأثيره الروحي، وهذا الفصل قسمته لمبحثين، **المبحث الأول** تحدثت فيه عن العلاقة بين التواصل الرباني والصحة النفسية، وأما **المبحث الثاني** فقد تكلمت فيه عن هديه صلى الله عليه وسلم في التواصل المنشود.

الخاتمـة

وفيها لخصت عملية التواصل وأهميته، التي بينها القرآن الكريم، والدور الذي يلعبه في حياة الإنسان اليومية، وعلى أنه علم لا يمكن تجاهله، حيث أنه يعتبر شريان من شرايين الحياة اليومية في حياة المسلم وغير المسلم ، وختمت هذا البحث ببعض التوصيات.

مدخل

ليس المسلم الحق من يدعي أنه يقارع الشيطان ويتقوقع على نفسه ممنيا النفس بأنه سيقفز إلى الجنة بغير حساب، بل هو من يتفاعل باخلاص وحيوية مع بيئته ومجتمعه ليحدث التغير المنشود. فليس الإيمان بالتمني أو بالتحلي. والمسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير وأحب إلى الله وأعلى درجة ممن يعتزلهم [3]. قال تعالى: **وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) (سورة النجم)**. إن التواصل جزء لا يتجزأ من حياة البشر، وهو أيضا طبيعة بشرية، فالإنسان بطبعه مخلوق اجتماعي يسعى دوما نحو العشرة والتواصل مع الآخرين، وهذا ما يشير إليه "ماركو موسترت" حيث أنه لا يتصور أن تكون هناك حياة اجتماعية بأي حال من الأحوال دون تواصل[4] . فالإنسان يحتاج للتواصل في كل جوانب حياته اليومية بشتى أشكالها وألوانها، فهو لا ينحصر إلى احتياجات الإنسان البيولوجية [5] فحسب، وإنما يتخطاها لأبعد من ذلك، ويشير أيضا موسترت إلى أن التواصل يلعب دورا مهما في التطور النفسي والذهني للإنسان، كاحتياجات الفرد القائمة على علاقته مع الآخرين، مثل: الاعتراف [6]، والاحترام، والاحتياجات والرغبات، وشخصيته التي تجمع بين داخله ومحيطه الذي يعيش فيه[7]. وإلى هذا ذهب أيضا "روب فيمان" و "أرنو فان دوورن" حيث قالا: إن التواصل على وجه الخصوص ما هو إلا نشاط إنساني، فالإنسان يتكلم ويسمع ويرى ويحس ويشم ويتذوق، فنحن البشر نحتاج للتواصل في هذه الحياة حتى نبقى أحياء، ولكي نبقى أحياء يجب الحصول على الطعام والشراب، والبحث عن الأمان والمأوى، وبناء العلاقات الاجتماعية [8].

وقال ابن اسحاق: حض الله المؤمنين على التواصل، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم ... [9]

---

[3]- د. هشام الطالب، دليل التدريب القيادي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا 1995، ط 2، ص 17

[4] Marco Mostert, Communicatie in de Middeleeuwen: studies over de verschriftelijking van de middeleeuwse cultuur, Uitgeverij Verloren, Hilversum 1995, p. 10

[5] Idem 10 كالطعام والشراب والمأوى والأمان والتكاثر

[6]- الاعتراف بوجود وحضور الشخص، وبقدرته ومعرفته، وبانتماءاته. انظر: Jan Remmerswaal, Begeleiden van groepen, Bohn Stafleu van Loghum, Houten 2006 p.97

[7] Marco Mostert, Communicatie in de Middeleeuwen, p. 10

[8] Rob Veenman, Arno van Doorn, Grondslagen van de professionele communicatie, Kluwer, Deventer 1998, p. 4

[9]- تفسير الطبري، ص 85/14

إن علم التواصل شمولي وواسع، وهذا ما يذهب إليه كثير من الدارسين إلى أن الدوال [10] تدل وتتواصل بطريقة مباشرة وغير مباشرة، ومنها : اللغة والعلامات والخطابات والأنساق والإنسان وسائر الكائنات الموجودة في الطبيعة . ويعني هذا أن كل شيء في عالمنا يحمل دلالة ووظيفة، وهذه الوظيفة قد تكون ذات مقصدية [11] أو بدون مقصدية [12]، ذات ميزة فردية أو جماعية، طبيعتها مادية أو معنوية . كما أن هذه الدوال التواصلية قد تكون لفظية أو غير لفظية، تعبر عن وعي أو عن غير وعي [13].

ولا شك أن تاريخ التواصل طويل وقديم، قدم وجود الإنسان على وجه الأرض، فيقول عبد الله علي عليان: لقد "كان الحوار بين هابيل وقابيل أول حوار يدور على الأرض في تاريخ الإنسانية بين البشر بعضهم البعض" [14]. و أما مارتن فاردين بورخ فيقول: إن تاريخ كيفية تواصل الناس مع بعضهم البعض عن طريق لغة الجسد التي تبعها الإنسان الأول قبل اثنين مليون ونصف سنة ليتبادل من خلالها بأحاسيسه ومشاعره مع الآخر ووصولا بحضارتنا الحالية واستخدام الهاتف النقال ووسائل الإنترنت للتواصل مع بعضنا البعض [15]، ما هو إلا تطور تدريجي مر عبر قرون طويلة جدا . ويشير كولن ولسن على أنه من الممكن تقصي خط السلالة الكامل ابتداء من الإنسان الأول الذي هو آدم، حتى الجيل الحاضر [16]. وهذا ما يظهره القرآن الكريم لأول تواصل للإنسان الأول الذي هو آدم بقوله تعالى: **{قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ}** (البقرة/33) ، يقول القشيري: ولما كان حديث آدم رده في الإنباء إليهم فقال: (**أنبئهم بأسمائهم**) ، ومخاطبة آدم للملائكة لم توجب الاستغراق في الهيبة . فلما أخبرهم آدم ، عليه السلام، بأسماء ما تقاصرت عنه علومهم ، ظهرت فضيلته عليهم [17]، ويبين سيد قطب هذا

---

[10]- الدوال: جمع دالة، تستخدم في الرياضيات واللغارتيمية

[11]- مقصدية: والأصح مقصد

[12]- مقصدية: والأصح مقصد

[13]- جميل حمداوي، مجلة الكترونية أدب وفن، التواصل اللفظي وغير اللفظي، 2008/2/7 http://www.adabfan.com/news/810.html

[14]- عبدالله علي عليان، حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، مسقط 2004، ط1، ص 120

[15]- Marten Waardenburg en Sandra M. Schuiten, De geschiedenis van de communicatie, Kluwer, Deventer 2009, p. 7

[16]- كولن ولسن، فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل، عالم المعرفة، الكويت 1992، ص 16

[17]- أثير الدين الأندلسي، التفسير الكبير المسمى البحر المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت (السنة غير معروفة)، ص 149/1 .

التواصل بأنه سر القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات. وهي ألفاظ منطوقة لأشخاص وأشياء محسوسة، وأن المشقة والصعوبة الكبرى، لو لم يوهب الإنسان القدرة على الرمز بالأسماء للمسميات ، والمشقة في التفاهم والتعامل ، حين يحتاج كل فرد للتفاهم مع الآخرين على شيء أن يستحضر الشيء بعينه، كالنخلة أن يحضر جسم النخلة والجبل بجسم الجبل وهكذا ، فما كانت للحياة أن تمضي [18]. وبما أن آدم أبو البشر، فإنه أول من تعامل بأحاسيسه ومشاعره تجاه حواء ، وبهذا الصدد يقول ابن القيم الجوزية عن أول تبادل أحاسيس ومشاعر تمت بين بني البشر: "فكان آدم أبو البشر شديد المحبة لحواء وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنه خلق زوجته منه ليسكن إليها" [19]، قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا}** (الأعراف/189) .

وعلى كل حال فقد تبادل الناس المعلومات في المقام الأول مشافهة . كانت الرسائل الشفهية ينقلها عداءون لمسافات طويلة. واستخدم الناس قرع الطبول، وإشعال النار، وإشارات الدخان للاتصال بالآخرين الذين يفهمون الرموز المستخدمة . كانت الصور والرسوم هي الخطوات الأولى نحو اللغة المكتوبة [20].

ويقول "فاردن بورخ" بأنه يمكن النظر إلى التواصل من زوايا مختلفة: كتاريخ التواصل بين الناس من خلال المهن ، مثل الجنود الرومانيين الذين كانوا يسلكون الطرق المعبدة الخاصة بذلك على ظهر الخيول لإيصال رسائل قياصرتهم بأسرع وقت ممكن، وكذا المغني المتجول الذي كان يتجول بين القلاع لنقل الأخبار، والرهبان الذين كرسوا حياتهم لنسخ المخطوطات المقدسة، وفنانو الرسم على الزجاج الذين جسدوا صور الإنجيل على نوافذ كنائسهم، وعمال المطابع الذين كانوا يطبعون المخطوطات ووصولا بمستشارين التواصل الحِرَفيين والمتخصصين الإعلاميين وما شابه ذلك في يومنا هذا . وكذلك تاريخ الوسائل التي استخدمها الناس في عملية تواصلهم مع بعضهم لقضاء حوائجهم، وذلك بهدف تقليص الوقت والمسافات ، ومن هذه الوسائل ألواح الطين أو الأوراق لكتابة المعلومات عليها، وكذلك أداة الكتابة كريشة الإوز والقلم الروماني مرورا بأول آلة كاتبة

---

[18] - سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، مكة المكرمة 1992، ص 57/1

[19]- ابن القيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص 169

[20]- الموسوعة الحرة، عنوان المقال: الإتصالات http://ar.wikipedia.org/wiki، تاريخ الإطلاع: 18-10-2010

ووصولا إلى الشاشة المسطحة وكتب القراءة الإلكترونية في وقتنا الحاضر، وأيضا تاريخ أدوات التواصل كطباعة الكتب الملونة، والتلغراف والهاتف والراديو والتلفاز ووصولا إلى الإنترنت . إذن تاريخ التواصل باختصار ما هو إلا كمثل رسم مختلف الألوان (كلايدسكوب) لكل هذه الأشكال مجتمعة بتماسك، تسير مع بعض، وتكمل بعض وتنافس بعضها البعض .

إن هذا الرسم المختلف الألوان (كلايدسكوب) هو الأسلوب الأوحد لحصر المساحة التي تعرضها قصاصة من الورق كنظرة عامة حول التواصل بين الناس لاثنين مليون ونصف سنة على مدار التاريخ [21].

وعلى قياس نظرة "فاردن بورخ" لتاريخ التواصل، فإن البروفسور محمد البخاري يبسط هذه النظرة التاريخية للتواصل بمفهوم أهل القبائل، حيث يقول: وكانت وظائف الاتصال البسيطة من مهام بعض الأفراد في القبائل البدائية، عندما كان بعضهم يقوم بوظيفة الحراسة وتنبيه القبيلة كجهاز للإنذار المبكر عن الأخطار المحدقة بها عند اقتراب عدو ما، أو فرصة متاحة للصيد عند اقتراب قطيع من الحيوانات . وكان مجلس القبيلة يتمتع بسلطة اتخاذ القرارات والتأكد من تنفيذها . وكان من بين أفراد القبيلة من ينقل الأخبار والرسائل لأفراد القبيلة والقبائل المجاورة . وكان الشيوخ ينقلون للأجيال الصاعدة في القبيلة تراثها الديني والثقافي وعاداتها وتقاليدها . وكانت الأمهات يعلمن بناتهن أصول تحضير الطعام وتجهيز الملابس . وكان الآباء يعلمون أبنائهم أصول الصيد والقنص وفنون محاربة الأعداء . بينما تولى الرواة نقل القصص الشفهية المثيرة، والمغنون الأغاني المحببة لأفراد القبيلة، والراقصون الرقصات الدينية في المناسبات المختلفة [22].

ومن خلال هذا البسط الموجز كمدخل لعلم التواصل واستحقاقا لجهود علماء هذا العلم، لا يسعني هنا إلا أن أذكر بعض أبرز علماء هذا العلم [23] :

Herbert Marshall McLuhan (21 juli 1911, Canada - 31 december 1980)
George Herbert Mead (27 February 1863, America –26 April 1931)
Harold Laswell (America February 13, 1902 — December 18, 1978)
Jürgen Habermas (Germany June 18, 1929)

---

[21] Marten Waardenburg en Sandra M. Schuiten, De geschiedenis van de communicatie, Kluwer, Deventer 2009, p. 7-8.

[22]- محمد البخاري، الإعلام وتحليل الموضوع الإعلامي، كتاب الكتروني، طشقند 2008، ص3.

انظر الموسوعة - علماء التواصل، http://en.wikipedia.org/wiki/Outline_of_communication

[23]-تاريخ الإطلاع 18-10-2010

Neil Postman (New York, 8 maart 1931 - 5 oktober 2003)
D. Lawrence Kincaid (is best known among communication theorists as the proponent of the convergence model of communication)
Herbert Marcuse (Germany July 19, 1898 – July 29, 1979)
Maxwell McCombs (Birmingham, Alabama, USA, 1938)

واستكمالا لهذا المدخل وحتى تعم الفائدة، أقوم هنا بسرد أبرز مصطلحات علم التواصل بجميع أشكاله :

- الاتصال : هو عملية نقل المعلومات من المرسل إلى المتلقي من خلال وسيط [24].
- الاتصالات : هي عملية ارسال واستقبال الاشارات لمسافات بعيدة لأغراض الاتصالات من خلال الأقمار الصناعية وأجهزة الكمبيوتر وموجات الكهرومغناطيسية العالية [25].
- الاتصال التنظيمي : هو نوع من الاتصال يحدث داخل المؤسسات أو بين هذه المؤسسات وبيئتها والجمهور [26].
- الاتصال التصاعدي : هو نوع من الاتصالات التي تحدث داخل أي مؤسسة ، حيث تدفق الرسائل من جميع مستويات الإدارة إلى الإدارة العليا ، حول ممارسات وسياسات المؤسسة [27].
- الاتصال النزولي: الاتصالات النزولية: هي نوع من الاتصالات التي تحدث داخل أي مؤسسة ، حيث تدفق رسائل من الإدارة العليا على جميع مستويات الإدارة ، حول ممارسات وسياسة المؤسسة [28].
- التغذية الاسترجاعية : أي رسالة تساعد عملية التواصل في تقييم نجاح الرسالة السابقة . وكذلك ردود المتلقي في أن يغير شكل ورسائل المصدر في وقت لاحق [29].

---

[24] Yehuda E. Kalay, Architecture's new media: principles, theories, and methods of computer, MIT Press, 2004, p. 87.
[25] http://www.networkdictionary.com/telecom/t.php
[26] http://en.wikipedia.org/wiki/Organizational_communication
[27] R. D. Agrawal, Organization and management, Tata McGraw-Hill, 1983, p. 208.
[28] Idem, p.206
[29] Idem, p.205

- الرأي العام : هو مجموع الأفكار والمفاهيم التي تعبر عن مواقف مجموعة أو عدة مجموعات حول الظواهر الاجتماعية أو الأحداث في وقت محدد ومكان محدد [30].
- الإقناع : هو شكل من أشكال النفوذ الاجتماعي. وهي عملية توجيه الناس نحو اعتماد فكرة ، أو موقف معين ، أو العمل بوسائل عقلانية ورمزية . وهي استراتيجية لحل المشكلات [31].
- الدعاية : هي عبارة عن مجموعة متضافرة من الرسائل التي تهدف إلى التأثير على آراء أو سلوك أعداد كبيرة من الناس[32].
- الحملة الإعلانية : هي عملية التخطيط لغزو السوق مع البرامج الإعلانية التي تستهدف بعض فئات من الجمهور لترويج المنتجات والخدمات أو الأفكار [33].
- الاعلان : هو شكل من أشكال الاتصال المدفوع الذي يحاول إقناع الزبائن المحتملين لشراء أو استهلاك أكثر لعلامة تجارية معينة من المنتج أو الخدمة [34].
- وكالة الإعلان : هي خدمة الأعمال التجارية لخلق والتخطيط والتعامل مع الإعلان (وأحيانا أشكالا أخرى من استراتيجيات الترويج والتسويق وترويج المبيعات) لعملائه[35].
- الصحافة : نمط من الكتابة لتقديم الحقائق ولوصف الاحداث . أخبار تحليلية ، وإعداد قصص ، وتقديم وجهات النظر حول القضايا الراهنة [36].
- النشر : هو عملية إنتاج ونشر الأدب أو المعلومات ، وهو نشاط لجعل المعلومات متاحة للجمهور [37].

---

[30] William Albig, Public Opinion, READ BOOKS, New York City, 2007, p. 1.
[31] PUNDRIK MISHRA, SALES MANAGEMENT: Key to Effective Sales, Global India Publications, New Delhi, 2009, p. 125.
[32] Idem, p. 126.
[33] Charles W. Lamb, Joseph F. Hair, Carl McDaniel, Marketing, 9th edition, Cengage Learning, Florence, 2007, p. 472.
[34] Thorpe, The Pearson Guide to The State Bank of India Clerical Recruitment Examination, Pearson Education India, unknown year, p.7-7
[35] Sales Management, vorige bron, p. 107.
[36] http://en.wiktionary.org/wiki/journalism
[37] Michael R. Peres, The Focal encyclopedia of photography: digital imaging, theory and applications, history, and science, 4 edition, Focal Press, Burlington, 2007, p. 543.

- العلاقات العامة : هو عمل مستمر وتنظيم إداري في أي مؤسسة (تنتج منتجات أو خدمات) وتسعى لبناء سمعة جيدة ورسم صورة إيجابية وكسب ثقة الجمهور [38] .

وسئل مارشال ماكلوهان عن نظرياته في التواصل، فأجاب: "ليس لدي نظريات تواصل، ولا أستعمل النظريات، أنا أراقب ماذا يفعل الناس، وماذا تفعل أنت" [39]. ومن النظريات المأثورة عنه في علم التواصل:

- "تكمن أهمية الرسالة في وسيلة نقلها" [40]، يقول مركز الدراسات في جامعة ويسكونسين بالولايات المتحدة الأمريكية: أن الإعلام يصبح بحد ذاته مهما في نقل الرسالة، فقط عندما يتوسطون في عملية النقل [41] .
- "أن للكتابة قوة ونفوذ، كقوة ونفوذ المال" [42]
- "نحن لا نعيش بمعزل عن الإعلام... ولكننا جزء منه" [43].

ومن النظريات المهمة في التواصل، نظرية لاسويل (Lasswel) : التي تقول: "من قال، وماذا قال، ولمن قال، وما أثر قوله" [44].

وموضوع الاتصال من أكثر المواضيع التي شغلت اهتمام العلماء والباحثين في فروع معرفية شتى ومجالات علمية مختلفة نذكر من أهمها علم النفس والاجتماع والسياسة والأنثروبولوجيا والتاريخ،

[38] Jane Johnston,Clara Zawawi, Public Relations: Theory and Practice, 3rd edition, Allen & Unwin,Sydeny 2009, p. 7.
[39] Eric McLuhan, Marshall McLuhan's Theory of Communication, Global Media Journal, Canada, 2008, p. 25.
[40] Marshall McLuhan, *Understanding Media: The Extensions of Man* (New York, 1964), p.202.
[41] Vocational education: today and tomorrow, University of Wisconsin. Center for Studies in Vocational and Technical Education, Gerald George Somers, James Kenneth Little, University of Wisconsin, 1971, p. 68.
[42] *Understanding Media,* p. 125
[43] Marshall McLuhan (1911-1980), door: Communicatie en Informatiewetenschappen aan de universiteit Utrecht, Samenvatting Inleiding Mediavergelijking – 2008, p.1
[44] : Lasswell, H. (1948). The structure and function of communication in society. In L. Bryson (Ed.), The Communication of Ideas (pp. 37-51). New York: Harper & Brothers,.

فضلا على أنه يمثل محور اهتمام المتخصصين في دراسة العلاقات الدولية والدراسات الأدبية والعلمية والتي تصدت جميعها بالدراسة والفهم والتحليل لهذه العملية [45].

ونجد في الموسوعة الحرة ذكرا لأشكال وأنواع الاتصال (التواصل) أبينها أدناه [46]، مع وصف بسيط للمصطلح :

- اتصال مع الذات (Autocommunication) : هو مصطلح يستخدم في دراسات التواصل ، والدراسات السيميائية وثقافات الآخرين لوصف التواصل من وإلى الذات .
- التعاطف (Empathy): هو القدرة على فهم وإدراك الحالة النفسية لشخص آخر، من خلال وعيه وليس جسديا ، والمشاركة في الحزن أو السعادة مع أحاسيس الآخرين .
- الاتصالات الحاسوبية (Computer-mediated communication): يتم تعريفها كأي معاملة تواصل تحدث من خلال استخدام شخصين أو أكثر لشبكات الكمبيوتر .
- اتصالات (الصحة) (Health communication): يمكن تعريف بأنها "فن وتقنية الإعلام والتأثير ، وتحفيز الفرد والجماهير والمؤسسات ، والمجتمع عامة حول القضايا الصحية الهامة .
- اتصالات الشخص الباطينية (Intrapersonal communication): هي استخدام اللغة أو الفكر الداخلية بين المتواصل ونفسه . فعندما تتحدث مع نفسك ، تسمى هذه العملية بالتأمل .
- الاتصال بين الثقافات (Intercultural communication) : هو شكل من أشكال الاتصالات العالمية . فهو يستخدم لوصف مجموعة واسعة من مشاكل الاتصال التي تظهر بشكل طبيعي داخل المؤسسة التي تتكون من أفراد من مختلف الخلفيات الدينية والاجتماعية والعرقية والتعليمية .

---

[45]- منال طلعت محمود، مدخل إلى علم الاتصال، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2002، ص 5

[46]- الموسوعة الحرة، تاريخ الإطلاع: 28-10-2010
http://en.wikipedia.org/wiki/Outline_of_communication#Forms_of_communication

- الاتصال الشخصي (Interpersonal communication): يعرفه علماء الاتصالات بطرق عدة ، واصفين المشاركين الذين عادة ما تعتمد على بعضها البعض ولها تاريخ مشترك . وباستخدام قنوات الاتصال ووضع تصور وسائل الإعلام التي تحمل رسائل من المرسل إلى المتلقي ، وتأخذ شكلين مختلفين : المباشرة وغير المباشرة .
- الاتصال الجماهيري (Mass communication): هو مصطلح يستخدم لوصف الدراسة الأكاديمية من الوسائل المختلفة من قبل الأفراد والكيانات لنقل المعلومات عبر وسائل الإعلام لشرائح كبيرة من السكان في نفس الوقت .
- الاتصالات غير الشفهية (Non-verbal communication): هي عملية التواصل من خلال إرسال واستقبال رسائل صامتة . أي أن اللغة ليست هي المصدر الوحيد للاتصالات ، بل هنالك وسائل أخرى أيضا .
- الاتصال التنظيمي (Organizatiónal communication): هو أحد أكبر فروع الانضباط في دراسات الاتصالات . والاتصالات التنظيمية ، كحقل هو تمعن ، وتحليل ، ونقد لدور الاتصالات في السياقات التنظيمية .
- المهارات الشخصية (People skills): غالبا ما توصف بـ (أ) فهم أنفسنا والاعتدال في ردودنا ، (ب) التحدث بفعالية والتعاطف بدقة ، (ج) بناء العلاقات على أساس الثقة والاحترام والتفاعلات المثمرة.
- الإقناع (Persuasion): هو شكل من أشكال النفوذ الاجتماعي. وهي عملية توجيه ذاتي أو لآخر لاعتماد فكرة معينة ، أو موقف معين ، أو العمل بوسائل عقلانية ورمزية (وإن لم تكن دائما منطقية) .
- الدعاية (Propaganda): هي شكل من أشكال الاتصال التي تهدف الى التأثير على موقف المجتمع تجاه سبب أو موقف .
- الخطابة (Rhetoric): هي عملية التحدث الى مجموعة من الناس بطريقة منظمة مدروسة تهدف إلى الإعلام والنفوذ ، أو تسلية المستمعين .
- 'القراءة' (Reading) : هي عملية معقدة من فك الرموز المعرفية لاعتزام اشتقاق معنى (فهم المقروء) و/أو بناء للمعنى . وهي للتمكن من العمليات المعرفية الأساسية إلى نقطة الاهتمام غير المقيد بتحليل المعنى التلقائي

- الاتصال في مجموعات صغيرة (Small-group communication): هو تواصل بين أشخاص ضمن مجموعات تتراوح بين 3 و 20 فردا. وهذا يحدث عادة في سياق التفاعلات الشخصية التي تمزج مع المجموعات الاجتماعية .
- خطاب (Speech) : هو شكل ملفوظ من التواصل الإنساني. وهو يقوم على مزيج من المفرادات النحوية والأسماء التي يتم رسمها من حجم كبير جدا (عادة أكثر من 10000 كلمة مختلفة) من المفردات .
- الترجمة : (Translation) هي التواصل من خلال معنى نص لغة المصدر عن طريق اللغة والنص الهدف التي تقابلها .
- الكتابة (Writing) : هي تمثيل للغة في وسيلة النص من خلال استخدام مجموعة من العلامات أو الرموز (المعروف باسم نظام الكتابة).

وبما أن التواصل يشمل جميع جوانب حياة الإنسان، فإنه من الضروري الاهتمام به وبالأخص في هذا العصر الذي نعيشه، حيث أصبح العالم قرية صغيرة ، وهي التي يصفها ماكلوهان :كيف تم تعاقد العالم في قرية عن طريق التكنولوجيا الكهربائية [47] ، والحركة الفورية للمعلومات التي قد تتم من حي ما إلى كل نقطة في العالم في نفس الوقت [48].

---

[47] McLuhan, Marshall. *Understanding Media.* (Gingko Press, 1964, 2003) p. 6.
[48] McLuhan, Marshall. *Letters of Marshall McLuhan.* (Oxford University Press, 1987) p. 254.

تمهيد

سأتطرق في هذا التمهيد لثلاث نقاط، أبين فيها التالي:

- تعريف التواصل عامة وفي الاصطلاح المعاصر
- تعريف التواصل عند علماء التواصل
- مقارنة تعريف التواصل في اللغة العربية مع اللغات الأجنبية

أولاً: تعريف التواصل عامة وفي الاصطلاح المعاصر

يرى البعض في أن التواصل بصفة عامة هو: تقارب وانفتاح على الآخر من أجل المعرفة، ومن أجل الإفادة والاستفادة، ففي كثرته تحقيق للعلم وفي انعدامه جنوح وميل للجهل [49].

ويدل التواصل في الاصطلاح على عملية نقل المعلومات والقيم والمثل والأفكار والحقائق والمشاعر والأحاسيس من شخص لآخر أو بين جماعات ، بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهم [50].

ثانياً: تعريف التواصل عند علماء التواصل

يعرف تشارلس كولي Charles Cooley التواصل قائلا: " التواصل هو الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور. إنه يتضمن كل رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان. ويتضمن أيضا تعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفون وكل ما يشمله آخر ما تم في الاكتشافات في المكان والزمان" [51].

---

[49] - محمد كريم، عنوان المقال: التواصل والتواصل التربوي، تاريخ الإطلاع 2008/2/7 http://www.dgennad.net/

[50] - وليد الشعيبي، فن ومهارات الإتصال الفعال، (دار النشر غير معروفة)، السعودية 2007 ، ص 4

[51] Charles Horton Cooley, Hans-Joachim Schubert, On self and social organization, University of Chicago Press, 1998, p. 46

أما جورج هربرت ميد George Herbert Mead فإنه يعتبر بأن التواصل هو المبدأ المؤسس للمجتمع. وهو يفهم التواصل كتدخل للآخر في تكوين وبناء الأنا أو الهوية. وهو يعتبر أن الأنا التي تكتفي بذاتها، لا مكان لها في عالم التواصل [52].

ويرى نيكلاس لوهمان Niklas Luhmann أن التواصل لا يهدف إلى الإجماع. وأنه يقوم على لعبة الاختلاف بين المعلومة والتوصيل، وهذه اللعبة لها هدف واحد، وهو التواصل نفسه، الذي ينتج الإجماع كما ينتج الاختلاف، والإجماع لا يمكنه تجاوز عوامل الإزعاج والاضطراب، في حين أنه بمساعدة التواصل قد نصل إلى فهم ما هو غير منتظر وغير مرغوب فيه [53].

ويعرف ميتشالي "Muchielli" التواصل بما يلي:"هو نقل معلومات من مرسل إلى متلق بواسطة قناة، بحيث يستلزم ذلك النقل من جهة، وجود شفرة، ومن جهة ثانية تحقق عمليتين: ترميز المعلومات Encodage، وفك الترميز Décodage مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار طبيعة التفاعلات التي تحدث أثناء التواصل. وكذا أشكال الاستجابة للرسالة والسياق الذي يحدث فيه التواصل" [54].

ويرى العالم الكندي هربرت مارشال ماكلوهان أن للإعلام امتداد بين حواس الإنسان على المستوى الفردي والمجتمع الذي يجعله مؤثرا بالأسلوب الخاص وبطريقة مقنعة [55].

وتعتبر خطاطة الأمريكي "لاسويل" (Lasswel)، نموذجا أوليا في تحديد مفهوم التواصل، إذ تضع خمسة أسئلة محورية لتحديد عناصر التواصل هي: من يقول؟ ماذا يقول؟ بأية وسيلة؟ ولمن يقول؟ وبأية وسيلة؟ "وما أثر قوله". [56]

كما يعتبر النموذج الذي وضعه الرياضيان كلاود شانون Claude Shanon و وارين ويفر Warren Weaver ذوا الأهمية الخاصة في نظر المختصين في علوم الاتصال . ويتكون هذا

---

[52] George Herbert Mead, (*Mind, Self and Society*), University of Chicago Press, 1974, p.142

[53] -Niklas Luhmann, Soziale Systeme, Suhrkamp 1984, p. 207

[54] Hower J. Hsia, On Channel Effectiveness, Springer, New York City, Vol. 16, No. 3 (Fall, 1968), pp. 245-267.

[55]- د. فريال مهنا، تكنولوجيا الإعلام والمجتمعات الرقمية، دار الفكر، دمشق 2002، ص 196-197

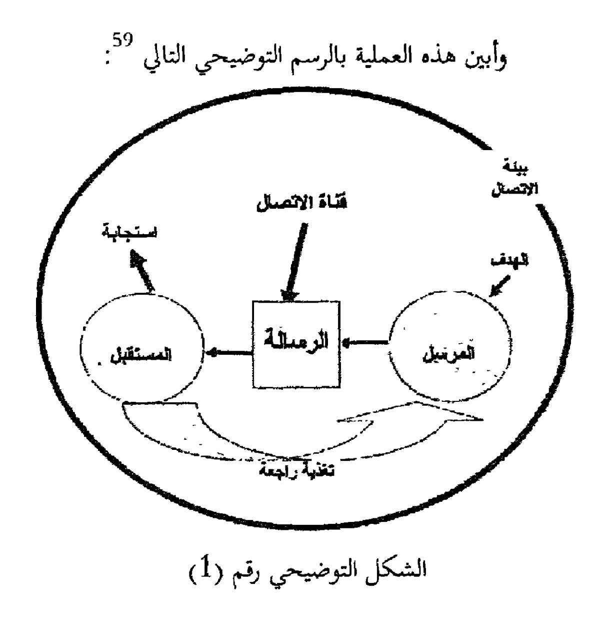
[56] : Lasswell, H. (1948). The structure and function of communication in society. In L. Bryson (Ed.), The Communication of Ideas , New York: Harper & Brothers, (pp. 37-51).

النموذج من خمسة عناصر أساسية مرتبة على التوالي وهي: مصدر المعلومات Source of information والمرسل transmitter وقناة الاتصال channel والمستقبل receiver والوجهة destination .[57]

مصدر المعلومات ← مرسل ← قناة الاتصال ← مستقبل ← الوجهة

إلا أن هذه الخطاطة كان ينقصها الفعل الدائري، الذي انتبه إليه العالم " وينر" Wiener، فأضاف إليها ردود أفعال المستقبل أو ما يسمى (بالتغذية الراجعة) [58].

وأبين هذه العملية بالرسم التوضيحي التالي [59]:



الشكل التوضيحي رقم (1)

وأما الهولندي كلاس فيرتزيما: فإنه يعرف التواصل على أنه مفهوم واسع جدا . وأننا لا نتواصل عن طريق اللغة فحسب، وإنما أيضا من خلال كل أشكال السلوكيات [60].

[57] Stone, G., Singletary, M., & Richmond, V. (1999). Clarifying Communication Theories: A Handson Approach. Ames: Iowa State University Press, p. 27.

[58] Norbert Wiener,David Jerison,Isadore Manuel Singer,Daniel W. Stroock, The legacy of Norbert Wiener, AMS Bookstore, Washington, 1997, p. 224.

[59]- دليل المدرب في تدريب المتدربين http://www.fao.org/wairdocs/af196a/af196a01.htm ، تاريخ الإطلاع 2008/2/8

[60] Klaas Wiertzema, Patricia Jansen, Basisprincipes van communicatie, Pearson Education, Amsterdam 2005, p. 14.

كما ويعرف نظيره الهولندي روب فين مان على أن التواصل : هو على وجه الخصوص نشاط إنساني، فنحن نتكلم ونسمع ونرى ونحس ونشم ونتذوق . وهو يرى بأننا بحاجة للتواصل حتى نبقى أحياء في هذه الحياة: للحصول على الطعام والبحث عن الأمان ولإقامة العلاقات الاجتماعية [61].

وتعرف الدكتورة منال طلعت الاتصال بالمفهوم العام للعلم: هو "إنتقال المعلومات والحقائق والأفكار والآراء والمشاعر أيضا، والاتصال هو نشاط إنساني حيوي وأن الحاجة إليه في إزدياد مستمر [62].

كما يعرف الدكتور محمد رفعت عبد الوهاب الاتصال بأنه "عملية نقل أو تبادل المعلومات والأفكار من أجل الوصول إلى وحدة الفهم والفكر" [63].

أما الدكتور إبراهيم شيحا فيعرف الاتصال بأنه "نقل أو تبادل الأفكار أو المعلومات للآخرين واشتراكهم فيها بقصد تحقيق أهداف معينة" [64].

كما يعرفه الدكتور ماجد الحلو بأنه "تبادل الأفكار بقصد تحقيق هدف مشترك" [65].

ويُعرَفُ التواصل أيضا بأنه هو: " تبادل المعلومات والرسائل اللغوية وغير اللغوية، سواء أكان هذا التبادل قصديا أم غير قصدي، بين الأفراد والجماعات". وبالتالي، لا يقتصر التواصل على ما هو ذهني معرفي، بل يتعداه إلى ما هو وجداني وما هو حسي حركي وآلي. أي إن التواصل:"ليس مجرد تبليغ المعلومات بطريقة خطية أحادية الاتجاه، ولكنه تبادل للأفكار والأحاسيس والرسائل التي قد تفهم وقد لا تفهم بنفس الطريقة من طرف كل الأفراد المتواجدين [66] في وضعية تواصلية" [67].

ويقول الدكتور هشام الطالب: إن المسلم لا يعيش في فراغ، وإنما يتواصل مع من حوله باستمرار حيث أن الشهادة على أعمال البشر ليست لله وللرسول فحسب، بل وللآخرين أيضا [68].

---

[61] Rob Veenman, Arno van Doorn, Grondslagen van de professionele communicatie, Kluwer, Deventer 1998, p.4

[62] - منال طلعت محمود، مدخل إلى علم الإتصال، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2002، ص 18

[63]- فوزي كمال أدهم: الإدارة الإسلامية، بيروت 2001 م طبعة أولى، ص 281

[64]- المصدر السابق نفسه

[65]- المصدر السابق نفسه

[66]- خطأ شائع ، والأصح الموجودين

[67]- د. جميل حمداوي، مجلة الكترونية أدب وفن، التواصل اللفظي وغير اللفظي، 2008/2/7
http://www.adabfan.com/news/810.html

[68]- د. هشام الطالب، دليل التدريب القيادي، ص 17.

فلو تأملنا تعريف التواصل لوجدنا أنه في كل الأحوال لابد من مرسل ورسالة ومستقبل، ولتحقيق هذه الدائرة التي بيناها في الشكل التوضيحي السابق، سنستنتج الآتي:

بأن مكونات دائرة الاتصال ثمانية: وهي على النحو التالي:

1- **الهدف:** المقصود به الغرض من الاتصال أو الغرض من نقل الرسالة للمستقبل، ويجب أن يكون الهدف واضحا ومصوغاً بأسلوب يجعل المرسل يوفر كافة الوسائل لتحقيقه.

2- **المرسل:** هو الشخص الذي يحدد الهدف من الاتصال وله حاجة للاتصال من أجل التأثير على الآخرين. وهناك مهارات يجب أن يتصف بها المرسل وهي:

- بساطة ووضوح اللغة.
- التعبير عن الأهداف بدقة.
- اختيار أسلوب العرض المناسب.
- التحضير الجيد والإلمام بالموضوع.
- الانتباه إلى ردود الفعل وملاحظة ما يطرأ على المستقبل من تغيرات.
- إظهار الاهتمام بالمستقبل وتشجيعه وخلق الثقة بالنفس.

3- **المستقبل:** هو الشخص الذي يستقبل الرسالة من المرسل.

4- **الرسالة:** هي الناتج المادي والفعلي للمرسل، ولضمان وصول الرسالة بشكل جيد إلى المستقبل يفضل أن تتصف بالآتي:

- أن تكون الرسالة بسيطة وواضحة ومختصرة.
- لا تحمل أكثر من معنى.
- مرتبة ترتيباً منطقياً.

5- **قناة الاتصال:** هي حلقة الوصل بين المرسل والمستقبل، والتي ترسل عبرها الرسالة، لذا يجب أن تكون قناة الاتصال خالية من التشويش ومناسبة لطرفي الاتصال.

6- **التغذية الراجعة:** هي المعلومات الراجعة من المستقبل والتي تسمح للمرسل بتكوين حكم نوعي حول فاعلية الاتصال.

7- **الاستجابة:** هو ما يقرر أن يفعله المستقبل تجاه الرسالة إما سلباً أو إيجاباً، الحد الأعلى للاستجابة هو أن يقوم المستقبل بما هدف المرسل، كما أن الحد الأدنى للاستجابة هو قرار بتجاهل الرسالة أو أنه لا يفعل أي شيء حول الرسالة...

8- **بيئة الاتصال:** نقصد ببيئة الاتصال هو الوسط الذي يتم فيه حدوث الاتصال بكل عناصره المختلفة [69].

وسأتطرق لهذا الترتيب في أبوابه وسأبين ذكر ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية، وسألخص كيفية توظيف ذلك عمليا وتبين أهمية هذا العلم الذي أصبح الفرد يتخصص في مجالاته المختلفة.

ثالثاً: مقارنة تعريف التواصل في اللغة العربية مع اللغات الأجنبية

أ- يُعَرّفُ التواصل في اللغة العربية بأنه:

تَوَاصَلَ - [و ص ل]. (ف: خما. لازم). **تَوَاصَلْتُ، أَتَوَاصَلُ، تَوَاصَلْ**، مصدر تَوَاصُلٌ. 1."تَوَاصَلَ الصَّدِيقَانِ" : وَاصَلَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ فِي اتِّفَاقٍ وَوِئَامٍ، اجْتَمَعا، اِتَّفَقا. 2."تَوَاصَلَ الحَدِيثُ حَوْلَ الْمَائِدَةِ" : تَوَالَى [70].

تواصَلَ يَتَوَاصَل تَوَاصُلاً :- الشخصان: اجتمعا واتفقا؛ تواصلا بعد فراق.- ت الأمورُ: تتابعت ولم تنقطع؛ تواصلت الأمطار/ تتواصل الأنباء عن توقع حدث عالَمي هام [71].

(**تواصلا**) خلاف تصارما، و (توصل) إليه انتهى إليه وبلغه وتلطف حتى وصل إليه وتوسل وتقرب يقال توصل إليه بوصلة أو سبب، و (الموصل) مكان الوصول وموضع الوصل بمعنى الضم واللأم والمفصل ومن البعير ما بين العجز والفخذ ومعقد الحبل وما يوصل من الحبل (ج) مواصل [72]. ولما كان ذكر معاني الكلمة كبير وواسع في المعاجم العربية ارتأيت أن ألخص هنا ذكر هذه المعاني مع ما يتناسب في هذا السياق مختصرا، وسأفرد له شرحا وافيا في باب "شرح التواصل عند علماء اللغة"، ولكن سأجمل هنا المعاني التي وردت في المعاجم باختصار، وهي:

---

[69]- دليل المدرب في تدريب المتدربين، تاريخ الإطلاع :8-2-2008 http://www.fao.org

[70]- د. عبد الغني أبو العزم، معجم المغني، معجم رقمي، حسب ترقيم شبكة المشكاة الإسلامية، رقم الكلمة 3645، ص 495

[71]- أديب اللجمي و شحادة الخوري و البشير بن سلامة و عبد اللطيف عب و نبيلة الرزاز، المحيط: معجم اللغة العربية ط 2، بيروت 1994، ج3.

[72]- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط ، دار الدعوة، الإسكندرية، ص 238/2.

الاتصال – الالتئام – الارتباط – المخاطبة – الإعلام – الإبلاغ – الاتفاق – الاجتماع – التتابع – الانتهاء – الالتصاق.

ب- وأما تعريف التواصل باللغات الأجنبية:

فكلمة communication تعني باللغة الإنكليزية:

تناقل (الأخبار، المعلومات، الحرارة، الحركة، المرض، المشاعر، الخ) أو أن تكون على اتصال (من الغرف والحدائق، الخ)

Communicate: to pass on (news, information, heat, motion, an illness, feelings, etc) or (of rooms, gardens, etc) be connected. [73]

تواصل

1: فعل أو حالة إرسال 2 a: تواصل المعلومات b: عن طريق رسالة شفوية أو مكتوبة 3 a: العملية التي فيها المعلومات المتبادَلةُ بين الأفرادِ من خلال نظام مشترك مِنْ الرموزِ، والإشارات، أو السلوك ؛ <وظيفة الفيرومونات في تواصل الحشرات> أيضاً: تبادل المعلومات b: الوئام والوفاق الشخصي < قلة الاتصال بين الأشخاصِ الكبار والشبابِ> 4 a:نظام (مثل الهواتفِ) للإتِّصال b:

com·mu·ni·ca·tion
Pronunciation: \kə-ˌmyü-nə-ˈkā-shən\
1: an act or instance of transmitting 2 a: information **communicated b: a** verbal or written message3 **a:** a process by which information is exchanged between individuals through a common system of symbols, signs, or behavior <the function of pheromones in insect *communication*>; *also* : exchange of information **b:** personal rapport <a lack of *communication* between old and young persons>4*plural* **a:** a system (as of telephones) for **communicating b:** a system of routes for moving troops, supplies, and vehicles **c:** personnel engaged in **communicating** 5*plural but sing or plural in constr* **a:** a technique for expressing ideas effectively (as in speech) **b:** the technology of the transmission of information (as by print

[73]- موقع صخر، قاموس عربي – إنكليزي، تاريخ الإطلاع: 30-10-2010، http://lexicons.sakhr.com

نظام الطرقِ لتحرك قوّاتٍ عسكرية، تجهيزات، وعربات c: الأشخاص المكلفون في إبْلاغ...5 جمع لكن يَغنّونَ أو جمعَ في التشيد a: تقنية لإظْهار الأفكارِ عملياً (كما في الخطابِ) b: تقنية إرسالِ المعلوماتِ (كَما في المطبوعات أو الاتصالات or telecommunication) [74]

والتواصل يقابله المصطلح الأجنبي **Continuité** وهو يعني فيما يعني الاستمرارية، ويتضمن مفهوما آخر يتلامس معه، وهو مفهوم الاتصال **Communication** [75]

ولو قارنا مفهوم التواصل أيضا في اللغة الهولندية، لوجدنا أنه يحمل نفس المعنى الذي ذكرناه أعلاه:

Communicatie: 1:fusie, contact, junctie, kontakt, affiliatie, associatie, verbinding, communicatie, correspondentie. 2: contact, mededeling, kennisgeving, verkeersgemeenschap. 3: communnicatiemiddel: telefoon [76]

ومن خلال هذه المقارنة سنجد أن الاشتراك في المعنى بين اللغة العربية واللغات الأجنبية يلتقي في:

الاتصال – والتواصل – والإبلاغ – والإخبار – والتوافق – والوئام – والالتصاق – وإقامة علاقة – وتراسل – وترابط – واستمرارية. وهذا يعني أن هناك تشابها في المعنى والمفهوم للتواصل في اللغة العربية واللغات الأجنبية.

---

[74]- الموسعة البريطانية، تاريخ الإطلاع: 30-10-2010 ، http://www.merriam-webster.com/dictionary/communication

[75]- عمر مهيبل، إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي، المغرب 2005، ط1، ص 15

[76]- قاموس رقمي: هولندي – هولندي، 30-10-2010، http://blackorwhite.nl/dutchdictionaryonline245678

الباب الأول

التواصل في القرآن الكريم

بعد أن تطرقنا في التمهيد لتبين التواصل في الاصطلاح المعاصر، وبصفة عامة، وعند علماء التواصل، وبعد مقارنته مع اللغات الأجنبية، وكيف وجدنا وجه التشابه في المعنى والدلالة لهذا المفهوم، سأتطرق في هذا الباب لتعريف التواصل في اللغة بشكل موسع حتى يكون المدخل لفهم القرآن الذي سأتطرق له مباشرة بعد تعريفه عند علماء اللغة.

الفصل الأول:

تعريف التواصل عند علماء اللغة

ولهذا التعريف سأعتمد على معجم لسان العرب لابن منظور، لأنه جمع فيه أمهات معاجم اللغة [77]، فبذلك أكون قد جمعت أقوال علماء اللغة من كتاب واحد.

وصل: وَصَلْت الشيء وَصْلاً وَصِلةً، والوَصْلُ ضِدُّ الهِجْران. ابن سيده: الوَصْل خلاف الفَصْل.
وَصَل الشيء بالشيء يَصِلُه وَصْلاً وَصِلةً
ووَصَّلَهُ كلاهما: لأَمَهُ. وفي التنزيل العزيز: ولقد وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ، أي وَصَّلْنا ذِكْرَ الأَنْبياء وأَقاصِيصَ من مَضَى بعضها ببعض، لعلهم يَعْتَبرون.
واتَّصَلَ الشيءُ بالشيء: لم ينقطع؛
ووَصَلَ الشيءُ إلى الشيء وُصُولاً وتَوَصَّل إليه: انتهى إليه وبَلَغه
ووَصَّله إليه وأَوْصَله: أَنهاهُ إليه وأَبْلَغَهُ إياه.
وفي الحديث: رأَيت سَبَباً واصِلاً من السماء إلى الأَرض أَي مَوْصولاً، فاعل بمعنى مفعول كماءٍ دافِقٍ؛ وأَوْصَله غيرُه ووَصَلَ: بمعنى اتَّصَل أَي دَعا دعْوى الجاهلية، وهو أَن يقول: يالَ فلان وفي التنزيل العزيز: إلاَّ الذين يَصِلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاقٌ؛ أَي يَتَّصِلون؛ المعنى اقتُلوهم ولا تَتَّخِذوا منهم أَولياء إلاَّ مَنِ اتَّصَل بقوم بينكم وبينهم مِيثاق واعْتَزَوْا إليهم.

77- أنظر: تهذيب اللغة للأزهري و المحكم لابن سيده ومعجم العين للفراهيدي و الصحاح للجوهري و حواشي ابن بري والنهاية في غريب الحديث لعز الدين ابن الأثير

واتَّصَلَ الرجلُ: انتسَب وهو من ذلك؛ قال الأعشى: إذا اتَّصَلَتْ قالتْ لِبَكْرِ بنِ وائِلٍ، وبَكْرٌ سَبَتْها، والأُنُوفُ رَواغِمُ

(* قوله «قالت لبكر» في المحكم والتهذيب: قالت أبكر إلخ). أَي إذا انتَسَبَتْ. وقال ابن الأَعرابي في قوله: إلا الذين يَصِلون إلى قوم؛ أَي يَنتَسِبون.

قال الأَزهري: والاتِّصال أَيضاً الاعْتِزاءُ المنهيّ عنه إذا قال يالَ بني فلان ابن السكيت: الاتِّصال أَن يقول يا لَفُلان، والاعتزاءُ أَن يقول أَنا ابنُ فلان. وقال أَبو عمرو: الاتصالُ دُعاء الرجل رَهْطه دِنياً، والاعْتزاءُ عند شيء يعجبُه فيقول أَنا ابن فلان. وفي الحديث: مَنِ اتَّصَلَ فأَعِضُّوه أَي مَن ادَّعى دَعْوى الجاهلية، وهي قولهم يالَ فلان، فأَعِضُّوه أَي قولوا له اعْضَضْ أَيْرَ أَبيك.

يقال: وَصَل إليه واتَّصَل إذا انتَمى. وفي حديث أُبَيٍّ: أَنه أَعَضَّ إنساناً اتَّصَل.

والواصِلة من النساء: التي تَصِل شعَرَها بشعَر غيرها، والمسْتَوْصِلة: الطالِبة لذلك وهي التي يُفْعَل بها ذلك.

ووَصَله وَصْلاً وصِلة وواصَلَهُ مُواصَلةً ووِصالاً كلاهما يكون في عَفاف الحبّ ودَعارَته، وكذلك وَصَل حَبْله وَصْلاً وصِلةً؛

وواصَلَ حَبْله: كوَصَله.

والوُصْلة: الاتِّصال. والوُصْلة: ما اتَّصل بالشيء. قال الليث: كلُّ شيء اتَّصَل بشيء فما بينهما وُصْلة، والجمع وُصَل. ويقال: وَصَل فلان رَحِمَه يَصِلها صِلةً. وبينهما وُصْلة أَي اتِّصال وذَرِيعة.

ووَصَل كتابُه إليّ وبِرُّه يَصِل وُصولاً، وهذا غير واقع.

ووَصَّله تَوْصيلاً إذا أَكثر من الوَصْل، وواصَله مُواصَلةً ووِصالاً، ومنه المواصَلةُ بالصوم وغيره.

وواصَلْت الصِّيامِ وصالاً إذا لم تُفْطِر أَياماً تِباعاً؛

وتَوَصَّلْت إلى فلان بوُصْلة وسبب تَوَصُّلاً إذا تسبَّبت إليه بحُرْمة.

وتوصَّل إليه أَي تلطَّف في الوُصول إليه. وتوصَّلا بمعنى توسَّلا وتقرَّبا.

والوَصْل: ضد الهجران. والتَّواصُل: ضد التَّصارُم. وفي الحديث: مَن أَراد أَن يَطول عُمْره فَلْيَصِلْ رَحِمَه، تكرّر في الحديث ذكر صِلة الرَّحِم؛ قال ابن الأَثير: وهي كِناية عن الإحسان إلى الأَقربين من ذوي النسَب والأَصْهار والعَطف عليهم والرِّفْق بهم والرِّعاية لأَحوالهم، وكذلك إن بَعُدُوا أَو أَساؤوا، وقَطْع الرَّحِم ضدُّ ذلك كلِّه. يقال: وَصَل رَحِمَه يَصِلُها وَصْلاً وصِلةً، والهاء فيها عِوَض من الواو المحذوفة فكأَنه بالإحسان إليهم قد وَصَل ما بينه وبينهم من عَلاقة القَرابة والصِّهْر.

وفي حديث جابرٍ: إنه اشترى مِنِّي بَعيراً وأَعطاني وَصْلاً من ذهَب أَي صِلةً وهِبةً، كأَنه ما يَتَّصِل به أَو يَتَوَصَّل في مَعاشه. ووَصَله إِذا أَعطاه مالاً. والصِّلة: الجائزة والعطيَّة.

والوَصْل: وَصْل الثوب والخُفّ. ويقال: هذا وَصْل هذا أَي مثله.

والمَوْصِل: ما يُوصَل من الحبل. ابن سيده: والمَوْصِل مَعْقِد الحَبْل في الحَبْل.

والأَوْصال: المفاصِل. وفي صِفته، صلى الله عليه وسلم: أَنه كان فَعْمَ الأَوْصالِ أَي مُمْتَلِئَ الأَعضاء، الواحدُ وِصْل.

والمَوْصِل: المَفْصِل. والوِصْلانِ: العَجُز والفَخِذ، وقيل: طَبَق الظهر. والوِصْل والوُصْل: كلُّ عظم على حِدَة لا يكسَر ولا يُخْلط بغيره ولا يُوصَل به غيره، وهو الكَسْرُ والجَدْلُ، بالدال، والجمع أَوْصال وجُدُول، وقيل: الأَوْصال مجتَمَع العظام، وكلّه من الوَصْل.

والوَصِيلةُ: الأَرض الواسعة البعيدة كأَنها وُصِلَتْ بأُخرى، والوَصِيلة: العِمَارة والخِصْب، سمِّيت بذلك لاتصالها واتصال الناس فيها [78].

وبعد هذا البسط الواسع لأصل معنى كلمة التواصل، يتبين لنا شمولية واتساع معناه في اللغة العربية التي تعتبر المدخل الأول لفهم القرآن الكريم، ومن خلال هذا السرد اتضح لنا أيضا، أن مفهوم التواصل في اللغة العربية أعمق من أي مفهوم آخر في اللغات الأخرى، وأنه لا يقتصر على التعامل مع الآخر والانفتاح عليه فقط، وإنما يتعدى ذلك إلى حد الرحمة والإحسان والعطف وصلة الرحم وعدم الهجران والانقطاع عن الآخر، "فكل هذه القيم الإنسانية النبيلة والأخلاق الكريمة مما دعا اليه الخطاب القرآني والنبوي مع كل أحد مسلما كان أو غير مسلم ليتجاوز الخطاب القرآني والنبوي بذلك الدعوة إلى العدل والحق والدعوة إلى الإحسان والرفق بالخلق، وعطف الرحم بين الإنسان وأخيه الإنسان، ليتحقق بذلك المقصود من بعثة النبي الخاتم الرحمة المهداة [79]" كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ } (الأنبياء/107).

حتى أن المعنى بين لنا أن التواصل لا ينبغي فيه التباهي بالنسب، كأن يقول شخص أنا ابن فلان، وهذا يقودنا إلى التعالي والتفاخر المذموم والذي يعتبر عائقا من عوائق التواصل، لأنه يعمل على

---

[78]- ابن منظور، لسان العرب، ص 726/11

[79]- المطيري، حاكم بن عبيسان، تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2009، ص 394.

العزلة والفرقة، وهو ضرب من ضروب العنصرية، يقول الشيخ عبد الله بن بيّه: فما ظنك بالاختلاف الناشئ عن العنصرية المبطنة والحقد والكراهية فيما أصبح يعرف بالإسلاموفوبيا وتلك الناشئة عن المصالح بين دول الغرب وبين العالم الإسلامي في استغلال الموارد والاستثمار والتجارة[80].

وذكر القرطبي في تفسيره: عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(إن الله لا ينظر إلى أحسابكم ولا إلى أنسابكم ولا إلى أجسامكم ولا إلى أموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وإنما أنتم بنو آدم وأحبكم إليه أتقاكم)**

ولعلي رضي الله عنه في هذا المعنى وهو مشهور من شعره:

الناس من جهة التمثيل أكفاء * أبوهم آدم والام حواء

نفس كنفس وأرواح مشاكلة * وأعظم خلقت فيهم وأعضاء

فإن يكن لهم من أصلهم حسب * يفاخرون به فالطين والماء [81]

وفي الشق الآخر بين لنا المعنى اللغوي أنه يحتوي على الهبة والعطية، والتي تعتبر من أسباب التودد وبناء العلاقات والانفتاح على الآخر. يقول صاحب كتاب "فن ومهارات الاتصال الفعال": فكسب الناس هو الأساس، عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخية ما يحب لنفسه)** فقد تضمن تفسير معاني ألفاظ الحديث الشريف، علاج لكل المشكلات المزمنة في الاتصال، وعندما نفقد هذا المبدأ في الاتصال يزداد الصراع والألم وسوء الظن ويتعمق الخلاف، ومن الحكمة المقولة المشهورة: **" كل شخص يولد على جبهته علامة تقول: من فضلك إجعلني أشعر أني مهم، أرجوك اعترف بكياني"** [82].

80_ الشيخ عبد الله بن بيه، بحث حول : معالم وضوابط التواصل مع الآخر ووسائله وآلياته، كتب هذا البحث بطلب من وزارة الأوقاف "كما ورد في المقدمة" ، تم نشره على صفحة الإنترنت، تاريخ الإطلاع: 25-10-2010 : http://www.atida.org/makal.php?id=121

81_ تفسير القرطبي، ص 342/16

82 _ وليد الشعيبي، فن ومهارات الإتصال الفعال، (دار النشر غير معروفة)، السعودية 2007 ، ص 11-12

الفصل الثاني:
ورود ذكر التواصل في القرآن الكريم

سوف أتكلم في هذا الفصل عن ورود ذكر التواصل في القرآن الكريم من ثلاث نواح، فأما الأولى: فستكون عن ألفاظ عبارة التواصل في القرآن الكريم، وذكر الآيات التي وردت عن ذلك، وأما الناحية الثانية: فستكون عن الكلمات المرادفة للتواصل في القرآن الكريم ، وأما الناحية الثالثة: فسأتطرق فيها لذكر أضداد كلمة التواصل في القرآن الكريم . وعلى هذا الأساس قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، هي :

المبحث الأول:
ألفاظ عبارة التواصل في القرآن الكريم

بداية سأستهل بذكر وسرد الآيات التي وردت في التواصل كما ورد معنا في اللغة، لتكون لنا مدخلا في مفهوم التواصل في القرآن.

صريح لفظ عبارة أصل (التواصل) في القرآن الكريم:

قوله تعالى: {**الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**} (**البقرة/27**)
والموقع الثاني في قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ**} (**الرعد/21**)
وأما الموقع الثالث ففي قوله تعالى: {**وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**} (**الرعد/25**)
وذكرت في الموقع الرابع في قوله تعالى: {**إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ**} (النساء/90). وردت كلمة التواصل التي أصلها (وصل) كما بينا في اللغة، بصيغة (**يُوصَلَ**) وهي تشمل كل أنواع وقواعد التواصل التي وردت في أربعة مواقع، وذكرت بالصيغة المذكورة أعلاه، وسيتم شرح ذلك في مكانه.

قول الله تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (القصص/51)
وكما وردت بصيغة (وَصَّلْنَا) التوصيل مبالغة الوصل وحقيقة الوصل رفع الحائل بين الشيئين أي أكثرنا لقريش القول موصولا بعضه ببعض [83]، أي أتبعنا بعضه بعضا، وبعثنا رسولا بعد رسول. وقرأ الحسن " وصلنا " مخففا وقال أبو عبيدة والاخفش: معنى " وصلنا " أتممنا كصلتك الشئ. وأصلها من وصل الحبال بعضها ببعض [84].

في قوله تعالى: {مَا جَعَلَ اللّهُ مِن بَحِيرَةٍ وَلاَ سَآئِبَةٍ وَلاَ وَصِيلَةٍ } (المائدة/103)

ووردت بصيغة (وَصِيلَةٍ) وهي التي وصلت أخاها من أولاد الغنم فلم تذبح وإذا مات رجل أو نكب قيل للآخر: لا كنت له بوصيلٍ أي لا وصلت به فيصيبك ما أصابه. وهو وصيل فلان: لمواصله الذي لا يكاد يفارقه، والوَصِيلةُ: الأَرض الواسعة البعيدة كأَنها وُصِلَتْ بأُخرى [85]. وكناية هذا في التواصل هو عملية الاستمرار في العلاقات والتعامل مع الآخر، وليس المراد الحكم الفقهي في هذه الآية، إنما المراد في ذلك المعنى اللغوي الذي ورد في القرآن الكريم.

وأما قول الله تعالى: {إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ } (النساء/90)
فوردت بصفة (يَصِلُونَ) ويشتمل هذا اللفظ في هذه الآية على معاني كثيرة من معاني التواصل التي قد سبق أن بينتها من قبل، يقول سيد قطب رحمه الله في هذه الآية: "ومن ثم يجعل كل من يلجأ ويتصل ويعيش بين قوم معاهدين – عهد ذمة أو عهد هدنة – شأنه شأن القوم المعاهدين . يعامل معاملتهم ، ويسالم مسالمتهم" [86]. إنظر إلى هذه المعاني: يلجأ ويتصل ويعيش ويعامل ويسالم والعهد والهدنة، كلها تدخل في إطار التواصل. يقول الجوهري في قول الله تعالى: " **إلا الذين يَصِلونَ إلى قومٍ**" أي يَتَّصِلونَ. والوَصْلُ: ضدُّ الهِجرانِ. والوَصْلُ: وَصْلُ الثوبِ والخُفِّ. ويقال: هذا وَصْلُ هذا، أي مثله. وبينهما وُصْلَةٌ، أي اتِّصالٌ وذريعةٌ . وكل شيء اتَّصلَ بشيء فما بينهما وُصْلَةٌ، والجمع وُصَلٌ. والأَوْصالُ: المفاصِلُ. والوَصيلَةُ التي كانت في الجاهليَّة [87].

---

[83]- إسماعيل حقي البروسوي، تفسير روح البيان ، مطبعة عثمانية، اسطنبول 1331هـ ، ص 413/6
[84]- تفسير القرطبي، ص 295/13
[85]- كذا ورد في لسان العرب، وقد تم تخريجه سابقا
[86]- في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 733.
[87]- الجوهري، الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت 1990، ط 4، ص 120/6

المبحث الثاني:
الكلمات المرادفة لكلمة التواصل:

تعارف – إقامة علاقات – تعامل – تآلف – تعايش – تلاطف – تراسل – المدارة – الإخبار – التبليغ – القول– الكلام – الجدال – النداء – التذكير – الإنذار – الإعلام – الإنباء – الوصية – القراءة – الكتابة – الوحي – الدعاء – الدعوة – الخطاب – التفصيل – الندوة – الاجتماع – التفهيم – الشرح – التشبيه – التمثيل – الإشارة – الإرسال – التحذير – القصص – التلاوة – البيان – الوجد – الحس – المس – البطش – الغشيان – النكاح – الزنا – السدومية – الصمت – السكوت – البكاء – الصراخ – الأنين – الأذان – الاستماع – الإنصات ...

وورد ذكر هذه المفردات في القرآن الكريم كالآتي:

التعارف وإقامة العلاقات:

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا }** (**الحجرات/13**)

وهو من الآداب الإنسانية العامة، التي لا تستغني عنها الأمم والأفراد، ولا يمكن تحقيق العلاقات التعاملية بدونه، ولذلك كان التعارف من أهم الآداب الإسلامية التي أبرزها القرآن في سورة الحجرات [88]. يقول القرطبي : " خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى، أنسابا وأصهارا ، وقبائل ، وشعوبًا ، وخلق لهم منها التعارف ، وجعل لهم بها التواصل " [89]، فبالتعارف يحصل التواصل . وهذا التعارف الذي لم ينص عليه أي دستور من الدساتير قبل الإسلام [90]، فجاء الإسلام مجددا لهذه العلاقات والحياة البشرية وداعيا إليها والحث على إقامتها، وهذا التعارف بين الشعوب والقبائل الذي ينشأ عن إقامة العلاقات وبنائها مع الآخر لتؤدي إلى عملية التواصل المنشود.

---

[88]- د. عبدالله قادري الأهدل، طل الربوة تربية الأستاذ لتلميذه، كتاب الكتروني من موقع الإسلام، ص 25

[89]- تفسير القرطبي ، 217/4

[90]- عمرو خالد، للتعايش مع الآخر، مجلة كل الناس، تصدر في مصر مقالة أسبوعية، تاريخ المقال 22-08-2007

التعامل:

قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} (القلم/4).

يعتبر التعامل هو التواصل، وهذا ما أشار إليه الهولندي كلاس فيرتزيما: على أن التواصل ليس عن طريق اللغة فحسب، وإنما أيضا من خلال كل أشكال السلوكيات [91]. ولقد ركز الإسلام على السلوكيات وحسن الخلق وأهميتها التي لا تقل عن أهمية الأمور المادية وقد تزيد، يقول محمد أديب الصالح: "فبناء الإنسان على العقيدة الراسخة ومكارم الأخلاق من ود وإيثار وتعاون على البر والتقوى: لا يقل أهمية عن بناء الطاقة المادية والاقتصادية إن لم يكن أهم" [92]. وقال تعالى:

{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (فصلت/34).

ولقد حث الإسلام أيضا على حسن التعامل مع غير المسلمين، "بل وأمر بالبر والإحسان إليهم حتى وإن خالفوهم في الدين[93]، فقال سبحانه: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (الممتحنة/8)

وجاء التعامل أيضا مقرّرا أهمية الحفاظ على حرمة المواثيق والمعاهدات، وأنَّ ثمة آيات تضمنت الدعوة إلى الانفتاح السديد والتعاون الإيجابيّ مع أولئكم الذين لا يقاتلون المسلمين، ولا يعتدون عليهم [94]، ومن هذه الآيات قوله تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (الأنفال/72)

---

[91] Klaas Wiertzema, Patricia Jansen, Basisprincipes van communicatie, Pearson Education, Amsterdam 2005, p. 14.

[92]- محمد أديب الصالح، بناء على منهاج النبوة تبيان المعالم... والأخلاق، مكتبة العبيكان، الرياض 2007، ص 23

[93]- المطيري، حاكم بن عيسان، تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، ، ص 255

[94]- د. قطب مصطفى سانو، في التواصل مع الآخر، (ورقة مقدمة إلى المؤتمر السنوي الثاني: نحن والآخر المقرر انعقاده ما بين 6-8 صفر لعام 1427هـ الموافق 6-8 مارس لعام 2006م بدولة الكويت بتنظيم اللجنة العليا لصياغة البرامج والإجراءات والخطط الكفيلة بحماية الشباب من مظاهر الانحراف والتعصب الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة الكويت) ، ص 6.

الألفة:

قال تعالى: **{وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }** (آل عمران/103)

ألفه – إلفا وألفا وإلافا: أنس به وأحبه [95]. ومن الطبيعي بعد التعارف وبناء العلاقات والتعامل أن تنشأ الألفة في العلاقات التي بنيت، ويذهب الشيخ محمد عبده لإبعد من هذا فيقول: ألم تر أن الله جعل اتفاق الرأي في المصلحة العامة والاتصال بصلة الألفة في المنافع الكلية سببا للقوة واستكمال لوازم الراحة في هذه الحياة الدنيا، والتمكن من الوصول لخير الأبد في الآخرة [96].

ووردت في قوله تعالى:

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (الأنفال/63) وقال تعالى أيضا: **{لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ }** (قريش/1)، ورد في تفسير الطبري: إلى ألفة بعضهم بعضا [97]. وقول الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }** (النساء/1) .

قال البقاعي : ولأن بناء هذه السورة على التواصل والائتلاف ورعي حقوق ذوي الأرحام وحفظ ذلك كله إلى حالة الموت المكتوب علينا ، وناسب هذا المقصود من التواصل والألفة، فافتتحها بالالتئام والوصلة [98].

التعايش:

وهذا التعايش الذي قال عنه الله تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }** (آل عمران/64)

---

[95]- سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، دار الفكر، دمشق 1988، ص 21

[96]- الشيخ محمد عبده، المسلمون والإسلام، موقع الكتب العربية 2008، ص 46.

[97]- تفسير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، 2000، ص 620/24

[98]- نظم الدرر للبقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص 170/2

طالبنا الإسلام وفق أخلاقياته وسموّ نظرياته إلى معايشة الأديان الأخرى والتساكن معها مهما اختلفت، لأن هذا الاختلاف بين الناس أمر حتمي قضى به خالق الناس لحكمة يعلمها هو جل وعلا [99]. ووصف الدكتور قطب مصطفى سانو التعايش بالتفاعل الإيجابي والتواصل المنشود[100]، الذي قال عنه "آلان جريش": التراث الإسلامي الضخم الذي تطور على مر العصور وسمح بانبثاق ميادين وساحات للتعايش وللتعددية الثقافية والدينية [101]. وذكر سيد قطب فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر التعايش فقال: لقد عقد الرسول – صلى الله عليه وسلم – أول مقدمه إلى المدينة ، معاهدة تعايش مع اليهود؛ ودعاهم إلى الإسلام الذي يصدق ما بين أيديهم من التوراة [102].

وهذا مثل آخر على التعايش الصريح مع كل أطياف المجتمع وأنواع الناس على مختلف مذاهبهم ودياناتهم بالتعايش على أساس العدل وأداء الأمانات كانت ما كانت، يقول صاحب تفسير القطان في قوله تعالى: (وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ) هذا نص مطلق شامل ، فإنه سبحانه يطلب منا إقامة العدل بين الناس جميعاً على أختلاف أديانهم وطبقاتهم ، لا بين المسلمين فحسب . . لأن العدل هو أساس انتظام الحياة ، وعلى ذلك فهو حق لكل إنسان من أي دينٍ او جنس او لون . هذا هو دستور الاسلام العظيم لا التستر على التمييز العنصري ولا تسخير الدين في خِدمة الحكام [103].

وفي إطار هذا التعايش فإن الحكم الإسلامي يقوم على صيانة الحقوق والحريات: تشير المعاملة الإسلامية لغير المسلمين في ظل دولة الإسلام الحق والقانون والحماية إلى تميز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والأخلاق ودفع الظلم وإنجاز كل ما فيه خير للفرد والأمة في الحاضر والمستقبل . وبطبيعة الحال يشمل ذلك غير المسلمين ، فجعل النظام السياسي الإسلامي الحكم أمانة [104].

---

[99]- حسن ابن محمد سفر، نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين، من موقع الإسلام، ص 13

[100]- د. قطب مصطفى سانو، (سبق ذكره)، ص 6

[101]- آلان جريش، حوار حول الإسلام، موقع كتب عربية 2006، ص 217.

[102]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 960/2

[103]- إبراهيم القطان، تيسير التفسير، راجعه وضبطه عمران أحمد أبو حجلة، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان 1982، ص 305/1

[104]- انظر : الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، ص85 ، مؤسسة شباب الجامعة ، 1410هـ ؛ أركان وضمانات الحكم الإسلامي : محمد مفتي ، ص110 ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، العدد 12 ، 1409ه ؛ التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، ص99 ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1417هـ .

قال تعالى: {**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً** } (النساء/58) .

كما أن دستور المدينة المنورة الذي دونه النبي صلى الله عليه وسلم أول مقدمه يثرب يبين كيفية التعايش في ظل الدولة الإسلامية، ويعتبر هذا الدستور أول دستور مدني في التاريخ. يقول المستشرق الروماني جيورجيو: " حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بندا، كلها من رأي رسول الله. خمسة وعشرون منها خاصة بأمور المسلمين، وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولا سيما اليهود وعبدة الأوثان. وقد دون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفرقاء [105].

التلطف:

قال تعالى على لسان أهل الكهف: { **فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً** } (الكهف/19)

جاء في "الصحاح في اللغة" للجوهري في باب وصل: وتوصل إليه: تلطف بالوصول إليه [106].

والتلاطف أسلوب من أساليب التعامل بالتودد حتى يصل الشخص لما يبتغي، يقول الإمام القشيري: تَوَاصَوْا فيما بينهم بحسن التَّخَلقِ وجميل الترفُّقِ ، أي ليتلطف مع من يشتري منه شيئاً [107].

قال الإمام النووي رحمه الله: ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفاء والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم والشفقة عليهم، والتواضع معهم وخفض الجناح لهم . قال الله تعالى: **{وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ } [الحجر:88]. وقال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا } [الكهف:28]. وقال تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ }**

---

[105]- كونستانس جورجيو، نظرة جديدة في سيرة رسول الله، محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2000، ص 192

[106]- الجوهري، الصحاح في اللغة، 120/6

[107]- تفسير القشيري، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت 2007، ط 2، (أرقام الصفحات غير ظاهر).

[الضحى:9-10]. وقال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ } [الماعون:1-3]. [108]

وقول الله تعالى: { وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} (آل عمران/159)
ومن أمثلة التلطف في القول وأسلوب الحوار وهو أساس من أسس التواصل [109]، فالقول اللين والحسن مع جميع الناس على اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم يبين وسع صدر الإسلام ومدى انفتاحه على كل البشر وحسن التعامل معهم، وهذا التعامل هو مع ضعيفهم وقويهم، حاكمهم ومحكومهم، فاجرهم وتقيهم، وقد حكي أن رجلا دخل على المأمون – الخليفة العباسي– فأمره بمعروف ونهاه عن منكر، وأغلظ له في القول، فقال له المأمون: يا هذا إن الله تعالى أمر من هو خير منك أن يلين القول لمن هو شر مني، فقال لموسى وهارون: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طه/44) ثم أعرض عنه ولم يلتفت إليه [110]. وقال الإمام أحمد رحمه الله: "الناس يحتاجون إلى مداراة ورفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة" [111].

وقوله تعالى: {وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً } (البقرة/83) أي: كلموهم طيبًا، ولينُوا لهم جانبًا [112]، وهي لجميع أصناف الناس، كما أن هذه الآية تبين عمق هذا المعنى في التعامل بالحسنى مع كل الناس[113]، ويذهب الشيخ محمد عبده في شرحه لهذه الآية إلى أن "الحُسْن" في هذا السياق، ليس معناه مجرد التلطف بالقول والمجاملة في الخطاب ، فالحُسْن هو النافع في الدين والدنيا [114].

التراسل (الإرسال) :

فهو شكل من أشكال التواصل، وللتراسل مشتقات أذكرها أدناه، وهذه المشتقات تسمى بـ:

---

[108]- الإمام النووي، رياض الصالحين، بيروت 1995 ، ص 157

[109] أنظر: -Dale Carnegie, How to win friends and influence people, Pocket books, New York 1982, p.93.

[110]- عبد الرحمن الشيرازي، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان 1981، ص 9.

[111]- أبو بكر الخلال، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار الكتب العلمية، بيروت 2003، ص 80

[112]- تفسير بن كثير، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض 1999، ط 2، ص 317/1

[113]- أنظر: تفسير الطبري، ص 296/2 – 297، و تفسير القرطبي ص 16/2

[114]- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ، تحقيق وتقديم د . محمد عمارة ، دار الشروق ، القاهرة 1993، ص 216/4 .

العناصر الرئيسية لعملية الاتصال[115]:

المرسل Sender أو مصدر Source أو قائم بالاتصال Communicator

الرسالة Message

الرسل أو قناة الاتصال (و تسمى الوسيلة Chanel أو وسيط Medium)

المستقبل Receiver أو متلقي Audience

رد فعل Reaction أو استجابة Response أو التغذية الراجعة Feed back

وهذا الشكل من أشكال التواصل، كثير الذكر في القرآن الكريم، إن لم يكن جل القرآن الكريم يدور في مداره، حيث أنه يحتوي بأشكاله الثلاثة الأولى على تعاليم الإسلام كله، من عبادات ومعاملات وسياسية واقتصاد وعلوم إنسانية وعلمية...الخ . ولذا سوف أقوم بذكر بعض الأمثلة على هذه الأشكال لتبينيها وتوضيحها، وبداية سأضرب بعض الأمثلة على المرسل من القرآن الكريم، وفي هذا المستوى هناك مستويات في القرآن الكريم،

العنصر الأول:

المرسل: وهو الذي يقوم بنقل المعلومات أو الأفكار أو الآراء أو المعاني إلى الآخرين[116].

وهو على مستويات ومثال ذلك: المستوى الأول:

كأن يكون المرسل الله عز وجل، مثل قوله تعالى: **{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ } (البقرة/119)**

ومثل قوله تعالى أيضا في إرساله رسلا لبني إسرائيل: **{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ } (المائدة/70)**

وقوله تعالى بإرساله نوح عليه السلام لقومه: **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (الأعراف59)**

وأيضا في قوله تعالى بإرساله موسى عليه السلام لقومه: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } (هود/96)**

---

[115]- منال طلعت محمود، مدخل إلى علم الاتصال، ص 73

[116]- نفس المصدر السابق، ونفس الصفحة

وفي إرساله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم، قوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبأ/28) .

وأما المستوى الثاني من مستوى (المرسل):

أن يرسل الله عز وجل ملائكته لقوم من الأقوام بعذاب واقع لمعاصيهم [117]، كقوله تعالى في حق قوم لوط: {قَالُواْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ } (الحجر/58) وفي تفصيل ذلك قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ } (هود/70)، أو أن يرسل الله عز وجل ملكا لإنسان برسالة بغير قصد العذاب أو الوحي، كأن يهب مولودا على سبيل المثال لا الحصر، كما أرسل جبريل عليه السلام لمريم [118]، {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً } (مريم: 17 –19)، وكما أرسلت الملائكة لإبراهيم و زكريا عليهما السلام في نفس الموضوع لتبشيرهما بمولود.

المستوى الثالث من مستوى (المرسل):

أن يرسل الله عز وجل برسالته مع جند من جنوده غير الملائكة أو البشر، يكون فحوى الرسالة تبشير أو إنذار أو عذاب، وبهذا الشكل من أشكال التواصل يكون فيه تذكير للعباد بالإياب لخالقهم [119]، وهذا من باب حبه لخلقه، قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً} (الأحزاب/9) [120]، أو أن يرسل الله الريح الذي فيه الخير، كقوله تعالى: {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ } (الحجر/22) [121]، ففي هذه الآية تبيان أن إرسال الريح فيه الخير والمنفعة والحياة للناس، فينزله الله عز وجل بقدر وكيف لا وهو جند من جنوده يأمره كما يشاء، لقوله : {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } (يس/82) وقوله تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ }

---

[117]- أنظر: تفسير الطبري، ص 87/15 و ص 404

[118]- نفس المصدر، ص 166/18

[119]- أنظر تفسير الطبري، ص 60/13

[120]- أنظر تفسير الطبري، ص 217/20

[121]- أنظر تفسير الطبري، ص 88/17 -89، وتفسير القرطبي، ص 10/16-18

(المدثر/31)، كما يمكن أن يكون الماء نفسه الذي يرسله الله عز وجل، في صورة من صور العذاب بعد التذكير والتحذير، فيرسل الماء عليهم ليغرقهم فيه بعد أن كان فيه الخير والمنفعة، فيكون الجزاء بعد الجحود والعناد والكفر هو الإغراق، قال تعالى: **{فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ }** (الأعراف/64) [122]، وفي نفس السياق بنوع آخر من الإرسال، قوله تعالى: **{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ }** (الأعراف/133)، أو أن يرسل الله تعالى طيورا كجند من عنده تحمي المقدسات من الدمار، كيوم أراد أبرهه الأشرم هدم الكعبة المشرفة، وفي ذلك، قال تعالى: **{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ }** (الفيل/3) [123]، وفي الآية التالية، إظهار واضح بهدف الرسالة التي قد يرسلها الله عز وجل مع جند آخرين من جنوده، في قوله تعالى: **{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ }** (الأعراف/162) [124]. وفي هذا النوع من التواصل وإن كان في ظاهره العذاب، إلا أن في باطنه حب الله الخير لجميع عباده فيرغبهم من جهة ويرهبهم من جهة أخرى، حتى يرجعوا وينيبوا له قبل فوات الأوان [125] ، أو تكون الرسالة عذابا محضا لحفظ بقية الخلق من شر مَن أرسل عليهم العذاب [126]

وأما المستوى الرابع من مستوى (المرسل):

كأن يرسل رسول أو نبي رسولا من قِبَلِهِ لقوم ما، كما فعل سيدنا سليمان عليه السلام بإرسال الهدهد بكتاب لملكة سبأ، قال تعالى: **{اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ }** (النمل/28)، وفي نفس القصة طلب سيدنا سليمان من جلسائه بإحضار عرش ملكة سبأ، وهو إرسال رسول برسالة هدفها إحضار العرش، قال تعالى في هذا السياق: **{قَالَ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَ عِفْريتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ * قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ**

---

[122]- أنظر تفسير الطبري، ص 502/12

[123]- أنظر تفسير الطبري، ص 605/24 و 615، وأنظر القرطبي ص 196/20-199

[124]- أنظر تفسير الطبري، ص 116/2-118

[125]- أنظر تفسير السعدي، تحقيق: عبد الرحمن ابن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت 2000، ص 722/1

[126]- إضافة الدكتور المشرف على الرسالة، د. يونس علوي المدغري

بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرّاً عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ } (النمل: 39–40)، وفي هذا التراسل والتواصل تجاوب المستقبل للمرسل، أي التغذية الراجعة، كما بينت ذلك سابقا في التمهيد، وردا على رسل ورسالة سيدنا سليمان عليه السلام، أرسلت ملكة سبأ رسلا له جوابا على ما استقبلت منه، قال تعالى: {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ } (النمل/35) [127].

أو جماعة من الرسل كما في قوله تعالى على لسان رسل المسيح: {إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ } (يس/14)

وأما في المستوى الخامس من مستوى (المرسل):

بأن يكون المرسل من جميع طبقات الناس دون خصوصية الأنبياء والرسل، ومثال ذلك إرسال فرعون رسله في المدائن، قال تعالى: {قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ } (الأعراف/111)، وقوله تعالى: {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ } (الشعراء/53).

وقد يكون نوع الإرسال في طلب حاجة ما، كأن يرسل قوم رسولا لهم ليقضي هذه الحاجة لهم، وفي ذلك قوله تعالى: {وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ } (يوسف/19)، وفي نفس السياق، قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً } (الكهف/19) .

وقد يكون الإرسال لحضور دعوة يرسلها المرسل للمرسل إليه، يدعوه فيها بتلبية دعوته، لقوله تعالى: {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ } (يوسف/31) .

[127]- أنظر تفسير السعدي، ص 604-605، وأنظر أيضا في ظلال القرآن، ص 381/5-384.

أو أن يطلب الشخص أن يكون وسيطا أو رسولا في مسألة ما ونقل المعلومات، لقوله تعالى: **{وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ }** (يوسف/45)، أو أن يكون المرْسَل وسيطا وشفيعا في حل مسألة عالقة، لقوله تعالى: **{فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }** (يوسف/63) [128].

العنصر الثاني، الرسالة:

تحوي الرموز – لغوية، لفظية، أو غير لفظية، أو غير لغوية – التي تعبر عن المعلومات أو الأفكار أو الآراء أو المعاني [129]. ونضرب على ذلك بعض الأمثلة من القرآن الكريم، علما بأنه قد تكون هذه الرسالة في العبادات والتشريع عن طريق المشرع، وهو الله عز وجل أو رسوله صلى الله عليه وسلم، أو أن تكون سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غيره من باقي جوانب الحياة . ومثال مضمون الرسالة في العبادات والتشريع، كما أنها كل أوامر ونواهي الله عز وجل في القرآن الكريم [130]، وهي كثيرة جدا، لكن سنكتفي بذكر بعض منها، قال تعالى في نص الرسالة لأمر التوحيد: **{فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ }** (محمد/19)، يعتبر نص هذه الآية رسالة واضحة شافية كاملة في موضوع التوحيد [131].

أو أن يكون نص الرسالة أمر بأداء الطاعات، كقول الله تعالى: **{وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ }** (البقرة/43)

أو أن يكون نص الرسالة سياسيا، كقوله تعالى: **{الم غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ }** (الروم: 1–4) [132].

---

[128]- أنظر تفسير التحرير والتنوير، ص 16-15/13

[129]- منال طلعت محمود، ص 73

[130] أنظر في ظلال القرآن، تفسير قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم)، ص 842/2 ، وأنظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، لأبن السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض 1422 هـ ص 309.

[131]- أنظر تفسير السعدي، ص 787

[132]- أنظر تفسير السعدي، ص 636، فهو يتكلم عن الدول العظمى آنذاك، والاهتمام بالشأن السياسي حسب التسمية المعاصرة.

وقد يكون نص الرسالة أخلاقيا، كقوله تعالى: {وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً } (الإسراء /37)[133].

وإما أن يكون نص الرسالة اقتصاديا، يقول الدكتور مصطفى قطب سانو: فثمة آيات عديدة تقرّر ذلك وتدعو إليه، منها قوله تعالى واصفا أهل الذمة والأمان من أهل الكتاب، وحاثّا على التعامل مع المؤمنين من أهل الكتاب، ومحذرا ممن لا أمانة لهم منهم: {وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (آل عمران/75).

العنصر الثالث، الرسل (الوسيلة أو الوسيط):

وهي الطريقة أو القناة التي تنتقل بها الرسالة من المرسل إلى المستقبل[134]. وهو ينقسم إلى شقين :

الشق الأول، وهم الرسل:

وسأستهل بضرب بعض الأمثلة من أي القرآن الكريم على ذكر الرسل، ومثال ذلك قوله تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ } (البقرة/87)

وفي تبين وظيفة الرسل، من حيث نقل الرسالة عن المرسل، يقول: منصور الرفاعي على أن من الآيات التي حددت وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم في توضيح ما أجمله القرآن الكريم وتخصيص ما ورد فيه من ألفاظ العموم لقول الله تعالى: { وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (النحل/44)[135].

---

[133]- انظر في ظلال القرآن، ص 2228/4

[134]- منال طلعت محمود، ص 73

[135]- منصور الرفاعي محمد عبيد، نظام الحكم في الإسلام، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة 1905، ص 128.

كما يبين لنا القرآن الكريم أن الرسل درجات ومفضل بعضهم على بعض [136]، وهذا أيضا يظهر جليا في وسائل الاتصال، حيث تعتبر وسيلة أفضل من الأخرى، إما بالجودة وإما بسرعة الأداء [137]... وهكذا، وفي ذلك قوله تعالى: **{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ }** (البقرة/**253**). كما أن من الضروري التوخي في اختيار الرسل أو وسيلة الاتصال لإيصال أي رسالة كانت ما كانت، وخصوصا في عصر التكنولوجيا والتطورات المتتالية [138]، وذلك نستمده من قوله تعالى: **{ وَلَكِنَّ اللّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ }** (**آل عمران/179**)، وقوله تعالى: **{اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ }** (**الأنعام/124**)

كذلك أن يكون في التواصل، غاية يستفاد منها، ويرجى منها نتيجة متوخاه، وفيها الاستفادة والتطبيق، وهذا ما تشير إليه الدكتورة منال طلعت محمود: إن رد فعل الرسالة، إما أن يكون إيجابيا يتفق مع أهداف المرسل أو سلبيا يتعارض مع هذه الأهداف [139]، وفي ذلك يقول الله تعالى:
{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً } (**النساء/64**)
وأما الشق الثاني من (الوسيلة أو الوسيط)، وهو وسائل الاتصال:

ومما يساعد على إنجاح عملية الاتصال، استخدام الوسيلة المناسبة لرسالته والتي تتناسب مع الهدف المقصود [140]، ومن أمثلة وسائل الاتصال، إيصال الرسالة عبر ساعي البريد، ومن ذلك كان سابقا من خلال الطيور، وهذا ما ورد في قصة سيدنا سليمان عليه السلام في القرآن الكريم لما أرسل رسالة لملكة سبأ مع الهدهد، حيث قال الله تعالى: **{اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ**

---

[136]- أنظر تفسير السعدي، ص 109، و تفسير القرطبي، ص 261/2
[137]- أنظر: تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري، للدكتور محمود علم الدين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 1990، ص 47-66
[138]- نفس المصدر، ص 9
[139]- منال طلعت محمود، ص 74
[140]- نفس المصدر، ص 84

تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} (النمل/28) ، ولقد أصبحت وسائل الاتصال الجماهيري بدءا بالصحيفة والمجلة، وانتهاءا بالإذاعة المسموعة والمرئية هي الأداة الأساسية لتكوين فكر الإنسان المعاصر من خلال مادتها الإعلامية المتمثلة في الرسالة الإعلامية والمنقولة عبر التقنيات التكنولوجية المتطورة. [141]

ومن الإشارات القرآنية قوله تعالى في وسائل المواصلات ، بعد أن ذكر الدواب التي كان يستخدمها الناس في تلك العصور في الانتقال: **{وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }** (النحل/8). فكأنما يشير إلى ما عرفناه في عصرنا من القطارات والسيارات والبواخر والطائرات والصواريخ وغيرها مما نعلمه ، وما لا نعلمه ، مما قد يأتينا به الغد المجهول . وهو نوع من الإنباء بالغد [142]. وكذلك قول الله تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ }** (غافر/79)، ومن قوله تعالى أيضا: **{إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ }** (البقرة/164) ، وكذلك قوله تعالى: **{اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** (الجاثية/12)، ولولا أن سخر الله البحر لما جرت فيه السفن على الإطلاق، لقوله تعالى: **{إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }** (الشورى/33).

ث. المستقبل

والمستقبل هو الجهة أو الشخص الذي توجه له الرسالة ويستقبلها من خلال أحد أو كل حواسه المختلفة (السمع والبصر والشم والذوق واللمس) ثم يقوم بتفسير رموزها ويحاول إدراك معانيها [143]، ومثال ذلك من القرآن الكريم، حيث يصف الله عز وجل في الآية، سماع وطاعة المستقبل للرسالة المرسلة من المرسل ألا وهو الله عز وجل، وفي ذلك قوله تعالى: **{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ**

---

[141]- منال طلعت محمود، ص 188

[142]- يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة 1996، ط1، ص 291

[143]- وليد الشعيبي، فن ومهارات الاتصال الفعال، (دار النشر غير معروفة)، السعودية 2007 ، ص 9

إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (البقرة/285)

المداراة

قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ } (المؤمنون/96)

قال أبو الدرداء: إنا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهي مع من يخاف سره، قال الله تعالى: " ادفع بالتي هي أحسن السيئة " قال ابن عباس في معنى قوله: " ويدرؤون بالحسنة السيئة " أي الفحش والأذى بالسلام والمداراة. وقال في قوله تعالى: " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض " ، قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة. وقالت عائشة رضي الله عنها: استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو " ، فلما دخل ألان له القول حتى ظننت أن له عنده منزلة فلمّا خرج قلت له: لما دخل قلت الذي قلت، ثم ألنت القول فقال: " يا عائشة إن شر الناس منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء فحشه " ، وفي الخبر: " ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة " . وفي الأثر: خالطوا الناس بأعمالكم وزايلوهم بالقلوب. وقال محمد بن الحنفية رضي الله عنه: ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بداً حتى يجعل الله له منه فرجاً [144].

والمداراة : هي الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه ، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما إذا احتيج إلى تألفه ونحو ذلك . اهـ [145].

إذا تقرر هذا المعنى فهو الذي قد عناه الحسن البصري – رحمه الله – بقوله : كانوا يقولون : المداراة نصف العقل ، وأنا أقول هي كل العقل . وسلوك المداراة مأذون فيه لأن الإنسان خلق للاجتماع لا للعزلة ، وللتعارف لا للتناكر ، وللتعاون لا للانفرادية [146].

---

[144]- الإمام أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بقلم د. بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا سماراغ، إندونيسيا (السنة ؟)، ص 206/2

[145]- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، تدقيق عبد العزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت 1989، ص 647/10

[146]- صالح ابن عبدالله ابن حميد، مفهوم الحكمة في الدعوة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-السعودية 1422هـ،ط1، ص38

الإخبار والتبليغ

البلوغ، والإبلاغ، والتبليغ بمعنى: الانتهاء، والوصول، والإيصال، والتوصيل إلى غاية مقصودة أو حدٍ مراد، سواء كان هذا الحد أو تلك الغاية مكاناً أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة معنوياً [147]، وفي الإخبار والتبليغ تتم عملية التواصل بين المرسل والمستقبل عبر قنوات الاتصال المختلفة.

واستشهادا بقول الله تعالى بما أخبر فيما يتعلق بالإخبار، قوله: **{ قُل لاَّ تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ }** (التوبة/94)، وكلمة خبر وردت في أربعة مواقع في القرآن الكريم.

وأما فيما يتعلق بالتبليغ، قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }**

(المائدة/67)، وقوله تعالى: **{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ }** (الأعراف/62)

القول

القول: هو اللفظ الدال على معنى [148]، كرجل وفرس وشجرة.

قال تعالى: **{وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ}** (الحج/24) وقول الله تعالى: **{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ}** (الأحزاب/32)

وقال تعالى: **{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ }** (ق/18)، ولقد وردت كلمة القول في القرآن الكريم في 33 موضع.

الكلام

عَرف ابن هشام الكلام: بأنه هو القول المفيد، وهو ما دل على معنى يحسن السكوت عليه [149].

وتطلق الكلمة في اللغة على الجمل المفيدة كقوله تعالى: **{ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا}** (المؤمنون/100)، وقال تعالى: **{ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً }** (الكهف/5)، وقال تعالى: **{ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ }** (الشورى/21)، ولقد وردت

---

[147]- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت 1991، ص 60/1

[148]- نحو المعاني، احمد عبدالستار الجواري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2004، ص 106

[149]- نفس المصدر السابق، ص 107

كلمة (كلمة) في القرآن الكريم في 20 موضع.

الجدال

وتعريف الجدل والجدال: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم، أصله من جدلت الحبل: أي أحكمت فتله ، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه [150].

وقد ذكره الله في القرآن على أنه من طبيعة الإنسان في قوله: {**وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**} (الكهف/54) أي خصومة ومنازعة [151]، وأباح مناظرة أهل الكتاب بالطريقة الحسنة [152] بقوله: { **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** } (العنكبوت/46)، وقال تعالى: { **أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ** } (الأعراف/71)، وقال تعالى أيضا: {**وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً** } (الزخرف/58)

النداء

قال أبو حيان: النداء – لغة – : الدعاء [153].

واصطلاحا: الدعاء بحروف مخصوصة [154].

وقال النحاس: النداء: رفع الصوت بالمنادى ليقبل عليك، بخلاف الندبة، فإنه لا يصح منه الإقبال [155].

قال تعالى: {**إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً** } (مريم/3)، قال تعالى: { **كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء** } (البقرة/171)، وقال تعالى أيضا: {**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ** } (الأعراف/44)، ووردت كلمة نادى في 15 موضع في القرآن الكريم .

التذكير

والتذكير هو المنهج الذي يقوم عليه دين الله ، ومن أجله كانت وتعددت رسالات السماء في شتى

---

[150]- مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة 2004، ص 293

[151]- المصدر السابق نفسه

[152]- المصدر السابق نفسه ص 294

[153]- الإعراب المحلي للمفردات النحوية، الشيخ حسين منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2009، ص 241

[154]- المصدر السابق نفسه

[155]- المصدر السابق نفسه

مراحل التاريخ ، وتحمل الرسل عبء هذا المنهج ، ليذكروا البشر بأبعاد الهداية ، ويدلوهم على مواطن الخير في وحي الله ودين السماء ؛ ليستطيع الإنسان تحقيق الرسالة التي أرادها الله له في هذا الوجود [156]، يقول الله تعالى: **{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى }** (الأعلى/9) ويقول أيضا: **{فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ }** (ق/45).

إن القرآن الكريم الهادي المتفرد، هو كتاب تذكرة وإنذار. يخبرنا الله تعالى عن صفات القرآن هذه في عدة آيات كريمة [157]: **{هَـذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }** (إبراهيم/52) .

الإنذار

الإنذار: هو الإعلام المتضمن للتخويف [158]

قال تعالى: **{وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ }** (الأنعام/51)، وقال تعالى: **{أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ}** (يونس/2)، كما قال تعالى: **{قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ }** (الأنبياء/45)

وهدف الإنذار هو: "لتحريك القلوب بمشاعر التقوى ليظفروا في النهاية برحمة الله" [159]، وهذا ما يكشفه القران الكريم عن هدف رسالة سيدنا نوح عليه السلام [160]، بقوله تعالى: **{لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }** (الأعراف/63).

ولكن الفطرة حين تبلغ حدا معينا من الفساد، لا تتفكر ولا تتدبر ولا تتذكر، ولا ينفع معها الإنذار ولا التذكير [161]، قال تعالى: **{وَسَوَاء عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }** (يس/10).

---

[156]- مجلة البحوث الإسلامية، العدد الثالث عشر، المملكة العربية السعودية رجب – شوال 1405هـ ، ص 164

[157]- لا تتجاهل، هارون يحيى، ترجمة ميسون نحلاوي وتحقيق أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت 2004، ص 61

[158]- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر، دار الثريا للنشر، الرياض 1998، ص322

[159]- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، جمال عبد الهادي محمد، وفاء محمد رفعت جمعة، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة 1991، ص 94

[160]- أنظر المصدر السابق نفسه

الإعلام

الإعلام لغة:- هو التبليغ والإبلاغ أي الإيصال، يقال: بلغت القوم بلاغا أي أوصلتهم الشيء المطلوب، والبلاغ ما بلغك أي وصلك، وفي الحديث: "بلغوا عني ولو آية"، أي أوصلوها غيركم وأعلموا الآخرين، وأيضا: "فليبلغ الشاهد الغائب" أي فليعلم الشاهد الغائب، ويقال: أمر الله بلغ أي بالغ، وذلك من قوله تعالى: (إن الله بالغ أمره) أي نافذ يبلغ أين أريد به. [162]

الإعلام هو: الفروض التي توضح طبيعة التفاعل بين أطراف عملية الاتصال الجماهيري والقوى المجتمعية التي تتحكم فيها والدور المتوقع من الوسيلة الإعلامية في هذه العملية . [163]

ويعرف "أوتوجروت" الألماني الإعلام بأنه: التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في الوقت نفسه . [164]

ويقول الدكتور محمد كالو: "أن الإعلام الإسلامي قد أرسى قواعده على أساس الخير الشامل ، وأكد على الاتصال والتفاهم بين الأمم والشعوب فقال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** (الحجرات/13) [165]

كما ويؤكد الدكتور محمد كالو على شمولية الإعلام الإسلامي بقوله: فالإعلام الإسلامي أشمل من الإعلام الدولي بالمصطلح الاتصالي الحديث لأنه يؤكد أن الإنسانية كلها أمة واحدة فقال تعالى : **{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }** (البقرة/213) ، من هنا نعلم أن الإعلام الإسلامي يقوم على

---

[161]- في ظلال القرآن، ص 1309/2

[162]- أبو بكر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر العربي، بيروت 1997

[163]- محمود كرم سليمان، التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، دار الوفاء، القاهرة 1988، ص 89

[164]- لجمال راسم محمد، مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية، القاهرة، جامعة القاهرة، مركز التعليم المفتوح 1999

[165] www.shamela.ws- الإعلام في القرآن وموقفه من شائعات السوء، مبحث في شكل كتيب الكتروني، مكتبة الشاملة الالكترونية

أساس من صلة الرحم بين بني الإنسان، وعلى أساس من التعارف والمودة والمساواة والعدالة وإقرار السلام لا العداوة والبغضاء [166].

الإنباء

النبأ: الخبر، تقول نبأ ونبأ، أي: أخبر، ومنه أخذ النبيء لانه أنبأ عن الله تعالى، ونبأت به الارض: جاءت به. قال الشاعر: فنفسك أحرز فإن الحتو * ف ينبأن بالمرء في كل واد، ونبأت من أرض إلى أرض، إذا خرجت منها إلى أخرى [167].

قال تعالى: **{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ }** (التحريم/3)

وكما قال تعالى: **{قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ }** (البقرة/33).

الوصية

[وصى] أوصيت له بشئ وأوصيت إليه، إذا جعلته وصيك. والاسم الوصاية والوصاية، بالكسر والفتح. وأوصيته ووصيته أيضا توصية بمعنى . والاسم الوصاة . وتواصى القوم، أي أوصى بعضهم بعضا. وفى الحديث: " استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان ". ووصيت الشئ بكذا، إذا وصلته. قال ذو الرمة: نصى الليل بالايام حتى صلاتنا مقاسمة يشتق أنصافها السفر وأرض واصية: متصلة النبات. وقد وصت الارض، إذا اتصل نبتها. وربما قالوا: تواصى النبت، إذا اتصل. وهو نبت واص [168].

ذكرت الوصية في القرآن الكريم في آيات كثيرة، ولكنها ليست بمعنى واحد .

مثل أن تأتي بمعنى: ما يوصي به في المواريث

قال تعالى: **{كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ }** (البقرة/180)، وقال أيضا تعالى: **{إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**

166ـ المصدر السابق نفسه

167ـ الجوهري، الصحاح، تحقيق محمد زكريا يوسف، دار العلم للملايين، بيروت 1990، ص 84/2

168ـ الجوهري، الصحاح، ص 375/7

حِينَ الْوَصِيَّةِ } (المائدة/106) ، كما قال تعالى: {مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ } (النساء/12)

وفي باب آخر قال تعالى: {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} (البقرة/132)

وقال تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ } (الشورى/13)

وفي مثل آخر، قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً } (العنكبوت/8)

وقال تعالى: { وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللّهَ } (النساء/131)

الوحي

[وحي] الوحي: الكتاب، وجمعه وحى، والوحي أيضا: الاشارة، والكتابة، والرسالة، والالهام، والكلام الخفى، وكل ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه. قال العجاج: * وحى لها القرار فاستقرت (1) * ويروى: " أوحى لها ". ووحى وأوحى أيضا، أي كتب. وقال (2): * لقدر كان وحاه الواحى (3) * وأوحى الله إلى أنبيائه. وأوحى، أي أشار. قال تعالى: (فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا). ووحيت إليه بخبر كذا، أي أشرت وصوت به رويدا. والوحى، مثال الوغى: الصوت. قال الشاعر: * (هامش رقم 1) * (1) بعده: * وشدها بالراسيات الثبت * (2) العجاج. (3) قبله: * حتى نحاهم جدنا والناحى * وبعده: * بثر مداء جهرة الفضاح * (*) منعناكم كراء وجانبيه * كما منع العرين وحى اللهام وكذاك الوحاة بالهاء. قال الراجز: يحدو بها كل فتى هيات * تلقاه بعد الوهن ذا وحاة وهن نحو البيت عامدات * قال الاخفش: نصب عامدات على الحال. قال النضر: سمعت وحاة الرعد، وهو صوته الممدود الخفى. قال: والرعد يحى وحاة. واستوحيناهم، أي استصرخناهم. والوحى: السرعة، يمد ويقصر. ويقال: الوحى الوحى: يعنى البدار البدار. وتوح يا هذا، أي أسرع. ووحاه توحية، أي عجله. والوحى على فعيل: السريع. يقال: موت وحى [169].

[169]- الجوهري، الصحاح، ص 370/7

و ذكر الوحي أيضا في القرآن الكريم في آيات كثيرة، ولكنها ليست بمعنى واحد.

كقوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ } (الأنبياء/45)

وقال تعالى أيضا: { فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } (إبراهيم/13)

كما قال تعالى أيضا: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ } (الإسراء/39)

وتأتي بمعنى إلهام [170] كقوله تعالى: {وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ } (النحل/68)

وكما وردت بمعنى إشارة [171]، كقوله تعالى: { فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً } (مريم/11)

ووردت بمعنى أمر [172]، قال تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا } (فصلت/12)، وكذا في قوله تعالى: {بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا } (الزلزلة/5) أي أمرها[173].

الدعاء

كلمة الدعاء في الأصل مصدر من قولك دعوت الشيء أدعوه دعاء، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك [174].

قال ابن منظور: دعا الرجل دعوا ودعاء: ناداه. والأسم: الدعوة. ودعوت فلانا: أي صحت به واستدعيته [175].

الدعاء شرعاً

عرف بعدة تعريفات:

فقال الخطابي: معنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده منه المعونة. وحقيقته: إظهار الافتقار إلى الله تعالى، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله عز وجل، وإضافة الجود والكرم إليه [176]. وقال ابن منظور هو الرغبة إلى الله عز وجل [177].

---

[170]- تفسير القرطبي، ص 142/9

[171]- المصدر السابق نفسه، ص 85/11

[172]- المصدر السابق نفسه، ص 345/15

[173]- المصدر السابق نفسه، ص 149/20

[174]- إبن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحيقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت 1979، ص 279/2

[175]- لسان العرب، ص 257/14

[176]- حمد محمد الخطابي، شأن الدعاء، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، الرياض 1992، ص 4

معاني الدعاء في القرآن الكريم [178].

ورد الدعاء في القرآن الكريم على وجوه، منها:

1- العبادة، كما في قوله تعالى: {وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَاةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ} [الكهف:28]، وقوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأعراف:194].

2- الطلب والسؤال من الله سبحانه، كما في قوله تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة:186]، وقوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر:60].

3- الاستغاثة، كما في قوله تعالى: {قُلْ أَرَأَيْتَكُم إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} [الأنعام:40، 41]، وقوله تعالى: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَٱدْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ} [البقرة:23].

4- النداء، كما في قوله تعالى: {يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ} [الإسراء:52]، وقوله تعالى: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا} [القصص:25].

5- توحيد الله وتمجيده والثناء عليه، كما في قوله تعالى: {قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ} [الإسراء:110].

6- الحثّ على الشيء، كما في قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ} [يوسف:33]، وقوله تعالى: {وَٱللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ} [يونس:25].

7- رفعة القدر، كما في قوله تعالى: {لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلاَ فِي ٱلآخِرَةِ} [غافر:43].

8- القول، كما في قوله تعالى: {فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلا أَن قَالُواْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ} [الأعراف:5].

9- سؤال الاستفهام، كما في قوله تعالى:{ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ} [البقرة:68].

---

[177]- لسان العرب ، ص 257/14

[178]- انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني (ص315-316)، وفتح الباري لابن حجر (94/11)، ولسان العرب ، ص 257/14، وكتاب الدعاء لمحمد بن إبراهيم الحمد (ص 8-11)

10- التسمية، كما في قوله تعالى: {لاَّ تَجْعَلُواْ دُعَاء ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُمْ بَعْضاً} [النور:63]، وقوله تعالى: {قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَـٰنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلأَسْمَاء ٱلْحُسْنَىٰ} [الإسراء:110]، قال ابن القيم: "ليس المراد مجرد التسمية الخالية عن العبادة والطلب، بل التسمية الواقعة في دعاء الثناء والطلب، فعلى هذا المعنى يصح أن يكون في {تَدْعُواْ} معنى (تُسَمُّوا) فتأمله، والمعنى: أيا ما تسمّوا في ثنائكم ودعائكم وسؤالكم" [179]

11- وقيل: ورد بمعنى العذاب، كما في قوله تعالى: {تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ} [المعارج:17]، قال المبرد: "تدعو أي: تعذِّب"، وقال غيره: "تناديهم واحدا واحدا بأسمائهم"، قال السمعاني: "وهو الأظهر" [180]

الدعوة [181]

الدعوة في الاصطلاح:

قال الراشد: وقد تعرض ابن تيمة لتعريف الدعوة فقال: " الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا " [182]

وعرفها الشيخ محمد خضر حسين بقوله: حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل [183].

وكما عرفها الشيخ البيانوني بقوله: تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة [184].

الخطاب

[خطب] الخطب: سبب الأمر. تقول: ما خطبك. وخطبت على المنبر خطبة بالضم. وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا. وخطبت المرأة خطبة بالكسر، واختطب أيضا فيهما. والخطيب: الخاطب. والخطيبي: الخطبة [185].

---

[179]- انظر بدائع الفوائد (5/3)

[180]- تفسير السمعاني (47/6)

[181]- الدعوة في اللغة: أنظر ما سبق في معنى الدعاء، وكذلك الأستشهاد من القرآن الكريم ينظر لما ورد في الدعاء

[182]- محمد أحمد الراشد، نقض المنطق السلمي، بغداد 2008، ص 85

[183]- الدعوة إلى الإصلاح، المطبعة السلفية، القاهرة 1346 هـ ص17

[184]- المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، بيروت 2001، ط3، ص 16

وأما معنى الخطاب في معجم المغني ورد كالآتي:

خَاطَبَ – [خ ط ب]. (ف: ربا. متعد، م. بحرف). خَاطَبْتُ، أُخَاطِبُ، خَاطِبْ، مص. مُخَاطَبَةٌ، خِطَابٌ. 1."خَاطَبَ قَوْمَهُ بِقَوْلِهِ..." : وَجَّهَ إِلَيْهِمْ حَدِيثاً. 2."خَاطَبَهُ فِي أَمْرٍ يَهُمُّهُ" : رَاجَعَهُ فِي شَأْنِهِ[186].

وردت كلمة الخطاب في القرآن الكريم في قوله تعالى: **{وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ}** (ص/20) قال ابن عباس: بيان الكلام[187]، وقيل : يعني الفصل في القضاء. وقيل: البيان الفاصل بين الحق والباطل. وقيل: هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل[188]. ووردت أيضا بمعنى الجدال، قال تعالى: **{وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ}** (ص/23) أي: إن تكلم كان أفصح مني[189].

ووردت أيضا بحسب المدلول اللغوي، في قوله تعالى: **{وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاء }** (البقرة/235) ووردت بمعنى ما كان خطبكن وما كان شأنكن[190]: قال تعالى: **{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ }** (يوسف/51) وكذلك قوله تعالى: **{قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ }** (الحجر/57)، قال تعالى: **{قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ }** (طه/95) قال تعالى: **{قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ }** (القصص/23) وقال تعالى: **{قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ }** (الذاريات/31)

التفصيل

[فصل] الفصل: واحد الفصول. وفصلت الشيء فانفصل، أي قطعته فانقطع. وفصل من الناحية، أي خرج. وفصلت الرضيع عن أمه فصالا وافتصلته، إذا فطمته. وفاصلت شريكي. والمفصل: واحد مفاصل الأعضاء. فهو جمع المفصل. والمفصل بالكسر: اللسان. والفاصلة في العروض: الصغرى والكبرى. والفاصلة التي في الحديث: " من أنفق نفقة فاصلة فله من الأجر كذا

185- الصحاح في اللغة، ص 137/2، و لسان العرب، ص 360/1

186- معجم المغني، ص 10/7

187- تفسير البغوي، ص 77/7

188- تفسير القرطبي، ص 162/15

189- البحر المديد، ص 387/7

190- تفسير الطبري، ص 138/16

" فتفسيره في الحديث أنها التي فصلت بين إيمانه وكفره. والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه، والجمع فصلان وفصال. وفصيلة الرجل: رهطه الادنون. يقال: جاؤا بفصيلتهم، أي بأجمعهم. والتفصيل أيضا: التبيين. والفيصل: الحاكم، ويقال: القضاء بين الحق والباطل[191].

ووردت في معجم المغني بمعنى: "تَحَدَّثَ بِتَفْصِيلٍ" : بِإِسْهَابٍ. "رَوَى كُلَّ تَفَاصِيلِ الحَادِثِ" : جَمِيعَ أَجْزَائِهِ، وَمَا يُحِيطُ بِهِ. "أَمَرَ بِأَنْ يَقُصَّ كُلَّ مَا حَدَثَ بِالتَّفْصِيلِ" [192].

وذكر الله تعالى التفصيل في القرآن بمعنى التبيين، مثل قوله تعالى: {وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً } (الأنعام/154) يعني: وتبيينًا لكل شيء من أمر الدين الذي أمروا به[193]، ووردت بنفس المعنى بقوله تعالى: {وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ } (الأعراف/145) قال تعالى: {وَمَا كَانَ هَـذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } (يونس/37) وقوله تعالى: {وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ } (يوسف/111) قال تعالى: {وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً } (الإسراء/12) والتفصيل من الفصل بمعنى القطع والمراد به الإبانة التامة وجيء بالمصدر للتأكيد . فالمعنى بينا كل شيء في القرآن الكريم بياناً بليغا لا التباس معه كقوله تعالى : { وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكتاب تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْء } [النحل : 89] فظهر كونه هادياً للتي هي أقوم ظهوراً بينا [194].

وكما وردت في معاني مختلفة: كظهر وبيّن وتبينًا و "خرج من مكان إلى مكان"[195]، وبمعنى يوم الدين عن قتادة (هَذَا يَوْمُ الدِّينِ) قال: يدين الله فيه العباد بأعمالهم[196]. وبمعنى : يوم يُفْصَل فيه بين الناس بأعمالهم[197]. وكذلك وردت بمعنى يقضي: أي يقضي ويحكم بين المؤمنين

---

[191]- الصحاح في اللغة، ص 69-68/6
[192]- معجم المغني، ص 119/3
[193]- تفسير الطبري، ص 237/12
[194]- تفسير الألوسي، ص 30/8
[195]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 414/7
[196]- تفسير الطبري، ص 26/21
[197]- المصدر السابق، ص 41/22

والكفار، فيجازي كلا بما يستحق [198]. وبمعنى : قبيلته وعشيرته [199]. ولقد وردت بهذه المعاني 32 مرة، حيث قال تعالى:

- {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ } (البقرة:249)
- {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ } (الأنعام:55)
- {قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (الأنعام:97)
- {قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } (الأنعام:98)
- {وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً } (الأنعام:114)
- {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ } (الأنعام:119)
- {وَهَـذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ } (الأنعام:126)
- { كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (الأعراف:32)
- {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (الأعراف:52)
- {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ } (الأعراف:133)
- {وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (الأعراف:174)
- {وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (التوبة:11)
- {مَا خَلَقَ اللّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (يونس:5)
- {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (يونس:24)
- {الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ } (هود:1)
- {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ } (يوسف:94)
- {يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ } (الرعد:2)
- {إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } (الحج:17)
- {كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (الروم:28)

---

[198]- تفسير القرطبي، ص 109/14

[199]- تفسير ابن كثير، ص 225/8

- {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } (السجدة:25)
- {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ } (الصافات:21)
- {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } (فصلت:3)
- {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيّاً لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ } (فصلت:44)
- {وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ } (الشورى:21)
- {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ } (الدخان:40)
- {لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (الممتحنة:3)
- {لِيَوْمِ الْفَصْلِ } (المرسلات:13)
- {وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ } (المرسلات:14)
- {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ } (المرسلات:38)
- {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً } (النبأ:17)
- {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ } (الطارق:13)
- {وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ } (المعارج/13)

الندوة

وأصل الكلمة من : ن د ا

[ندا] النداء: الصوت، وقد يضم مثل الدعاء والرغاء. وناداه مناداة ونداء، أي صاح به. وتنادوا، أي نادى بعضهم بعضا. وتنادوا، أي تجالسوا في النادي. وتنادى العم وناداه: جالسه في النادي. والندى على فعيل: مجلس القوم ومتحدثم، وكذلك الندوة والنادي والمنتدى. فإن تفرق القوم فليس بندى. ومنه سميت دار الندوة بمكة، التي بناها قصي، لأنهم كانوا يندون فيها، أي يجتمعون للمشاورة. وقوله تعالى: (فليدع ناديه) أي عشيرته، وإنما هم أهل النادي، والنادي مكانه ومجلسه، فسماه به، كما يقال: تقوض المجلس (1). وندوت، أي حضرت الندى. وانتديت مثله. وندوت القوم: جمعتهم في الندى. قال بشر: وما يندوهم النادي ولكن * بكل محلة منهم فئام أي ما يسعهم المجلس من كثرتهم. وندوت أيضا من الجود [200].

[200]- الصحاح في اللغة، ص 355/7

نَدْوَةٌ – [ن د و]. (اسْمُ الْمَرَّةِ مِنْ نَدَا). 1."نَدْوَةُ الْجَمَاعَةِ" : إجْتِمَاعُهُمْ. 2."دَارُ النَّدْوَةِ" : الدَّارُ الَّتِي يَجْتَمِعُ فِيهَا القَوْمُ. 3."شَارَكَ فِي نَدْوَةٍ عِلْمِيَّةٍ" : فِي لِقَاءٍ، فِي مُجْتَمَعٍ لِلْمُحَاوَرَةِ العِلْمِيَّةِ. "نَدْوَةٌ ثَقَافِيَّةٌ". 4."نَدْوَةٌ دَوْلِيَّةٌ" : مُؤْتَمَرٌ يَجْتَمِعُ فِيهِ نُخْبَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ أَوِ الْخُبَرَاءِ. 5. "نَدْوَةٌ صَحَفِيَّةٌ " : لِقَاءٌ بَيْنَ صَحَفِيِّينَ وَشَخْصِيَّةٍ مَسْؤُولَةٍ لِلتَّحَدُّثِ وَالاسْتِفْسَارِ عَنْ مَوْضُوعٍ مَّا [201].

لقد ذكر مدلول كلمة "نادي" كما ورد معنا في المعنى اللغوي للكلمة، عدت مرات في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى:

- **{أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ }** (**العنكبوت/29**) والعرب تسمي المجلس: النادي [202].
- **{فَلْيَدْعُ نَادِيَه }** (**العلق/17**) وكما ورد في المعنى اللغوي أعلاه: أي عشيرته، وإنما هم أهل النادي، والنادي مكانه ومجلسه، فسماه به [203].
- **{خَيْرٌ مَّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً }** (**مريم/73**) والنديّ: المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه [204].

و أذكر هنا الآيات التي دلت على المعنى اللغوي في مصدر "نداء"، حيث قال تعالى:

- **{وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء }** (**البقرة/171**)
- **{إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً }** (**مريم/3**)
- **{رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ }** (**آل عمران/193**)
- **{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ }** (**المائدة/58**)
- **{وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً }** (**مريم/52**)
- **{وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا }** (**القصص/46**)
- **{وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ }** (**الصافات/104**)

---

[201]- معجم المغني، ص 80/25
[202]- تفسير ابن كثير، ص 257/5
[203]- الصحاح في اللغة، ص 355/7
[204]- تفسير الطبري، ص 239/18

- {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ } (القصص/62) وكذلك قال تعالى : {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ } (القصص/65) وقال تعالى: {وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ } (فصلت/47)

فلو تأملنا هذه الآيات لوجدنا أنها تدل على المعنى اللغوي، للندوة: وهو أن يجمعهم الله في مكان واحد يوم القيامة ويسألهم ويجيبوه ، وكذا يحصل في الندوات ولله المثل الأعلى . يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: { وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي } أي: يوم القيامة ينادي الله المشركين على رءوس الخلائق: أين شركائي الذين عبدتموهم معي؟ { قَالُوا آذَنَّاكَ } أي: أعلمناك، { مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ } أي: ليس أحد منا اليوم يشهد أن معك شريكا [205].

الاجتماع

[جمع] جمعت الشيء المتفرق فاجتمع. والرجل المجتمع: الذي بلغ أشده. وتجمع القوم، أي اجتمعوا من ههنا وههنا. وجماع الناس بالضم: أخلاطهم، وهم الاشابة من قبائل شتى. والجمع: مصدر قولك جمعت الشيء. وقد يكون اسما لجماعة الناس، ويجمع على جموع، والموضع مجمع ومجمع، مثال مطلع ومطلع. ويقال أيضا: للمزدلفة: جمع، لاجتماع الناس فيها.

قال الكسائي: يقال أجمعت الأمر وعلى الأمر، إذا عزمت عليه ; والأمر مجمع. ويقال أيضا: أجمع أمرك ولا تدعه منتشرا، وقوله تعالى: { فأجمعوا أمركم وشركاءكم } أي وادعوا شركاءكم.

(...) وأجمعت الشيء: جعلته جميعا.

والمجموع: الذي جمع من ههنا وههنا وإن لم يجعل كالشيء الواحد. وفلاة مجمعة : يجتمع القوم فيها ولا يتفرقون، خوف الضلال ونحوه، كأنها هي التي جمعتهم [206].

وأما معنى اجتماع في معجم المغني، ورد كالآتي: اِجْتِمَاعٌ – [ج م. ع]. (مص. اِجْتَمَعَ).

1."عَقَدَتِ الجَمْعِيَّةُ اجْتِمَاعَهَا الأَوَّلَ" : لِقَاء اعْضَائِهَا لِلْحِوَارِ وَالتَّدَاوُلِ فِي جَلْسَةٍ. 2."وَأَخِيرًا تَمَّ اجْتِمَاعُ أَفْرَادِ الأُسْرَةِ" : اِلْتِئَامُهُمْ [207].

---

[205]- تفسير ابن كثير، ص 185/7

[206]- الصحاح في اللغة، ص 333/4- 334

[207]- معجم المغني، ص 430/1

ذكر الاجتماع في القرآن الكريم في قوله تعالى : **{قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً }** (الإسراء/88) وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ }** (الحج/73)

كما ورد أصل الاجتماع وهو فعل "جمع" بصيغ متعددة في القرآن الكريم نبسطها في هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

بداية ورد فعل {جَمَعَ } بهذه الصيغة مرة واحدة في سورة الهمزة آية 2، ووردت مرة أخرى بإضافة الفاء عليها {فَجَمَعَ } طه 60، وفي آية أخرى أضيف حرف الواو عليها {وَجَمَعَ } المعارج 18، ووردت بصيغة {يَجْمَعُ } ثلاث مرات في سورة الشورى 15 والمائدة 109 وسبأ 26، و مرتين بصيغة {يَجْمَعُكُمْ } الجاثية 26 والتغابن 9، و ثلاث مرات بصيغة {يَجْمَعُونَ } الزخرف 32 و آل عمران 157 ويونس 58، ووردت مرة واحدة بصيغة {نَجْمَعَ } القيامة 3، ومرة واحدة بصيغة {فَجُمِعَ } الشعراء 38، ومرتين بصيغة {مَجْمَعَ } الكهف 60 والكهف 61، ومرة واحدة مضاف إليها حرف الواو بصيغة {وَجُمِعَ } القيامة 9، ووردت مرة واحدة بصيغة {جَمَعُواْ } آل عمران 173، ومرة أيضا بصيغة {جَمَعْنَاكُمْ } المرسلات 38، ومرة أيضا بصيغة {جَمْعَهُ} القيامة 17، ووردت مرتين بصيغة {جَمْعاً } في العاديات 5 والقصص 78، ومرة واحدة بصيغة {جَمَعْنَاهُمْ } آل عمران 25، ومرة أيضا بصيغة {جَمْعُكُمْ } الأعراف 48، وكذلك بصيغة {جَمْعِهِمْ } الشورى 29، إلا أنها وردت مرتين بصيغة {فَأَجْمِعُواْ } يونس 71 و طه 64، ووردت مرة بصيغة {فَجَمَعْنَاهُمْ } الكهف 99 ، ومرة بصيغة {لَجَمَعَهُمْ } الأنعام 35، إلا أنها ذكرت مرتين بصيغة {لَيَجْمَعَنَّكُمْ } الأنعام 12 وفي النساء 87، ووردت ثلاث مرات بصيغة {أَجْمَعُونَ } الحجر 30 وفي الشعراء 95 وفي ص 73، إلا أنها وردت ثلاث وعشرون مرة بصيغة {أَجْمَعِيْنَ } الحجر 92 وفي الأعراف آية 124 وآية 18، وفي الأنبياء 77، وفي الأنعام 149، وفي البقرة 161، وفي سورة الحجر ثلاث مرات آية 39 وآية 43 وآية 59، أما في سورة الدخان فوردت مرة واحدة آية 40، وآية 55 في سورة الزخرف، وفي سورة السجدة آية 13، وفي سورة الشعراء ثلاث مرات آية 170 وآية 49 وآية 65، ووردت في الصافات مرة واحد في آية 134، وفي آية 9 من سورة النحل مرة واحدة، وكذلك في سورة النمل آية 51، ومرة واحدة في آل عمران 87، إلا أنها وردت مرتين في سورة ص آية 82 وآية 85، ومرة واحدة في كل من سورة

هود آية 119 وفي سورة يوسف 93، ووردت بصيغة {تَجْمَعُواْ} النساء 23، ومرتين في سورة يوسف بصيغة {أَجْمَعُواْ} آية 102 وآية 15، ووردت مرة واحدة بصيغة {الْجُمُعَةِ} الجمعة 9، وثلاث مرات بصيغة {الْجَمْعَانِ} الشعراء 61 وفي آل عمران 155 وآية 166، ووردت مرتين بصيغة {الْجَمْعُ} القمر 45 وفي آية 7 من سورة الشورى. وكذلك وردت بصيغة {جَمِيعاً} في ستة وأربعين موضعا.

التفهيم

[فهم] فهمت الشيء فهما وفهامية: علمته. وفلان فهم. وقد استفهمني الشيء فأفهمته، وفهمته تفهيما. وتفهم الكلام، إذا فهمه شيئا بعد شيء. وفهم: قبيلة [208].

تَفْهِيمٌ – [ف هـ م]. (مص. فَهَّمَ). "تَفَرَّغَ لِتَفْهِيمِهِ قَوَاعِدَ النَّحْوِ" : جَعْلُهُ يَفْهَمُهَا، يُدْرِكُهَا [209].

وردت مرة واحدة في القرآن الكريم بلفظ فهمناها سليمان: أي جعلناه يفهمها [210]. قال تعالى:

- {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً} (الأنبياء/79) أي علمناه القضية وألهمناها سليمان [211].

الشرح

ورد معنى "الشرح" في معجم الصحاح في اللغة كالآتي:

[شرح] الشرح: الكشف، تقول: شرحت الغامض، إذا فسرته. ومنه تشريح اللحم. قال الراجز: كم قد أكلت كبدا وإنفحه * ثم ادخرت ألية (3) مشرحه والقطعة منه شريحة. وكل سمين من اللحم ممتد فهو شريحة وشريح. وشرح الله صدره للاسلام فانشرح. وشراحيل: اسم، كأنه مضاف إلى إيل ويقال شراحين أيضا، بإبدال اللام نونا، عن يعقوب [212].

وورد في معجم المغني بمعنى:

---

[208]- الصحاح في اللغة، ص 283/6

[209]- معجم المغني، ص 318/3

[210]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر – 1409هـ - 1989م، ص 865/2

[211]- تفسير البغوي، ص 333/5

[212]- الصحاح في اللغة، ص 401/2

شَرَحَ – [ش ر ح]. (ف: ثلا. لازمتع. م. بحرف). شَرَحْتُ، أَشْرَحُ، إِشْرَحْ، مص. شَرْحٌ.
1."شَرَحَ اللَّحْمَ أَطْرَافاً" : شَرَّحَ، قَطَّعَهُ قِطَعاً رِقَاقاً. 2."شَرَحَ القَاعِدَةَ شَرْحاً وَافِياً": فَسَّرَهَا وَأَوْضَحَهَا، أَيْ كَشَفَ عَمَّا عَلِقَ بِهَا مِنْ غُمُوضٍ. "لَمْ يَشْرَحِ الْمَوْضُوعَ بِمَا فِيهِ الكِفَايَةُ". 3."شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْعِلْمِ" : حَبَّبَهُ إِلَيْهِ، وَسَّعَهُ لِقَبُولِهِ. أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ . (قرآن) "شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْحَقِّ" "شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ". 4."شَرَحَ إِلَى الشَّيْءِ": أَظْهَرَ الرَّغْبَةَ فِيهِ. 5."شَرَحَ خَاطِرَ زَوْجَتِهِ" : قَامَ بِمَا يَسُرُّهَا وَيُفْرِحُ قَلْبَهَا.
344) شَرْحٌ – ج: شُرُوحٌ. [ش ر ح]. (مص. شَرَحَ). "قَدَّمَ شَرْحاً وَافِياً لِمَعَانِي القَصِيدَةِ" : تَفْسِيراً، تِبْيَاناً [213].

شَارِحٌ، ةٌ – ج: ون، ـات، شُرَّاحٌ. [ش ر ح]. (فا. من شَرَحَ). "شَارِحُ الكِتَابِ" : مُفَسِّرُهُ، أيْ مَنْ يُفَسِّرُ وَيُعَلِّقُ عَلَى أَفْكَارِهِ. "اِخْتَلَفَ الشُّرَّاحُ فِي تَفْسِيرِ بَعْضِ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ"[214].

ذكر "الشرح" في القرآن الكريم في خمس مواضع مختلفة لا غير[215]، قال تعالى:

- **{فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ } (الأنعام/125)** قال أبو جعفر: ويقول تعالى ذكره: فمن يرد الله أن يهديه للإيمان به وبرسوله وما جاء به من عند ربه، فيوفقه له (1) =(يشرح صدره للإسلام)، يقول: فسح صدره لذلك وهوّنه عليه، وسهَّله له، بلطفه ومعونته، حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضيء له، ويتسع له صدره بالقبول [216]. قال: وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية:(فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام)، قالوا: كيف يشرح صدره، يا رسول الله؟ قال: نور يُقذف فيه، فينشرح له وينفسح. قالوا: فهل لذلك من أمارة يُعرف بها؟ قال:"الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الموت [217]. ونظير ذلك قوله تعالى: **{أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ } (الزمر/22)**، وقوله تعالى:

213- معجم المغني، ص 47/13
214- معجم المغني، ص 8/13
215- معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص 1623، بتصرف
216- تفسير الطبري، ص 98/12
217- تفسير ابن كثير، ص 335/3

{قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي } (طه/25) وقال تعالى: {أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ } (الشرح/1)

وكذلك رافقت كلمة شرح الكفر، فقال تعالى:

- {وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ } (النحل/106)، ولكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم [218].

التشبيه

تَشَبَّهَ – [ش ب ه]. (ف: خما. لازم، م. بحرف). تَشَبَّهْتُ، أَتَشَبَّهُ، تَشَبَّهْ، مص. تَشَبُّهٌ. "تَشَبَّهَ بِمُعَلِّمِهِ" : مَاثَلَهُ وَحَاوَلَ أَنْ يُجَارِيَهُ فِي عَمَلِهِ وَسُلُوكِهِ. "لَسْتَ مِنْهُمْ فَلاَ تَتَشَبَّهْ بِهِمْ".

تَشَبُّهٌ – [ش ب ه]. (مص. تَشَبَّهَ). "التَّشَبُّهُ بِالرَّئِيسِ": مُمَاثَلَتُهُ، مُجَارَاتُهُ فِي سُلُوكِهِ.

تَشْبِيهٌ – ج: ـات. [ش ب ه]. (مص. شَبَّهَ). 1."أَوْرَدَ الشَّاعِرُ تَشْبِيهاً جَمِيلاً" : أَتَى بِصُورَةٍ يُشَبِّهُ فِيهَا مَثَلاً وَجْهَ الْمَرْأَةِ بِالقَمَرِ. 2."رَجُلٌ كَالأَسَدِ" : الكَافُ فِي الجُمْلَةِ أَدَاةُ تَشْبِيهٍ. مِنْ أَدَوَاتِ التَّشْبِيهِ : كَأَنَّ، مِثْلَ، الكَافُ [219].

شُبِّهَ – [ش ب ه]. (ف: مَبْنِيٌّ لِلْمَجْهُولِ). "شُبِّهَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ" : لُبِّسَ، اِخْتَلَطَ عَلَيْهِ. وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ . (قرآن)[220].

مُشَبَّهٌ – ج: ـون، ـات. [ش ب ه]. (مفع. مِن شَبَّهَ). 1."طَرَفَا التَّشْبِيهِ هُمَا الْمُشَبَّهُ وَالْمُشَبَّهُ بِهِ": فِي عِلْمِ البَيَانِ الْمُشَبَّهُ هُوَ مَا مُثِّلَ، شُبِّهَ بِغَيْرِهِ. 2."إِيَّاكَ وَالْمُشَبَّهَاتِ": أَيْ إِيَّاكَ وَالأُمُورَ الغَامِضَةَ [221].

ورد لفظ " شُبِّهَ " في القرآن الكريم بمعنى: أشكل وخلط ولبس [222]، قال تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ } (النساء/157) ووردت "تشابه" بمعنى: تماثل حتى لا يستطاع التمييز بينه [223] . قال تعالى: {إِنَّ البَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا } (البقرة/70)، ونفس اللفظ ورد أيضا بمعنى:

---

[218]- تفسير الطبري، ص 305/17
[219]- معجم المغني، ص 195/3
[220]- المصدر السابق، ص 22/13
[221]- معجم المغني، ص 272/24
[222]- معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص 637/1
[223]- المصدر السابق، نفس الصفحة

تماثل فاحتاج إلى فهم ونظر[224] : { وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ } (آل عمران/7) فمعنى الكلام إذًا: فأما الذين في قلوبهم ميلٌ عن الحق وحَيْفٌ عنه، فيتبعون من آي الكتاب ما تَشابهت ألفاظه، واحتمل صَرْف صارفه في وجوه التأويلات – باحتماله المعاني المختلفة – إرادةَ اللبس على نفسه وعلى غيره، احتجاجًا به على باطله الذي مالَ إليه قلبه، دون الحق الذي أبانه الله فأوضحه بالمحكمات من آي كتابه[225].

وقال تعالى: {وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} (الأنعام/99) قال قتادة وغيره: يتشابه في الورق، قريب الشكل بعضه من بعض، ويتخالف في الثمار شكلا وطعما وطبعا[226]، وكذا قوله تعالى: {مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} (الأنعام/141) أن هذه الفواكه قد تكون متشابهة في اللون والشكل ، مع أنها تكون مختلفة في الطعم واللذة ، وقد تكون مختلفة في اللون والشكل ، مع أنها تكون متشابهة في الطعم واللذة[227] .

وأما قوله تعالى: {أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ } (الرعد/16) فإن كان عندهم شك واشتباه، وجعلوا له شركاء زعموا أنهم خلقوا كخلقه وفعلوا كفعله، فأزلْ عنهم هذا الاشتباه واللبس بالبرهان الدال على توحد الإله بالوحدانية، فقل لهم: {اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ } فإنه من المحال أن يخلق شيء من الأشياء نفسه[228].
وقال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً } (الزمر/23) يقول: يشبه بعضه بعضا، لا اختلاف فيه، ولا تضادّ. وعن سعيد بن جُبَير، في قوله:(كِتَابًا مُتَشَابِهًا) قال: يشبه بعضه بعضا، ويصدّق بعضه بعضا، ويدلّ بعضه على بعض[229].

التمثيل

[مثل] مثل: كلمة تسوية. يقال: هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى. والعرب تقول: هو مثيل هذا، وهم أميثالهم: يريدون أن المشبه به حقير كما أن هذا حقير. والمثل: ما يضرب به

---

[224]- المصدر السابق، نفس الصفحة
[225]- تفسير الطبري، ص 197/6
[226]- تفسير ابن كثير، ص 306/3
[227]- تفسير الرازي، ص 90/13
[228]- تفسير السعدي، ص 415/1
[229]- تفسير الطبري، ص 279/21

من الأمثال. ومثل الشيء أيضا: صفته. والمثال: الفراش، والجمع مثل، وإن شئت خففت. والمثال معروف، والجمع أمثلة ومثل. ومثلت له كذا تمثيلا، إذا صورت له مثاله بالكتابة وغيرها. والتمثال: الصورة، والجمع التماثيل. ومثل بين يديه مثولا، أي انتصب قائما. ومنه قيل لمنارة المسرجة: ماثلة. ومثل، أي لطأ بالأرض، وهو من الأضداد. وقال: رسوم فمنها مستبين وماثل من باب دخل. والمستبين: الإطلال. والماثل: الرسوم. ومثل به يمثل مثلا، أي نكل به. والاسم المثلة بالضم. ومثل بالقتيل: جدعه. والمثلة بفتح الميم وضم الثاء: العقوبة، والجمع المثلات. وأمثله: جعله مثلة. يقال: أمثل السلطان فلانا، إذا قتله قودا. ويقال للحاكم: أمثلني، وأقصني، وأقدني. وفلان أمثل بنى فلان، أي أدناهم للخير. وهؤلاء أماثل القوم، أي خيارهم. وقد مثل الرجل بالضم مثالة، أي صار فاضلا. والمثلى: تأنيث الأمثل، كالقصوى تأنيث الأقصى. وتماثل من علته، أي أقبل. وتمثل بهذا البيت وهذا البيت بمعنى. وامتثل أمره، أي احتذاه [230].

تَمْثِيلٌ – [م ث ل]. (مص. مَثَّلَ). 1."يُتْقِنُ فَنَّ التَّمْثِيلِ الْمَسْرَحِيِّ أَوِ السِّينِمائِيِّ" : تَقْديمُ الأَدْوارِ، والأَداءُ الْمَسْرَحِيُّ. 2."حَضَرَ لِتَمْثِيلِ بِلادِهِ فِي الْمُؤْتَمَرِ" : لِيَقومَ مَقامَها وَيَتَكَلَّمَ بِاسْمِها. 3."التَّمْثيلُ الدِّبْلوماسِيُّ" : الاِنْتِدابُ لإِقامَةِ علاقاتٍ سِياسِيَّةٍ ما بَيْنَ بَلَدَيْنِ. 4."تَساءَلَ عَنْ سَبَبِ التَّمْثيلِ بِعَدُوِّهِ بِهَذا الشَّكْلِ" : التَّنْكيلِ بِهِ [231].

مِثالٌ – ج: أَمْثِلَةٌ، مُثُلٌ.[م ث ل]. 1."مِثالٌ يُقْتَدَى بِهِ": نَموذَجٌ. "كَانَ عَلَى مِثَالِهِ" "قَدَّمَ عَدَداً مِنَ الأَمْثِلَةِ": مِنَ النَّمَاذِجِ. 2."مِثَالُ ذَلِكَ" : شِبْهُ ذَلِكَ. "اِبْتَكَرَ رُسُوماً عَلَى غَيْرِ سَابِقِ مِثَالٍ"[232]

ورد لفظ "مثل" في القرآن الكريم 130 مرة. حيث ورد ذكر هذا اللفظ بمعاني مختلفة وتم بسطها في معجم ألفاظ القرآن الكريم [233]، أسردها هنا :

تمثل : تصور : **{فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً }** **(مريم/17)** ووردت بمعنى **الأمثال: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ }** **(الرعد/17)** وفي سورة إبراهيم آية 25 و45، وسورة الإسراء آية 48، والنور آية 35، وفي سورة الفرقان آية 9 وآية 39، وفي سورة العنكبوت آية 43، وكذلك سورة الحشر آية 21. وذكرت بجمع المِثل، بمعنى: المساوي: **{فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ}** **(النحل/74)** واللفظ في آية 23 سورة الواقعة.

230- الصحاح في اللغة، ص 94/6

231- معجم المغني، ص 406/3

232- معجم المغني، ص 89/24

233- معجم ألفاظ القرآن الكريم، ص 1032-1035

أمثالكم : أشباهكم. **{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم }** (**الأنعام/38**) واللفظ في 194 الأعراف، و سورة محمد/38 وسورة الواقعة/61. ووردت بمعنى **أمثالها**: نظائرها : **{مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا }** (**الأنعام/160**) واللفظ في سورة محمد/10. وكما أتت بلفظ **أمثالهم**: ما يقال لعبرة أو زجر: **{كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ }** (**محمد/3**) ، وأما لفظ **أمثالهم** : نظائرهم: وردت في قوله تعالى: **{وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً }** (**الإنسان/28**)

أمثلهم: أفضلهم عقلا وعدلا: **{إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً }** (**طه/104**)

التماثيل: مفرده تمثال، وهو الصورة المجسدة كالصنم : **{إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ }** (**الأنبياء/52**) واللفظ في سورة سبأ/13.

الْمَثُلاَتُ: مفرده المثلة وهي الحالة التي استوجبت عقوبة وتنكيلا: **{وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاَتُ}** (**الرعد/6**)

الْمُثْلَى: الفضلى : **{وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى }** (**طه/63**)

مِثْل: مشابه: **{كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ}** (**البقرة/113**) واللفظ في 118 و 137 و194 و228 و233 و275 البقرة أيضا، وفي سورة آل عمران/73 وفي سورة النساء 11 و176 وفي سورة المائدة 31 و95، وفي الأنعام آية 93 و124، وفي سورة الأنفال آية 31، وسورة يونس 102، وهود/89، النحل/102، الإسراء 88، والحج/60، والمؤمنون/81، وفي سورة القصص آية 48 و79، وفاطر/14، الصافات/61، وفي غافر آية 30 و31، وفصلت/13، والذاريات آية 23 و59، وأما في الممتحنة/11.

مِّثْلُكُمْ: **{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ}** (**إبراهيم/11**) واللفظ في الكهف/110، والأنبياء/3، والمؤمنون آية 24و 33 و34، وفي سورة فصلت/6.

مِّثْلَنَا: **{فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَراً مِّثْلَنَا}** (**هود/27**) واللفظ في سورة إبراهيم/10، والمؤمنون/47، والشعراء/186 وسورة يس/15.

مِّثْلِـهِ: **{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ}** (**البقرة/23**) واللفظ في آل عمران/140، والمائدة/36 والأعراف/169 ويونس/38 و هود/13 والرعد 17 و18،

والإسراء/88 والكهف/109 وطه/58 والنور/17 ويس/42 والمزمر/47 والشورى/11 والأحقاف/10 وفي سورة الطور/34.

مثلها: **{مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}** (البقرة/106)، والانعام/160 ويونس/27 وغافر/40 والشورى/40 والفجر/8

مثلهم: **{إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ}** (النساء/140) والإسراء/99 والأنبياء/84 ويس/81 وص/43.

مثلهن: **{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}** (الطلاق/12)

مثليها: ضعفيها: **{أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا}** (آل عمران/165) ولفظ مثليهم: **{يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ}** (آل عمران/13)

مَثَل: قصة وعبرة :

مَثَل: **{وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ}** (الإسراء/89) والكهف/54، والحج/73، والفرقان/33، والروم/58، والزمر/27.

مَثَلاً: أ-: ما يجري التشبيه به لبلوغه الغاية في معنى من المعاني: **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا}** (البقرة/26) مكرر، واللفظ في هود/24، وإبراهيم/24، النحل/75 /76/112، والكهف/32 و الزمر/29 مكرر، والزخرف آية 17/56/57/59، والتحريم آية 10 وآية 11.

ب-: قصة عجيبة: **{سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا}** (الأعراف/177) والنور/34، والروم/28، و يس/13/78، والمدثر/31.

المثل: الصفة: **{وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ}** (النحل/60) والروم/27.

مَثَل ... أ-: في التشبيه العجيب : **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ}** (البقرة/17) واللفظ في

171/مكرر/214/261/مكرر/264/265/مكرر/البقرة أيضا، و59/مكرر/117/مكرر/ آل عمران، و176/مكرر/الأعراف، و يونس/24 وهود/24، والرعد/35، وإبراهيم/18/26، والكهف/45، والنور/35، والعنكبوت/41/مكرر، ومحمد/15، والحديد/20، والحشر/15/16، والجمعة/5/ثلاث مرات.

مَثَل : ب-: قصة: **{لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ}** (**النحل/60**)، واللفظ في الزخرف/8

مَثَله: صفته العجيبة: **{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً}** (**البقرة/264**)، واللفظ في الأنعام/122، والأعراف/176.

مَثَلهم: **{مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ}** (**البقرة/17**)، واللفظ في الفتح/29/ مكرر.

وبذلك تم سرد جميع الآيات في لفظ "مثل" ومجموعها 130 آية .

التحذير

تَحْذِيرٌ – ج: ات. [ح ذ ر]. (مص. حَذَّرَ). 1."وَجَّهَ لَهُ تَحْذِيرًا صَارِماً" : تَنْبِيهاً، تَخْوِيفاً. 2.: التَّحْذِيرُ فِي النَّحْوِ هُوَ أُسْلُوبٌ يُرَادُ بِهِ تَنْبِيهُ الْمُخَاطَبِ لِيَتَجَنَّبَ مَكْرُوهاً يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ : "إِيَّاكَ وَالكَذِبَ" [234].

وأما ما ورد في الصحاح لمعنى التحذير :

[حذر] الحذر والحذر: التحرز. وقد حذرت الشئ أحذره حذرا. ورجل حذر وحذر ، أي متيقظ متحرز، والجمع حذرون وحذارى وحذرون. والتحذير: التخويف. والحذار: المحاذرة. وقولهم: إنه لابن أحذار، أي لابن حزم وحذر. وحذار، مثل قطام، بمعنى احذر. والمحذورة: الفزع بعينه. وقرئ: * (وإنا لجميع حاذرون) * و * (حذرون) * و * (حذرون) * أيضا بضم الذال، حكاه الاخفش.

حاذرون: متأهبون. ومعنى حذرون: خائفون. والحذرية على فعلية: قطعة من الأرض غليظة، والجمع الحذارى. وتسمى إحدى حرتى بنى سليم: الحذرية. ونفش الديك حذريته، أي عفريته. ورجل حذريان: شديد الفزع والحذر. وأبو محذورة: أوس بن معير، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [حذفر] حذافير الشيء أعاليه ونواحيه. يقال: أعطاه الدنيا بحذافيرها، أي بأسرها، الواحد حذفار [235]. وذكر الأصفهاني معنى لفظ "الحذر" في القرآن الكريم كالآتي [236]:

---

[234]- معجم المغني، ص 67/3

[235]- الصحاح في اللغة، ص 189/3

[236]- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 218/1

الحذر: احتراز من مخيف، يقال: حذر حذرا، وحذرته، قال عز وجل: **{يحذر الآخرة}** **[الزمر/9]**، وقرئ: **{وإنا لجميع حذرون}**، و **{حاذرون}** (سورة الشعراء: آية **56**. وقرأ {حاذرون} ابن ذكوان وهشام من طريق الدجواني، وعاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون {حذرون}. راجع: الإتحاف ص 232)، وقال تعالى: **{ويحذركم الله نفسه}** **[آل عمران/28]**، وقال عز وجل: **{خذوا حذركم}** **[النساء/71]**، أي: ما فيه الحذر من السلاح وغيره، وقوله تعالى: **{هم العدو فاحذرهم}** **[المنافقون/4]**، وقال تعالى: **{إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم}** **[التغابن/14]**، وحذار، أي: احذر، نحو: مناع، أي: امنع.

القصص

قَصَّ - [ق ص ص]. (ف: ثلا. متعد، م. بحرف). قَصَصْتُ، أَقُصُّ، قُصَّ، مص. قَصٌّ، قَصَصٌ. 1."قَصَّ القِصَّةَ" : حَكَاهَا، رَوَاهَا. "تَقُصُّ حِكَايَاتٍ وَأَسَاطِيرَ لِأَطْفَالِهَا فِي كُلِّ مَسَاءٍ". 2." قَصَّ عَلَيْهِ الخَبَرَ" : حَدَّثَهُ بِهِ عَلَى وَجْهِهِ. 3."قَصَّ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا" : أَخْبَرَهُ بِهَا. 4." قَصَّ أَثَرَهُ" : تَتَبَّعَهُ. وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ) قرآن) [237].

وورد معنى القصص في الصحاح بأنه :

[قصص] قص أثره، أي تتبعه. قال الله تعالى: { فارتدا على آثارهما قصصا }. وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره. والقصة: الأمر والحديث. وقد اقتصصت الحديث: رويته على وجهه. وقد قص عليه الخبر قصصا. والاسم أيضا القصص بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه. والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب.

والقصاص: القود. وقد أقص الامير فلانا من فلان، إذا اقتص له منه فجرحه مثل جرحه، أو قتله قودا. واستقصه : سأله أن يقصه منه. وتقاص القوم، إذا قاص كل واحد منهم صاحبه في حساب أو غيره. ويقال: ضربه حتى أقصه من الموت، أي أدناه منه. وقال الفراء: قصه الموت وأقصه بمعنى، أي دنا منه. وكان يقول: ضربه حتى أقصه الموت. وقصصت الشعر: قطعته. وطائر مقصوص الجناح. والمقص: المقراض، وهما مقصان [238].

---

[237]- معجم المغني، ص 97/21

[238]- الصحاح في اللغة، ص 188/4-189

وعرف الدكتور عبد الغني الْقَصَصَ": رِوَايَةَ الْخَبَرِ، الأَثَرَ. نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ (قرآن). 4. القصص : سُورَةٌ مِن سُوَرِ الْقُرْآنِ. 5."فَنُّ الْقَصَصِ" : فَنُّ رِوَايَةِ الْخَبَرِ الْمَقْصُوصِ [239].

وذكر الأصفهاني معنى القصص في القرآن الكريم بأنه [240]:

- **القص**: تتبع الأثر، يقال: قصصت أثره، والقصص: الأثر. قال تعالى: **{فارتدا على آثارهما قصصا} [الكهف/64]**، **{وقالت لأخته قصيه} [القصص/ 11]** ومنه قيل لما يبقى من الكلإ فيتتبع أثره: قصيص، وقصصت ظفره، والقصص: الأخبار المتتبعة، قال: **{إن هذا لهو القصص الحق} [آل عمران/ 62]**، **{لقد كان في قصصهم عبرة} [يوسف/111]**، **{وقص عليه القصص} [القصص/25]**، **{نقص عليك أحسن القصص} [يوسف/3]**، **{فلنقصن عليهم بعلم} [الأعراف/7]**، **{يقص على بني إسرائيل} [النمل/76]**، **{فاقصص القصص} [الأعراف/176]**. والقصاص: تتبع الدم بالقود. قال تعالى: **{ولكم في القصاص حياة} [البقرة/179]**، **{والجروح قصاص} [المائدة/45]** ويقال: قص فلان فلانا، وضربه ضربا فأقصه، أي: أدناه من الموت، والقص: الجص، و (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تقصيص القبور) (الحديث عن جابر بن عبد الله يقول: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تقصيص القبور، أو يبنى عليها أو يجلس عليها أحد) [241]

الأذان

أَذَانٌ – [أ ذ ن]. (مص. أَذِنَ). "إِسْتَيْقَظَ بَعْدَ سَمَاعِ أَذَانِ الفَجْرِ": الإِعْلامُ بِوَقْتِ الصَّلاَةِ.
أَذَّنَ – [أ ذ ن] . (ف: ربا. لازمتع. م. بحرف). أَذَّنْتُ، أُوَذِّنُ، أَذِّنْ، مص. تَأْذِينٌ. 1."يُؤَذِّنُ الْمُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ" : يُنَادِي بِهَا وَيَدْعُو لَهَا. "كُلَّمَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ قامَ الْمُؤْمِنُ لِلصَّلاَةِ". 2. "أَذَّنَ بِالحَجِّ" : أَعْلَمَ. 3."أَذَّنَ صَاحِبَهُ" : عَرَكَ أُذُنَهُ أو نَقَرَهَا[242].

وأما ما ورد في معنى الأذان في الصحاح :

---

[239]- معجم المغني، ص 98/21
[240]- مفردات معجم القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 243/2
[241]- أخرجه مسلم 667/2؛ والنسائي 87/4؛ وأبو داود 552/3؛ والترمذي 368/3).
[242]- معجم المغني، ص 100/1

[أذن] أذن له في الشيء إذنا. يقال: ائذن لى على الامير. وقول الشاعر: قلت لبواب لديه دارها تيذن فإني حموها وجارها قال أبو جعفر: أراد لتأذن. وجائز في الشعر حذف اللام وكسر التاء، على لغة من يقول أنت تعلم. وقرئ: (فبذلك فلتفرحوا). * وأذن، بمعنى علم. ومنه قوله تعالى: (**فأذنوا بحرب من الله ورسوله**). وأذن له أذنا: استمع. قال قعنب بن أم صاحب: إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا عنى وما سمعوا من صالح دفنوا صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا و " ما أذن الله لشئ كأذنه لمن يتغنى بالقرآن ". والاذان: الاعلام. وأذان الصلاة معروف. والاذين مثله. وقد أذن أذانا. والمئذنة: المنارة. والاذين: الكفيل. في اللسان: " وفي الحديث: ما أذن الله لشئ كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن ". وهو كذلك في بعض النسخ. وأزور: مائل العنق. أذين فيه بمعنى مؤذن، كما قالوا أليم ووجيع بمعنى مؤلم وموجع. وروى أبو عبيدة: أذين أي زعيم.

وقال قوم: الاذين: المكان يأتيه الاذان من كل ناحية. وآذنتك بالشئ أعلمتكه. والآذن: الحاجب.

وتقول: تأذن الامير في الكلام، أي نادى فيهم في التهدد والنهى، أي تقدم وأعلم. وقوله تعالى: (**وإذ تأذن ربك**)، أي أعلم [243].

أما تعريف الأذان شرعا:

فهو التعبد لله بذكر مخصوص، بعد دخول وقت الصلاة، للإعلام به [244].

وقد بين الأصفهاني معنى لفظ "**الأذان**" في القرآن الكريم ومصدرها "**أذن**" بقوله [245]:

- الأذن: الجارحة، وشبه به من حيث الحلقة أذن القدر وغيرها، ويستعار لمن كثر استماعه وقوله لما يسمع، قال تعالى: {ويقولون: هو أذن قل: أذن خير لكم} [التوبة/61] أي: استماعه لما يعود بخير لكم، وقوله تعالى: {وفي آذانهم وقرا} [الأنعام/25] إشارة إلى جهلهم لا إلى عدم سمعهم. وأذن: استمع، نحو قوله: {وأذنت لربها وحقت} [الانشقاق/2]، ويستعمل ذلك في العلم الذي يتوصل إليه بالسماع، نحو قوله: {فأذنوا بحرب من الله ورسوله} [البقرة/279].

243- الصحاح في اللغة، ص 347-346/6

244- موقع ابن عثيمين، بعنوان باب الأذان والإقامة

245- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 24-24/1

والأذن والأذان لما يسمع، ويعبر بذلك عن العلم، إذ هو مبدأ كثير من العلم فينا، قال الله تعالى: {ائذن لي ولا تفتني} [التوبة/49]، وقال: {وإذ تأذن ربكم} [إبراهيم/7].
وأذنته بكذا وآذنته بمعنى.
والمؤذن: كل من يعلم بشيء نداءا، قال تعالى: {ثم أذن مؤذن أيتها العير} [يوسف/70]، فأذن مؤذن بينهم} [الأعراف/44]، {وأذن في الناس بالحج} [الحج/27].
والأذين: المكان الذي يأتيه الأذان (انظر: المجمل 91/1، واللسان (أذن) 10/13)، والإذن في الشيء: إعلام بإجازته والرخصة فيه، نحو، {وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله} [النساء/64] أي: بإرادته وأمره، وقوله: {وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله} [آل عمران/166]، وقوله: {وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله} [البقرة/102]، {وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله} [المجادلة/10] قيل: معناه: بعلمه، لكن بين العلم والإذن فرق، فإن الإذن أخص، ولا يكاد يستعمل إلا فيما فيه مشيئة به، راضيا منه الفعل أم لم يرض به (في المخطوطة: ضامه الفعل أم لم يضامه)، فإن قوله: {وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله} [يونس/100] فمعلوم أن فيه مشيئته وأمره، وقوله: {وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله} [البقرة/102] ففيه مشيئته من وجه، وهو أنه لا خلاف أن الله تعالى أوجد في الإنسان قوة فيها إمكان قبول الضرب من جهة من يظلمه فيضره، ولم يجعله كالحجر الذي لا يوجعه الضرب، ولا خلاف أن إيجاد هذا الإمكان من فعل الله، فمن هذا الوجه يصح أن يقال: إنه بإذن الله ومشيئته يلحق الضرر من جهة الظالم، ولبسط هذا الكلام كتاب غير هذا (ومحل هذا كتب الكلام، وتفاسير القرآن المطولة، كشرح الفقه الأكبر للقاري، وتفسير الرازي).
والاستئذان: طلب الإذن، قال تعالى: {إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله} [التوبة/45]، {فإذا استأذنوك} [النور/62].

التلاوة

[تلا] تلو الشيء: الذى يتلوه. (..) والتلاء: الذمة، والتلية: بقية الدين، وكذلك التلاوة بالضم. يقال: تليت لي من حقي تلية وتلاوة تتلى، أي بقيت لي بقية. عن ابن السكيت.
وتلوت القرآن تلاوة. وتلوت الرجل أتلوه تلوا، إذا تبعته. يقال: ما زلت أتلوه حتى أتليته، أي حتى تقدمته وصار خلفي. ويقال أيضا: تلوته، إذا خذلته وتركته. عن أبي عبيد. والمتالى: الذى يراسل

المغنى بصوت رفيع. (..) وأتلت الناقة، إذا تلاها ولدها. ومنه قولهم: لا دريت ولا أتليت: يدعو عليه بأن لا تتلى إبله، أي لا تكون لها أولاد. عن يونس. وأتليت حقي عنده، أي أبقيت منه بقية. وأتلاه الله أطفالا، أي أتبعه أولادا. وأتليته، أي سبقته. وأتليته، أي أحلته من الحوالة. وأتليته ذمة، أي أعطيته إياها. قال أبو زيد: تلى الرجل بالتشديد، إذا كان بآخر رمق. وتتليت حقي، إذا تتبعته حتى استوفيته. وجاءت الخيل تتاليا، أي متتابعة [246].

تِلاوَةٌ – [ت ل و]. (مص. تَلا). 1."تِلاوَةُ آياتٍ مِنَ القُرْآنِ الكَريمِ" : قِراءتُها تَرْتيلاً. 2."كِتابُ التِّلاوَةِ" : كِتابُ القِراءةِ [247].

قال تعالى: **{وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ}** (البقرة/**113**) وقال تعالى: **{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** (البقرة/**121**)، قال تعالى: **{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ }** (البقرة/**129**)، قال تعالى: **{وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ}** (النمل/**92**)

وأما بقية المترادفات أدناه، يرجع لها في أماكنها التي ذكرت فيها في هذه الرسالة، وذلك لتجنب التكرار والإطالة.

الإرسال – الإشارة – البيان – الوجد – القراءة – الكتابة – الحس – المس – البطش – الغشيان – النكاح – الزنا – السدومية [248]– الصمت – السكوت – البكاء – الصراخ – الأنين – الاستماع – الإنصات ...

---

[246]- الصحاح في اللغة، ص 139/7-140

[247]- معجم المغني، ص 378/3

[248]- السدومية: نسبة إلى سدوم وعمورة وهي اللواط أي إتيان الذكران، أنظر: موقع الموسوعة الحرة، تحت عنوان: لواط . وقال الطبري: قرية سدوم وهي قرية قوم لوط ، ص 31/20

المبحث الثالث:

أضداد التواصل في القرآن الكريم

كثيرا ما تصدر منا أقوال أو أفعال تؤدي بعزوف الطرف الآخر عن التواصل معنا، أو حتى التردد في التعامل معنا، أو يتخذ قرارا بأن يقف موقفا مدافعا في العملية التواصلية التي تحدث بين الأطراف... وبهذه التصرفات تكون سببا من أسباب معوقات الاتصال التي تؤدي بالنهاية إلى:

التنافر

التنافر في اللغة:

تَنَافَرَ – [ن ف ر]. (ف: خما. لازم، م. بحرف). تَنَافَرْتُ، أَتَنَافَرُ، تَنَافَرْ، مص. تَنَافُرٌ. 1."تَنَافَرَ الأَوْلاَدُ" : تَخَاصَمُوا، كَرِهَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً. "يَقْتَرِنُونَ بِالأَجْسَادِ وَيَتَنَافَرُونَ بِالرُّوحِ". (جبران خ. جبران). 2."تَنَافَرَ الجُنْدُ لِلْقِتَالِ" : ذَهَبُوا مُسْرِعِينَ. 3. "تَنَافَرَتِ الأَصْوَاتُ" : اِخْتَلَطَتْ وَفَقَدَتْ تَوَازُنَهَا.

تَنَافُرٌ – [ن ف ر]. (مص. تَنَافَرَ). 1."تَنَافُرُ الأَعْدَاءِ" : تَخَاصُمُهُمْ، كُرْهُ بَعْضِهِمْ بَعْضاً. 2."تَنَافُرُ الأَلْوَانِ" : تَعَارُضُهَا. 3."تَنَافُرُ الأَصْوَاتِ" : نَشَازُهَا، عَدَمُ تَنَاسُقِهَا وَانْسِجَامِهَا [249].

وقال الأصفهاني فيما ورد في معنى لفظ "التنافر" في القرآن الكريم [250]:

– النفر: الانزعاج عن الشيء وإلى الشيء، كالفزع إلى الشيء وعن الشيء. يقال: نفر عن الشيء نفورا. قال تعالى: **{ما زادهم إلا نفورا} [فاطر/ 42]**، **{وما يزيدهم إلا نفورا} [الإسراء/41]** ونفر إلى الحرب ينفر وينفر نفرا، ومنه: يوم النفر. قال تعالى: **{انفروا يعذبكم عذابا أليما} [التوبة/39]**، **{ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله} [التوبة/38]**، **{وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة} [التوبة/122]**. والاستنفار: حث القوم على النفر إلى الحرب، والاستنفار: حمل القوم على أن ينفروا. أي: من الحرب، والاستنفار أيضا: طلب النفار، وقوله تعالى: **{كأنهم حمر مستنفرة} [المدثر/50]** قرئ: بفتح الفاء وكسرها (قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بفتح الفاء، والباقون بكسرها. الإتحاف ص 427)،

---

[249]_ معجم المغني، ص 440/3

[250]_ مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 445/2

فإذا كسر الفاء فمعناه: نافرة، وإذا فتح فمعناه: منفرة. والنفر والنفير والنفرة: عدة رجال يمكنهم النفر. والمنافرة: المحاكمة في المفاخرة، وقد أنفر فلان: إذا فضل في المنافرة، وتقول العرب: نفر فلان إذا سمي باسم يزعمون أن الشيطان ينفر عنه، قال أعرابي: قيل لأبي لما ولدت: نفر عنه، فسماني قنفذا وكناني أبا العداء [251]. قال أبو عبيدة: هو من نفار الشيء عن الشيء. أي: تباعده عنه وتجافيه [252]

ووردت أيضا في النساء/71، والتوبة/41/81 .

التباغض

التباغض في اللغة:

[بغض] البغض: ضد الحب. وقد بغض الرجل بالضم بغاضة، أي صار بغيضا.

وبغضه الله إلى الناس تبغيضا، فأبغضوه، أي مقتوه، فهو مبغض. والبغضاء: شدة البغض، وكذلك البغضة بالكسر. وقولهم: ما أبغضه إلي، شاذ لا يقاس عليه. والتباغض: ضد التحاب [253].

تَبَاغَضَ - [ب غ ض]. (ف: خما. لازم). تَبَاغَضَ، يَتَبَاغَضُ، مص. تَبَاغُضٌ. " تَبَاغَضَ الجَارَانِ" : أَبْغَضَ، كَرِهَ أَحَدُهُمَا الآخَرَ، أَصْبَحَ بَيْنَهُمَا بُغْضٌ.

تَبَاغُضٌ - [ب غ ض]. (مص. تَبَاغَضَ). "لاَ شَيْءَ يَدْعُو إِلَى التَّبَاغُضِ" : إِلَى الكُرْهِ وَإِظْهَارِ البُغْضِ [254].

أما ما ورد ذكره بخصوص لفظ "البغض" في القرآن الكريم:

- البغض: نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه، وهو ضد الحب، فإن الحب انجذاب النفس إلى الشيء، الذي ترغب فيه. يقال: بغض الشيء بغضا وبغضته (جاء بغضه عن ثعلب وحده) بغضاء. قال الله عزوجل: **{وألقينا بينهم العداوة والبغضاء} [المائدة/64]، وقال: {إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء} [المائدة/91]**، وقوله عليه السلام: (إن الله تعالى يبغض الفاحش المتفحش) [255] ، فذكر بغضه له تنبيه على بعد فيضه وتوفيق إحسانه منه [256].

---

[251]- (انظر: الخبر في المجمل 879/3؛ واللسان (نفر)). ونفر الجلد: ورم.
[252]- (انظر: مجاز القرآن 276/2 و 381/1).
[253]- الصحاح في اللغة، ص 203/4-204
[254]- المعجم المغني، ص 22/3
[255]- (الحديث أخرجه أحمد عن أسامة بن زيد والطبراني. راجع: مسند أحمد 199/2؛ والمعجم الأوسط 221/1)
[256]- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 105/1

وقال تعالى: {قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} (آل عمران/118)

قال القرطبي: وخص تعالى الافواه بالذكر دون الالسنة إشارة إلى تشدقهم وثرثرتهم في أقوالهم هذه [257]. ووردت في سورة المائدة/14، والممتحنة/4.

التنابز

التنابز في اللغة:

[نبز] النبز بالتحريك: اللقب، والجمع الانباز. والنبز بالتسكين: المصدر. تقول: نبزه ينبزه نبزا، أي لقبه. وفلان ينبز بالصبيان، أي يلقبهم، شدد للكثرة. وتنابزوا بالالقاب، أي لقب بعضهم بعضا [258].

تَنَابَزَ – [ن ب ز]. (ف: خما. لازم، م. بحرف). تَنَابَزْتُ، أَتَنَابَزُ، مص. تَنَابُزٌ. "تَنَابَزَ أَبْنَاءُ الحَيِّ بِالأَلْقَابِ" : تعَايَرُوا. وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ (قرآن).

تَنَابُزٌ – [ن ب ز]. (مص. تَنَابَزَ). "التَّنَابُزُ بِالأَلْقَابِ" : التَّعَايُرُ بِهَا [259].

ورد لفظ "التنابز" في القرآن الكريم مرة واحدة، في قوله تعالى:

النبز: التلقيب. قال الله تعالى: **{ولا تنابزوا بالألقاب} [الحجرات/11]**.[260]

السخرية

السخرية في اللغة:

سَخَرَ – [س خ ر]. (ف: ثلا. متعد). سَخَرَ، يَسْخَرُ، مص. سُخْرِيٌّ، سِخْرِيٌّ. "سَخَرَ خَادِمَهُ" : سَخَّرَهُ، كَلَّفَهُ مَا لاَ يُطِيقُ وَبِلاَ أَجْرٍ، ذَلَّلَهُ، قَهَرَهُ [261].

وورد معنى لفظ "السخرية" في الصحاح:

[سخر] سخرت منه أسخر سخرا بالتحريك، ومسخرا وسخرا بالضم. قال أعشى باهلة: إني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منه ولا سخر – والتأنيث للكلمة، وكان قد أتاه خبر

---

[257]- تفسير القرطبي، ص 180/4

[258]- الصحاح في اللغة، ص 35/4

[259]- المعجم المغني، ص 431/3

[260]- الأصفهاني، ص 401/2

[261]- المعجم المغني، ص 55/12

مقتل أخيه المنتشر. وحكى أبو زيد: سخرت به، وهو أردأ اللغتين. وقال الاخفش: سخرت منه وسخرت به، وضحكت منه وضحكت به، وهزئت منه وهزئت به، كل ذلك يقال: والاسم السخرية والسخرى والسخرى، وقرئ بهما قوله تعالى: * **(ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)** *، و * (سخريا) *. وسخره تسخيرا: كلفه عملا بلا أجرة، وكذلك تسخره. والتسخير: التذليل. وسفن سواخر، إذا أطاعت وطابت لها الريح. وفلان سخرة: يتسخر في العمل. يقال خادمه سخرة. ورجل سخرة أيضا: يسخر منه. وسخرة بفتح الخاء: يسخر من الناس[262].

وقال الدكتور عبد الغني في معنى: سُخْرِيَّةٌ – [س خ ر]. (مص. سَخِرَ). "أجَابَهُ بِسُخْرِيَّةٍ" : بِتَهَكُّمٍ، بِهُزْءٍ. "تَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ فِيهَا سُخْرِيَّةٌ"[263].

وأما ما ورد من قوله تعالى في السخرية:

والسخري: هو الذي يقهر فيتسخر بإرادته، قال: {ليتخذ بعضهم بعضا سخريا} [الزخرف/32]، وسخرت منه، واستسخرته للهزء منه، قال تعالى: {إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون} [هود/38]، {بل عجبت ويسخرون} [الصافات/12]، وقيل: رجل سخرة: لمن سخر، وسخرة لمن يسخر منه (راجع مادة (برم) في الحاشية)، والسخرية والسخرية: لفعل الساخر. وقوله تعالى: {فاتخذتموهم سخريا} [المؤمنون/ 110]، و {سخريا} قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف بضم السين، والباقون بكسرها. الإتحاف 321)، فقد حمل على الوجهين على التسخير، وعلى السخرية قوله تعالى: {وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار *** أتخذناهم سخريا} [ص/62 – 63]. ويدل على الوجه الثاني قوله بعد: {وكنتم منهم تضحكون} [المؤمنون/110][264].

{وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ} (البقرة/**212**)، والأنعام/10، والتوبة/79، والأنبياء/41، والصافات/14، وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ}** (الحجرات/**11**).

---

[262]- الصحاح في اللغة، ص 242/3-243

[263]- المعجم المغني، ص 56/12

[264]- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 466/1

التشاجر

التشاجر في اللغة:

(...) والشجر: الصرف. يقال: ما شجرك عنه، أي ما صرفك. وقد شجرتني عنه الشواجر. وشجره بالرمح، أي طعنه وشجر بيته، أي عمده بعمود. وشجر بين القوم، إذا اختلف الامر بينهم. وشجرت الشئ: طرحته على المشجر، وهو المشجب. واشتجر القوم وتشاجروا، أي تنازعوا. والمشاجرة: المنازعة. وتشاجروا بالرماح: تطاعنوا [265].

تَشَاجَرَ – [ش ج ر]. (ف: خما. لازم، م. بحرف). تَشَاجَرْتُ، أَتَشَاجَرُ، مص. تَشَاجُرٌ.
1."تَشَاجَرَتِ الأَشْجَارُ" : تَدَاخَلَتْ أَغْصَانُهَا. 2."تَشَاجَرَ الْمُتَفَرِّجُونَ فِي الْمَلْعَبِ" : اِشْتَبَكُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، تَنَازَعُوا، تَضَارَبُوا . 3."تَشَاجَرُوا بِالعِصِيِّ" : تَطَاعَنُوا.
تَشَاجُرٌ – [ش ج ر]. (مص. تَشَاجَرَ). 1."تَشَاجُرُ الأَشْجَارِ" : تَدَاخُلُ أَغْصَانِهَا. 2."تَشَاجُرُ الأَوْلاَدِ" : تَنَازُعُهُمْ، تَضَارُبُهُمْ، اِشْتِبَاكُهُمْ بِالأَيْدِي. 3."التَّشَاجُرُ بِالرِّمَاحِ" : التَّطَاعُنُ [266].

قال الأصفهاني:

والتشاجر: المنازعة. قال تعالى: **{حتى يحكموك فيما شجر بينهم} [النساء/ 65]**. وشجرني عنه: صرفني عنه بالشجار، وفي الحديث: (فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له) (الحديث عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أيما امرأة نكحت بغير إذن مواليها فنكاحها باطل، ثلاثا، ولها مهرها بما أصاب منها، فإن اشتجروا فإن السلطان ولي من لا ولي له) [267].
والشجار: خشب الهودج، والمشجر: ما يلقى عليه الثوب، وشجره بالرمح أي: طعنه بالرمح، وذلك أن يطعنه به فيتركه فيه [268].

وقال القرطبي: و (شجر) معناه اختلف واختلط، ومنه الشجر لاختلاف أغصانه. ويقال لعصي الهودج: شجار، لتداخل بعضها في بعض [269].

---

[265]- الصحاح في اللغة، ص 257/3
[266]- معجم المغني، ص 190/3
[267]- أخرجه أحمد في المسند 166/6، وفي سنده سليمان بن موسى، وفيه لين (انظر: تقريب التهذيب ص 255) ؛ وأخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن، انظر عارضة الأحوذي 13/3).
[268]- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 527/1
[269]- تفسير القرطبي، ص 266/5

وقال أبو حيان: وفيما شجر بينهم عام في كل أمر وقع بينهم فيه نزاع وتجاذب . ومعنى يحكموك، يجعلوك حكماً . وفي الكلام حذف التقدير : فتقضي بينهم[270].

المشاكسة

المشاكسة في اللغة:

[شكس] رجل شكس بالتسكين، أي صعب الخلق. قال الراجز: * شكس عبوس عنبس عذور * وقوم شكس، مثال رجل صدق وقوم صدق. وقد شكس بالكسر شكاسة. وحكى الفراء: رجل شكس، وهو القياس[271].

ووردت المشاكسة في المغني أنها:

مُشَاكِسٌ، ةٌ – ج: ون، ات. [ش ك س]. (فا. مِن شَاكَسَ). "وَلَدٌ مُشَاكِسٌ" : مُشَاغِبٌ، أَيْ مَنْ يُحْدِثُ الشَّغَبَ وَالْمُشَاكَسَةَ.

مُشَاكَسَةٌ – ج: ات. [ش ك س]. (مص. شَاكَسَ). "مُشَاكَسَةٌ عَنِيفَةٌ" : مُشَاغَبَةٌ...[272]

قال الأصفهاني:

شكس

– الشكس: السيئ الخلق، وقوله تعالى: **{شركاء متشاكسون} [الزمر/29]**، أي: متشاجرون لشكاسة خلقهم[273]. وقال الطبري: يقول: هو بين جماعة مالكين متشاكسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، من قولهم: رجل شكس: إذا كان سيئ الخلق، وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه ومِلْكه فيه[274].

وقال القرطبي: قال الفراء: أي مختلفون.

وقال المبرد: أي متعاسرون من شكس يشكس شكسا بوزن قفل فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا فهو عسر، يقال: رجل شكس وشرس وضرس وضبس.

ويقال: رجل ضبس وضبيس أي شرس عسر شكس، قاله الجوهري.

---

[270]- البحر المحيط ص 232/3

[271]- الصحاح في اللغة، ص 78/4

[272]- معجم المغني، ص 271/24

[273]- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص 550/1

[274]- تفسير الطبري، ص 283/21

الزمخشري: والتشاكس والتشاخس الاختلاف. يقال: تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه.
ويقال: شاكسني فلان أي ماكسني وشاحني في حقي.
قال الجوهري: رجل شكس بالتسكين أي صعب الخلق.
قال الراجز: / ش شكس عبوس عنبس عذور / ش وقوم شكس مثال رجل صدق وقوم صدق.
وقد شكس بالكسر شكاسة.
وحكى الفراء: رجل شكس. وهو القياس، وهذا مثل من عبد آلهة كثيرة [275].

الغضب

الغضب في اللغة:

[غضب] غضب عليه غضبا، ومغضبة، وأغضبته أنا فتغضب. ورجل غضبان وامرأة غضبى، ولغة في بنى أسد غضبانة وملآنة وأشباههما. وقوم غضبى وغضابى مثل: سكرى وسكارى.
(...) رجل غضبة بتشديد الباء، أي يغضب سريعا. (...) الأموي: غضبت لفلان، إذا كان حيا، وغضبت به، إذا كان ميتا. والاحمر مثله. قال دريد بن الصمة: فإن تعقب الايام والدهر تعلموا بنى قارب أنا غضاب بمعبد وغاضبه: راغمه. وقوله تعالى: (**وذا النون إذ ذهب مغاضبا**)، أي مراغما لقومه [276].

وورد معنى الغضب في معجم المغني بأنه:
غَضَبٌ – [غ ض ب]. (مص. غَضِبَ). "رَأَيْتُ الغَضَبَ بَادِياً عَلَى وَجْهِهِ" : ظُهُورُ عَلاَمَاتِ الانْفِعَالِ وَالتَّشَنُّجِ عِنْدَ الْمَيْلِ إِلَى الاعْتِدَاءِ.
غَضِبٌ – [غ ض ب]. (صِيغَةُ فَعِل). "رَجُلٌ غَضِبٌ" : سَرِيعُ الغَضَبِ.
غَضِبَ – [غ ض ب]. (ف: ثلا. لازم، م. بحرف). غَضِبَ، يَغْضَبُ، مص. غَضَبٌ.
1."غَضِبَ عَلَيْهِ غَضَباً شَدِيداً" : حَنِقَ عَلَيْهِ، ثَارَ، هَاجَ، سَخِطَ. "غَضِبَ مِنْهَا وَغَضِبَتْ مِنْهُ قَبْلَ الغَضْبَةِ الأَخِيرَةِ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً" (ع. م. العقاد). "يَغْضَبُ لأَتْفَهِ الأَسْبَابِ". 2."غَضِبَ لِصَدِيقِهِ": ثَارَ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَجْلِهِ.

---

[275]- تفسير القرطبي، ص 252/15-253
[276]- الصحاح في اللغة، ص 213/2

غَضْبَانُ، ةٌ – [غ ض ب]. "جَاءَ غَضْبَانَ" : ثَائِراً مُنْفَعِلاً مَعَ ظُهُورِ عَلاَمَاتِ التَّشَنُّجِ وَالْمَيْلِ إِلَى الاعْتِدَاءِ وَالانْتِقَامِ [277].

أَغْضَبَ – [غ ض ب]. (ف: ربا. لازمتع). أَغْضَبْتُ، أُغْضِبُ، مص. إِغْضَابٌ. 1. "أَغْضَبَهُ بِتَصَرُّفَاتِهِ السَّيِّئَةِ" : أَثَارَ حَنَقَهُ، سُخْطَهُ، حَمَلَهُ عَلَى الغَضَبِ. "هُوَ لاَ يُغْضِبُ أَحَداً". 2. "أَغْضَبَتِ العَيْنُ" : قَذَفَتْ مَا فِيهَا [278].

وأما ما ورد في القرآن الكريم للفظ "الغضب" فيما ذكره الأصفهاني:

– الغضب: ثوران دم القلب إرادة الانتقام، ولذلك قال عليه السلام: (اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم، ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه) (الحديث عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه، فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض) [279].

وإذا وصف الله تعالى به فالمراد به الانتقام دون غيره. قال: **{فباءوا بغضب على غضب} [البقرة/ 90]، {وباءوا بغضب من الله} [آل عمران/112]**، وقال: **{ومن يحلل عليه غضبي} [طه/81]، {غضب الله عليهم} [المجادلة/14]** وقوله: **{غير المغضوب عليهم} [الفاتحة/7]**، قيل: هم اليهود (أخرجه أحمد والترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن المغضوب عليهم اليهود، وإن الضالين النصارى) [280]. والغضبة كالصخرة، والغضوب: الكثير الغضب. وتوصف به الحية والناقة الضجور، وقيل: فلان غضبة: سريع الغضب [281]، وحكي أنه يقال: غضبت لفلان: إذا كان حيا وغضبت به إذا كان ميتا (؟؟؟) [282].

وأذكر هنا بقية الآيات التي لم يسردها الأصفهاني للفظ الغضب: **{وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ} (البقرة/61)**، والنساء/93، والمائدة/60،

---

[277]- المعجم المغني، ص 46/19

[278]- المصدر السابق، ص 216/1

[279]- أخرجه الترمذي من حديث طويل، وقال: حسن صحيح (انظر: كتاب الفتن في عارضة الأحوذي 43/9) ؛ وتخريج أحاديث الإحياء 1802/4؛ ومسند أحمد 19/3؛ وعبد الرزاق في المصنف 347/11) .

[280]- مسند أحمد 378/4؛ وعارضة الأحوذي 75/11؛ وانظر: الدر المنثور 42/1).

[281]- (قال ابن دريد: ورجل غضبة: إذا كان كثير الغضب. انظر: الجمهرة 303/1)

[282]- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص 154/2

الأعراف/154/152/150/71، والأنفال/16، والنحل/106، وطه/86، والنور/9، والشورى/37/16، والفتح/6، والمجادلة/14، والممتحنة/13.

التكبر

التكبر في اللغة:

[كبر] (...) والكبر بالكسر: العظمة، وكذلك الكبرياء. وكبر الشئ أيضا: معظمه. قال الله تعالى: * (والذى تولى كبره (2)) *. (...) والمكبوراء: الكبار. وقولهم: توارثوا المجد كابرا عن كابر، أي كبيرا عن كبير في العز والشرف. وأكبرت الشئ، استعظمته. والتكبير: التعظيم. والتكبر والاستكبار: التعظيم[283].

مُتَكَبِّرٌ، ةٌ – ج: ون، ات. [ك ب ر]. (فا. مِنْ تَكَبَّرَ). "مُتَكَبِّرٌ عَلَى زُمَلاَئِهِ" : مُتَعَجْرِفٌ، مُتَغَطْرِسٌ، مُتَعَاظِمٌ[284].

تَكَبَّرَ – [ك ب ر]. (ف: خما. لازم). تَكَبَّرَ، يَتَكَبَّرُ، مص. تَكَبُّرٌ. "تَكَبَّرَ الوَلَدُ" : تَعَظَّمَ، كانَ ذا كِبْرِياءَ. "يَنْبَغِي لِلعالِمِ أَنْ لاَ يَتَكَبَّرَ على الْمُتَعَلِّمينَ" (ابن المقفع) فَما يَكونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيها (قرآن).

2550) تَكَبُّرٌ – [ك ب ر]. (مص. تَكَبَّرَ). "تَكَبُّرُ الرَّجُلِ" : تَعَظُّمُهُ، كَوْنُهُ ذا كِبْرِياءٍ[285].

وذكر التكبر في القرآن الكريم في مواضع مختلفة منه، وقد أورد الأصفهاني ألفاظ هذه المفردات كالآتي:

وقوله: **{إلا كبر ما هم ببالغيه} [غافر/56]**، أي: تكبر. وقيلك أمر كبير من السن، كقوله: **{والذي تولى كبره} [النور/11]**، والكبر والتكبر والاستكبار تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وأعظم التكبر التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة. والاستكبار يقال على وجهين:

أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا، وذلك متى كان على ما يجب، وفي المكان الذي يجب، وفي الوقت الذي يجب فمحمود.

283- الصحاح في اللغة، ص 366-365/3

284- معجم المغني، ص 74/24

285- معجم المغني، ص 354/3

والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن.
وهو ما قال تعالى: **{أبى واستكبر} [البقرة/34]**. وقال تعالى: **{أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم} [البقرة/87]** وقال: **{وأصروا واستكبروا استكبارا} [نوح/7]**، **{استكبارا في الأرض} [فاطر /43]**، **{فاستكبروا في الأرض} [فصلت/15]**، **{تستكبرون في الأرض بغير الحق} [الأحقاف/20]**، وقال: **{إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء} [الأعراف/40]**، **{قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون} [الأعراف/48]**، وقوله: **{فيقول الضعفاء للذين استكبروا} [غافر/ 47]** قابل المستكبرين بالضعفاء تنبيها أن استكبارهم كان بما لهم من القوة من البدن والمال. وقال تعالى: **{قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا} [الأعراف/75]** فقابل المستكبرين بالمستضعفين **{فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين} [الأعراف/133]** نبه بقوله: **{فاستكبروا}** على تكبرهم وإعجابهم بأنفسهم وتعظمهم عن الإصغاء إليه، ونبه بقوله: **{وكانوا قوما مجرمين} [الأعراف/133]** أن الذي حملهم على ذلك هو ما تقدم من جرمهم، وأن ذلك لم يكن شيئا حدث منهم بل كان ذلك دأبهم قبل. وقال تعالى: **{فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون} [النحل/22]** وقال بعده: **{إنه لا يحب المستكبرين} [النحل/23]**.

والتكبر يقال على وجهين:
أحدهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وصف الله تعالى بالتكبر. قال: {العزيز الجبار المتكبر} [الحشر/23].
والثاني: أن يكون متكلفا لذلك متشبعا، وذلك في وصف عامة الناس نحو قوله: {فبئس مثوى المتكبرين} [الزمر/72]، وقوله: {كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار} [غافر/35] ومن وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود، ومن وصف به على الوجه الثاني فمذموم، ويدل على أنه قد يصح أن يوصف الإنسان بذلك ولا يكون، مذموما، وقوله: {سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق} [الأعراف/146] فجعل متكبرين بغير الحق، وقال: {على كل قلب متكبر جبار} [غافر/35] بأضافة القلب إلى المتكبر. ومن قرأ: بالتنوين (قرأ: {على كل قلب متكبر جبار} بالتنوين أبو عمرو وابن عامر بخلفه. انظر: الإتحاف ص 378) جعل

المتكبر. صفة للقلب، والكبرياء: الترفع عن الانقياد، وذلك لا يستحقه غير الله، فقال: {وله الكبرياء في السموات والأرض} [الجاثية/37] ولما قلنا روي عنه صلى الله عليه وسلم يقول عن الله تعالى: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما قصمته) (الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقول الله عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما أدخلته النار) أخرجه مسلم في البر والصلة برقم (2620) ؛ والبيهقي في الأسماء والصفات ص 173)، وقال تعالى: {قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض} [يونس/87]، وأكبرت الشيء: رأيته كبيرا. قال تعالى: {فلما رأينه أكبرنه} [يوسف/31] [286].

العنصرية

العنصرية في اللغة:

عُنْصُرِيَّةٌ – [ع ن ص ر]. (مص. صِنَاعِيّ). : مَذْهَبٌ قَائِمٌ عَلَى التَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْبَشَرِ بِحَسَبِ أُصُولِهِمُ الجِنْسِيَّةِ وَلَوْنِهِمْ. "ظَلَّتِ الأُمَمُ الْمُتَّحِدَةُ تُدِينُ السِّيَاسَةَ الْعُنْصُرِيَّةَ لِجَنُوبِ إِفْرِيقِيَا عِنْدَما كانَت خاضِعَةً لِحُكومَةِ البِيضِ"[287].

وأصل الكلمة من "ميز" وتسمى: التمييز العنصري ، وورد معنى التمييز في الصحاح بأنه:

[ميز] مزت الشئ أميزه ميزا: عزلته وفرزته. وكذلك ميزته تمييزا، فانماز، وامتاز، وتميز، واستماز، كله بمعنى. يقال: امتاز القوم، إذا تميز بعضهم من بعض. وفلان يكاد يتميز من الغيظ، أي يتقطع[288].

ويعرف الدكتور عبد الغني أبو العزم "التمييز العنصري" بأنه :

"التَّمْيِيزُ العُنْصُرِيُّ" : نِظَامٌ تَنْهَجُهُ بَعْضُ الأنْظِمَةِ العُنْصُرِيَّةِ لِلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي حُقُوقِهِمْ وَوَاجِبَاتِهِمْ لاِخْتِلاَفِ أَجْنَاسِهِمْ. "لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَقُّ التَّمَتُّعِ بِكَافَّةِ الحُقُوقِ وَالحُرِّيَّاتِ دُونَ أيِّ تَمْيِيزٍ، كَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ العُنْصُرِ أَوِ اللوْنِ أو الجِنْسِ أَوِ الدِّينِ أوِ الرَّأيِ السِّيَاسِيِّ أَوْ أَيِّ رَأيٍ آخَرَ" [289].

---

[286] - مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 2/277-280

[287] - معجم المغني، ص 180/18

[288] - الصحاح في اللغة، ص 35/4

[289] - المعجم المغني، ص 430/3

وتطلق لفظة "العنصرية" في اللغة على "خصائص المادة المركبة [290]" كما تطلق على "الأجرام العنصرية والأجرام الفلكية [291]"

وأما ما ذكر في لفظ "ميز" في القرآن الكريم:

- الميز والتمييز: الفصل بين المتشابهات، يقال: مازه يميزه ميزا، وميزه تمييزا، قال تعالى: **{ليميز الله} [الأنفال/37]**، وقرئ: {ليميز الله الخبيث من الطيب} (وهي قراءة حمزة والكسائي ويعقوب وخلف. انظر: الإتحاف ص 183). والتمييز يقال تارة للفصل، وتارة للقوة التي في الدماغ، وبها تستنبط المعاني، ومنه يقال: فلان لا تمييز له، ويقال: انماز وامتاز، قال: **{وامتازوا اليوم} [يس/59]** وتميز كذا مطاوع ماز. أي: انفصل وانقطع، قال تعالى: **{تكاد تميز من الغيظ} [الملك/8]** [292].

والعنصرية مصطلح معاصر ويطلق عليها كما أسلفت "التمييز العنصري"، وهذا التمييز العنصري هو الذي يقصد أيضا به "بالعصبية" ويصفها أبو زهرة بالعصبية العنصرية فيقول: وكيف أضلهم الهوى، والعصبية العنصرية، ومنعتهم من أن يصل نور الحق إلى قلوبهم [293].

وهي التي ذمها – العصبية – الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: « دعوها فإنها منتنة » [294]، يقول سيد قطب في قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }الحجرات13** وهكذا تسقط جميع الفوارق ، وتسقط جميع القيم ، ويرتفع ميزان واحد بقيمة واحدة ، وإلى هذا الميزان يتحاكم البشر ، وإلى هذه القيمة يرجع اختلاف البشر في الميزان.

وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض؛ وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس . ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون : ألوهية الله للجميع ، وخلقهم من أصل واحد . كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله . وهذا هو اللواء الذي رفعه الإسلام لينقذ البشرية من عقابيل العصبية للجنس ، والعصبية للأرض ، والعصبية للقبيلة ، والعصبية للبيت . وكلها من الجاهلية وإليها ، تتزيا بشتى الأزياء ، وتسمى بشتى الأسماء.

290- أنظر: التحرير والتنوير، ص 42/8

291- تفسير الآلوسي، ص 93/7

292- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الأصفهاني، ص 396/2

293- زهرة التفاسير، ص 1352/3

294- صحيح مسلم رقم (2584)

وكلها جاهلية عارية من الإسلام!

وقد حارب الإسلام هذه العصبية الجاهلية في كل صورها وأشكالها ، ليقيم نظامه الإنساني العالمي في ظل راية واحدة : راية الله . . لا راية الوطنية . ولا راية القومية . ولا راية البيت . ولا راية الجنس . فكلها رايات زائفة لا يعرفها الإسلام .

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : « كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب . ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان »[295] . وقال – صلى الله عليه وسلم – عن العصبية الجاهلية : « دعوها فإنها منتنة »[296].

الهجران:

[هجر] الهجر: ضد الوصل. وقد هجره هجرا وهجرانا. والاسم الهجرة. والهجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة. والمهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الاولى للثانية. والتهاجر: التقاطع. والهجر أيضا: الهذيان. وقد هجر المريض يهجر هجرا، فهو هاجر والكلام مهجور. قال أبو عبيد: يروى عن إبراهيم ما يثبت هذا القول في قوله تعالى: * **(إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا)** * قال: قالوا فيه غير الحق. ألم تر إلى المريض إذا هجري قال غير الحق. قال: وعن مجاهد نحوه. والهجر بالضم: الاسم من الاهجار، وهو الافحاش في المنطق، والخنا. وهجر أي ترك[297].

هَجَرَ – [هـ ج ر]. (ف: ثلا. لازمتع. م. بحرف). هَجَرْتُ، أَهْجُرُ، اُهْجُرْ، مص. هَجْرٌ، هِجْرَانٌ. 1."هَجَرَ الرَّجُلُ" : تَبَاعَدَ. 2."هَجَرَ بَيْتَهُ" : تَرَكَهُ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُر (قرآن). 3."هَجَرَ الزَّوْجُ زَوْجَتَهُ" : اِعْتَزَلَ عَنْهَا وَلَمْ يُطَلِّقْهَا. وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ (قرآن). 4."هَجَرَ فِي نَوْمِهِ" : هَذَى. هَجْرٌ – [هـ ج ر]. (مص. هَجَرَ). "هَجْرُ الأَحْبَابِ" : تَرْكُهُمْ، الِابْتِعَادُ عَنْهُمْ بِجَفَاءٍ وَكَانَ يَلْزَمُ تَعَهُّدُهُمْ[298].

ولقد ذكر الله تعالى الهجران في القرآن الكريم في مواطن عدة، كقوله تعالى:

- **{وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ}** (**النساء/34**) وقال النخعي ، والشعبي ، وقتادة ، والحسن : من الهجران ، وهو البعد وقيل : اهجروهن بترك الجماع والاجتماع[299].

---

[295]- الرواي: أبو هريرة، المحدث الألباني، المصدر: صحيح الجامع رقم (1787)

[296]- في ظلال القرآن، ص 3348/6

[297]- الصحاح في اللغة، ص 416/3

[298]- معجم المغني، ص 25/26

- **{لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً } (مريم/46)** قال ابن عباس: أي اعتزلني سالما لم العرض لا يصيبنك مني معرة، واختاره الطبري، وقال الحسن ومجاهد: " مليا " دهرا طويلا [300].
- **{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ } (المؤمنون/67)** مأخوذ من الهجر – بإسكان الجيم – بمعنى الصد والقطيعة ، أو من الهجر – بفتح الجيم – بمعنى الهذيان والنطق بالكلام الساقط ، بسبب المرض أو الجنون [301].
- **{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً } (المزمل/10)** { واصبر على مَا يَقُولُونَ } من الأذى والسب والاستهزاء ، ولا تجزع من ذلك { واهجرهم هَجْراً جَمِيلاً } أي : لا تتعرّض لهم ، ولا تشتغل بمكافأتهم . وقيل : الهجر الجميل الذي لا جزع فيه [302].
- **{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ } (المدثر/5)** قال: الرجز: آلهتهم التي كانوا يعبدون ؛ أمره أن يهجرها، فلا يأتيها، ولا يقربها. وقال آخرون: بل معنى ذلك: والمعصية والإثم فاهجر [303].
- **{وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً } (الفرقان/30)** أي: متروكًا فأعرضوا عنه، ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه. وقيل: جعلوه بمنزلة الهجر وهو الهذيان، والقوي السيء، فزعموا أنه شعر وسحر، وهو قول النخعي ومجاهد [304].
- ووردت في 21 موضع بمعنى هاجر بصيغ متعددة، يقول القرطبي : والمهاجرة من أرض إلى أرض ترك الأولى للثانية [305]. وأما المواضع التي ورد فيها هذا المعنى: (البقرة/218) و (آل عمران/195) و (النساء/100/97/89) و (الأنفال/75/74/72) و (التوبة/117/100/20) و (النحل/110/41) و (الحج/58) و (النور/22) و (العنكبوت/26) و (الأحزاب/50/6) و (الحشر/9/8) و (الممتحنة/10) .

---

[299]- البحر المحيط، ص 229/3
[300]- تفسير القرطبي، ص 111/11
[301]- التفسير الوسيط، ص 48/10
[302]- فتح القدير للشوكاني، ص 338/7
[303]- تفسير الطبري، ص 13/23
[304]- فتح القدير للشوكاني، ص 82/6
[305]- تفسير القرطبي، ص 50/3

ولو تأملنا مجمل الكلمات التي وردت في تفسير الآيات بخصوص معنى الهجران لوجدنا أن المعنى كله يصب في أضداد التواصل ومعوقاته، وهذه الكلمات هي: البعد والترك والاعتزال والصد والقطيعة والنطق بالكلام الساقط، والسب والاستهزاء والإعراض .

القطيعة:[قطع] قطعت الشئ قطعا. وقطعت النهر قطوعا: عبرته. (...) وقطع رحمه قطيعة، فهو رجل قطع وقطعة، مثال همزة. ويقال: رحم قطعاء بيني وبينك، إذا لم توصل. (...) والاقطوعة: علامة تبعثها المرأة إلى أخرى للصريمة والهجران. (...) والقطيعة: الهجران. والتقاطع: ضد التواصل [306].

قَطِيعَةٌ – ج: قَطَائِعُ. [ق ط ع]. "حَدَثَتْ قَطِيعَةٌ بَيْنَهُمَا": اِنْفِصَالٌ، أيْ قَطْعُ العَلاَقَاتِ [307].

وأما ما ورد بخصوص القطيعة في القرآن الكريم:

- **{وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ } (البقرة/27 والرعد/25)** قطيعة الرحم والقرابة . (...) فهي دَالَّةٌ على ذمّ الله كلّ قاطعٍ قطعَ ما أمر الله بوصله، رَحمًا كانتْ أو غيرَها [308]. فهي شاملة لكل أنواع القطيعة، وهي أيضا شاملة لكل أنواع التواصل بقوله { يُوصَلَ }، فأظهرت هذه الآية أن القطيعة ضد التواصل
- **{فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ } (محمد/22)** وقال قتادة وغيره: معنى الآية فلعلكم، أو يخاف عليكم، إن أعرضتم عن الايمان أن تعودوا إلى الفساد في الارض لسفك الدماء [309] . وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرّق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألَّف به بين قلوبكم [310].
- **{وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ } (الأنبياء/93)** أي تفرّقوا فرقاً في الدين حتى صار كالقطع المتفرّقة . وقال الأخفش : اختلفوا فيه ، وهو كالقول الأوّل . قال الأزهري : أي تفرّقوا في أمرهم ، فنصب أمرهم [311].

306- الصحاح في اللغة، ص 403-401/4
307- المعجم المغني، ص 118/21
308- تفسير الطبري، ص 416/1
309- تفسير القرطبي، ص 247/16
310- تفسير الطبري، ص 177/22
311- فتح القدير للشوكاني، ص 80/5

- {فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ } (المؤمنون/53) تفرقوا وتمزقوا . زُبُرا : قطعا وجماعات واحدها زُبْرة [312].
- ورد مصدر قطع في القرآن الكريم 33 مرة وبمعاني مختلفة [313].

وأما مجمل الكلمات التي وردت في تفسير الآيات السابقة بخصوص القطيعة، فهي: قطيعة الرحم والقطيعة بجميع أنواعها، والفساد وسفك الدماء التي سبب من أسباب القطيعة، التفرق والتمزق الذي يسبب في نهاية المطاف التعصب والقطيعة .

[312]- تفسير القطان، ص 478/2

[313]- أنظر: معجم الفاظ القرآن الكريم، لمجمع اللغة العربية، ص 904-906

الفصل الثالث:

شرح التواصل في القرآن الكريم:

لو تأملنا التعاريف السابقة للتواصل في اللغة وعند أهل العلم في مجال التواصل لوجدنا أن نقيض التواصل هو القطيعة، وهذا ما بينه القرآن الكريم في ذكر أصل التواصل "وصل" ، وقد بينت نقيض التواصل في مبحث أضداد التواصل، وكما تبين هذه الآية أيضا ماهية الوصل، الذي سنعتمد عليه في شرح التواصل في القرآن الكريم، يقول الله تعالى: **{الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }** (**البقرة/27**) (يقطعون) القطع معروف، والمصدر -في الرحم- القطيعة، يقال: قطع رحمه قطيعة [314]. وأما كلمة وصل التي هي أصل كلمة التواصل، وتم ذكرها في الآية الكريمة بصيغة المضارع "يوصل" وهي شاملة عامة، ذكر القرطبي: وهي عامة في كل ما أمر الله به أن يوصل . هذا قول الجمهور ، والرحم جزء من هذا [315].

قال ابن عاشور: قيل ما أمر الله به أن يوصل هو قرابة الأرحام ، وأقول تكميلاً لهذا إن مراد الله تعالى مما شرع للناس منذ النشأة إلى ختم الرسالة واحد وهو إبلاغ البشر إلى الغاية التي خلقوا لها وحفظ نظام عالمهم وضبط تصرفاتهم فيه على وجه لا يعتوره خلل [316].

{ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ } وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله. ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوقهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولا وفعلا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملا موفرا من الحقوق الدينية والدنيوية. والسبب الذي يجعل العبد واصلا ما أمر الله به أن يوصل، خشية الله وخوف يوم الحساب ، ولهذا قال: { وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ } أي: يخافونه [317].

---

[314]- تفسير للقرطبي، ص 246/1

[315]- المصدر السابق نفسه

[316]- التحرير والتنوير، ص 371/1

[317]- عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت 2000، ص 416

ويتبين لنا من هذا أن أسما أنواع التواصل هو التواصل مع الله عز وجل من خلال ما أمر به أن يوصل وهو شامل لكل أنواع الطاعات، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ} (الرعد/21)** ، قال المفسرون: (ظاهر في صلة الأرحام وهو قول قتادة وأكثر المفسرين وهو مع ذلك يتناول جميع الطاعات)[318]، وقال ابن كثير: من صلة الأرحام، والإحسان إليهم وإلى الفقراء والمحاويج، وبذل المعروف[319]. كما أن شرح التواصل في القرآن الكريم، بين لنا أن التواصل هو حلقة موصولة بعضها ببعض، حيث تربط الماضي بالحاضر وبالمستبقل، وانه يدخل في صميم الحياة البشرية منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض، وذلك من خلال الإيمان بجميع الرسل دون قطع بعضهم عن بعض[320].

وقد ذهب الآلوسي في تفسير هذه الآية إلى أبعد من هذا، فقال: ومن ذهب إلى العموم أدخل في ذلك الأنبياء عليهم السلام ووصلهم أن يؤمن بهم جميعاً ولا يفرق بين أحد منهم والناس على اختلاف طبقاتهم ووصلهم بمراعاة حقوقهم بل سائر الحيوانات ووصلها بمراعاة ما يطلب في حقها وجوباً أو ندباً ، وعن الفضيل بن عياض أن جماعة دخلوا عليه بمكة فقال : من أين أنتم؟ قالوا : من أهل خراسان قالوا : اتقوا الله تعالى وكونوا من حيث شئتم واعلموا أن العبد لو أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن محسناً[321]. وذهب الرازي إلى مثل هذا القول، فقال: ويدخل في هذه الصلة امدادهم بإيصال الخيرات ودفع الآفات بقدر الإمكان وعيادة المريض وشهود الجنائز وإفشاء السلام على الناس والتبسم في وجوههم وكف الأذى عنهم ويدخل فيه كل حيوان حتى الهرة والدجاجة ، وذكر القصة عن الفضيل أيضا[322].

ومما بينته التفاسير فيما ذكرنا، أن التواصل في القرآن شامل وعام لكل كبيرة وصغيرة ليس في العبادات فقط، وهذا ماذهب إليه أبو حيان أيضا فقال: أنه على العموم في كل ما أمر الله به أن يوصل ، وهذا هو الأوجه ، لأن فيه حمل اللفظ على مدلوله من العموم، ولا دليل واضح على الخصوص[323]. وإنما تدخل أيضا في حسن التعامل والتعايش بين البشر جميعا ولحفظ هذا العالم

---

[318]ـ تفسير القرطبي، ص 310/9

[319]ـ تفسير ابن كثير، ص 450/4

[320]ـ انظر: الترمذي، مختصر الشمائل المحمدية، المكتبة الإسلامية، تحقيق ناصر الدين الألباني، عمان 2008، ص 20

[321]ـ تفسير الآلوسي، ص 134/7

[322]ـ تفسير الرازي، ص 34/19

[323]ـ البحر المحيط ص 105/1

وضبط تصرفاتهم فيه على وجه لا يعتريه خلل[324]، وأن ذكر آية التواصل في أول ربع من القرآن الكريم، يمنحها أهمية بليغة في عملية التواصل في الإسلام، وكيف لا ! وأن دعوة الإسلام أصلها التواصل و التعامل مع كل الناس كافة بلا تمييز، يقول سيد قطب رحمه الله: "يا أيها الناس. والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم .. من ذكر وأنثى .. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل. إنها ليست التناحر والخصام. إنما هي التعارف والوئام" [325]. وبذلك يصلوا لقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }(الحجرات:13)

وتقودنا هذه الآية إلى كيفية التعامل مع الآخرين، وهذا التعامل الذي هو أساس التواصل مع الآخر، " من خلال الحوار الذي يعتمد على قواعد العقل والمنطق والعلم والحجة والبرهان والحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فما أكثر ما يرد في القرآن : {هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ } (البقرة/111)، وقال تعالى مرشدا إلى اعتماد العلم والحجة في الحوار : {وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ } (الحج/8)، {هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } (آل عمران/66)، {فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (الصافات/157)، وفي اتباع اللين والحكمة والموعظة الحسنة يأمر الله موسى عليه السلام: {اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طه/42-44)، ويأمر باتباع الحكمة في الدعوة {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ } (فصلت/34-34)، وتأكيدا لهذا المنهج ينهى الله المسلمين عن اتباع أساليب السفهاء ومجاراتهم في السب والتسفيه لمعتقدات الآخر : {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ } (الأنعام/108) [326]."

وأيضا اختيار الوسيلة الأفضل واستخدام جميع أدوات الاتصال الفعال لإيصال ما يراد إيصاله،

[324]- أنظر التحرير والتنوير، ص 371/1
[325]- في ظلال القرآن، ص 3348/6
[326]- ضوابط الحوار مع الآخر، د. سعد عاشور، ص 94، بتصرف يسير جدا

وفي الاتصال الفعال يجب تجنب جميع معوقات الاتصال، ويبينها فهد العثيمين بأنها : " جميع المؤثرات التي تمنع عملية تبادل المعلومات أو تعطيلها أو تأخر إرسالها أو تشوه معانيها أو تؤثر في كميتها، أي كل عائق يقلل من فاعلية الاتصالات أي لا يجعلها تحقق الغرض المطلوب منها بالدرجة المناسبة [327]، والتي من شأنها تعطيل عملية التواصل والتعامل مع الآخر في أي موضوع كان .

كما أن هذه الآية تبين لنا، أن عملية التواصل الفعال تحتاج إلى علم ومعرفة ومهارة في التعامل، وبهذا يتوجب على الإنسان تعلم هذا العلم ومعرفته، حتى يتسنى له التعامل والتواصل مع الناس دون اصطدام أو خلاف، قد يؤدي إلى نزاع وخصام ومشاجرة في بعض الأحيان [328]، ويقول عبد الله اليوسف: وما دام الاختلاف والتعدد أمرًا قائمًا في اللغات والشعوب، وفي المناهج والحضارات؛ فمن الطبيعي بعد ذلك أن يختلف البشر في التفكير والفكر، وفي الفلسفة والحكمة، وفي المدارس والمذاهب والتوجهات، وفي كل شؤون الحياة [329]. وهذا الاختلاف يتفاوت ويتباين بين الناس على مختلف مذاهبهم ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وعليه فإن الإسلام لا يسعى إلى إلغاء هذه الاختلافات ووضع جميع الناس في قالب إسلامي واحد ويرغمهم جبرا وقسوة على ذلك، متجاهلا اختلافاتهم ونموذج حياتهم، وهذا الاختلاف الذي يقره القرآن الكريم، يبينه في الآية الكريمة، لقوله تعالى: **{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ }** (هود: **118-119**)، إذن فالاختلاف هذا هو من سنن الله في هذا الكون الذي خلقه، ويعلم الأفضل والأصلح له، وأيضا ما قرره القرآن الكريم في حرية العقيدة والاختيار ، ومن هذا المنطلق التعامل مع هذا الاختلاف ضمن اللاخلاف، قال تعالى: **{فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ }** (**الكهف/29**) [330].

ومن خلال هذا الاحتكاك والتعامل مع الثقافات المتباينة الأخرى، سيظهر الاختلاف والفرق بين الحضارات والشعوب، إلا أن هذا الاختلاف لا يجب أن يتطور إلى خلاف، لأن الإسلام كفل حرية الفرد وحرية معتقده بقوله: **{فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ }** (**الكهف/29**)، وبهذا

327- فهد بن سعود العثيمين، الاتصالات الإدارية، دار يثرب للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – 1425 هـ ، ص 39

328- انظر: سحر الاتصال، محمد أحمد العطار، دار الهدى والنشر والتوزيع، الأسكندرية 2008، ط 2، ص 7

329- شرعية الاختلاف، ص 8

330- انظر: شرعية الاختلاف "دراسة تأصلية منهجية للرأي الآخر في الفكر الإسلامي"، عبدالله أحمد اليوسف، الطبعة الثانية 2004، ص 27- 28

التقرير يكون التعامل والتواصل مع الآخر من غير المسلمين رغم اختلافهم هو تقرير رباني أقر به عز وجل وكفله الإسلام لهم، وسوء الفهم والاستخدام لهذا التقرير يؤدي في نهاية المطاف إلى عدم فعالية التواصل وعدم الوصول إلى النتائج التي أرادها الله من عباده لتبين حقيقة هذا الدين والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة [331].

وأما قوله تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (القصص/51):

يقول الرازي: وتوصيل القول هو إتيان بيان بعد بيان ، وهو من وصل البعض بالبعض [332]، أي أتبعنا بعضه بعضا ، وبعثنا رسولا بعد رسول وقرأ الحسن {وَصَّلْنَا} مخففا وقال أبو عبيدة والأخفش : معنى {وصَّلْنَا} أتممنا كصلتك الشيء وقال ابن عيينه والسدي : بيّنا وقاله ابن عباس وقال مجاهد : فصلنا وكذلك كان يقرؤها. وقال ابن زيد: وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم في الآخرة في الدنيا وقال أهل المعاني : وَآلينا وتابعنا وأنزلنا القرآن تبع بعضه بعضا : وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ونصائح ومواعظ إرادة أن يتذكروا فيفلحوا وأصلها من وصل الحبال بعضها ببعض [333].

يقول تعالى ذكره: ولقد وصلنا يا محمد، لقومك من قريش ولليهود من بني إسرائيل القول بأخبار الماضين والنبأ عما أحللنا بهم من بأسنا، إذ كذّبوا رسلنا، وعما نحن فاعلون بمن اقتفى آثارهم، واحتذى في الكفر بالله، وتكذيب رسله مثالهم، ليتذكروا فيعتبروا ويتعظوا. وأصله من: وصل الحبال بعضها ببعض; ومنه قول الشاعر: فَقُلْ لِبَنِي مَرْوَانَ مَا بَالُ ذِمَّةٍ... وَحَبْلٍ ضَعِيفٍ مَا يَزَالُ يُوصَّلُ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، وإن اختلفت ألفاظهم ببيانهم عن تأويله، فقال بعضهم: معناه: بيّنا. وقال بعضهم: معناه: فصلنا [334].

ومن خلال هذه الآية نجد أن الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام– كانوا يحرصون على الاتصال ببني آدم أو بالمؤمنين ممن اتبعوهم، وكان الطغاة يخشون هذا الاتصال، ويعملون على الفتك به، إما بالتضييق على الأنبياء أو بعزل أتباعهم عن الرسل، أو بغير ذلك من الوسائل التي يتخذونها للصد عن سبيل الله [335].

---

[331]- انظر: المصدر السابق نفسه، ص 30-34
[332]- تفسير الرازي، ص 224/24
[333]- تفسير القرطبي، ص 295/13
[334]- تفسير الطبري، ص 593/15
[335]- انظر: (القيادة المؤثرة / جمال ماضي، ص107 – 110) بتصرف واختصار.

الفصل الرابع
تعريف التواصل في القرآن الكريم

هل هناك تعريف للتواصل في القرآن الكريم؟ لم أعثر على تعريف لذلك، ولكن سأحاول أن أستخلص تعريفا من خلال الشرح وماضرب من الأمثلة من القرآن الكريم على ذلك .

فمن خلال البسط والعرض السريع الذي قدمته، يمكن لي أن أستخلص منه التعريف التالي:
التواصل في القرآن: هو الصلة التي تربط العبد بربه والعباد بعضهم ببعض وبباقي المخلوقات، على أساس شرعي وليس وفقا للهوى، لأعمار الأرض إعمارا قائما على منهج التعاون والتكافل والتعامل المتبادل الذي يقوم على الحق والحرية والخير والإحسان.

كما يعرف القرآن الكريم التواصل بأنه العلاقة التي تتم بين الجماعات والمجتمعات للتعارف وتنفتح على بعضها البعض من خلال التواصل الذي يتم على أساس بناء العلاقات مع الآخر. قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** (الحجرات/13)

ويعرفه الدكتور قطب سانو:

بأنّ التواصل مع الآخر يراد به : جميع أشكال التفاعل والتعاون والتكامل الإيجابيّ البنّاء المنبثق عن الإحسان والرفق والرعاية والعناية بين المسلم . فردًا ومجتمعًا . والآخر . فردًا ومجتمعًا وذلك بغية الوصول إلى ما فيه مصلحة كلا الطرفين دينًا ودنيًا، وحالا ومآلا، وينتظم هذا التفاعل والتعاون الإيجابيّ جانب الفكر، والاجتماع، والسياسة، والاقتصاد، والثقافة، والتربية، كما تحكم هذا التفاعل جملة من الضوابط الفكرية والموضوعيّة والمنهجيَّة الراسخة والمستخلصة من ثنايا نصوص الكتاب الكريم والسنّة النبويّة الشريفة، وأما وسائل تحقيق هذا التفاعل والتعاون الإيجابيّ الشامل، فإنّها متعددة بتعدد مجالات التفاعل والتعاون، ومتجددة بتجدد الزمان والمكان والأوضاع [336]

[336] - د. قطب مصطفى سانو، في التواصل مع الآخر، مصدر سابق، ص 8

الفصل الخامس:

أنواع التواصل في القرآن الكريم

المبحث الأول: التواصل الروحي

لا شك أن الروح تجوع إلى التواصل مع خالقها مثل الجسد إلى مادته، ولقد علمنا أن التوازن الروحي لا يكتمل إلا بتقوية الإيمان، وهذه التقوية تحتاج إلى تواصل لفظي وفعلي مع الله سبحانه، وهنا يأتي دور الرمزية بتنوعيها اللفظي والحركي في إحداث ذلك التواصل والارتباط مع الخالق جل جلاله[337].

وينقسم هذا النوع من التواصل إلى قسمين، نستنبطهما من قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (الحج/77) واعبدوا الله بإقامة الصلاة كاملة ، وافعلوا الخير الذي أمركم بفعله من صِلة الأرحام ومكارم الاخلاق والاستقامة التامة[338]. ويقول سيد قطب: ويختم بفعل الخير عامة ، في التعامل مع الناس بعد التعامل مع الله بالصلاة والعبادة[339].

من خلال هذا البسط اليسير يتضح لنا أن الآية تنقسم إلى شقين: الأول يتعلق بالتعامل مع الله بالصلاة والعبادة، والثاني بالتعامل مع الناس في التزام حسن الخلق والمبادرة إلى فعل الخير في معاملة الناس، وعلى هذا اعتمدت على تقسيم التواصل الروحي إلى قسمين :

- القسم الأول: الصلة الروحية التعبدية بين الخلق وخالقهم
- القسم الثاني: صلة الاتصال الروحي بين البشر

القسم الأول:

الصلة الروحية التعبدية بين الخلق وخالقهم: هي ربط الإنسان بالإله الواحد الحق الذي تشير إليه الفطرة[340]: { فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ } (الروم/30)، وبهذا الأمر الرباني فإنما تجمع كل الناس بجميع مشاربهم ومعتقداتهم تحت هذه الصلة التي تصل العبد

337- ساند البرغوثي، روعة التوازن في الإسلام، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان – الأردن 2004، ص 151

338- تفسير القطان، ص 470/2

339- في ظلال القرآن، ص 2445/4

340- محسن آل عصفور، الشيخ يوسف آل عصفور ومنهجه العلمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2006، ص 17

بربه، سواء أقر بها أم لم يقر، لقوله تعالى: {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} (النمل/14)، أي جحدوا بالحق و بلا إله إلا الله، رغم أنه في قرارة أنفسهم يقرون بوجود الله وأنه خالقهم، لكن لكبرهم وظلمهم لإنفسهم، رفضوا الإعتراف في ذلك[341].

وهذا التواصل الروحي، إنما هو تواصل متبادل بين الخالق والمخلوق، قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } (البقرة/186) [342]، ولهذا التواصل طريقة وكيفية، حددها الله عز وجل لخلقه، أي أن تواصل العبد مع ربه يتم عن طريق العبادات والطاعات لقول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ} (الرعد/21)، وقد سبق أن بينت تفسير هذه الآية.

وقد بين العالم الياباني توشيهيكو إيزوتسو هذه العلاقة التواصلية بقوله: ويمكن تمييز طريقتيين مختلفتين لهذا التواصل: (1) النوع اللفظي، و (2) النوع غير اللفظي، إن النوع اللفظي من التواصل قد يتم من الأعلى إلى أدنى، وذلك هو "الوحي" بالمعنى التقني الضيق، أو من الأدنى إلى الأعلى، وهو الذي يتخذ شكل "الدعاء"

النوع غير اللفظي من التواصل هو إما من الأعلى إلى الأسفل، ويتمثل بالفعل الإلهي (تنزيل الآيات)، أو من الأسفل إلى الأعلى، ويتخذ شكل "الصلاة" أو الشعائر الدينة عموما [343].

القسم الثاني:

وأما القسم الثاني من هذا النوع، فهو ما يطلق عليه بالتواصل الروحي أو التخاطر الروحي[344]، ومصدر هذا المسمى الروح، لذا قبل الخوض في أي شيء، لابد لي من تبين الروح حتى لا يحصل

---

[341]- انظر: تفسير حقي، ص 406/20

[342]- انظر: تفسير زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة ، ص 562/2

[343]- توشيهيكو إيزوتسو، الله والإنسان في القرآن: علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم، ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت 2007، ص 131

[344]- انظر: الموسوعة الإلكترونية "ويكيبيديا" عنوان المقال: علم ما وراء النفس، تاريخ الإطلاع: 2012/5/15، أن الفيلسوف الألماني ماكس ديسوار عام 1889م أول من استخدم مصطلح البار اسيكولوجي "ما وراء علم النفس" ليشير من خلاله إلى الدراسة العلمية للإدراك فوق الحسي والتحريك النفسي "الروحي" والظواهر والقدرات الأخرى ذات الصلة، وتعدد التسميات حتى أصبح يطلق عليه في كثير من الأحيان

لبس من البداية في ذلك، " فالروح هي الطاقة المقدسة السامية التي لم يكتشف كنهها بعد:

{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } (الإسراء/85)،

وهذه الطاقة هي التي نفخها الله تعالى في جسد آدم الطيني بعد أن سواه فدبت الحياة فيه "[345]

{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ } (الحجر/29). " أي هو أمر عظيم وشأن كبير من أمر الله – تعالى – ، مبهما له وتاركا تفصيله ; ليعرف الإنسان على القطع عجزه عن علم حقيقة نفسه مع العلم بوجودها . وإذا كان الإنسان في معرفة نفسه هكذا كان بعجزه عن إدراك حقيقة الحق أولى . وحكمة ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له، دلالة على أنه عن إدراك خالقه أعجز" [346].

والروح : يطلق على الموجود الخفي المنتشر في سائر الجسد الإنساني الذي دلت عليه آثاره من الإدراك والتفكير ، وهو الذي يتقوم في الجسد الإنساني حين يكون جنيناً بعد أن يمضي على نزول النطفة في الرحم مائة وعشرون يوماً . وهذا الإطلاق هو الذي في قوله تعالى : (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي (ص/72) . وهذا يسمى أيضاً بالنفس كقوله: يا أيتها النفس المطمئنة (الفجر/27) [347].

ويقول فيليكس ايشباخر: الروح هي مستوى الوجود الروحاني. وهذا هو مجال الحدس والإلهام والإبداع والتبصر والكشف والحكمة ومعرفة الذات (أنا صرة الكون) والتمحور حول الجنس أو العرق (الإنسان هو صرة الكون) ونتولى المسؤولية عن تحقيق التطور، لأن التطور لا يحدث في مكان ما من الخارج بل نحن التطور. ولهذا المستوى أيضا حاجاته الروحية الخاصة: تحقيق الذات، ومغزى الحياة، والتعبير الخلاق عن الذات، ومساعدة الآخرين في توسيع وعيهم [348].

والتواصل الروحي أو التخاطر الروحي أو التخاطر عن بعد، كلها تصب في نفس المسمى، ويطلق عليها في اللاتينية: بـ **Telepathy** ، ويعرف بـ : هي مقدرة الإنسان على التواصل ونقل

"الساي"، وللباراسيكولجي موضوع يدرسه وهو القدرات فوق الحسية "الخارقة" كالتخاطر والتنبؤ والجلاء البصري والإستشفاء وتحريك الأشياء والتنويم الإيحائي "المغنطيسي" وخبرة الخروج من الجسد.... الخ.

[345]- محمد نور الدين، يسقط النقد الفردي، دار كتب عربية، القاهرة 2005، ص 100

[346]- تفسير القرطبي، ص 291/5، بيروت 1995

[347]- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس 1997 م، ص 195/15

[348]- الفراسة وقوة الحدس، ص 56

المعلومات من عقل إنسان لآخر، وتعتبر ظاهرة غريبة كغيرها مثل بعد النظر و الاستبصار و التقمص العاطفي يحاول العلماء التأكد من صحتها، وهي ظاهرة مثيرة للجدل ولا تلقى قبول لدى الكثيرين[349].

وفكرة التيليباثي تقوم في أساسها على الاعتقاد، بأن المخ خلال العملية الفكرية يطلق إشعاعات أو ذبذبات، هي في الحقيقة عبارة عن (الموجات الفكرية)، وقد شبه الكثير من العلماء هذه العملية بعملية إرسال واستقبال المكالمات الهاتفية. فالمخ يعتبر هنا جهاز الإرسال بينهما، تكون الصورة المتصورة أو المتخيلة في المخ رقم الهاتف المراد الاتصال به، بينما يكون الطرف الثالث في العملية هو المستقبل. وهذه العملية تسمى التخاطر. وهي تحدث كثيراً للعديد من الأشخاص. تكون في بعض حالاتك سارحاً في التفكير في شخص ما فيطرق عليك الباب أو يأتيك خبر عنه أويتصل هاتفياً عليك. كما أن الأحلام، هي واحدة من مصادر الموجات الفكرية في علم الباراسايكولوجي المعروفة، غير أن العلماء، لم يستطيعوا التوصل لقياس هذه الموجات الفكرية في حالة الأحلام[350].

والشاهد على ما قدمت قصة يا سارية، الجبل، الجبل: ترتبط هذه الحادثة أو القصة بشخصيتين من شخصيات المسلمين الأوائل وهما:

1- أمير المؤمنين عمر بن الخطاب العدوي القرشي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وسراج أهل الجنة.

2- سارية بن زُنَيم بن عبدالله الدؤلي، أحد فرسان الإسلام، وقائد جيوش المسلمين في فتوحات فارس سنة 23هـ.

وملخص الحادثة: كما رواها أسلم ويعقوب ونافع مولى ابن عمر:

أن سارية بن زنيم، كان يقاتل المشركين على أبواب نهاوند في بلاد الفرس، وقد كثرت عليه الأعداء، و في نفس اليوم كان عمر بن الخطاب يخطب يوم الجمعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة، فإذا بعمر رضي الله عنه ينادي بأعلى صوته في أثناء خطبته: ياسارية

---

[349]- التخاطر، تاريخ الإطلاع 2009/7/3، موقع الموسوعة الحرة، تحت عنوان: التيليباثي http://ar.wikipedia.org/

[350]- مقال بعنوان: ما هو التيليباثي، تاريخ المقال: 13-07-2009، تاريخ الإطلاع: 3-10-2010، http://forum.borg8.com/t80644.html

الجبل، ياسارية الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم.

فالتفت الناس وقالوا لعمر بن الخطاب: ماهذا الكلام ؟! فقال: والله ماألقيت له بالاً، شيء أُتي به على لساني.

ثم قالوا لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ــوكان حاضراً ــ: ماهذا الذي يقوله أمير المؤمنين؟ وأين سارية منّا الآن ؟!

فقال: ويحكم! دعوا عمر فإنه مادخل في أمر إلا خرج منه.

ثم ما لبث أن تبين الحال فيما بعد: حيث قدم سارية على عمر رضي الله عنه في المدينة فقال: ياأمير المؤمنين كنا محاصري العدو، وكنا نقيم الأيام، لايخرج علينا منهم أحد، نحن في منخفض من الأرض وهم في حصن عال (جبل) فسمعت صائحاً ينادي: ياسارية بن زنيم الجبل، فعلوتُ بأصحابي الجبل، فما كانت إلا ساعة حتى فتح الله علينا [351].

وأما الشاهد الثاني، في تخاطر الفكرة الواحدة بين عدد من الأشخاص في آن واحد، هو قصة الأذان وليلية القدر، وهذا يسمى بتواطأ الرؤيا، حيث رأى عدد من الصحابة، فيما قيل عشرة والبعض قال أربعين، رأوا نفس الرؤيا في أمر ليلية القدر والحديث كالآتي: عن ابن عمر رضي الله عنهما : « **أن رجالاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر**« متفق عليه [352].

ومن الشائع ما يندرج تحت التواصل الروحي: "**الجن والسحر والشعوذة والعرافة ... الخ**"، وهو من التواصل المنهي عنه.

وهذا النوع من التواصل الروحي، يكون بالتواصل مع الجن والشياطين وغيرها، و هو محرم في دين الإسلام ولا يجوز التعاطي والتعامل فيه، حيث وصف القرآن الكريم السحر بالكفر، و ذلك في قوله تعالى: **{وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا**

---

[351]- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - ابن الجوزي ص 173

[352]- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، ص 723

هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ } (البقرة/102) [353].

ويقول ابن عاشور: والسحر وما يتضمنه من شعوذة وعرافة وغيرها، إنما هو وهم وتغرير وإرهاب، ويبين ذلك الأصول الثلاثة للسحر:

الأول : زجر النفوس بمقدمات توهيمية وإرهابية بما يعتاده الساحر من التأثير النفساني في نفسه ومن الضعف في نفس المسحور ومن سوابقَ شاهدَها المسحور واعتقدها فإذا توجه إليه الساحر سُخر له وإلى هذا الأصل الإشارة بقوله تعالى في ذكر سحرة فرعون (**سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ** (الأعراف : 116) .

الثاني : استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من الحيوان والمعدن وهذا يرجع إلى خصائص طبيعية كخاصية الزئبق ومن ذلك العقاقير المؤثرة في العقول صلاحاً أو فساداً والمفترة للعزائم والمخدرات والمرقدات على تفاوت تأثيرها ، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى في سحرة فرعون : (**إنَّما صنعوا كيدُ ساحر** ((طه : 69) .

الثالث : الشعوذة واستخدام خفايا الحركة والسرعة والتموج حتى يخيل الجماد متحركاً وإليه الإشارة بقوله تعالى : (**يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى** ((طه : 66) . هذه أصول السحر بالاستقراء وقد قسمها الفخر في (التفسير) إلى ثمانية أقسام لا تَعْدُو هذه الأصول الثلاثة وفي بعضها تداخل. ولعلماء الأفرنج تقسيم آخر ليس فيه كبير جدوى [354].

وورد في التوراة النهي عن السحر فهو معدود من خصال الشرك وقد وصفت التوراة به أهل الأصنام فقد جاء في سفر التثنية في الإصحاح 18 (إذا دخلتَ الأرض التي يعطيك الرب إلاهُك لا تتعلمْ أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم لا يوجد فيك من يَزج ابنَه أو ابنته في النار ولا مَن يَعْرُف عِرَافَة ولا عائف ولا متفائل ولا ساحر ولا من يَرقي رقية ولا من يسأل جاناً أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب) .

---

[353]- انظر: تفسير القرطبي، ص 42/2 - 44

[354]- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس 1997 م، ص 633/1

وفي سفر اللاويين الإصحاح 20 ((6) والنفس التي تلتفت إلى الجان وإلى التوابع لتزني وراءهم أَجْعل وجهي ضد تلك النفس وأَقطعُها من شعبها (27) وإذا كان في رجل أو امرأة جانٌّ أو تابعة فإنه يُقتل بالحجارة يرجمونه دمُه عليه)[355].

وأما من بعض ما ورد في الحديث عن تحريم هذا الأمر:

عن أبي هريرة قال : « **قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم : – من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه فيما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد – صلى الله عليه وآله وسلم** » [356].

المبحث الثاني:
التواصل الذاتي

الذات:

إن ذلك البرج في ذروة هرم حياتك هو ما يطلق عليه تعبير "الأنا" الخاصة بك، إنها شخصيتك التي بُنيت وتغيرت وتشكلت وتأثرت بالبيئة المحيطة في كل لحظة وكل يوم وكل سنة من سنوات حياتك. وأما ما رأيته في داخل تلك "الأنا" فيتخطى حدود شخصيتك، إنه جوهرك العميق الذي يربطك مع محيطك ومن فيه من أناس آخرين ومع كل الكون بطريقة فريدة خاصة بك وحدك، وهذا ما يطلق عليه علماء النفس كلمة "الذات" [357].

من المهم جدا لتطورنا الشخصي والعام أن نتعلم الشعور بشعور الآخرين، وأن نخلق شعورا مشتركا. ومن يريد أن يتعرف على نفسه، عليه أن يتجاوز نفسه وأن يتجاوز حدود الأنا الضيقة التي تعيق التطور الروحي. فعملية تطوير الذات تعني على المستوى العقلي، توجيه كامل القوة وكامل التركيز نحو إدراك أي نوع من النجاحات يريد المرء أن يحققه من صميم قلبه [358].

---

[355]- المصدر السابق ص 632/1

[356]- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990، ص 8/1

[357]- بسط حياتك، ص 361

[358]- الفراسة وقوة الحدس، ص 47

وقد ذكر التواصل الذاتي في القرآن الكريم في قوله تعالى: **{وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ}** (**البقرة/284**) قال ابن عباس: إن هذه الآية حين أنزلت غَمَّت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غمًّا شديدًا وقالوا: يا رسول الله، هلكنا! فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: قولوا:"سمعنا وأطعنا"، فنسختها:(آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ) إلى قوله: (وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) فَتُجُوِّز لهم منْ حديث النفس، وأخِذوا بالأعمال[359].

وقال تعالى أيضا: **{وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ}** (**ق/16**) قال القرطبي: والوسوسة حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي [360].

ومن المشاهد القرآنية في " تواصل الذات، قصة صاحب الجنتين، في هذه القصة نرى الرجل يقف من جنتيه موقف الزهو والغرور، والاعتزاز بهذا الوفر الكثير، الذي بين يديه ... وهو ظالم لنفسه (...) فهو حين يدخل جنتيه بهذه الأحاسيس التي تعيش معه، وتملك على تفكيره يقول مناجيا نفسه : **{مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَداً}** (**الكهف/35**)، وقال تعالى أيضا: **{وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنقَلَباً}** (**الكهف/36**) [361] " وهو حديث مع النفس.

وكما أخبر الله تعالى عن سيدنا يوسف عليه السلام، بقوله: **{فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمْ بِمَا تَصِفُونَ}** (**يوسف/77**) [362]

ومن المشاهد التي وردت في قصة يوسف أيضا، قوله تعالى:

{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ} (**يوسف/24**) وقال آخرون منهم: بل قد همّت المرأة بيوسف، وهم يوسف بالمرأة ، غير أن همَّهما كان تمييلا منهما بين الفعل والترك، لا عزمًا ولا إرادة. قالوا: ولا حرج في حديث النفس، ولا في ذكر القلب، إذا لم يكن معهما عزمٌ ولا فعلٌ [363]. وقال ابن كثير: وقال بعضهم: المراد بهمه بها هَمّ خطَرات حديث النفس [364].

359_ تفسير الطبري، ص 108/6

360_ تفسير القرطبي، ص 8/17

361_ أنظر: القصص القرآني: عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت 1975، ط2، ص 212-211

362_ أنظر: قصص الأنبياء، لابن كثير، ص 343/1

363_ تفسير الطبري، ص 39/16

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: إذا هَمّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها، وإن هم بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإنما تركها من جَرّائي، فإن عملها فاكتبوها بمثلها" [365]

كذلك من المشاهد القرآنية التي وردت، قوله تعالى: { وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا } (الإسراء/74)

يقول تعالى ذكره: ولولا أن ثبّتناك يا محمد بعصمتنا إياك عما دعاك إليه هؤلاء المشركون من الفتنة (لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا) يقول: لقد كدت تميل إليهم وتطمئنّ شيئا قليلا وذلك ما كان صلى الله عليه وسلم همّ به من أن يفعل بعض الذي كانوا سألوه فعله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر حين نزلت هذه الآية، ما حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، عن قتادة، في قوله (وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكلني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عَيْنٍ [366]. وقال البغوي في ذلك : قيل: كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد غفر الله عز وجل عن حديث النفس [367].

ومن هنا يتضح لنا أن حديث النفس هو تواصل الذات، يقول محمد الأمين موسى: والإتصال يتم بين الفرد وذاته ... [368]، والقرآن الكريم يرشدنا للتعرف على هذا النوع من التواصل، من خلال قوله تعالى: {وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ } (البقرة/284) وقوله تعالى: {وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (الذاريات/21)، فيبدأ الإنسان بالتواصل مع ذاته، للتعرف على قدراته، واكتشاف إمكانياته، وبهذا التواصل يبدأ الإنسان باكتشاف ضعفه وقوته، فيعمل على تقوية ما هو ضعيف فيه، ويزيد من كفاءة ما هو جيد فيه، فتبدأ عملية التطوير الذاتي، من خلال التواصل مع العقل الباطني [369]، الذي يهيء للإنسان أن يغوص في أعماق ذاته

364- تفسير ابن كثير، ص 381/4

365- وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة، هذا منها. صحيح البخاري برقم (7501) وصحيح مسلم برقم (205).

366- تفسير الطبري، ص 508/17

367- تفسير البغوي، ص 112/5

368- محمد الأمين موسى، في رحاب الصحافة، الرباط 1998، ص 9

369- أنظر: القوة في يدك (كيف تنمي ذكاءك العاطفي)، للدكتور ياسر عبدالكريم بكار، مكتبة العبيكان، الرياض 2008، ص 19-20 بتصرف

باحثا و مستكشفا الكامن فيه من قدرات وملكات[370]، وهذا الاستكشاف والتبصر والتفكر في الذات، هو أمر مطلوب، حث عليه القرآن الكريم في قوله تعالى **{وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }** (الذاريات/21) .

واكتشاف الذات: The Exploration of the Self، يقصد بها أن يعرف الإنسان ذاته. وتعد تجربة كارل روجرز والتي بين فيها صورة الذات من خلال:

1- أن كل فرد يعيش تجربته الخاصة به حيث تكون الذات هي مركز العالم .

2- أن الفرد يتعامل مع المواقف التي تقف مع إدراكه لذاته وعالمه الخاص به .

3- أن الدافع الأساسي للفرد هو المحافظة على الذات وتحقيقها وتنميتها [371].

وعندما نذكر التواصل مع الذات، و الغوص في العقل الباطن، لابد لنا من ضبط هذا التواصل وعدم الانجراف خلف هذه القوة الهائلة الكامنة في العقل الباطني، دون ضبط وقيد[372]، وهذا الضبط يتم بإشراك الوعي الذي هو مناط التكليف الشرعي ويكون ضمن حدود الشرع[373]، فلا يفلت العنان لنفسه حتى يُهلكَ غيره ويهلك هو، إنما يقف عند الحدود التي تفرق بين الإبداع والابتداع المنهي عنه، والذي يبين ذلك ويفصله ويقويه ما ذكره الرازي في تفسيره، فقال: وروي عن عثمان بن مظعون : أنه أتى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال : غلبني حديث النفس ، عزمت على أن أختصي ، فقال : « مهلاً يا عثمان إن خصاء أمتي الصيام » قال : فإن نفسي تحدثني بالترهب . قال : « إن ترهب أمتي القعود في المساجد لانتظار الصلاة فقال : تحدثني نفسي بالسياحة » فقال : « سياحة أمتي الغزو والحج والعمرة » فقال : إن نفسي تحدثني أن أخرج مما أملك ، فقال : « الأولى أن تكفي نفسك وعيالك وأن ترحم اليتيم والمسكين فتعطيه أفضل من ذلك » فقال : إن نفسي تحدثني أن أطلق خولة فقال : « إن الهجرة في أمتي هجرة ما حرم الله » قال : فإن نفسي تحدثني أن لا أغشاها . قال : « إن المسلم إذا غشى أهله أو ما

370- أنظر: قوة عقلك الباطن، جوزيف ميرفي، ص 2

371- محمد حسن غانم، مدخل تمهيدي في علم النفس العام، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، مصر - 2008، ص 84

372- بيترو كيمل، نشط حياتك، تعريب محمد جديد، مكتبة العبيكان، الرياض 2004، ط1، ص 105-106، بتصرف مختصر جدا

373- أنظر: رسالة العقائد، حسن البنا، باب تقدير الإسلام للعقل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة 2006، ص 5

ملكت يمينه فإن لم يصب من وقعته تلك ولداً كان له وصيف في الجنة وإذا كان له ولد مات قبله أو بعده كان له قرة عين وفرح يوم القيامة وإن مات قبل أن يبلغ الحنث كان له شفيعاً ورحمة يوم القيامة » قال : فإن نفسي تحدثني أن لا آكل اللحم قال : « مهلاً إني آكل اللحم إذا وجدته ولو سألت الله أن يطعمنيه كل يوم فعله » قال : فإن نفسي تحدثني أن لا أمس الطيب . قال : « مهلاً فإن جبريل أمرني بالطيب غباً وقال لا تتركه يوم الجمعة » ثم قال : « يا عثمان لا ترغب عن سنتي فإن من رغب عن سنتي ومات قبل أن يتوب صرفت الملائكة وجهه عن حوضي »[374]

وقيل في الحديث: لكل شيء نفس، ونفس النفس الهوى[375]، قال تعالى: **{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (القصص/50)**، حتى أن القرآن الكريم وصف الهوى في موطن آخر بالإله، لأنه متى أصبح الإنسان تابعا لعقله الباطني، الذي هو في الأصل لا يفرق بين الخطأ والصواب[376]، وإنما الذي يفرق هو العقل أي الدماغ، فكان بهذا الاتباع للعقل الباطني، كالإله الذي يشرع له نمط حياته وتفكيره[377]، فقال تعالى واصفا هذا النوع بقوله: **{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً } (الفرقان/43)** .

وبما أن التواصل الذاتي يعتبر العنصر الأول في عملية التواصل مع الآخرين، كما أسلفت سابقا، لذا توجب على الإنسان أن يتواصل أولا مع ذاته فيتعرف عليها فيطور فيها ما يحتاج تطورا ويراجعها فيما يحتاج مراجعة، وذلك في:

- السلوكيات
- الفكر

القسم الأول: السلوكيات:

" إن الاعتقاد في وحدانية الله سبحانه له آثار عظيمة على سلوك الإنسان في مراقبة الله وخشيته،

374_ تفسير الرازي، ص 52/14

375_ محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو 320هـ)، أدب النفس، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عبد الرحيم السَّايح، الدار المصرية اللبنانية، مصر، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م، ص 115

376_ العقل الباطن لا يميز بين الخطأ والصواب، أنظر: نشط حياتك، ص 107

377_ أنظر تفسير القرطبي، ص 166/16-167

واليقين بأنه هو الرازق الخالق المحيي المميت يجعل المسلم واثقا بالله تعالى معتصما به في جميع أحواله منفذا لأوامره ومجتنبا لنواهيه، والصلاة والزكاة والصوم والحج وغير ذلك من العبادات مليئة بالمعاني والدلائل الأخلاقية. وفي ذلك رد بليغ على من يحاول فصل الدين عن الأخلاق، لأن ممارسة الشعائر الدينية وأداءها على الوجه الأكمل يجعل المرء أقرب إلى الصلاح والرشاد وأبعد عن الفساد وسوء الأخلاق" [378].

كما أن شخصية المسلم تندمج في خطين رئيسين معا ليوجها سلوكه وتحقيق إنسانيته وهما: العقيدة والشريعة. والنفوس الثلاث للإنسان (الأمارة، اللوامة، والمطمئنة) التي تقوم بُنية الشخصية عليها، وأن الشخصية السواء هي الشخصية الممثلة في منهج النفس المطمئنة. كما أن سلوك الإنسان يقوم على أساس من دوافع تحرك هذا السلوك، فالإنسان له مطلب فطري، وكل ما تذكره النظريات الأخرى من دوافع إنما تكون دوافع تقع أو مضمنه تحت الدافع الأساس وهو المطلب الفطري، وأن مطلب الحياة الأساس هو واجب العبادة، ولتحقيق اتباع هذه الحاجات لا بد من توافر ثلاثة شروط:

- أن تكون الحاجة محققة لعبادة الله وحده وعمارة الأرض .
- أن يكون اشباعها في حدود ما أمر الله به ونهى عنه .
- أن يلتز القصد والإعتدال (التوسط) في إشباع هذه الحاجات .

فالإسلام لا يحرم على الإنسان دوافعه ولا ينكر عليه حاجاته ولكنه يلزمه بضوابط لها [379].

فالمسلم يقدر الأمر على حسب فائدته أو ضرره للمنظومة الاجتماعية التي هو جزء منها . والمسلم يبقى دائما جزءا من الأمة ومن جماعته (وهنا يتناقض علم الإنسان الإسلامي مع علم الإنسان الغربي كلية) . فالمجتمع المسلم وسلوك أفراده أمر واضح الحدود والأهداف، ورسالة الإنسان المسلم تنحصر في تطويع المجتمع لأحكام الله سبحانه وتعالى [380].

---

[378]- عبد العزيز سيد هاشم العزولي، ابن الجوزي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى – 1420هـ/2000م، ص 299

[379]- الإسلام وعلم النفس، ص 302، بتصرف يسير

[380]- المصدر السابق، ص 32

والكلمة أولا وآخرا لتلكم الأخلاق الكريمة التي تحمل أصحابها على أن يحسنوا التعامل مع الآخرين، ويكونوا قدوة طيبة في سلوكهم، وأن يضعوا الأمور مواضعها، ويتحملوا تبعات البناء التي من مقتضياتها تنمية القدرة الذاتية للأمة بصبر وثبات [381].

والتعامل بهذه السلوكيات مع جميع الناس على مختلف معتقداتهم وتفكيرهم في الشرق والغرب قال تعالى: { **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ** } (البقرة/83).

إن السلوك اليومي للفرد المسلم يجب أن يكون مترجما لأخلاقيات وسلوكيات الدين الإسلامي. فإن التزمت بها الجماعة فعلى الفرد المسلم أن يلازمها، وإن لم تلتزم بها فعليه أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويساعر في الخيرات ما استطاع. فإنما عليه البلاغ وعلى الله الحساب، وما من عذر له قط بالخروج عن الشرع البين باسم الجماعة أو غيرها [382].

وهذا يدعو الفرد إلى تقويم نفسه ومحاسبة ذاته . فهو البصير بنفسه ودوافعه وسلوكه وتصرفاته، والعارف بميوله ومشاعره واتجاهاته . وهو المدقق والمحاسب الأول لذاته في كل ما يمارسه، وقد أجمل القرآن الكريم ، بإعجازه ، كل ذلك في آية: { **بَلِ الْإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** } (**القيامة/14**)، وفي آية أخرى { **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ** } (**المدثر/38**)، وقد رأى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم أن من أهم مجالات تفوق الإنسان وتميزه قدرته على أن يدين نفسه عند الحيد عن الحق والصواب : " **الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت**" [383]
وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: " ما هلك امرؤ عرف قدر نفسه " وجاء في المأثور من القول: " **لا يكون العبد تقيا حتى يحاسب نفسه**" [384].

القسم الثاني: الفكر:
وكما أسلفت سابقا: أن من واجب تواصل الإنسان مع ذاته التعرف عليها أولا فيطور فيها ما

---

[381]- محمد أديب الصالح، المسلم والبناء الحضاري: الوجود الذاتي وعمارة الأرض، مكتبة العبيكان، الرياض- 1428هـ/2007م ، ص 228
[382]- الإسلام وعلم النفس، ص 316
[383]- خليل محمد الحاج، التقويم الذاتي في التربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2006، ص 14
[384]- المصدر السابق، نفس الصفحة

يحتاج تطورا ويراجعها فيما يحتاج مراجعة، ومن ذلك تطور الفكر، حتى يشمل التعامل مع الآخرين.

وذلك بأن يكون سعة الأفق العقلي تجاه الآراء المعارضة والنظريات المضادة بالتفنيد العلمي والمنطقي والمعلومة مقابل المعلومة، يقول فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن حبنكة الميداني: فلا بد من الاعتماد على الأدلة البرهانية التي تقوم على الحقائق التي تدركها العقول السليمة وتذعن لها القلوب المستعدة للاعتراف بالحق، وهي القلوب التي لم تطمس بصيرتها الأهواء والشهوات، ونوازغ الجحود والإنكار، وعوامل الاستعلاء والاستكبار، فعلى المحاور الناجح أن يبحث عن الأدلة البرهانية والحجج الصحيحة التي هي حقائق في ذاتها، ثم يستدل بها لإقناع من يدعوه إلى دين الله عز وجل، وعليه أن يختار منها ما يلائم مدارك من يدعوه، ومستواه العلمي وحالته النفسية. فإذا احتاج إلى تبسيط الأدلة وتيسيرها، بسطها له ويسرها، وتسلسل معه فيها وفق النظام العقلي الذي فطر الله عقول الناس عليه . وإذا رأى أن لدى فكر من يدعوه أغشية لا تسمح له برؤية الحقيقة حاول إزالتها برفق، حتى تتجلى بصيرة فكره. وإذا وجد لديه مسلمات الحجج الصحيحة التي يقبلها. وبعد أن يزلزل اعتقاده بمسلماته يقدم له الأدلة الدامغة التي تنتهي مراحلها بإثبات القضية التي يريد أن يدعوه إليها فلا يجوز للمحاور أن يحتج بأدلة خرافية أو واهية لإثبات القضية التي يدعو إليها [385].

وكذلك طرح الفكرة على حقيقتها، وهذا هو أسلوب القرآن الكريم في التعامل مع الآراء المعارضة، يقول عبد الله اليوسف : لقد حاور القرآن الحكيم كل المخالفين لرسالات الله والمتنكرين لوجوده تعالى، فينقل آراءهم بأمانة، وإن كانت تشتمل على أفكار باطلة أو عبارات بذيئة ثم يناقشها بموضوعية ووضوح ويردها بالأدلة والبراهين [386] : **{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...}** فجاء القرآن الكريم بالتعاطي مع هذا الأمر بطريقة المعلومة مقابل المعلومة بالحكمة و العلم والإقناع : **{قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }** (المائدة/17)،

---

[385]- الحوار في القرآن الكريم، لمعن ضمرة، ص 119

[386]- شرعية الاختلاف، ص 53

وفي إبطال حجة الخصم الضال، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (البقرة/258) ، فالنمرود مثلا ادعى الربوبية لنفسه وأقام على ذلك دليلا في زعمه فقتل رجلا وترك آخر وقال: أنا أحي وأميت: أي وكل من يحي ويميت فهو الرب ينتج له على زعمه الفاسد . أنا الرب . فأبطل إبراهيم هذه الدعوى الباطلة التي هي كفر بواح بدليل مقتضاه أنت عاجز عن الإتيان بالشمس من المغرب وكل عاجز عن ذلك فليس برب ينتج أنت لست برب . فعارض دليله بدليل صحيح أنتج نقيض دعواه فصح بطلانها بإثبات نقيضها [387].

ومن سعة الفكر الإلمام بكل جوانب المسألة المطروحة، يقول البناني: والمناظرة أنه إذا قام الدليل القاطع على نقيض الدعوى تحقق بطلان تلك الدعوى بسبب ثبوت نقيضها لاستحالة اجتماع النقيضين ووجه صحة الربط بين المقدم والتالي في قوله: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (الأنبياء/22) أوضحه تعالى بقوله: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ } (المؤمنون/91) وأشار له بقوله تعالى: {قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً }
(الإسراء/42) [388]

وهذا كله يكون قائما على العلم والمعرفة والثقافة التي يحث عليها القرآن الكريم في كل آياته مثل أفلا تعقلون .. تدبرون .. تبصرون، فالعلم والمعرفة جزاءان لا ينفصلان عن التواصل الذاتي وطلب المزيد من العلم والمعرفة : {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً } (طه/114) .

---

[387]- آداب البحث والمناظرة، الشنقيطي، ص 97-98
[388]- المصدر السابق، ص 100

المبحث الثالث:

التواصل الإنساني

يبدأ هذا النوع من التواصل بمعرفة غاية الوجود الإنساني: بمعنى أن يستشعر الإنسان الغاية المثالية لوجوده ويتعرف على الوجهة الأساسية لمسيرته في الحياة وأن لحياته قيمة ومعنى وهدفا ولعيشه طعما ومذاقا وأنه ليس كائنا فاقد القيمة الاعتبارية في الوجود أو أنه قد خلق عبثا يعيش حياة عشوائية لا أساس لنظمها ولا قرار لها [389].

وقضى الله عز وجل أن تكون عمارة الأرض ملقاه على عاتق الإنسان، حيث كلفه الله بهذه المهمة، إلا أن هذا الإعمار يقتضي بعض الأولويات للبقاء على هذه الأرض من خلال مقومات الحياة الأساسية، حيث الاستفادة من الموارد الطبيعية دون اضرار أو احتكار أو سوء استغلال، وهذا كله يحصل من خلال التكافل الإنساني ضمن حتمية التواصل في تبادل المنافع والاحتياجات[390]، ولذلك نرى أن كل إنسان مُيَسّر لما خلق له بأمر الله[391]، فقد نرى المزارع يعمل بجد وكد وظروف عمل قاسية حتى يوفر ما يحتاجه الإنسان من محاصيل، كذا نرى الخباز يعمل بقرب نار الفرن رغم الحرارة الشديدة في حر الصيف، ومع ذلك يحتاج فعله الغني والفقير الغفير والأمير، كما ترى الطبيب يعمل ليلا ونهارا ويسهر على حالة المريض دون كلل أو ملل وبنفس راضية، وهكذا...

فلذلك لا يمكن لإنسان مهما كانت سلطته أو مكانته أو جاهه، أن يعيش بمفرده منعزلا عن الآخرين دون حاجتهم أو التعامل معهم، قال الراغب : إنه لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لو عددنا تعب تحصيلها من زرع وطحن وخبز وصناع آلاتها لصعب حصره فلذلك قيل الإنسان مدني بالطبع ولا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم لبعض في مصالح الدارين[392].

---

[389]- محسن آل عصفور، الشيخ يوسف آل عصفور ومنهجه العلمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2006، ص 18

[390]- أنظر: دراسة حول الشباب وحوار الحضارات، منصور الرفاعي محمد عبيد، مركز الكتاب للنشر، القاهرة 2004، ص 37-38، بتصرف

[391]- تفسير الطبري، ص 475/24

[392]- محمد عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، دار الكتب العلمية، بيروت 1994، ص 328/6

والمنظومة الإسلامية في التواصل الإنساني أقامت هذه القاعدة على نطاق واسع، وشمولية في التعامل والتكافل الإنساني في جميع جوانب الحياة، والتعامل البشري على جميع مستوياته وألوانه دون تميز أو فرق في اللون واللسان والمعتقد، والأصل في التجمعات البشرية أن تعيش الوحدة المشتركة على الأقل فيما لا يستغنى به عن غيره[393]، حيث قال تعالى في كتابه العزيز: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** (الحجرات/13)

ومن خلال هذا التعارف والتبادل للمنافع والاحتياجات ينتج التعامل والاحتكاك والاختلاط والانفتاح، الذي هو ضد العزلة والانعزال بالجملة والتفصيل، ومن خلال هذا الاختلاط تكونت المجتمعات والأمم والشعوب والقبائل، وتباينت ثقافاتها ومفاهيمها وقوانينها التي تنظم التعاملات فيما بين أفرادها، ومن جراء هذا التباين والموروث الثقافي من المعتقدات والأفكار ولدت خلافات ونزعات وصلت للحروب في كثير من الأحيان، وناتج ذلك لعدم تقبل الآخر بكل المقاييس، فالتقرير القرآني جعل منهجا متكاملا لتفادي هذه الخلافات والاختلافات التي تؤدي إلى تصادم فكري أو ثقافي أو حتى نزعات مسلحة، فهو رسالة إنسانية عالمية، التسامح سمة من سماتها الخالدة فهي لا تحكم بالإعدام على الشرائع الأخرى، والحوار هو البديل، وإقرار الإسلام بتعدد العقائد في مجتمع المسلمين، إقرار بمشيئة الله[394]: **{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ }** (هود/118)، وهذا التقرير القرآني المنفتح على كل المعتقدات ولأنه رسالة عالمية يتمثل بالآتي[395]:

- الدعوة إلى الحوار، قال تعالى: **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ }** (آل عمران/64)

---

[393]- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح في الفكر الإسلامي المعاصر: رؤية معرفية ومنهجية، تحرير فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 2011، ص 86

[394]- شوقي أبو خليل، أطلس السيرة النبوية، دار الفكر، دمشق 2002، ص 12

[395]- قطب مصطفى سانو، في التواصل مع الآخر: معالم وضوابط ووسائل، ورقة مقدمة إلى المؤتمر السنوي الثاني: نحن والآخر المقرر انعقاده ما بين 6-8 صفر لعام 1427هـ الموافق 6-8 مارس لعام 2006م بدولة الكويت

- التواصل بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى: {ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } (النحل/125)
- تقرير القرآن الكريم بالاختلاف، لقوله تعالى: { إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا } (الحجرات/13)
- إقرار القرآن الكريم بمبدأ حرية الاعتقاد، لقوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ } (البقرة/256)
- أما السلم ونبذ العدوان فهو الأصل في العلاقة بين الشعوب، وهذا ما أقره القرآن الكريم، بقوله تعالى: {وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ } (البقرة/190)

إنّ الإسلام بحسبانه رسالة عالميّة شاملة، وبوصفه رسوله الكريم الرحمة المهداة للعالمين، فإنه يسع الكون ومن فيه وما فيه من إنسٍ وجنٍ وحيوانٍ ونباتٍ، وجبالٍ وبحارٍ وأنهارٍ بتعاليمه المرنة السمحة العادلة، كما أنه ارتقى بتشريعاته بالإنسان من الفرديّة إلى الجماعيّة، ومن الانغلاق إلى الانفتاح، ومن التعصب إلى التسامح، ومن التعسير إلى التيسير، ومن التشديد إلى التسهيل، وتجاوز بفكر الإنسان ورسالته في الحياة من القومية إلى الأمميّة، ومن الإقليميّة إلى العالميّة، ومن الانسحابيّة إلى الإقداميّة، ومن الانكفاء حول الذات إلى الانفتاح على الآخر. بل إنّ الإسلام بتعاليمه السمحة الخالدة تجاوز بفكرة التواصل بين المسلم وغيره فردًا أو جماعةً من التواصل الشكليّ المحدود إلى التواصل الفكري الموضوعيّ الواسع الشامل، ومن التكامل النظري مع الآخر إلى التكامل الحقيقيّ، ومن التفاعل السلبيّ إلى التفاعل الإيجابيّ الرشيد[396].

[396]ـ قطب مصطفى سانو، في التواصل مع الآخر: معالم وضوابط ووسائل، ورقة مقدمة إلى المؤتمر السنوي الثاني: نحن والآخر المقرر انعقاده ما بين 6-8 صفر لعام 1427هـ الموافق 6-8 مارس لعام 2006م بدولة الكويت

المبحث الرابع: التواصل الاجتماعي.

وينقسم لقسمين:

- القسم الأول: التواصل المنهي عنه
- القسم الثاني: تواصل النكاح

تعتبر العلاقات العامة ظاهرة اجتماعية امتدت جذورها منذ أن وجد الإنسان على هذه الأرض. ومما لاشك فيه أن التجمعات البشرية أينما وجدت نشأت بينها العلاقات والاتصالات والمعاملات حتى تستطيع هذه المجتمعات أن تواجه متطلبات الحياة [397].

والتواصل الاجتماعي هو : (أن يتضامن أبناء المجتمع ويتساندوا فيما بينهم سواء أكانوا أفرادا أو جماعات، حكاما أو محكومين على اتخاذ مواقف إيجابيةٍ كرعاية اليتيم .. أو سلبية كتحريم الاحتكار .. بدافع من شعور وجداني عميق ينبع من أصل العقيدة الإسلامية، ليعيش الفرد في كفالة الجماعة، وتعيش الجماعة بمؤازرة الفرد، حيث يتعاون الجميع ويتضامنون لإيجاد المجتمع الأفضل ودفع الضرر عن أفراده) وهذا المعنى هو ما يقرره صريح قوله تعالى: **{وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ }** (المائدة/2) [398].

وهذا النوع من التواصل الذي انبنى على المنظومة الاجتماعية والأخلاقية في الإسلام، أرست أول قواعده على أساس التعاون والتكافل الإجتماعي الذي به تقوى أسس المجتمع المتماسك، كما وصفه النبي صلى الله عليه وسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا[399]، والذي يحث على تعاون أفراد المجتمع والوقوف مع بعضهم البعض في أمور الشدائد والمصائب والشر والمحن، يقول ابن العثيمين رحمه الله: أي: أنهم يشتركون في الآمال والآلام، فيرحم بعضهم بعضا، فإذا احتاج، أزال حاجته، ويعطف بعضهم على بعض باللين وغير ذلك...[400]، حيث أن الخير وحده الذي يؤدي إلى

---

[397]- محي محمود حسن وآخرون، العلاقات العامة والإعلام في الدول النامية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية-1985، ص 15

[398]- عبد الله ناصح علوان، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – 2007، ص 9

[399]- صحيح البخاري، في باب الصلاة، رقم 467

[400]- مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا للنشر، الرياض 1413هـ

استقرار المجتمع ويبعده عن أي خلل يسبب الفرقة بين أفراده، حيث يقول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } (المائدة/2)، وخلاصة القول أن "المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان" [401].

وقوله تعالى : {وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً * الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً * وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قِرِيناً * وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُواْ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ اللّهُ وَكَانَ اللّهُ بِهِم عَلِيماً }
(النساء/36–39) وقوله تعالى : {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } (البقرة/177)

فتأكد الإحسان إلى الوالدين وذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل والسائلين، وفي الرقاب .. والأمر بالإنفاق في سبيل الله، والتحذير مع الشح والبخل، وبيان أن طاعة الله ليست مقصورة على العبادة بل هي شاملة المنهج الإلهي كله، والذي منهك إيتاء المال على حبه ذوي القربى واليتامى .. كل ذلك يؤكد أن الإسلام جاء ليحقق التكافل العام بين جميع أفراد الأمة ، وأبناء المجتمع ليعيش الجميع تحت راية الإسلام في أمن ورخاء وتعاون وعيش كريم أفضل .. [402]

كما أن الدعوة إلى التعاون الإيجابي في الإسلام، تأتي مصحوبه بأدب إنساني، يجب أن يراعى ويتبع، وهو أدب يتعلق بالجانب النفسي، عند من يقدم إليه العون، فليس العون مجرد عون مادي، يزيل الحاجة ويكشف الغمه ويذهب الشدة فحسب، وإنما يتصل أيضا بالكرامه الإنسانية، التي

[401]- مصطفى السباعي، السيرة النبوية دروس وعبر، المكتب الإسلامي، بيروت 1985، ص 69
[402]- التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص 11

يجب أن تصان، وأن يظل صاحبها مرفوع الرأس بعيدا عن مشاعر الإذلال والإهانة، ويقاس على ذلك قصة أبي بكر رضي الله عنه مع مسطح ابن أثاثة، لما حدثت قصة الإفك المشهورة ، وحصل ما حصل ، ونزل عذر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، حلف أبو بكر الصديق بأن لا ينفق على مسطح ابن أثاثة، وهو ابن خالته، وهو من الذين تناقلوا الإفك ، وكان أبو بكر رضي الله عنه، ينفق عليه لقرابته وفقره، فنزلت هذه الآية تحثه على أن يعاود النفقة [403]، **{وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }** (النور/22) .

ومن هنا جاءت دعوة الإسلام، إلى أن يكون التواصل الإنساني في التكافل والتعاون الاجتماعي موجودا من خلال مشاعر إنسانية طيبة لاتجرح الأحاسيس ولاتؤذي الشعور ولاتؤلم الوجدان[404] ، ونرى ذلك واضحا كل الوضوح في قول الله عز وجل: **{قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ }** (البقرة/263) وقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }** (البقرة/264)، ففي هذا البيان القرآني، نرى توجها إلى أن الكلمة الطيبة وحدها تكون أفضل و أحسن من تلك الصدقه المادية، التي تحمل معها رسالة نفسية سيئة، قائمة على الامتنان والاستعلاء والنظرة الفوقية، نحو اولئك الذين يقدم لهم هذا العون المادي، وكل هذا من أجل الحفاظ على كرامة الإنسان، حتى لاتكون كفاية الحاجة المادية هي المقابل لإهدار هذه الكرامة[405]، قال تعالى: **{ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء }** (إبراهيم/24).

إنه من المعلوم بداهة وعقلا أن المجتمع الذي يقوم على التعاون، ويتحقق بين أفراده التكافل ، ويسود في أرجائه الشعور بالمحبة والإخاء والإيثار والأخوة .. فهو مجتمع حصين متين متماسك، لا

---

[403]- أنظر: الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان، خبر1996، ص 122/6

[404]- أنظر: في ظلال القرآن، ص 376/1-377، بتصرف مختصر

[405]- أنظر : المصدر السابق نفسه، ص 377-378، بتصرف مختصر

تؤثر فيه معاول الهدم، ولا تزعزعه نكبات الأيام [406].

وبهذا التقديم والعرض للتواصل الاجتماعي، فإنه ينقسم لقسمين:

القسم الأول: التواصل المنهي عنه:

فالتقرير الرباني الذي يحث على التعاون، هو نفسه الذي يحث على صيانته من شيوع مشاعر الأحقاد والأحساد والبغض والكراهية وسوء الظن والغيبة والنميمة، "فالمسلم لا يمكن أن يخضع لمعايير محرمة ولا يلتزم بسلوكيات فاسدة ولا بتقاليد شاذة عن شرع الله: وهذه كلها تخرجه عن دائرة الصحة النفسية على وفق تعريفات علم النفس المعاصر" [407]. كما أنها تعتبر السبب الرئيس في فرقة المجتمع، وشيوع النزاعات والخصام بين أفراده، " وأرتكاب الجرائم واللجوء إلى أوكار الرذيلة والفساد. ومعنى هذا أن المجتمع أصيب بنكسات أخلاقية واجتماعية، وتعرض للانهيار والدمار [408]. وأبين ذلك من آيات الله عز وجل:

الحسد:

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ } (النساء/54)، حتى أن الله عز وجل أمر بالتعوذ من الحسد بقوله: **{وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ }** (الفلق/5)

السخرية:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ } (الحجرات/11)

اللمز والتنابز:

{وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ } (الحجرات/11)

سوء الظن:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ } (الحجرات/12)

---

[406]- التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص 13

[407]- نزار العاني، الإسلام وعلم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية 2008، ط1، ص 277

[408]- التكافل الاجتماعي في الإسلام، ص 14

التجسس:

{وَلَا تَجَسَّسُوا } (الحجرات/12)

الغيبة والنميمة: {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً } (الحجرات/12)

وجوب غض البصر:

{قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} (النور/30)

الزنى:

{وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً } (الإسراء/32)

اللواط [409]، إتيان الذكور، أو الشذوذ الجنسي، ويسمى كذلك بالسدومية Sodomy، نسبة إلى سدوم وعمورة مدينة قوم لوط عليه السلام [410].

{وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ } (الأعراف/80)، وقال تعالى: {إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ } (الأعراف/81)

السب والشتم:

{وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام/108)

الرهبانية[411]، وتدخل في باب العزلة:

{وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} (الحديد/27)

السحر، وما يندرج تحته من شعوذة وعرافة. وقد بينته مفصلا فيما سبق .

409- كذا ورد في التفاسير، أنظر: تفسير القرطبي، ص 245/7، وتفسير ابن كثير، ص 235/2، وتفسير السعدي، ص 607/1

410- أنظر: موقع الموسوعة الحرة، تحت عنوان : لواط

411- الرهبانية: الامتناع من المأكل والمشرب والملبس والنكاح والتعبد في الجبال، أنظر: تفسير البغوي، ص 42/8

وبهذا نظم القرآن الكريم العلاقة بين أفراد المجتمع نظاما يدعو إلى تبادل الاحترام بينهم وإلى الابتعاد عن تحقير بعضهم بعضا [412]، ورسم لهم دستورا أخلاقيا يحثهم على التعامل به والسير عليه في أمور حياتهم وتواصلهم مع بعضهم البعض، وبهذا قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ }** (الحجرات12/11)

القسم الثاني: تواصل النكاح:

قال تعالى: **{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ }** (**الأعراف/189**)، وبهذا النوع من التواصل تتكاثر البشرية، والزواج: هو الوسيلة التي وضعها الله في عباده لانجاب الأبناء من أجل الحفاظ على النوع البشري والحفاظ على الأنساب.. [413]، وكما جعل الله عز وجل المني سببا للحمل وفي الحمل سبب التكاثر، وذلك لاكتمال منظومة التواصل في هذا الأمر، فقال بذلك عز من قائل: **{ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ }** (**السجدة/8**) .

وفي سنة النكاح يكمن الاستقرار النفسي الذي يعتبره الإسلام هدفا رئيسا من أهداف الزواج، وبه يتم الإستقرار والمودة والسكينة، وبهذه العناصر تسكن اضطرابات النفس وثوراتها، رغبة في النسل، وتلبية الغريزة، وبقاء النوع [414]، قال تعالى: **{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** (**الروم/21**).

---

[412]- منصور عثمان محمد زين، المنظور الإسلامي للعلاقات العامة، دراسات دعوية: العدد 15، المحرم 1429هـ - يناير 2008م، ص 156

[413]- فاطمة مصطفى، الزواج العرفي، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة 1998، ط1، ص 38

[414]- تاريخ الإطلاع 2010/2/2 www.uqu.edu.sa/ - دور الزواج في تحقيق الراحة النفسية، موقع : جامعة أم القرى

وقد اتفق علماء النفس والاجتماع على أن الروابط الزوجية " أكثر الروابط الإنسانية إثراءً للزوجين وللأسرة والمجتمع، بما يعود على الجميع من مزايا على كافة المستويات النفسية والاجتماعية والإنسانية "، كما أكّد البحث الميداني أن أهم الانفعالات التي تحدد سعادة الإنسان خلال مراحل العمر، هي تلك الانفعالات التي تتعلق بالزواج والأسرة، وأن المشكلات الاجتماعية والعاطفية التي يتعرض لها الشباب يمكن أن تُحل من خلال الحياة الزوجية، كما أن الزواج السعيد الناجح يستوعب أوسع أبواب الصحة النفسية، والاستقرار العاطفي [415].

وفي الجانب الآخر أثبتت دراسات أخرى متعددة أن العزوبة سبب من أسباب الوساوس والجنون، والاغتراب النفسي، والشعور بالدونية خاصة عند المطلقين والمطلقات، حيث الإحساس بالمنبوذية، مع شدة التوترات الداخلية العميقة، والشعور بالحرمان . في حين لا توجد غالب هذه المشاعر السلبية عند المتزوجين، وتشير بعض الدراسات الميدانية إلى أن الإدمان على المخدرات، وإنهاء الحياة بالانتحار في بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة غالباً ما يصدر عن الشباب العزاب من الجنسين، وهذا فيه إشارة واضحة لارتباط العزوبة عند الجنسين بالانحراف الخلقي المؤدي إلى التوترات النفسية والعصبية، وربما إلى إهلاك النفس وعذابها، لا سيما إذا اقترن ذلك بضعف الإيمان، في حين تعصم الحياة الزوجية، بطبيعتها الحميمية، ونوع علاقاتها المتشعِّبة : المتزوجين من الوقوع في كثير من الانحرافات التي تسبب القلق والتوتر والعذاب النفسي، وتحقق لهم درجات عالية من مراتب السعادة والسكن، التي لا يمكن أن يحياها العزاب في العادة إلا ضمن جهود كبيرة من الأنشطة الروحية المتفوقة [416].

وفي جانب الصحة البدنية فقد ثبت أن الزواج من أنفع أسباب حفظ الصحة، فقد دلَّت الإحصاءات على أن معدلات الوفاة بين المتزوجين أقل من معدلاتها بين غير المتزوجين، كما أن ضعف البدن، وعسر الحركة يغلب على العزاب [417].

---

[415]- المصدر السابق

[416]- المصدر السابق

[417]- المصدر السابق

المبحث الخامس:

التواصل الثقافي والمعرفي

" عرفت الإنسانية على امتداد تاريخها الطويل، أنماطا عدة من الثقافات، منها ما تعاقب، ومنها ما تعاصر، ومنها ما تآلف أو تنافر، وظلت عجلة هذا التعاقب بكل محتوياته، إلى أن جاء الإسلام، فأرسى كيانا مدنيا جديدا قوامه العلم والمعرفة، وحارب خرافات الجهالة والتيه، وبذلك أرسى حضارة جديدة ذوات خصائص اجتماعية وثقافية وسياسية فريدة من نوعها، وأرسى فكرا تنويريا، استطاع أن يضع دستورا واضحا لمسيرة المجتمع الإنساني [418] " الذي يعترف بالأدوار، و يتقبل الأفكار الصحيحة أياً كان مصدرها، وعدم رفضها بسبب العصبيات الدينية أو الإثنية؛ وفي ذلك يقول الكندي: "وينبغي لنا أن لا نستحي من الحق واقتفاء الحق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية عنا والأمم المباينة لنا، فإنه لا شيء أولى لطالب الحق من الحق، وليس ينبغي بخس الحق ولا تصغير بقائله ولا بالآتي به . ولا أحد بُخِس بالحق، بل كلٌّ يشرّفه الحق" [419]. وإلى هذا الاتجاه أيضاً يشير ابن الهيثم حيث يقول: إذا وجدت كلاماً حسناً لغيرك فلا تنسبه إلى نفسك واكتفِ باستفادتك منه" [420].

والسمة البارزة في الثقافة والحضارة الإسلامية " أن الإسلام أسس ثقافة "تواصل حضاري" وأرسى مبادئها تحت سقف" التعارف الإنساني" وجسد هذا داخل كينونة الثقافة الإسلامية ذاتها، ولا جدال في أن هذا التنوع اللغوي والثقافي المدرار لمما يجب عده من مفاخر الإسلام الذي ينكر التفاضل القائم على التعصب القومي وينحو منحى استراتيجيا يستوعب آفاق الكون " [421].
وهذا يعني التعارف وفقا للمبدأ القرآني: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ..}** (الحجرات/13)

ويقول الدكتور حسن عبد اللطيف الشافعي: إنني على اقتناع تام بأن التواصل بين الثقافات أمر محمود ومطلب منشود فضلا عن أنه يكاد يكون في الظروف الراهنة حتما لازماً وأمراً واقعاً لا مفر

---

[418]- عيسى الطيب طيبي، مقال بعنوان التواصل الحضاري، موقع : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، تاريخ: 2010/6/10

[419]- قدري طوقان، بين العلم والأدب، مكتبة فلسطين العلمية، المطبعة التجارية، القدس سنة 1946م، ص7

[420]- المصدر السابق، ص 8

[421]- عيسى الطيب طيبي، التواصل الحضاري، مصدر سابق

منه، وذلك لأن:

- التواصل الثقافي الرشيد يتجاوب مع طبيعة هذه الثقافة العربية الإسلامية فهي تؤمن بوحدة الإنسانية وصدورها عن أصل واحد، وإنّ تعدد الشعوب وتنوعها مدعاة للتعارف والتواصل لا الصراع والتدابر.
- وهذه الثقافة قد مارست هذا التواصل فعلاً دون عنصرية أو جمود، وأفادت منها في فترات ازدهارها دون تردد أو صدود. يقول أبو يعقوب الكندي في صدر هذه التجربة الحضارية ينبغي أن يعظم شكرنا للآتين بيسير الحق فضلا عمن أتى بكثير من الحق إذ أشركونا في ثمار فكرهم وسهلوا لنا المطالب، وينبغي ألا نستحي من استحسان الحق، واقتفاء الحق من أين أتى، وإن أتى من الأجناس القاصية والأمم المباينة لنا، فإنه لاشيء أولى بطالب الحق من الحق.

وكرر ابن رشد القرطبي المعنى نفسه بعد قرابة ثلاثة قرون.

- وأما أن هذا التواصل أمر واقع وحتم لازم فإن ثورة المعلومات منذ أخريات القرن الماضي، وتدفقها الدائم عبر وسائل الاتصال المتنوعة قد جعلا من التقوقع والانغلاق في عالم اليوم أمراً مستحيلاً.
- وفضلا عن ذلك فإن الثقافات الأصيلة القوية –وإن ضعفت سياسيا– لايضرها التواصل الثقافي والحضاري بل يثريها وينميها، ويمنحها القدرة على التجدد والإبداع، والثقافة الإسلامية التي استوعبت ثقافات العالم المتحضر تقريبا على مدى ألف سنة تقريبا، لا تخشى هذا الاتصال ولا تتردد في ممارسته بل هي مرشحة له ذاتيا ومدعوة له من واقع تراثها الحضاري وذاتيتها الخاصة، لا استجابة لضغوط طارئة أو دعوات مستحدثة كالعولمة مثلا [422].

والمعرفة صفة من صفات المؤمنين، بالتفكر والتدبر والبحث، قال تعالى: **{الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ }** (آل عمران/191).

---

[422]- رئيس الجامعة الإسلامية السابق بباكستان، مقال بعنوان: ثقافتنا لا يضرها التواصل مع الآخر http://haras.naseej.com/Detail.asp?InNewsItemID=166726 تاريخ الإطلاع 02-02-2010

الباب الثاني:
مستويات التواصل في القرآن الكريم

للتواصل في القرآن الكريم مستويات عدة، تبدأ من عند الله عز وجل حتى تنتهي لآخر مخلوق خلقه الله تبارك وتعالى، وبهذا الصدد يقول العالم الياباني: توشيهيكو إيزوتسو: إن بين الله والإنسان علاقة جوهرية هي علاقة الخالق والمخلوق، والواقع أن الله هو خالق العالم كله، بدءا من الملائكة في المرتبة العليا، فالجن والسماوات والأرض، والشمس والقمر والنهار والليل والجبال والأنهار والشجر والثمر والحبوب والعشب وكل أنواع الحيوانات (...) إنه باختصار **{خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}** (**الأنعام/102**) [423] ، فهو لم يغادر منها لا صغيرة ولا كبيرة، وهذه المستويات تتجلى في الآتي:

الفصل الأول:
التواصل مع الله جل جلاله

المبحث الأول: ثناء الله تعالى على نفسه:

وهذا النوع من التواصل له أثر كبير على قلوب المؤمنين بحسب الآيات التي يثني الله بها على نفسه، فهي تورث اليقين في قلوب المؤمنين وتستأنس من الوحشة وتطمئن بذكر الله، وأما في المصطلح المعاصر فيسمى هذا النوع من التواصل فيما يخص البشر: تواصل الذات، ولله المثل الأعلى، وفي هذا النوع من التواصل سأذكر بعض الآيات التي وردت بشأن ثناء الله تعالى على نفسه، وما أثنى الله فيها على ذاته العلية، فلا يوجد كلام أجمل وأعظم تأثيرا من ثناء الله على نفسه واخبار الله عن ذاته، ومن ذلك:

حمد الله عز وجل نفسه في آيات كثيرة، والحمد ثناء الله على نفسه [424]، وورد ذكر الحمد في 23 موضعا، وفي هذا قوله تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}** (**فاطر/1**)، وكذا قوله تعالى: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ**

---

[423]- الله والإنسان في القرآن علم دلالة الرؤية القرآنية، ص 193-194

[424]- وفي الحديث: "لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك"، رواه أبو داوود، رقم: 1429، وابن ماجه، رقم 1235

الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ } (سبأ/1)، وقوله تعالى: **{الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** (الفاتحة/2)

كذا التسبيح، فأثنى الله عز وجل على نفسه، وورد ذكر التسبيح 41 مرة، فقال تعالى: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً }** (الإسراء/1)، وقوله تعالى: **{سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ }** (الزخرف/82)

التوحيد، قال تعالى: **{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ }** (آل عمران/18)، وقوله تعالى: **{إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي }** (طه/14)، وقوله تعالى: **{اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ }** (البقرة/255)، وقال تعالى أيضا: **{وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }** (البقرة/163)

وكل آية فيها تقديس للذات الإلهية هو تواصل ذاتي .. لكن مقصدية التواصل مع الخلق الحاضرة لتعريفهم بالله خالقهم [425].

المبحث الثاني:

تواصل الله جل جلاله مع الملائكة والملائكة مع الله عز وجل

ويتجلى هذا في تواصله عز وجل مع الملائكة، وهي آيات تحكي لحظة مهيبة من تاريخ الكون جمعت خالق السموات والأرض في حوار مفتوح مع الملأ الأعلى، وهم الملائكة المقربون الذين ينفذون أوامر رب العالمين [426]، حول موضوع خلق آدام عليه السلام، قال تعالى: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً }** خطابٌ من الله جل ثناؤه لخاصٍّ من الملائكة دون الجميع [427]، فكانت التغذية الراجعة، أي ردة فعل الملائكة بالإجابة واسترسال الحوار، وفي هذا المعنى قال ابن عاشور: حكاية للمراجعة والمحاورة على طريقة أمثاله [428] : **{قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ}**، فتواصل الحوار، وكان جواب الله عز وجل للملائكة **{قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ}** (البقرة/30)، وفي موطن آخر، ذكر الله عز وجل الآية بالنص التالي: **{وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ**

---

[425]- إضافة الدكتور يونس علوي، المشرف على الرسالة

[426]- عماد حسن، آذان الأنعام، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم 2007، ص 81

[427]- تفسير الطبري، ص 456/1

[428]- التحرير والتنوير، ص 396/1

مَّسْنُونٍ } (**الحجر/28**)

" وخطاب الله لهم وهو مبدأ العبرة وما تضمنته من تشريف آدم وتعليمه بعد الامتنان بإيجاد أصل نوع الناس الذي هو مناط العبرة[429] "، فعلمه الأسماء كلها : **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }** (**البقرة/31**)، فكانت التغذية الراجعة من الملائكة لله : **{قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ }** (**البقرة/32**)، وكان جواب الله للملائكة: **{... أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ }** (**البقرة/33**) أي: ألم أتقدم إليكم أني أعلم الغيب الظاهر والخفي[430].

ومن تواصله تعالى مع الملائكة، أن يكون التواصل بصيغة : " أمر للملائكة عليهم السلام ... بالسجود لآدم عليه السلام على وجه التحية والتعظيم "[431]، وهو بلا تشبيه، كما يحصل من أنواع التواصل في الهيئات الإدارية بين الرئيس والمرؤوسين، كقوله تعالى: **{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }** (**الحجر/29**) **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ .. }** (**البقرة/34**)، وكذلك قول الله تعالى: **{فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَاقِ}** (**الأنفال/12**) (...) : أنه أمر للملائكة متصل بقوله تعالى : { فَثَبِّتُواْ }[432]. وهذا النوع من التواصل الخاص بالملائكة مع الله عز وجل، إنما هو من باب قوله تعالى: **{ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ }** (**التحريم/6**)

وكأن يكون تواصل الله مع الملائكة، بمواجهتهم مع المشركين يوم القيامة، بقوله تعالى: **{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ }** (**سبأ/40**)،

أو يكون بالوحي، قال تعالى: **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ }** (**الأنفال/12**)

ومن أشكال التواصل في القرآن الكريم، هو التسبيح والذكر والعبادة، وفي هذا السياق، ومن

429- المصدر السابق، نفس الصفحة

430- تفسير ابن كثير، ص 225/1

431- تفسير الآلوسي، ص 289/7

432- تفسير الرازي، ص 109/15

خلال التسبيح والذكر، يكون تواصل الملائكة مع الله عز وجل، كقوله تعالى: **{وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ }** (الزمر/75)، وكذلك كقوله تعالى: **{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ }** (الشورى/5)، وأيضا قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ }** (الأعراف/206)

المبحث الثالث:

تواصل الله جل جلاله مع الجن و الشياطين .

وفي حوار الله عز وجل مع الملائكة، كان إبليس معهم، قال سعد بن مسعود: سما إبليس من الأرض وهو صغير، فكان مع الملائكة فتعبد، فلما أمر بالسجود لآدم امتنع [433]، وهذا ما يبينه القرآن الكريم، قال تعالى: **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ }** (البقرة/34)، وأيضا قوله تعالى: **{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ}** (الأعراف/11)، و يشير القرآن الكريم بأن التواصل والحوار يكون مع الكل دون استثناء، حتى وإن كانوا على خطأ ومعصية، وكذلك كان خطاب الله تعالى مع إبليس لعنه الله، وهذا قال إسماعيل حقي: " وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لكن لا تدل على علو منصب إبليس لان خطاب الله تعالى له على سبيل الإهانة والإذلال "[434]، فكان قول الله تعالى لإبليس: **{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ }** (الحجر/32)،

ذلك أن الكبر أفقده قدر نفسه .. دفعه إلى التطاول إلى مقام ربه، ليجادله في أمره، وليعطي نفسه بنفسه الخيرية على آدم أبي البشرية، وليسند هذه الخيرية إلى معاييره هو .. لا إلى ما شرع

---

[433]- أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م، ص 233/1

[434]- تفسير حقي، ص 464/4

الله وأمره : {أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ} (الأعراف/12) مع أن الملائكة وهم من ((نور)) لا ((نار)) سجدوا وأطاعوا رب العالمين [435].

وفي موضع آخر أجاب إبليس بتكبر واستعلاء: قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ {33}، فكانت نتيجة هذا التكبر والاستعلاء " أن فقد مكانه في الجنة بين الملائكة، وخرج منها مذءوما مدحورا ملعونا إلى يوم الدين "[436] ، قال الله تعالى: فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ {34} وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ {35}، وبالرغم من هذه المعاصي التي قام بها إبليس، إلا أن التواصل والحوار بقيا مفتوحين مع الله عز وجل، وتجرأ إبليس وطلب من الله سبحانه وتعالى: قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {36}، وبعد هذا السؤال الذي سأله إبليس، أجابه الله عز وجل، قائلا: قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ {37} إِلَى يَومِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ {38}، ويتجرأ إبليس مرة أخرى، ويطلب طلبا من الله عز وجل بكبر، مع علمه أنه من الملعونين، ومع هذا كله يبقي الله الحوار معه: قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ{39} إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ {40}، ورغم هذا التكبر والعصيان، إلا أن الله عز وجل لم يغلق باب الحوار والتواصل مع إبليس لعنه الله، فيجبه على سؤله، قائلا: قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ {41} إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ {42}.... إلى آخر الآيات (سورة الحشر) . وكذا هذه الآية، تظهر الحوار الذي دار بين الله عز وجل وإبليس، قال تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ} (ص/75)

وأما فيما يتعلق بحوار وتواصل الله عز وجل مع الجن، قوله تعالى: {وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} (الأنعام/128) ويخاطب الله يوم القيامة الخلائق قائلا : يا معشر الجن والإنس إني قد أنصتُّ منذ يوم خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع كلامكم، وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إليّ .. [437]

[435]- أدب الحوار والمناظرة، على جريشة، ص 34
[436]- المصدر السابق، ص 33
[437]- تفسير الطبري، ص 267/4، طرف من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه

وفي نداء للجن والحوار معهم أيضا، قوله تعالى: **{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا قَالُواْ شَهِدْنَا عَلَى أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ } (الأنعام/130)**

وفي حوار آخر مع الجن، تحد الله عز وجل لهم في الدنيا، قال القرطبي في تفسير هذه الآية : فعلى هذا يكون في الدنيا [438]، ويقوي ذلك ما ورد عن ابن عباس قال: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله عز وجل [439]، قال تعالى: **{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } (الرحمن/33)**

وأما التغذية الراجعة، في قوله تعالى : **{فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } (الرحمن/13)** قال ابن كثير: عن ابن عمر؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة "الرحمن" -أو: قُرِئَت عنده- فقال: "ما لي أسمع الجن أحسن جوابا لربها منكم؟" قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: "ما أتيت على قول الله: { فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ} إلا قالت الجن: لا بشيء من نعمة ربنا نكذب" [440].

ومن أمثلة التغذية الراجعة كذلك حوار الجن/إبليس مع الله عز وجل، قوله تعالى: {إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثاً وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً * لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً * وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً} (النساء 117-119) "وقال لأتخذن"، يعني بذلك: أن الشيطان المريد قال لربه إذ لعنه:"لأتخذن من عبادك نصيبًا مفروضًا" [441]. والأصل أن إبليس من الجن : (**إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ**) [سورة الكهف: 50] .
وكذلك إجابتهم الإيمانية للقرآن: **{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ }** (الأحقاف/29)

438- تفسير القرطبين ص 170/17
439- تفسير البغوي، ص 448/7
440- تفسير ابن كثير، ص 488/7
441- تفسير الطبري، ص 212/9

المبحث الرابع:
تواصل الله مع البشر كافة

وينقسم لأربعة أقسام:

القسم الأول: تواصل الله مع الأنبياء والرسل

القسم الثاني: تواصل الله مع المؤمنين

القسم الثالث: تواصل الله مع أهل الكتاب

القسم الرابع: تواصل الله مع كافة الناس أجمعين

بداية، ورد ذكر تواصل الله عز وجل مع الأنبياء والرسل في مواطن عديدة من القرآن الكريم، وذلك لأهمية الرسل والأنبياء على وجه هذه الأرض، ولهذا الذكر خصوصية لا تكون لأحد من الناس سواهم، وذلك لقربهم من ربهم بما يبلغون عنه ما أمر وأراد، قال عمر سليمان الأشقر: إن حكمة الله وعلمه قاضيان بأن لا تمنح النبوة والرسالة إلا للمستعد لها والقادر على حملها، وإذا تأملت في سيرة أنبياء الله ورسله رأيتهم أبر الناس قلوبا، وأعمقهم علما، وأحضرهم بديهة، وأشدهم تحملا، وأرقهم طباعا،

... فلا عجب أن يختارهم الله ليكونوا أمناء وحيه، والعاملين على إقامة دينه، فهم القمم السامقة التي تعجز النفوس عن أن تبلغ مداها[442]. وسأختص بالذكر في هذا آدم وأولوا العزم من الرسل، إلا أني سأذكر كل الأنبياء والرسل الذي ورد ذكرهم في القرآن الكريم في باب تواصل الأنبياء مع أقوامهم .

القسم الأول: تواصل الله مع الأنبياء والرسل

تواصل الله مع سيدنا آدم عليه السلام:

تواصل الله مع أول خلقه من البشر، آدام عليه السلام، وهو أول الأنبياء [443]. ومن أنواع التواصل

---

[442]- عمر سليمان الأشقر، العقيدة في ضوء القرآن والسنة: الرسل والرسالات، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت 1989، ط4 ، ص 210-211

[443]- أن رجلا قال: يا رسول الله أنبي كان آدم؟ قال: نعم مكلم . أنظر: قصص الأنبياء، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة 1968، ط1، ص 74/1

الذي تم مع آدم عليه السلام كالتواصل غير اللفظي، يقول العالم الياباني توشيهيكو إيزوتسو: " ثمة نوعان رئيسيان من ((التفاهم)) المشترك بين الله والإنسان: الأول لغوي أو لفظي، أي من خلال استعمال اللغة الإنسانية المعروفة لدى الجانبين. والآخر غير لفظي، أي من خلال ((الآيات الطبيعية)) من جانب الله، والإيماءات والحركات الجسدية من جانب الإنسان " [444].
ومثال ذلك قوله تعالى: **{إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ }** (**آل عمران/33**)، وكذلك الخلق يعتبر تواصلا غير لفظي: **{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ }** (**الحجر/29**) ومن أشكال التواصل غير اللفظي ما كان بين الله تعالى وآدم عليه السلام، هو إسجاد الله ملائكته لآدم : **{وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ..}** (**البقرة/34**)

ومن مظاهر تواصل الله المباشر مع آدم عليه السلام، ما قاله تعالى: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}** (**البقرة/31**) ومن ثم : **{قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ ...}**
(**البقرة/33**)، ومن جملة تواصله تعالى مع آدم، من خلال ما بينه تعالى له في كيفية حياته في الجنة، قال تعالى: **{وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ }** وكان تواصله تعالى أيضا مع آدم عليه السلام حين عصاه : **فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ }** فكانت التغذية الراجعة في هذا الحوار : **{فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}** (**البقرة: 35-37**) فبين الله تعالى حقيقة الأمر كله بقوله: **{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً }**
(**طه/115**)، ونسي آدم وزوجه – تحت تأثير الشهوة الدافعة والقسم المخدر – أنه عدوهما الذي لا يمكن أن يدلهما على خير! وأن الله أمرهما أمراً عليهما طاعته سواء عرفا علته أم لم يعرفاها! وأنه لا يكون شيء إلا بقدر من الله ، فإذا كان لم يقدر لهما الخلود والملك الذي لا يبلى فلن ينالاه! نسيا هذا كله ، واندفعا يستجيبان للإغراء! [445]

---

[444]- الله والإنسان في القرآن : علم دلالة الرؤية القرآنية ، ص 213
[445]- في ظلال القرآن، ص 201/3

ومن ضمن الحوار والتواصل الذي كان بين الله وآدم، أن بين له عدوه الحقيقي في الجنة وعلى وجه هذه الأرض، فقال جل وعلا: {فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } (طه/117)

وفي مشهد مؤثر جدا، تم حوار بين الله عز وجل من طرف وآدم وحواء من طرف آخر، وسمعا هذا العتاب والتأنيب من ربهما على المعصية وعلى إغفال النصيحة ..[446] : {وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ {22} وأمام النداء العلوي يتكشف الجانب الآخر في طبيعة هذا الكائن المتفرد . . إنه ينسى ويخطئ . إن فيه ضعفاً يدخل منه الشيطان . إنه لا يلتزم دائماً ولا يستقيم دائماً . . ولكنه يدرك خطأه؛ ويعرف زلته؛ ويندم ويطلب العون من ربه والمغفرة . . إنه يثوب ويتوب؛ ولا يلح كالشيطان في المعصية ، ولا يكون طلبه من ربه هو العون على المعصية![447] : قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ {23} وللدخول في المعركة التي لا تهدأ أبداً مع عدوه . .[448] : قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ {24} قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ {25} (سورة الأعراف)

تواصل الله عز وجل مع سيدنا نوح عليه السلام:

ومن مظاهر التواصل والحوار بين الله سبحانه وتعالى وأنبيائه، الوحي، لقوله تعالى: {وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ } (هود/36)

ومن أشكال التواصل غير اللفظي كما أسلفت وبينت سابقا، مثال ذلك قوله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ} (الأعراف/59) وأيضا قوله تعالى : {فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ } (الشعراء/170)

ومن تواصله تعالى مع نوح أيضا قوله:

- {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ } (هود/48)

---

[446]- المصدر السابق، نفس الصفحة

[447]- المصدر السابق، نفس الصفحة

[448]- المصدر السابق، نفس الصفحة

- {قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ } (هود/46)
- {وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ } (الصافات/75)
- {وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ } (الأنبياء/76)
- {وَنَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابُنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ } (هود/45)

وبالجملة فنوح عليه السلام إنما بعثه الله تعالى لما عبدت الاصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما يقول أهل الموقف يوم القيامة. وكان قومه يقال لهم بنو راسب فيما ذكره ابن جبير وغيره[449].

وأما تواصله عز وجل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام:

ومن تواصل الله عز وجل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام :

- {يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ } (هود/76)
- {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } (البقرة/124)
- {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (البقرة/260)
- {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } (البقرة/126)

وقال إبراهيم داعيا ربه: {رَبِّ هَبْ لِي حُكْماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ } (الشعراء/83)

تواصل الله جل جلاله مع نبيه موسى عليه السلام :

---

[449]- قصص الأنبياء، لأبن كثير، ص 75/1

وقد ذكره الله تعالى في مواضع كثيرة متفرقة من القرآن. وذكر قصته في مواضع متعددة مبسوطة مطولة وغير مطولة [450].

- {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً } (النساء/164)
- {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ } (الأعراف/143)
- {قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ } (الأعراف/144)

وفي مشهد من المشاهد القرآنية التي تبين عظم هذا القرآن الكريم في عملية التواصل، حيث خالق البشر ورب السماوات والأرض، بحوار طويل وملاطفة منه سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام، حول مسائل عدة، وهذا المشهد من التواصل لا يسعني إلا أن أضعه كاملا كما ورد ذكره في القرآن، حيث قال تعالى:

- فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى {11} إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى {12} وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى {13} إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي{14} إِنَّ السَّاعَةَ ءاَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى {15} فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لاَ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى {16}

... ويصف سيد قطب هذا المشهد بـ : إنها لحظة ترتفع فيها البشرية كلها وتكبر ممثلة في موسى عليه السلام فبحسب الكيان البشري أن يطيق التلقي من ذلك الفيض لحظة . وبحسب البشرية أن يكون فيها الاستعداد لمثل هذا الاتصال على نحو من الأنحاء . . كيف؟ لا ندري كيف! فالعقل البشري ليس هنا ليدرك ويحكم ، إنما قصاراه أن يقف مبهوتاً يشهد ويؤمن! [451]

---

[450]- قصص الأنبياء، ابن كثير، ص 3/2

[451]- في ظلال القرآن، سيد قطب، ص 114/5

- ثم قال له مخاطبا ومؤانسا ومبينا له أنه القادر على كل شئ، الذي يقول للشئ كن فيكون[452]: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى {17} قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى {18} قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى {19} فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى {20} قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى {21} وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى {22} لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى {23} اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى {24} قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي {25} وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي {26} وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي {27} يَفْقَهُوا قَوْلِي {28} وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي {29} هَارُونَ أَخِي {30} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي {31} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي{32} كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً {33} وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً {34} إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً {35} والأمر الجليل الذي هو مقدم عليه يحتاج إلى التسبيح الكثير والذكر الكثير والاتصال الكثير . فموسى عليه السلام يطلب أن يشرح الله صدره وييسر له أمره ويحل عقدة من لسانه ويعينه بوزير من أهله [453].
- قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى {36} وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى {37} ، ويصف سيد قطب الموقف: وإلى هنا كفاية وفضل من التكريم والعطف والإيناس [454]
- إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى {38} أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي {39} إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى {40} (سورة طه)

إن موسى عليه السلام ذاهب لمواجهة أقوى ملك في الأرض وأطغى جبار . إنه ذاهب لخوض معركة الإيمان مع الطغيان . إنه ذاهب إلى خضم من الأحداث والمشكلات مع فرعون أول الأمر؛ ثم مع قومه بني إسرائيل وقد أذلهم الاستعباد الطويل وأفسد فطرتهم ، وأضعف استعدادهم للمهمة

---

[452]- قصص الأنبياء، ابن كثير، ص 27/2
[453]- المصدر السابق، ص 117/5
[454]- في ظلال القرآن، ص 118/5

التي هم منتدبون لها بعد الخلاص . فربه يطلعه على أنه لن يذهب غفلاً من التهيؤ والاستعداد . وأنه لم يرسل إلا بعد التهيئة والإعداد . وأنه صنع على عين الله منذ زمان ، ودرب على المشاق وهو طفل رضيع . ورافقته العناية وسهرت عليه وهو صغير ضعيف . وكان تحت سلطان فرعون وفي متناوله وهو مجرد من كل عدة ومن كل قوة فلم تمتد إليه يد فرعون ، لأن يد القدرة كانت تسنده ، وعين القدرة كانت ترعاه [455].

وأما تواصل الله عز وجل مع نبيه عيسى عليه السلام:

- **{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ }** يعني إذ قويتك بروح القدس يعني جبريل **{تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً }** أي تدعو الناس إلى الله في حال صغرك في مهدك وفي كهولتك **{وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ }** أي الخط والفهم . نص عليه بعض السلف **{وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ }** وقوله: **{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي}** أي تصوره وتشكله من الطين على هيئة الطير عن أمر الله له بذلك **{فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي}** أي بأمرى يؤكد تعالى بذكر الاذن له في ذلك لرفع التوهم. وقوله: **{وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ}** قال بعض السلف وهو الذي يولد أعمى ولا سبيل لاحد من الحكماء إلى مداواته **{وَالأَبْرَصَ}** هو الذي لا طب فيه بل قد مرض بالبرص وصار داؤه عضالا **بِإِذْنِي {وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي}** أي من قبورهم أحياء بإذني. **وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ }** (**المائدة/110**) وذلك حين أرادوا صلبه فرفعه الله إليه وأنقذه من بين أظهرهم صيانة لجنابه الكريم عن الاذى وسلامة له من الردى [456]. الآية كلها وإذ جعلت المساكين لك بطانة وصحابة وأعوانا ترضى بهم وصحابة وأعوانا يرضون بك هاديا وقائدا إلى الجنة، فذلك فاعلم خلقان عظيمان من لقيني بهما فقد لقيني بأزكى الخلائق وأرضاها عندي [457].
- يخبر تعالى أنه يسأل عيسى بن مريم عليه السلام يوم القيامة على سبيل الإكرام له والتقريع والتوبيخ لعابديه ممن كذب عليه وافترى وزعم أنه ابن الله، أو أنه الله أو أنه

[455]- المصدر السابق، نفس الصفحة
[456]- قصص الأنبياء، ابن كثير، ص 428/2
[457]- المصدر السابق، ص 424/2

شريكه، تعالى الله عما يقولون، فيسأله وهو يعلم أنه لم يقع منه ما يسأله عنه ولكن لتوبيخ من كذب عليه فيقول له : {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ {قَالَ سُبْحَانَكَ} أي تعاليت أن يكون معك شريك {مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ} أي ليس هذا يستحقه أحد سواك {إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} وهذا تأدب عظيم في الخطاب والجواب {مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ} أي ما قلت غير ما أمرتني عليه حين أرسلتني إليهم وأنزلت علي الكتاب الذي كان يتلى عليهم . ثم فسر ما قال لهم بقوله: {أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ} أي خالقي وخالقكم ورازقي ورازقكم {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي} أي رفعتني إليك حين أرادوا قتلي وصلبي فرحمتني وخلصتني منهم وألقيت شبهي على أحدهم حتى انتقموا منه فلما كان ذلك {كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} ثم قال على وجه (1) التفويض إلى الرب عزوجل والتبرى من أهل النصرانية: {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ} أي وهم يستحقون ذلك {وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(المائدة/116-118) وهذا التفويض والاسناد إلى المشيئة بالشرط لا يقتضي وقوع ذلك، ولهذا قال: " فإنك أنت العزيز الحكيم " ولم يقل الغفور الرحيم [458].

- {قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (المائدة/114) وفي دعاء عيسى – بن مريم – كما يكرر السياق القرآني هذه النسبة – أدب العبد المجتبى مع إلهه ومعرفته بربه . فهو يناديه : يا الله . يا ربنا . إنني أدعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء ، تعمنا بالخير والفرحة كالعيد ، فتكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا؛ وأن هذا من رزقك فارزقنا وأنت خير الرازقين . . فهو إذن يعرف أنه عبد؛ وأن الله ربه . وهذا الاعتراف يعرض على مشهد من العالمين ، في مواجهة قومه ، يوم المشهد العظيم! [459].

---

[458]- قصص الأنبياء، ابن كثير، ص 407/2-408

[459]- في ظلال القرآن، ص 1000/2

- {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (آل عمران/55) أن كعب الأحبار قال: ما كان الله عز وجل ليميت عيسى ابن مريم، إنما بعثه الله داعيًا ومبشرًا يدعو إليه وحده، فلما رأى عيسى قِلة من اتبعه وكثرة من كذّبه، شكا ذلك إلى الله عز وجل، فأوحى الله إليه:"إني متوفيك ورافعك إليّ"، وليس مَنْ رفعته عندي ميتًا، وإني سأبعثك على الأعوَر الدجّال فتقتله، ثم تعيش بعد ذلك أربعًا وعشرين سنة، ثم أميتك ميتة الحيّ[460].
- ومن جملة تواصل الله عز وجل مع سيدنا عيسى عليه السلام، ما كان تواصلا غير لفظي: {وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ } (المؤمنون/50)

وفي تواصل الله عز وجل مع نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

بداية أشير إلى أن القرآن الكريم كله منزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكله تواصل وحوار بينه وبين ربه، إلا أنني سأذكر بعض المشاهد من القرآن التي حاور فيها ربنا عز وجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حوارا مباشرا في بعض المواقف، ومن هذه المواقف، قوله تعالى:

- {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ } (العلق/1)، عن عائشة، أن أوّل سورة أُنزلت من القرآن (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)[461].
- { فَإِذَا قَرَأْنَاهُ } يقول: بيَّناه، { فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ } [سورة القيامة: 18] يقول: اعمل به[462].
- {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ } (المدثر/1)، وأيضا: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ } (المزمل/1) عن جابر قال: اجتمعت قريش في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسمًا تصدر الناس عنه. فقالوا: كاهن. قالوا: ليس بكاهن. قالوا: مجنون قالوا: ليس بمجنون. قالوا: ساحر. قالوا: ليس بساحر. فتفرق المشركون على ذلك، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم،

[460]- تفسير الطبري، ص 456/6
[461]- أنظر تفسير الطبري، ص 521/24
[462]- تفسير الطبري، ص 95/1

فتزمل في ثيابه وتدثر فيها. فأتاه جبريل، عليه السلام، فقال: " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ " " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ " [463].

- {طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى } (طه/1-2) أنه عليه الصلاة والسلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل: أبق على نفسك فإن لها عليك حقا أي ما أنزلنا عليك القرآن لتنهك نفسك في العبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت إلا بالحنيفية السمحة [464].
- ومن أنواع التواصل النداء: يقول ابن عاشور: ونداء النبي عليه الصلاة والسلام بوصف النبوءة دون اسمه العلم تشريف له بفضل هذا الوصف ليُربأ بمقامه عن أن يخاطب بمثل ما يخاطب به غيره ولذلك لم يناد في القرآن بغير **{ يا أيها النبي }** أو **{ يا أيها الرسول }** [المائدة : 67] بخلاف الإخبار عنه فقد يجيء بهذا الوصف كقوله **{ يوم لا يُخزِي الله النبي }** [التحريم : 8] **{ وقال الرسول يا رب }** [الفرقان : 30] **{ قل الأنفال لله والرسول }** [الأنفال : 1] **{ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم }** [الأحزاب : 6] ، **ويجيء باسمه العلم كقوله { ما كان محمدٌ أبا أحد من رجالكم }** [الأحزاب : 40] [465].
- **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ }** (المائدة/67) يقول تعالى مخاطبًا عبده ورسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم باسم الرسالة ، وآمرًا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به ، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ، وقام به أتمّ القيام [466].
- **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }** (التوبة/73)
- **فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ {213} وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ {214} وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {215} فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ {216} وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ {217} الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ {218} وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ {219}** (سورة الشعراء)

---

[463]- تفسير ابن كثير، ص 249/8
[464]- تفسير القرطبي، ص 168/11
[465]- التحرير والتنوير، ص 249/21
[466]- تفسير ابن كثير، ص 150/3

- عَبَسَ وَتَوَلَّى{1} أَن جَاءهُ الْأَعْمَى{2} وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى{3} أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى{4} أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى{5} فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى{6} وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى{7} وَأَمَّا مَن جَاءكَ يَسْعَى{8} وَهُوَ يَخْشَى{9} فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى{10} كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ{11} فَمَن شَاء ذَكَرَهُ{12} (سورة عبس)
- {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (آل عمران/159)
- {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً} (النساء/79)، وكذا قوله تعالى: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ } (الرعد/32)
- وفي المقابل، {وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً } (الفرقان/30)

القسم الثاني: تواصل الله جل جلاله مع المؤمنين

لقد خص الله عز وجل المؤمنين به والموحدين له بدرجة لا ينالها غيرهم من خلقه[467]، وفي هذا الباب نستعرض مما ورد في القرآن الكريم من تواصل بين الله عز وجل والمؤمنين من عباده، وفي هذا التواصل يبين الله عز وجل للمؤمنين طريقهم في هذه الحياة الدنيا، وكيفية فوزهم برضاه والجنة.. وغيره من أمور دينهم ودنياهم، وفي ذلك قوله تعالى:

- في تواصله تعالى مع مؤمن آل ياسين[468]: {قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ } (يس/26)
- وفي تواصله تعالى مع ذي القرنين، وأنه عبد صالح [469]: {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً} (الكهف/84)، والتمكين نوع من التواصل: وهو تواصل غير لفظي.

---

[467]- أنظر: مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم الجوزية، تعليق وتقديم د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، دار اضواء السلف، ط1، الرياض 2004، ص 79-80

[468]- أنظر: تفسير ابن كثير، ص 571/6

- وفي تواصله تعالى مع لقمان الحكيم[470]، ولم يكن نبيا ولم يوح إليه[471] : **{وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ}لقمان12**، وهو تواصل غير لفظي
- وفي تواصله تعالى مع مؤمنين أصحاب الأحدود: **{وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ}** إلى قوله تعالى: **{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ }** (**البروج/8-9**)، يقول الطبري في تفسيره: والله على فِعْل هؤلاء الكفار من أصحاب الأخدود بالمؤمنين الذين فتنوهم شاهد[472]، والشهادة تواصل غير لفظي
- وأما التواصل مع سحرة فرعون، الذي وصف إيمانهم علي الطنطاوي بالشيء الذي هز قلوبهم حتى إضطرها إلى الإيمان.. [473]، وما كان من إيمانيهم إلا أن سجدوا لله رب العالمين [474]: **{فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى }** (**طه/70**)، والسجود نوع من أنواع التواصل: وهو تواصل غير لفظي
- وفي تواصل الله تعالى مع أصحاب الكهف : **{إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً}** (**الكهف/10-12**)، وفي هذا تواصل متبادل بين أصحاب الكهف من طرف وبين الله سبحانه وتعالى من طرف آخر، وهو تواصل غير لفظي.
- وأما تواصله تعالى مع قابيل وهابيل[475]: **{فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ**

---

[469]- أنظر: البداية والنهاية، لابن كثير، حققه ودققه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت 1988، ص 102/2

[470]- باب ما روي عن لقمان الحكيم من وصية ابنه...، أنظر:جامع بيان العلم وفضله، يوسف ابن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام 1994، ص 438

[471]- تفسير الطبري، ص 134/20

[472]- تفسير الطبري، ص 343/24، و أنظر: جزيرة العرب، جمال عبد الهادي، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط3، المنصورة 1997، ص 222/1

[473]- تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة 1992، ط14، ص 172

[474]- أنظر: تفسير الطبري، ص 32/13، وأنظر: تفسير البغوي، ص 266/3

[475]- أنظر: قصص الأنبياء، لابن كثير، ص 56/1، تفسير الطبري، ص 224/10-226

سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } (المائدة/31)، فبعث الله غرابا... (ليريه) الله أو الغراب[476]، والتعليم نوع من التواصل، وهو تواصل غير لفظي.

وفي تواصله تعالى مع المؤمنين عامة:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } (البقرة/153)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ } (البقرة/172)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ } (البقرة/208)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهاً } (النساء/19)
- ومن مشاهد تواصل المؤمنين مع الله عز وجل، قوله تعالى:
- { رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ } (البقرة/286)
- {رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ } (آل عمران/8)
- { رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (آل عمران/191)
- {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ } (آل عمران/193)

القسم الثالث: تواصل الله عز وجل مع أهل الكتاب

ومن مشاهد القرآن الكريم في التواصل، تواصل الله عز وجل مع أهل الكتاب، وخصهم بالذكر والنداء في تواصله مع خلقه، ورفعهم درجة في ندائه لهم عن الكافرين والمشركين، وفي هذا السياق

---

[476]- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بَيروت 1412 هـ - 1992 م، ص 400/3

يقول محمد معروف: "وفي قلب هذه الوحدة الشاملة بين البشر، يؤلف أهل الكتاب أمة ذات امتياز..." [477]، ومن مشاهد التواصل مع أهل الكتاب، فيما قاله تعالى:

- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } (آل عمران/65)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُم } (النساء/47)
- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ } (آل عمران/70)
- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } (آل عمران/71)
- {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } (النساء/171)
- {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران/64)
- {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ } (المائدة/59)

ومن بعض مشاهد تواصل الله عز وجل مع الكافرين والمشركين، كما ذكرت أعلاه، مثل قوله تعالى:

فتارة يكون هذا التواصل على شكل ترهيب، حتى يتفكر هذا الإنسان في قول الله عز وجل قبل فوات الآوان، فيرجع لله [478]، مثل قوله تعالى: {قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ

477_ عبد الوهاب بوحديبة ومحمد معروف الدواليبي، الفرد والمجتمع في الإسلام، مطبوعات اليونيسكو 2000 م ، ص 330

478_ أنظر: تفسير الماوردي، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت 1993، ص 373/1

وَبِئْسَ الْمِهَادُ } (آل عمران/12) أو يكون تواصله معهم على شكل ترغيب، يقول الشيخ سعدي رحمه الله: هذا من لطفه تعالى بعباده لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد، من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد والهدى، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى[479]: {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ } (الأنفال/38)

وتارة يكون على شكل المواجهة بالحقائق العقلية، حتى يتفكر الإنسان[480]، ويعود لله، مثل قوله تعالى: {قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً وَاللّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (المائدة/76)

{قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } (الأنعام/12)

وتارة يكون ردا من خلال نبي الله، على سؤال عن الله سبحانه وتعالى[481]: {قُلْ أَغَيْرَ اللّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (الأنعام/14)، ومثاله أيضا: {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ } (الشعراء/23)، فأجابه سيدنا موسى عليه السلام: {قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ } (الشعراء/24)

القسم الرابع: تواصل الله عز وجل مع الناس أجمعين

وفي هذا النوع من التواصل، يتواصل الله عز وجل مع جميع أصناف الناس، فيحثهم ويدعوهم إليه، ومن هذه المشاهد نذكر بعضها من القرآن الكريم، وفي ذلك قال تعالى:

يتواصل الله عز وجل مع الناس من خلال ندائهم، فيحثهم على عبادته، بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } (البقرة/21)، يقول سيد قطب: إنه النداء إلى الناس كلهم لعبادة ربهم الذي خلقهم والذين من قبلهم[482].

479- تفسير السعدي، ص 321/1

480- أنظر: تفسير السعدي، ص 240

481- أنظر: تفسير فتح القدير للشوكاني، ص 103/1

482- في ظلال القرآن، ص 46/1

وفي موطن آخر يتواصل الله سبحانه وتعالى مع الناس من خلال ندائه لهم، وحثهم على أكل الحلال والطيب، وذلك بقوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً }** (البقرة/168)، يقول سيد طنطاوي: ثم وجه القرآن نداء عاما إلى البشر أمرهم فيه بأن يتمتعوا بما أحله لهم من طيبات [483].

كما يتواصل الله مع الناس من خلال ندائه لهم بأن يتقوه: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }** (النساء/1)، قال أبو حيان: فنادى تعالى : دعاء عامًّا للناس ، وأمرهم بالتقوى التي هي ملاك الأمر ، وجعل سبباً للتقوى تذكاره تعالى إياهم بأنه أوجدهم وأنشأهم من نفس واحدة [484].

أو يأتي التواصل، بتوجيه من الله سبحانه وتعالى، قال سيد طنطاوي: ثم وجه – سبحانه – نداء إلى الناس جميعا يأمرهم فيه بالإيمان وينهاهم عن الكفر فقال[485]: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْراً لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً }** (النساء/170)

وتواصل الله سبحانه مع جميع الناس أن جاءهم حجة وبرهان : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً }** (النساء/174)، قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مخاطبًا جميع الناس ومخبرا بأنه قد جاءهم منه برهان عظيم، وهو الدليل القاطع للعُذْر، والحجة المزيلة للشبهة؛ ولهذا قال: { وَأَنزلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا } أي: ضياء واضحا على الحق، قال ابن جُرَيج وغيره: وهو القرآن [486].

وكما تواصل الله مع الناس بالموعظة: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ }** (يونس/57)، قال سيد قطب: وجاءتكم الموعظة {

---

[483]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 341/1

[484]- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت 1420هـ، ص 150/3

[485]- تفسير الوسيط لسيد طنطاوي، ص 398/3

[486]- تفسير ابن كثير، ص 481/2

من ربكم } فليس هو كتاباً مفترى ، وليس ما فيه من عند بشر . جاءتكم الموعظة لتحيي قلوبكم ، وتشفي صدوركم من الخرافة التي تملؤها ، والشك الذي يسيطر عليها ، والزيغ الذي يمرضها ، والقلق الذي يحيرها . جاءت لتفيض عليها البرء والعافية واليقين والاطمئنان والسلام مع الإيمان . وهي لمن يرزق الإيمان هدى إلى الطريق الواصل ، ورحمة من الضلال والعذاب [487].

وفي تواصل الله مع الناس، من خلال مخاطبة عقلهم بحوار علمي، يبين لهم فيه كيفية خلقهم ونشأتهم، ويبين قدرته وعظمته لهم[488]، فيقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } (الحج/5)**
كما يأتي النداء ببني آدم، مثل قوله تعالى: **{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ } (الأعرافظ26)**

وكما يأتي التواصل بطريقة النداء مرة أخرى ببني آدم، حتى يربطهم بأبيهم آدم مباشرة ويبين لهم ما حصل معه في الجنة، وما فعله إبليس معه، وكان سببا في هبوطه للأرض، فيقول تعالى بذلك: **{يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} (الأعرافظ27)**

487- في ظلال القرآن، ص 1799/3
488-أنظر: تفسير التحرير والتنوير، ص 17/197-198

المبحث الخامس:

تواصل الله عز وجل مع الأشياء

ومن ضمن هذا النوع من التواصل، وكما بينت سابقا، أن الدعاء والعبادة هو نوع من أنواع التواصل الذي يتم بين الله جل جلاله وبين عباده أو مخلوقاته[489]، ومن هذه المشاهد:

من خلال الآية القادمة، يتبين لنا حقيقة من الحقائق، ألا وهي أن للجماد لغة، ولكن لا نفقه هذه اللغة كما بين الله سبحانه وتعالى، ومن خلال هذه اللغة يتم التواصل بين هذه المخلوقات وبين الله سبحانه وتعالى[490]، وذلك لقوله تعالى: **{تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً }** (**الإسراء/44**)، ومثاله أيضا، قوله تعالى: **{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ }** (**فصلت/11**) كما تبين هذه الآية الكريمة، من خلال التواصل مع الله عز وجل، أن للسموات والارض إرادة واختيار، كما قال تعالى في محكم تنزيله: **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً }** (**الأحزاب/72**)، كذا قال الشوكاني: وهذا العرض في الآية عرض هو تخيير لا عرض إلزام[491].

ومن أشكال التواصل الذي بينه القرآن الكريم، تواصل العبادة من قبل المخلوقات لله تعالى، **{وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ }** (**النحل/49**)

وكذلك، يبين الله تعالى تواصل هذه المخلوقات بالتفصيل، لقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ }** (**الحج/18**)

489- أنظر: الله والإنسان في القرآن: علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، ص 213-214

490- عماد الدين خليل، مجلة العربي، عدد 259، رجب 1400هـ - حزيران 1980. وأنظر: تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 359/8

491- تفسير فتح القدير للشوكاني، ص 309/4

كما يشير الله تعالى أيضا إلى أن هذه المخلوقات لها علم بهذه العبادة [492]، فهي تعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه[493]، قال سبحانه: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ } (النور/41)**

ومن أشكال التواصل في هذا المستوى، ردة فعل هذه المخلوقات من خشية الله، حيث نرى من هذه الصور قوله تعالى: **{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً } (مريم/90)**

وكذا قوله تعالى: **{ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (البقرة/74)**

وفي تجلي الله للجبل فجعله دكا، وفي هذا أيضا نوع من أنواع التفاعل والتواصل، قال تعالى: **{ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً } (الأعراف/143)** قال ابن عباس: ظهر نور ربه للجبل، جبل زبير. وقال الضحاك: أظهر الله من نور الحجب مثل منخر ثور. وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار: ما تجلى من عظمة الله للجبل إلا مثل سم الخياط حتى صار دكا. وقال السدي: ما تجلى إلا قدر الخنصر، يدل عليه ما روى ثابت عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال: "هكذا" ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر، فساخ الجبل [494].

ومن هذا التواصل أيضا، قوله: **{ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا } (فصلت/12)**

قال مجاهد: لا ينزل حجر من أعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله، ويشهد لما قلنا قوله تعالى "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون"(21-الحشر) [495].

---

[492]- أنظر: تفسير الطبري، ص 200/19، وأنظر: تفسير القرطبي، ص 287/12

[493]- تفسير ابن كثير، ص 72/6

[494]- تفسير البغوي، ص 3/277-278

[495]- تفسير البغوي، ص 112/1

المبحث السادس:

تواصل الله عز وجل مع الحيوانات

لقد تعددت أشكال تواصل الله عز وجل مع مخلوقاته من الحيوانات في مواضع عدة من القرآن الكريم، ومن ذلك أن في القرآن سور بأسماء الحيوانات: البقرة - الأنعام - النحل – النمل – العنكبوت – الفيل ، ومن جملة الآيات التي وردت كقوله تعالى:

- **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }** (**النحل/68**) عن ابن عباس، قوله (وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) ... الآية، قال: أمرها أن تأكل من الثمرات، وأمرها أن تتبع سبل ربها ذللا [496].
- **{فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً }** (**المائدة/31**)، قال الشوكاني في تفسيره: فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه [497].
- **{ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ }** (**سبأ/14**)، قال السيوطي في تفسيره: فبعث الله {دابة الأرض} دابة تأكل العيدان يقال لها : القادح فدخلت فيها ، فأكلتها... [498]
- وتواصله تعالى مع الطير أن سخرها لداوود عليه السلام: **{ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ }** (**الأنبياء/79**)
- وأما تواصل الطير معه سبحانه ففي التسبيح، لقوله: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ }** (**النور/41**)
- وفي تواصله تعالى مع الحوت: **{فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ }** (**الصافات/142**)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَمَّا أَرَادَ اللهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الحُوتِ ، أَوْحَى اللهُ

---

[496] - تفسير الطبري، ص 248/17

[497] - تفسير فتح القدير للشوكاني، ص 32/2

[498] - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التأويل بالمأثور، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الفكر، بيروت 1993 ص 685/6

إِلَى الحُوتِ..." إلى أن قال عليه الصلاة والسلام: " فَأَمَرَ الحُوتَ فَقَذَفَه فِي السَّاحِلِ ، كما قالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعالى: وَهُوَ سَقِيمٌ". [499]

- وفي تواصله تعالى مع الحيوانات كالحمار من خلال إعادة إحيائه، وهي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت[500] **{ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً }** (البقرة/259)، وقوله : { وانظر إلى حِمَارِكَ } اختلف المفسرون في معناه ، فذهب الأكثر إلى أن معناه : انظر إليه كيف تفرّقت أجزاؤه ، ونخرت عظامه ، ثم أحياه الله ، وعاد كما كان [501].
- وفي تواصله تعالى مع كلب أصحاب الكهف من خلال (ونقلبهم)، وهذا التواصل تواصل غير لفظي، قال تعالى : **{ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ }** (الكهف/18) قال الشوكاني في تفسيره: أي: نقلبهم في رقدتهم إلى الجهتين لئلا تأكل الأرض أجسادهم [502].
- وفي تواصله تعالى مع طيور أبابيل، أن أرسلها على أصحاب الفيل، في قوله: **{وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ }** (الفيل/3)، قال ابن كثير في تفسيره: وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان [503].

وأيضا ما أرسله تعالى لبيان السخط وفرض العقوبة : **{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْماً مُّجْرِمِينَ }** (الأعراف/133)
وكذلك تواصل الله سبحانه مع ناقة صالح عليه السلام، إذ أرسلها لثمود، فقال تعالى: **{وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً }** (الإسراء/59)، وقيل: معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات، إلا تخويفا أي إنذارا بعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا فإن الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون [504].

---

[499]- تفسير الطبري، ص 518/18
[500]- تفسير البغوي، 320/1
[501]- تفسير فتح القدير للشوكاني، ص 378/1
[502]- المصدر السابق، ص 375/4
[503]- تفسير ابن كثير، ص 485/8
[504]- تفسير الخازن، ص 135/3

ومن أشكال تواصله تعالى مع الحيوانات في القرآن الكريم، عن طريق ضرب الأمثال لأن: ذكر تفضله للعباد في ضرب الامثال لتقع لهم العبرة والنظر المؤدي إلى الايمان [505].

- كقوله تعالى في ضرب مثل البعوضة : **{إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا} (البقرة/26)**
- أو كضربه مثلا بالعنكبوت : **{مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (العنكبوت/41)**
- كذلك ضرب الله المثل بالذباب : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ } (الحج/73)**
- أيضا كضربه مثلا بالكلب : **{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث} (الأعراف/176)**
- أو ضربه تعالى المثل بالحمار : **{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً } (الجمعة/5)**
- وأيضا بالأنعام : **{أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} (الأعراف/179)**
- كذلك ضرب المثل بالإبل : **{أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ } (الغاشية/17)**
- وضرب مثلا بالجمل : **{وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} (الأعراف/40)**

---

[505]- تفسير الطبري، ص 259/12

الفصل الثاني:

تواصل الملائكة الكرام

المبحث الأول: تواصل الملائكة مع الملائكة

- الملائكة يتناقشون فيما خفي عليهم: قال تعالى: {مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلإِ الأَعْلَىَ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِن يُوحَىَ إِلَيّ إِلاّ أَنّمَآ أَنَاْ نَذِيرٌ مّبِينٌ} (ص/69-70) [506].
- {احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ } (الصافات/22)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ:" " احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ "، قَالَ: تَقُولُ الْمَلائِكَةُ لِلزَّبَانِيَةِ: " احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ " [507].
- {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ } (سبأ/23)، وذكر البغوي في تفسيره: عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة خوفًا من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير، قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله" [508].
- {لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى } (الصافات/8)، أي: لا يميلون بسمعهم إلى ما تقول الملائكة (في) السماء للحفيظ الذي في السماء [509].
- تواصل الملائكة مع بعضهم البعض وحديثهم عن الروح التي يصعد بها إلى السماء بعد موتها : {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ

---

[506]- محمد علي محمد إمام، الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين، مطبعة السلام، مصر – الطبعة الأولى: 2007، ص 110

[507]- تفسير ابن أبي حاتم، ص 3207/10

[508]- تفسير البغوي، ص 398/6

[509]- الهداية إلى بلوغ النهاية، ص 6081/9

يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ }
(**الأعراف/40**) عن البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله ، (...) فيصعدون بها فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب؟! فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا ..» جزء من الحديث [510].

وحديث " **إن رجلا قتل تسعة وتسعون نفسا** " يشير لحوار الملائكة مع بعضها البعض، يقول النووي في شرح صحيح مسلم: "وأما قياس الملائكة ما بين القريتين وحكم الملك الذى جعلوه بينهم بذلك فهذا محمول على أن الله تعالى أمرهم عند اشتباه أمره عليهم واختلافهم فيه أن يحكموا رجلا ممن يمر بهم فمر الْمَلَك فى صورة رجل فحكم بذلك"[511]. وقال الترمذي: فحضرته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب يختصمون أيهم يصعد بروحه ، كل يريد أن يتولى قبض روحه أولئك يقولون : إنه قتل مائة نفس ولم يعمل خيراً قط ، وأولئك يقولون : إنه خرج تائباً إلى الله تعالى [512].

---

[510]- الدر المنثور، ص 453/3

[511]- شرح صحيح مسلم للنووي، ص 84/17

[512]- محمد ابن سورة الترمذي، مختصر الشمائل المحمدية، اختصره وحققه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية، عمان – الطبعة الأولى 1405هـ ، ص 499/8

المبحث الثاني:
تواصل الملائكة مع البشر

قال الأبي في شرح مسلم في كتاب الحج في شرح قول عمران بن حصين ما نصه كلام للملائكة مع غير الأنبياء يصح [513]. وأما المشاهد التي ذكرها القرآن الكريم في تواصل الملائكة مع البشر، قوله تعالى:

- **{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ}** (آل عمران/42)
- ومن أنواع التواصل: مرافقة الملائكة للمؤمنين في الحياة الدنيا وما بعدها: **{نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ}** (فصلت/31)، أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم [514].
- وأما النوع الآخر من تواصل الملائكة مع المؤمنين هو: قتالهم معهم يوم بدر: **{هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ}** (آل عمران/125)، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، والله أعلم، قال سعيد بن أبي عَرُوبَة، عن قتادة: أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف [515].
- **{وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ}** (الأنبياء/103)، أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم: (هذا يومكم الذى كنتم

---

[513] - محمد بن محمد الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، دار الفكر، بيروت، ط3، 1992، ج6 / فرع كلام الملائكة مع غير الأنبياء

[514] - تفسير ابن كثير، ص 177/7

[515] - المصدر السابق، ص 112/2

توعدون) وقيل: تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور عن ابن عباس " هذا يومكم " أي ويقولون لهم، فحذف. "الذي كنتم توعدون" فيه الكرامة [516].

- { تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ } (فصلت/30)، فيه بشارة للمؤمنين بالرؤية لأنهم يرون الملائكة ويبشرونهم بالجنة [517].

- وكما تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار في قوله: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنزلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } [فصلت: 30] [518].

- ومن أنواع التواصل في هذا الباب "**الضيافة**" وهو ضيافة الملائكة عند سيدنا لوط عليه السلام في بيته: {وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ } (هود/77) وقوله تعالى: {قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ } (هود/81) وقيل: وجدوا ابنته تستقي ماء من نهر سدوم، فسألوها الدلالة على من يضيفهم، ورأت هيئتهم فخافت عليهم من قوم لوط، وقالت لهم: مكانكم ! وذهبت إلى أبيها فأخبرته، فخرج إليهم، فقالوا: نريد أن تضيفنا الليلة، فقال لهم: أوما سمعتم بعمل هؤلاء القوم ؟ فقالوا: وما عملهم ؟ فقال أشهد بالله إنهم لشر قوم في الأرض وقد كان الله عز وجل، قال لملائكته لا تعذبوهم حتى يشهد لوط عليهم أربع شهادات – فلما قال لوط هذه المقالة، قال جبريل لأصحابه: هذه واحدة، وتردد القول بينهم حتى كرر لوط الشهادة أربع مرات، ثم دخل بهم المدينة [519].

- ومن أنواع التواصل أيضا في هذا الباب: " **الزيارة** " فلما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط ومروا بإبراهيم ونزلوا عنده، وكان كل من نزل عنده يحسن قراه، وكانوا مروا ببشارة

---

[516]- تفسير القرطبي، ص 246/11

[517]- تفسير القشيري، ص 632/2

[518]- تفسير ابن كثير، ص 284/1

[519]- تفسير القرطبي، ص 74/9

إبراهيم، فظنهم أضيافا [520]: {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَماً قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ {69} فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ {70} وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ {71} قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخاً إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ {72} قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ {73} (سورة هود)

- والنداء نوع من أنواع التواصل كما مر وسيمر أيضا في هذه الرسالة: {فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى } (آل عمران/39)
- {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }

(الحديد/12) وقال الضحاك ومقاتل: "يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم" كتبهم، يريد أن كتبهم التي أعطوها بأيمانهم ونورهم بين أيديهم . وتقول لهم الملائكة: { بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }... الآية. [521]

- { ادخلوها بِسَلَامٍ آمِنِينَ } (الحجر/46) أي : وتقول لهم الملائكة – على سبيل التكريم – والتحية – لهؤلاء المتقين عند دخولهم الجنات واستقرارهم فيها : ادخلوها – أيها المتقون – تصاحبكم السلامة من الآفات ، والنجاة من المخافات [522].
- {قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا } (غافر/50)، قال لهم الملائكة الذين هم : خزنة جهنم [523] : أولم تك تأتيكم في الدنيا رسلكم بالبيّنات من الحجج [524].

---

[520]- المصدر السابق، ص 62/9

[521]- تفسير البغوي، ص 35/8

[522]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 49/8

[523]- فتح القدير للشوكاني، 329/6

[524]- تفسير الطبري، ص 399/21

- أن أهل النار استغاثوا بخزنة جهنم، فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا [525] : {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ } (الزخرف/77) .
- { وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } (الأنفال/50) أي: وتقول لهم الملائكة: ذوقوا عذاب الحريق. وقيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار، فتلتهب النار في جراحاتهم، فذلك قوله تعالى: "وذوقوا عذاب الحريق". وقال الحسن: هذا يوم القيامة تقول لهم خزنة جهنم: ذوقوا عذاب الحريق. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يقولون لهم ذلك بعد الموت [526].
- { وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا } (الفرقان/22) قال: تقول الملائكة: حراما محرما أن تكون لكم البُشرى [527].

المبحث الثالث:

تواصل الملائكة مع الجن

- {قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء } (البقرة/30)، عن ابن عباس قال: أول من سكن الأرضَ الجنُّ فأفسدوا فيها وسفكوا فيها الدماء وقتل بعضهم بعضًا. فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال [528]. فكان هذا نوع من أنواع التواصل .
- {إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ } (الحجر/18)، عن ابن عباس، قال: تصعد الشياطين أفواجا تسترق السمع... [529]، وقال ابن كثير في تفسيره: { لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى } أي: لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى، وهي السماوات ومن فيها من الملائكة، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره [530].

---

[525]- تفسير القرطبي، ص 117/16
[526]- تفسير البغوي، ص 368/3
[527]- تفسير الطبري، ص 255/19
[528]- تفسير الطبري، 450/1
[529]- الصدر السابق، 78/17
[530]- تفسير ابن كثير، ص 6/7

المبحث الرابع:

تواصل الملائكة مع الأشياء

- {وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ } (الطور/4)، ذكر الطبري في تفسيره: قال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم: "رفِعَ إليَّ البَيْتُ المعْمُورُ، فَقُلْتُ: يا جبريلُ ما هَذَا؟ قال: البَيْتُ المعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إذَا خَرَجوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ".[531]
- وفي تواصل الملائكة مع الأشياء كأدوات الإستنساخ: {إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (الجاثية/29)، عن ابن عباس قال: هم الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم[532].
- وكذلك أدوات الكتابة كالألواح والقلم وغيرها : { إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ } [يونس : 21] في ألواح الملكوت[533]. ويقول طنطاوي: الحفظة من الملائكة يسجلون عليكم أقوالكم وأفعالكم ، التي ستحاسبون عليها وفى يوم القيامة حساباً عسيراً ، وسترون أن مكركم السيء لا يحيق إلا بكم[534].
- وفي تواصلهم مع الأشياء الآخرى:

- مقامع من حديد : { وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } (الأنفال/50) وقيل: كان مع الملائكة مقامع من حديد يضربون بها الكفار، فتلتهب النار في جراحاتهم ..[535].
- الخطاطيف، قال الطبري في تفسيره : ويضرب الصراط على جهنم كحد السيف، دحض مزلة، وفي جانبيه ملائكة معهم خطاطيف كشوك السعدان[536].
- الكلاليب : {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً } (مريم/71) عن عبد الله بن مسعود قال: يرد الناس جميعًا الصراط، (...) والصراط دَحْضٌ زَلّة، عليه حَسَك كَحَسك القَتَاد، حافتاه ملائكة، معهم كلاليب من نار، يختطفون بها الناس. وذكر تمام الحديث. رواه ابن أبي حاتم[537].

---

[531]- تفسير الطبري، 455/22
[532]- تفسير البغوي، ص 446/6
[533]- تفسير الألوسي، ص 115/6
[534]- التفسير الوسيط ص 49/7
[535]- تفسير البغوي، ص 368/3
[536]- تفسير الطبري، 522/14
[537]- تفسير ابن كثير، ص 254/5

- سياط النار: { إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ } (محمد/27) تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم بسياط النار[538].
- الطست وماء زمزم والبراق: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الإسراء/1) عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة، وهو رجل من قومه قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: "بَيْنا أَنا عِنْدَ البَيْتِ بينَ النَّائِم واليَقْظَانِ، إِذْ سَمِعْتُ قائلا يَقُولُ أَحَدُ الثلاثَةِ، فأتيت بطسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهَا مِنْ ماءِ زَمْزَمَ، فَشَرَحَ صَدْرِي إلى كَذَا وَكَذَا، قال قتادة: قلت: ما يعني به؟ قال: إلى أسفل بطنه؛ قال: فاسْتَخْرَجَ قَلْبِي فَغُسلَ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ أُعِيدَ مَكَانَهُ، ثُمَّ حُشِيَ إِيمَانا وَحِكْمَةً، ثُمَّ أتيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَض"، وفي رواية أخرى: "بِدَابَّة بَيْضَاءُ يُقال لَهُ البُرَاقُ، فَوْقَ الحِمارِ وَدُونَ البَغْلِ يَقَعُ خَطْوُهُ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فحُمِلْتُ عَلَيْه ثُمَّ انْطَلَقْنا حتى أَتَيْنَا إلى بَيْتِ المَقْدِسِ فَصَلَّيْتُ فِيهِ بالنَّبِيينَ والمُرْسَلِينَ إماما، ثُمَّ عُرِجَ بِي إلى السَّماءِ الدُّنْيا ".... فذكر الحديث[539].
- الكفن والحنوط : {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ } (الأعراف/40) عن البراء بن عازب قال : « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله ، وكأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض ، فرفع رأسه فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ، ثم قال : إنَّ العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأنَّ وجوههم الشمس ، معهم أكفان من كفن الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر..» الحديث[540].

538- تفسير البغوي، ص 367/3

539- تفسير الطبري، ص 332/17

540- الدر المنثور، ص 453/3

الفصل الثالث

تواصل الجن والبشر مع بعضهم البعض

ومن مشاهد القرآن الكريم التي أظهرت مثل هذه الصور التواصلية، ما ذكره الله سبحانه وتعالى في بعض المواطن، نستعرضها بقوله تعالى:

- {فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ } (البقرة/36) أي حملهما على الزلة بسببها ، وإزلاله عليه اللعنة إياهما عليهما السلام كان بكذبه عليهما ومقاسمته على ما قص الله تعالى في كتابه ، وفي كيفية توسله إلى ذلك أقوال ، فقيل : دخل الجنة ابتلاء لآدم وحواء ، وقيل : قام عند الباب فناداهما ، وأفسد حالهما ، وقيل : تمثل بصورة دابة فدخل ولم يعرفه الخزنة ، وقيل : أرسل بعض أتباعه إليهما [541].
- التواصل عن طريق تزين الشيطان الأعمال للبشر، ونرى ذلك في قوله تعالى: {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ} (النمل/24) وقال تعالى: {وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ} (العنكبوت/38)
- التواصل عن طريق استمتاع الإنس بالجن: {وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا } (الأنعام/128)، قال البغوي في تفسيره: استمتاع الإنس بالجن ما كانوا يُلْقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الأمور التي يهوونها، وتسهيل سبيلها عليهم، واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي [542].

---

[541]- تفسير الألوسي، ص 237/1

[542]- تفسير البغوي، ص 188/3

- التواصل عن طريق الوعد والتغرير: **{كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} (الحشر/16)**، قال الطبري رحمه الله في تفسيره: كمثل الشيطان الذي غرّ إنْسانًا، ووعده على اتباعه وكفره بالله، النصرة عند الحاجة إليه، فكفر بالله واتبعه وأطاعه، فلما احتاج إلى نُصرته أسلمه وتبرأ منه، وقال له:(إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ) في نُصرتك.[543]

- والنزغ، نوع من أنواع التواصل : **{وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الأعراف/200)**

النزغ النخس وهو المس بطرف قضيب أو أصبع بعنف مؤلم استعير هنا للوسوسة الباعثة على الشر (..) أي وإن ينزغنك ويصرفنك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن { فاستعذ بالله } من شره ولا تعطه { أَنَّهُ } عز وجل { هُوَ السميع } فيسمع سبحانه استعاذتك { العليم } فيعلم جل شأنه نيتك وصلاحك [544].

- وهذه تسمى: خطبة إبليس في جهنم، وهي من أروع خطب الشماتة ببني آدم من قبل الشيطان[545]: **{وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (إبراهيم/22)**، أي قام إبليس عند ذلك فخطبهم فقال: (إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم) ....، قال: فلما سمعوا مقالته مقتوا أنفسهم .[546]

- التواصل عن طريق الإغواء : **{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً} (مريم/83)**، فأخبر الله سبحانه أن الشياطين تحرّك الكافرين وتهيجهم وتغويهم ، وذلك هو التسليط لها عليهم .[547]

---

[543]- تفسير الطبري، ص 294/23

[544]- تفسير الآلوسي، ص 376/12

[545]- إضافة الدكتور يونس علوي، الدكتور المشرف على رسالة الماجيستير

[546]- تفسير الطبري، 565/16

[547]- فتح القدير للشوكاني، ص 479/4

- قوله تعالى: { **وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ** } وكان تزيينه أن قريشا لما اجتمعت للسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب، فكاد ذلك أن يثنيهم فجاء إبليس في جند من الشياطين معه رايته، فتبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، { **وَقَالَ** } لهم { **لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ** } أي: مجير لكم من كنانة، { **فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ** } أي التقى الجمعان رأى إبليس الملائكة نزلوا من السماء علم أنه لا طاقة له بهم، { **نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ** } قال الضحاك: ولى مدبرا [548]. **(الأنفال/48)**

- وفي الحوار الذي دار بين سيدنا سليمان عليه السلام وجلسائه من الإنس والجن، أن طلب إحضار عرش بلقيس، فأجاب عفريت من الجن، بقوله تعالى: {**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ** } **(النمل/39)**

- التواصل عن طريق الإنصات والإستماع للقرآن الكريم من خلال دعوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم للجن، وهذه الآية تدل على دعوة الجن إلى الإسلام : {**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ** } **(الأحقاف/29)**، وكذلك في قوله تعالى: {**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً** } **(الجن/1)**، إلى أخره من سورة الجن، يقول الطبري: فلما حضر هؤلاء النفر من الجنّ الذين صرفهم الله إلى رسوله نبيّ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم. كانوا سبعة نفر من أهل نصيبين، فجعلهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم رسلا إلى قومهم [549].

- ومن أشكال التواصل الأخرى بين الإنس والجن، الإيحاء، وهو نوع من أنواع التواصل في الحياة العادية، وفي ذلك، قال سبحانه تعالى: {**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ**} **(الأنعام/121)**

أي: يلقي بعضهم إلى بعض القول المزين المزخرف، وهو المزوق الذي يغتر سامعه من الجهلة بأمره [550]. وعن ابن عباس قال: لما حرم الله الميتة، أمر الشيطان أولياءَه فقال

---

[548]- تفسير البغوي، ص 366/3
[549]- تفسير الطبري، ص 135/22
[550]- تفسير ابن كثير، ص 321/3

لهم: ما قتل الله لكم، خيرٌ مما تذبحون أنتم بسكاكينكم! فقال الله:(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) [551].

- ومن أشكال التواصل الأخرى بين الإنس والجن عن طريق تعليم السحر، حيث أن التعليم يعتبر نوعا من أنواع التواصل، إلا أن تعلم هذا النوع من العلم الذي هو السحر: حرام في الإسلام، إلا أنه نوع من أنواع التواصل نستشهد به في هذا الباب، وعليه قال تعالى: **{وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ}** (البقرة/102)، يقول ابن كثير رحمه الله: وقد استدل بعضهم بهذه الآية على تكفير من تعلم السحر [552]

[551]- تفسير الطبري، ص 79/12

[552]- تفسير ابن كثير، 363/1

الفصل الرابع

تواصل البشر مع البشر، تواصل الأنبياء

وبعد هذا التقسيم، سأبدأ بذكر الآيات التي وردت بخصوص تواصل البشر مع بعضهم البعض، وسأستهل بالبدء بتواصل الأنبياء مع أقوامهم، حيث سلط القرآن الكريم الضوء على هذا الجزء بوضوح وتفصيل، ولكي نختصر بالذكر في هذا الموضوع، سأذكر آية لكل نبي أو رسول مع قومه وملخصا عنه، إلا إذا استدعى السياق لوضع أكثر من آية بما يخص الموضوع حتى تكتمل الصورة: وسأرتب ذكر الأنبياء والرسل حسب الترتيب الزمني والوراثي [553]، وبما أن القرآن الكريم نزل على خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن كل آياته كانت بينه وبين قومه، بل وتعدت ذلك حتى شملت هذه الرسالة الثقلين، قال تعالى: **{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً }** (الفرقان/1) وقوله تعالى : **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ }** (الأنبياء/107) وقال تعالى في حق القرآن : **{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ }** (ص/87)

المبحث الأول:

تواصل الأنبياء مع أقوامهم

يقول تعالى: **{ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلا خَلا فِيهَا نَذِيرٌ }** (فاطر/24) أي: وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النُّذر، وأزاح عنهم العلل، كما قال تعالى: **{ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ }** [الرعد: 7] ، وكما قال تعالى: **{ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ }** الآية [النحل:136] ، والآيات في هذا كثيرة [554].

آدم عليه السلام

---

[553]- راجع كتاب: قصص الأنبياء لابن كثير

[554]- تفسير ابن كثير، ص 543/6

أبو البشر، خلقه الله بيده وأسجد له الملائكة وعلمه الأسماء وخلق له زوجته وأسكنهما الجنة وأنذرهما أن لا يقربا شجرة معينة ولكن الشيطان وسوس لهما فأكلا منها فأنزلهما الله إلى الأرض " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه " ومكن لهما سبل العيش بها وطالبهما بعبادة الله وحده وحض الناس على ذلك، وجعله خليفته في الأرض، وهو رسول الله إلى أبنائه وهو أول الأنبياء [555]. عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : " قلت يا رسول الله من أول الأنبياء؟ قال : آدم عليه السلام ... [556].

- {إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} (آل عمران/33)

إدريس عليه السلام

كان صديقا نبيا ومن الصابرين، أول نبي بعث في الأرض بعد آدم، وهو أبو جد نوح، أنزلت عليه ثلاثون صحيفة، ودعا إلى وحدانية الله وآمن به ألف إنسان، وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبسها، وأول من نظر في علم النجوم وسيرها، وقيل أنه رفع كما رفع عيسى وقبضت روحه في السماء الرابعة [557]. قال تعالى مخبرا عن إدريس عليه السلام :

- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً} (مريم/56)

نوح عليه السلام

كان نوح تقيا صادقا أرسله الله ليهدي قومه وينذرهم عذاب الآخرة ولكنهم عصوه وكذبوه، ومع ذلك استمر يدعوهم إلى الدين الحنيف فاتبعه قليل من الناس، واستمر الكفرة في طغيانهم فمنع الله عنهم المطر ودعاهم نوح أن يؤمنوا حتى يرفع الله عنهم العذاب فآمنوا فرفع الله عنهم العذاب ولكنهم رجعوا إلى كفرهم، وأخذ يدعوهم 950 سنة ثم أمره الله ببناء السفينة وأن يأخذ معه زوجا من كل نوع ثم جاء الطوفان فأغرقهم أجمعين [558]. قال تعالى :

---

[555]- قصص الأنبياء، ص 5/1-33

[556]- تفسير الآلوسي، ص 201/4

[557]- قصص الأنبياء، ص 70/1- 73، تفسير القرطبي، ص 116/11-117

[558]- قصص الأنبياء، ص 74/1-119

- **{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (الأعراف/59)**
- فكان جواب قومه له: **{قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ } (الأعراف/60)**
- فكان جوابه لهم: **{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } (الأعراف/61)**

هود عليه السلام

أرسل إلى قوم عاد الذين كانوا بالأحقاف، وكانوا أقوياء الجسم والبنيان وآتاهم الله الكثير من رزقه ولكنهم لم يشكروا الله على ما آتاهم وعبدوا الأصنام فأرسل لهم الله هودا نبيا مبشرا، كان حكيما ولكنهم كذبوه وآذوه فجاء عقاب الله وأهلكهم بريح صرصر عاتية استمرت سبع ليال وثمانية أيام [559].

- **{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ } (الأعراف/65)**
- فكان جواب قومه له: **{قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } (الأعراف/66)**
- فكان جوابه لهم: **{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ } (الأعراف/67)**

صالح عليه السلام

أرسله الله إلى قوم ثمود وكانوا قوما جاحدين آتاهم الله رزقا كثي ا ر ولكنهم عصوا ربهم وعبدوا الأصنام وتفاخروا بينهم بقوتهم فبعث الله إليهم صالحا مبشرا ومنذرا ولكنهم كذبوه وعصوه وطالبوه بأن يأتي بآية ليصدقوه فأتاهم بالناقة وأمرهم أن لا يؤذوها ولكنهم أصروا على كبرهم فعقروا الناقة وعاقبهم الله بالصاعقة فصعقوا جزاء لفعلتهم ونجى الله صالحا والمؤمنين [560].

---

[559]- تفسير ابن كثير، ص 152/6، قصص الأنبياء، ص 120/1-144

[560]- تفسير الطبري، ص 525/12-540، قصص الأنبياء، ص 145/1-166

وأما المشهد الثامن، فكان مع سيدنا صالح عليه السلام، حيث قال تعالى:

- {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلاَ تَمَسُّوهَا بِسُوَءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (الأعراف/73)، وقال تعالى: {إذ قال لهم اخوهم صالح ألا تتقون} (الشعراء/142)
- وفي حوار قومه، قوله تعالى: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُواْ إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ } (الأعراف/75)
- وكان جواب قومه له: {فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ } (الأعراف/77)،
- فكانت النتيجة: {فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ } (النمل/51)

إبراهيم عليه السلام

هو خليل الله، اصطفاه الله برسالته وفضله على كثير من خلقه، كان إبراهيم يعيش في قوم يعبدون الكواكب، فلم يكن يرضيه ذلك، وأحس بفطرته أن هناك إلها أعظم حتى هداه الله واصطفاه برسالته، وأخذ إبراهيم يدعو قومه لوحدانية الله وعبادته ولكنهم كذبوه وحاولوا إحراقه فأنجاه الله من بين أيديهم، جعل الله الأنبياء من نسل إبراهيم فولد له إسماعيل وإسحاق، قام إبراهيم ببناء الكعبة مع إسماعيل عليهم السلام أجمعين، ثم تزوج بعد ذلك مرتين وأنجبت الأولى ستة والثانية خمسة [561]. قال تعالى :

- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

---

[561]- قصص الأنبياء، ص 1/167-253

الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } (البقرة/258)

- فكان رد قومه عليه : {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (العنكبوت/24)

لوط عليه السلام

أرسله الله ليهدي قومه ويدعوهم إلى عبادة الله، وكانوا قوما ظالمين يأتون الفواحش ويعتدون على الغرباء وكانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء فلما دعاهم لوط لترك المنكرات أرادوا أن يخرجوه هو وقومه فلم يؤمن به غير بعض من آل بيته، أما امرأته فلم تؤمن ولما ييئس لوط فدعا الله أن ينجيهم ويهلك المفسدين فجاءت له الملائكة وأخرجوا لوطا ومن آمن به وأهلكوا الآخرين بحجارة مسومة. ولوط ابن أخي إبراهيم الخليل عليهما السلام [562]. قال تعالى :

- {وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّن الْعَالَمِينَ } (الأعراف/80)
- فكان جواب قومه له: {وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ } (الأعراف/82)

إسماعيل عليه السلام

هو ابن إبراهيم البكر وولد السيدة هاجر، سار إبراهيم بهاجر – بأمر من الله – حتى وضعها وابنها في موضع مكة وتركهما ومعهما قليل من الماء والتمر ولما نفذ الزاد جعلت السيدة هاجر تطوف هنا وهناك حتى هداها الله إلى ماء زمزم ووفد عليها كثير من الناس حتى جاء أمر الله لسيدنا إبراهيم ببناء الكعبة ورفع قواعد البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجر وإبراهيم يبني حتى أتما البناء ثم جاء أمر الله بذبح إسماعيل حيث رأى إبراهيم في منامه أنه يذبح ابنه فعرض عليه ذلك فقال : " يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين " ففداه الله بذبح عظيم، كان إسماعيل فارسا فهو أول من ركب الخيل، وكانت قبل ذلك وحوشا فأنسها وركبها. وكان صبورا

---

[562]- قصص الأنبياء، ص 254-291

حليما، يقال إنه أول من تحدث بالعربية البينة وكان صادق الوعد، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، وكان ينادي بعبادة الله ووحدانيته [563]. قال تعالى في دعوته لقومه :

- {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً } (مريم/54)
أى : وكان من رسلنا الذين أرسلناهم لتبليغ شريعتنا ، ومن أنبيائنا الذين رفعنا منزلتهم وأعلينا قدرهم . قالوا : وكانت رسالته بشريعة أبيه إلى قبيلة جرهم من عرب اليمن ، الذين نزلوا على أمه هاجر بوادى مكة حين خلفها إبراهيم وهى وابنها بذلك الوادى ، فسكنوا هناك حتى كبر إسماعيل وزوجوه منهم ، وأرسله الله - تعالى - إليهم " [564].
- {وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً } (مريم/55)، قال البغوي في تفسيره: { وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ } أي: قومه وقيل: أهله وجميع أمته { بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ } [565]

- ومن أمثلة تعامله في الدعوة إلى الله مع قومه عليه السلام : أن إسماعيل عليه السلام وعد رجلا مكانا أن يأتيه، فجاء ونسي الرجل، فظلّ به إسماعيل، وبات حتى جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحت من هاهنا؟ قال: لا قال: إني نسيت، قال: لم أكن لأبرح حتى تأتي، فبذلك كان صادقا [566].

إسحاق عليه السلام

هو ولد سيدنا إبراهيم من زوجته سارة، وقد كانت البشارة بمولده من الملائكة لإبراهيم وسارة لما مروا بهم مجتازين ذاهبين إلى مدائن قوم لوط ليدمروها عليهم لكفرهم وفجورهم، ذكره الله في القرآن بأنه" غلام عليم "جعله الله نبيا يهدي الناس إلى فعل الخيرات، جاء من نسله سيدنا يعقوب [567]. وصارت النبوة في ورثة إسحاق عليه السلام تترى واحدا وراء واحد، ومجتمعين في عصر واحد أكثر من أربعة آلاف سنة [568]. فكانت دعوته لقومه كما وصى به إبراهيم بنيّه :

[563]- المصدر السابق، ص 292-296
[564]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 47/9
[565]- تفسير البغوي، 237/5
[566]- تفسير الطبري، ص 211/18
[567]- قصص الأنبياء، ص 297/1-300
[568]- أنظر: تفسير الرازي، ص 51/25

{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ } (البقرة/132) فبتلك الوصية أبقى إبراهيم توحيد الله بالإلهية والعبادة في عقبه يبثونه في النّاس . ولذلك قال يوسف[569] :

- {وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ... } (يوسف/38)
- وقال تعالى : {قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ...} (البقرة/136)

يعقوب عليه السلام

وهو ابن إسحاق عليهما السلام يقال له إسرائيل تعني عبد الله، كان نبيا لقومه، وكان تقيا وبشرت به الملائكة جده إبراهيم وزوجته سارة عليهما السلام وهو والد يوسف عليه السلام، وقد سمعت أمه أن أخاه العيص يتوعده بالقتل فأمرت يعقوب أن يذهب إلى أخيها "لابان" الذي بأرض حيران، وأن يكون عنده إلى حين يسكن غضب أخيه، وأن يتزوج من بناته، ففعل وتزوج عدة مرات وولد له عيال كثيرة كما دعا له أباه إسحاق عليه السلام [570]. وأما دعوته لقومه، فهي كدعوة أبيه إسحاق عليه السلام وهي توحيد الله بالإلهية والعبادة:

- {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (البقرة/133)

يوسف عليه السلام

ولد سيدنا يوسف وكان له 11 أخا وكان أبوه يحبه كثيرا وفي ذات ليلة رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين، فقص على والده ما رأى فقال له ألا يقصها على إخوته، ولكن الشيطان وسوس لإخوته فاتفقوا على أن يلقوه في غيابات الجب وادعوا أن الذئب آكله، ثم مر به ناس من البدو فأخذوه وباعوه بثمن بخس واشتراه عزيز مصر وطلب من زوجته أن ترعاه، ولكنها أخذت تراوده عن نفسه فأبى فكادت له ودخل السجن، ثم أظهر الله براءته وخرج من السجن ،

569- التحرير والتنوير، ص 193/25

570- قصص الأنبياء، ص 297-310

واستعمله الملك على شئون الغذاء التي أحسن إدارتها في سنوات القحط، ثم اجتمع شمله مع إخوته ووالديه وخروا له سجدا وتحققت رؤياه [571]. فكانت دعوته لأهل مصر :

- **قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ {37} وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ {38} يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ {39} مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ {40}** (سورة يوسف)

أيوب عليه السلام

من سلالة سيدنا إبراهيم كان من النبيين الموحى إليهم، كان أيوب ذا مال وأولاد كثيرين ولكن الله ابتلاه في هذا كله ف ا زل عنه، وابتلي في جسده بأنواع البلاء واستمر مرضه 18 عاما اعتزله فيها الناس إلا امرأته صبرت وعملت لكي توفر قوت يومهما حتى عافاه الله من مرضه وأخلفه في كل ما ابتلي فيه، ولذلك يضرب المثل بأيوب في صبره وفي بلائه، روي أن الله يحتج يوم القيامة بأيوب عليه السلام على أهل البلاء، وعاش أيوب بعد مرضه سبعين سنة بأرض الروم على دين الحنيفية، ثم غيروا بعده دين إبراهيم [572]. وكانت دعوته لقومه توحيد الله بالإلهية والعبادة، قال تعالى: **{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً }** (النساء/163)

ذو الكفل عليه السلام

من الأنبياء الصالحين، وقيل إنه ابن أيوب عليهما السلام، وكان يصلي كل يوم مائة صلاة، قيل

---

[571]- المصدر السابق، ص 306/1-359

[572]- قصص الأنبياء، ص 360/1-369

إنه تكفل لبني قومه أن يقضي بينهم بالعدل ويكفيهم أمرهم ففعل فسمي بذي الكفل، والقرآن الكريم لم يزد على ذكر اسمه في عداد الأنبياء أما دعوته ورسالته والقوم الذين أرسل إليهم فلم يتعرض لشيء من ذلك لا بالإجمال ولا بالتفصيل لذلك نمسك عن الخوض في موضوع دعوته حيث أن كثيرا من المؤرخين لم يوردوا عنه إلا الشيء اليسير. ومما ينبغي التنبه له أن (ذا الكفل) الذي ذكره القرآن هو غير (الكفل) الذي ذكر في الحديث الشريف ونص الحديث كما رواه الأمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب عمله... [573]. يقول تعالى ذكره :

- **{وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ } (الأنبياء/85-86)**
- **{وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ } (ص/48)**

يونس عليه السلام

أرسله الله إلى قوم نينوى فدعاهم إلى عبادة الله وحده ولكنهم أبوا واستكبروا فتركهم وتوعدهم بالعذاب بعد ثلاث ليال فخشوا على أنفسهم فآمنوا فرفع الله عنهم العذاب، أما يونس فخرج في سفينة وكانوا على وشك الغرق فاقترعوا لكي يحددوا من سيلقى من الرجال فوقع ثلاثا على يونس فرمى نفسه في البحر فالتقمه الحوت وأوحى الله إليه أن لا يأكله فدعا يونس ربه أن يخرجه من الظلمات فاستجاب الله له وبعثه إلى مائة ألف أو يزيدون [574].

- **{فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } (يونس/98)**
- **{وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } (الصافات/147-148)**

شعيب عليه السلام

أرسل شعيب إلى قوم مدين وكانوا كفارا يقطعون السبيل ويخيفون المارة، ويعبدون الايكة، وكانوا

---

[573]- المصدر السابق، ص 1/370-374

[574]- قصص الأنبياء، ص 1/386-

من أسوإ الناس معاملة ; يبخسون المكيال والميزان، ويطففون فيهما، يأخذون بالزائد ويدفعون بالناقص ولا يعطون الناس حقهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ونهاهم عن تعاطى هذه الافاعيل القبيحة من بخس الناس أشياءهم وإخافتهم لهم في سبلهم وطرقاتهم، وأن يتعاملوا بالعدل فآمن به بعضهم وكفر اكثرهم، وتوعدوه بالرجم والطرد وطالبوه بأن ينزل عليهم كسفا من السماء فجاءت الصيحة وقضت عليهم جميعا [575]. وقال تعالى بخصوص دعوته لقومه :

- {وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } (الأعراف/85)
- فكان حاله من حال إخوانه من الأنبياء، فكان جواب قومه له: {قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ } (الأعراف/88)
- فما كان جوابه لهم، إلا أن تولى عنهم وقال: {فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ } (الأعراف/93)

أنبياء أهل القرية

أرسل الله رسولين لإحدى القرى وهي آل ياسين وكان لها ملك يعبد الأصنام إلا أن الملك وأهل القرية كذبوهما، فأرسل الله تعالى رسولا ثالثا يصدقهما . ويذكر لنا القرآن الكريم قصة رجل آمن بهم ودعا قومه للإيمان بما جاؤوا به لكنهم قتلوه، فأدخله الله الجنة [576]. قال تعالى:

- " وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءهَا الْمُرْسَلُونَ {13} إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ {14} قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ {15} قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ {16} وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ {17} قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ

[575]- المصدر السابق، ص 1/272-290

[576]- المصدر السابق، ص 1/380-385

لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ {18} قَالُوا طَائِرُكُم مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ {19} وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ {20} اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُم مُّهْتَدُونَ {21} وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ {22} أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ {23} إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ{24} إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ {25} قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ {26} بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ {27} وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ {28} إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ {29}" (سورة يس)

موسى وهارون عليهما السلام

موسى عليه السلام

أرسله الله تعالى إلى فرعون وقومه، وأيده بمعجزتين، إحداهما العصا التي تلقف الثعابين، أما الأخرى فكانت يده التي يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، دعا موسى إلى وحدانية الله فحاربه فرعون وجمع له السحرة ليكيدوا له ولكنه هزمهم بإذن الله تعالى، ثم أمره الله أن يخرج من مصر مع من اتبعه، فطارده فرعون بجيش عظيم، ووقت أن ظن أتباعه أنهم مدركون، أمره الله أن يضرب البحر بعصاه لتكون نجاته وليكون هلاك فرعون الذي جعله الله عبرة للآخرين [577]. ومن تواصله مع قومه "بني إسرائيل" لدعوتهم، قال تعالى :

- {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة/54)
- ومن خطاب قومه له، أن قالوا: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ } (البقرة/55)

وأما تواصلهما ودعوتهما لفرعون وقومه، قال تعالى:

---

[577]- قصص الأنبياء، ص 3/2-92

- {فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (16) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (17) } إلى قوله تعالى :
- {قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) } فأجابه موسى :
- {قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) } إلى قوله تعالى:
  " أن قال فرعون حينئذ استكبارا عن الحق، وتماديا في الغي لموسى " [578] :
- {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) } (سورة الشعراء)

هارون عليه السلام

أخو موسى ورفيقه في دعوة فرعون إلى الإيمان بالله لأنه كان فصيحا ومتحدثا، استخلفه موسى على قومه عندما ذهب للقاء الله فوق جبل الطور، ولكن حدثت فتنة السامري الذي حول بني إسرائيل إلى عبادة عجل من الذهب له خوار ، فدعاهم هارون إلى الرجوع لعبادة الله بدلا من العجل ولكنهم استكبروا فلما رجع موسى ووجد ما آل إليه قومه عاتب هارون عتابا شديدا [579] .

- {وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي } (طه/90)

يوشع بن نون عليه السلام

يوشع وقيامه بأعباء بني إسرائيل بعد موسى وهرون عليهما السلام. وورد أنه الفتى الذي صاحب موسى للقاء الخضر . وهو النبي الذي أخرج الله على يديه بني إسرائيل من صحراء سيناء، وحاربوا أهل فلسطين وانتصروا عليهم . وقد ذكره الله تعالى في القرآن غير مصرح باسمه في قصة الخضر من قوله: **" وإذ قال موسى لفتاه " " فلما جاوزا قال لفتاه "** [580]. قال تعالى:

- {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا

---

[578] ـ تفسير الطبري، ص 345/19
[579] ـ قصص الأنبياء، ص 118/2-
[580] ـ قصص الأنبياء، ص 199/2-215

أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا } (البقرة/246-247) عن قتادة : هذا النبي هو يوشع بن نون [581].

فكان جواب قومه له :

- {قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (البقرة/247)

داوود عليه السلام

آتاه الله العلم والحكمة وسخر له الجبال والطير يسبحن معه وألان له الحديد، كان عبدا خالصا لله شكورا يصوم يوما ويفطر يوما يقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه وأنزل الله عليه الزبور وقد أوتي ملكا عظيما وأمره الله أن يحكم بالعدل، وبعد أن قتل جالوت أحبته بنو إسرائيل ومالوا إليه وإلى ملكه عليهم وأطاعوه [582]. فكانت دعوته لقومه من خلال الزبور، قال تعالى :

- {وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً } (النساء/163) وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله عز وجل، وكان داود يبرزَ إلى البرية فيقوم ويقرأ الزّبورَ ويقوم معه علماء بني إسرائيل، فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء، ويقوم الجنّ خلف الناس، الأعظمُ فالأعظم، والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن منه، والطير ترفرف على رؤوسهم، فلما قارف الذنب لم يرَ ذلك، فقيل له: ذاك أُنس الطاعة، وهذه وحْشَةُ المعصية [583].
- {يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ } (ص/26)

---

[581]- تفسير ابن كثير، ص 664/1
[582]- قصص الأنبياء، ص 283-265/2
[583]- تفسير البغوي، ص 311/2

- وأما رد وجواب قومه له: قال الكلبي والضحاك: ولم يجتمع بنو إسرائيل على ملك واحد إلا على داود فذلك قوله تعالى: { وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ } (البقرة/251) يعني: النبوة؛ جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن من قبل، بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط[584]، فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدا وخضعوا له خضوعا عظيما[585].

سليمان عليه السلام

آتاه الله العلم والحكمة وعلمه منطق الطير والحيوانات وسخر له الرياح والجن، وكان له قصة مع الهدهد حيث أخبره أن هناك مملكة باليمن يعبد أهلها الشمس من دون الله فبعث سليمان إلى ملكة سبأ يطلب منها الإيمان ولكنها أرسلت له الهدايا فطلب من الجن أن يأتوا بعرشها فلما جاءت ووجدت عرشها آمنت بالله . ولما توفي بقيت الجن والشياطين تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي. فبعث الله دابة الارض يعني إلى منسأته فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر، فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا[586]. قال تعالى، فيما أخبر عن دعوته عليه السلام :

- {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ } (النمل/16)
- {إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ } (النمل/30-31)

فكان رد ملكة سبأ وقومها:

- {وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ } (النمل/35)

فكان جواب سيدنا سليمان عليهم :

- {فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ } (النمل/36)

---

[584]- المصدر السابق، ص 307/1
[585]- قصص الأنبياء، ص 271/2
[586]- قصص الأنبياء، ص 284/2-314

إلياس عليه السلام

قال الطبري: وبعد النبي حزقيل عظمت في بني إسرائيل الأحداث، ونسوا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله. فبعث الله إليهم إلياس عليه السلام نبيا. وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى، يبعثون إليهم بتحديد ما نسوا من التوراة [587]. وقال ابن كثير: أرسل إلى أهل بعلبك غربي دمشق فدعاهم إلى عبادة الله وأن يتركوا عبادة صنم كانوا يسمونه بعلا فآذوه، وقال ابن عباس هو عم اليسع [588]. وأخبر الله عنه، فيما دعا قومه :

- **{وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (123) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (124) أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (125) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (126) } (سورة الصافات)**

فكان رد فعل قومه :

- **{فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ } (الصافات/127)**

اليسع عليه السلام

من العبدة الأخيار ورد ذكره في التوراة كما ذكر في القرآن مرتين ، ويذكر أنه أقام من الموت إنسانا كمعجزة، فمكث ما شاء الله أن يمكث يدعوهم إلى الله مستمسكا بمنهاج إلياس وشريعته حتى قبضه الله عزوجل إليه [589]. قال تعالى:

- **{وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ } (الأنعام/86)**

العزير عليه السلام

من أنبياء بني إسرائيل، أماته الله مئة عام ثم بعثه، ودعا لمرأة كانت أمة لهم، عجوز عمياء مقعدة فشفيت فانطلقت لبني إسرائيل وأخبرتهم عنه، فتعرف عليه ولده وقد كان عجوزا والعزير شابا، جدد الدين لبني إسرائيل وعلمهم التوراة ونسخها لهم بعد أن نسوها [590]. قال تعالى:

---

[587]- تفسير الطبري، ص 295-294/5

[588]- قصص الأنبياء، ص 247-241/2

[589]- المصدر السابق، ص 254-252/2

[590]- قصص الأنبياء، ص 346-339/2

- {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (البقرة/259) وروى عن ابن عباس قال: لما أحيا الله عزيرا ركب حماره فأتى محلته فأنكر الناس وأنكروه، فوجد في منزله عجوزا عمياء كانت أمة لهم، خرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة، فقال لها: أهذا منزل عزير ؟ فقالت نعم ! ثم بكت وقالت: فارقنا عزير منذ كذا وكذا سنة قال: فأنا عزير ...[591]

زكريا عليه السلام

عبد صالح تقي أخذ يدعو للدين الحنيف، كفل مريم العذراء، دعا الله أن يرزقه ذرية صالحة فوهب له يحيى الذي خلفه في الدعوة لعبادة الله الواحد القهار[592]. وفيما ذكره القرآن الكريم في دعوته لقومه، قوله تعالى:

- {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً } (مريم/11)

يحيى عليه السلام

ابن نبي الله زكريا، ولد استجابة لدعاء زكريا لله أن يرزقه الذرية الصالحة فجعل آية مولده أن لا يكلم الناس ثلاث ليال سويا، وقد كان يحيى نبيا وحصورا ومن الصالحين ، كما كان بارا تقيا ورعا منذ صباه، وكان كثير البكاء من خشية الله، وقد قتله أحد ملوك بني إسرائيل، فانتقم الله له منهم[593]. وفيما أخبر القرآن الكريم عن دعوة يحي عليه السلام لقومه، قوله تعالى:

---

[591]- أنظر تمام القصة أيضا في تفسير القرطبي، ص 294/3

[592]- قصص الأنبياء، ص 347/2-366، قصة زكريا ويحيى عليهما السلام

[593]- المصدر السابق

- {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا } (مريم/12) قال البغوي رحمه الله: ومعنى الآية: وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد، ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل عملا صالحا في إخلاص [594]. وقال الإمام أحمد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن، وكاد أن يبطئ فقال له عيسى عليه السلام: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن، فإما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن. فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي. قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلا المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله عزوجل أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن [595].

عيسى عليه السلام

مثل عيسى مثل آدم خلقه الله من تراب وقال له كن فيكون، هو عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وهو الذي بشر بالنبي محمد، آتاه الله البينات وأيده بروح القدس وكان وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين، كلم الناس في المهد وكهلا وكان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا، ويبرئ الأكمه والأبرص ويخرج الموتى كل ذلك بإذن الله، دعا المسيح قومه لعبادة الله الواحد الأحد ولكنهم أبوا واستكبروا وعارضوه، ولم يؤمن به سوى بسطاء قومه، رفعه الله إلى السماء وسيهبط حينما يشاء الله إلى الأرض ليكون شهيدا على الناس [596].
وورد في القرآن الكريم دعوته لقومه بقوله تعالى:

- {وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً

---

[594]- تفسير البغوي، ص 222/5
[595]- تفسير الدر المنثور، ص 440/1
[596]- قصص الأنبياء، ص 367/2-473

لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (49) وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50)} (سورة آل عمران)

- {فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ } (آل عمران/52)
- وأما رد قومه عليه: {فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ } (المائدة/110)

محمد صلى الله عليه وسلم

النبي الأمي العربي، من بني هاشم، ولد في مكة بعد وفاة أبيه عبد الله بأشهر قليلة، توفيت أمه آمنة وهو لا يزال طفلا، كفله جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب، ورعى الغنم لزمن، تزوج من السيدة خديجة بنت خويلد وهو في الخامسة والعشرين من عمره، دعا الناس إلى الإسلام أي إلى الإيمان بالله الواحد ورسوله، بدأ دعوته في مكة فاضطهده أهلها فهاجر إلى المدينة حيث اجتمع حوله عدد من الأنصار عام 622م فأصبحت هذه السنة بدء التاريخ الهجري، توفي بعد أن حج حجة الوداع [597]. وقد أرسل صلى الله عليه وسلم للناس كافة، قال تعالى :

- {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } (سبأ/28)

مجمل الرسل الذين بعثهم الله عز وجل لأقوامهم:

- {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ } (إبراهيم/10)

597- أنظر: السيرة النبوية لأبن هشام ، والسيرة النبوية للدكتور علي الصلابي

- فكان جواب هذه الأقوام لرسلهم، فيما ذكره الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } (إبراهيم/13)

المبحث الثاني:
تواصل الأنبياء مع أهليهم

ونبقى في نفس السياق مع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، حيث نسلط الضوء على تواصل الأنبياء مع أهليهم في القرآن الكريم، وذلك قبل أن ننتقل إلى تواصل الناس عامة، حيث كشف القرآن الكريم عن أهمية هذا التواصل، " فالأسرة التي هي النواة الأولى في المجتمع، والتي يمتد نطاقها للذين لهم قرابة دم، وتجمع الأخوات المنبثقة من الأسر لتشكل أخوة واحدة وهي الأخوة بين المسلمين، يقول تعالى : **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ }** (الحجرات/10) "[598] . ولهذا كيف لا يكون أول من يحظى بدعوة الأنبياء أهليهم ومن هم أقرب الناس لهم، " فالنبي أعلم الناس بربه وهو أنصحهم للخلق "[599]، وهم أعلم الناس بكل هذا الخير الذين يدعون إليه . ومن هذه الأمثلة لتواصل الأنبياء مع أهلهيم، هي:

المطلب الأول: آدم عليه السلام

تواصل آدم عليه السلام مع أبنائه، قال تعالى: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ }** (المائدة/27)، وكان من خبرهما فيما ذكره غير واحد من السلف والخلف، أن الله تعالى قد شرع لآدم، عليه السلام، أن يزوج بناته من بنيه لضرورة الحال، ولكن قالوا: كان يُولَد له في كل بطن ذكر وأنثى، فكان يزوج أنثى هذا البطن لذكر البطن الآخر، وكانت أخت هابيل دَميمةً، وأخت قابيل وضيئةً، فأراد أن يستأثر بها على أخيه، فأبى آدم ذلك إلا أن يقربا قربانًا، فمن تقبل منه فهي له، فقربا فَتُقُبِّل من هابيل ولم يتَقَبَّل من قابيل، فكان من أمرهما ما قص الله في كتابه[600].

المطلب الثاني: نوح عليه السلام:

---

[598]- محمد معروف الدواليبي، وأخرون، الفرد والمجتمع في الإسلام، طباعة: حسيب درغام وأولاده، لبنان - 2000، ط2، ص 129، بتصرف يسير

[599]- محمد بن صالح العثيمين، مجموع فتاوى ورسائل بن العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأخيرة – 1413 هـ ، ص 4/ 16

[600]- تفسير ابن كثير، ص 82/3

وثاني هذه الوقفات مع سيدنا نوح عليه السلام وابنه، قال تعالى: **{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ }** فكان جواب ابنه: **{قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاء قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ}** (هود/42-43)

المطلب الثالث: إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام:

ومن تواصل سيدنا إبراهيم عليه السلام وصيته لأبنائه، حيث قال الله تعالى: **{وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ }** (البقرة/132)

وأيضا من تواصل إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، التواصل العملي والدعاء الجماعي أثناء رفع القواعد للبيت الحرام ، قال تعالى: **{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }** (البقرة/127) عن ابن عباس قال: جاء إبراهيم، وإسماعيل يبري نبلا قريبا من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد، والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر. قال: فاصنع ما أمرك ربك. قال: وتعينني؟ قال: وأعينك. قال: فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا! وأشار إلى الكعبة، والكعبة مرتفعة على ما حولها قال، فعند ذلك رفعا القواعد من البيت. قال: فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له، فقام عليه وهو يبني، وإسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان:"ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم"، حتى دور حول البيت [601].

وفي تواصل إسماعيل عليه السلام، قال تعالى:

{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً } (مريم/55)، قال البغوي في تفسيره: { وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ } أي: قومه وقيل: أهله وجميع أمته { بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ } [602]

وفي مشهد أسري متكامل بين سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وأمه هاجر، في هذا المشهد قمة الطاعة لله تعالى، وقمة طاعة الوالدين، ومن أروع صور التواصل والطاعة والتفاهم بين الأب والابن، قال تعالى:

---

[601]- تفسير الطبري، ص 67/3

[602]- تفسير البغوي، 237/5

{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (الصافات 102 -105)

ولنتمعن في هذا المشهد الذي يصور سيد طنطاوي في تفسيره: أن إسماعيل – عليه السلام – لما هم أبوه بذبحه قال له : يا أبت اشدد رباطي حتى لا اضطرب ، واكفف عني ثيابك حتى لا يتناثر عليها شئ من دمي فتراه أمي فتحزن ، وأسرع مرّ السكين على حلقي ليكون أهون للموت على ، فإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني ..[603]

ومن هذه الصور مع سيدنا إبراهيم عليه السلام في تواصله مع أبيه، ودعوته بالا يأخذ آلهة من دون الله، وفي ذلك قوله تعالى:

- **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ } (الأنعام/74)**

فكان جواب أبيه له:

- **{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْراهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً } (مريم/46)**

وما كان على إبراهيم إلا أجابهم، بما ذكره ربه في قوله:

- **{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ } (الزخرف/26)**

وكذا في تواصله مع أهله يسلط القرآن الضوء على هذا الجانب، حين زارته الملائكة في بيته، حيث مال إلى أهله فأسر لهم بتحضير الطعام ترحيبا بالضيوف[604]، وفي تصوير هذا المشهد، قوله تعالى:

- **{ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ * فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ } (الذاريات 24 – 26)**،

فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم وقامت هي تخدمهم ضحكت، وقالت: عجباً لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا[605].

---

[603]- التفسير الوسيط ص 101/12

[604]- أنظر: فتح القدير للشوكاني، ص 45/7، بتصرف

[605]- الدر المنثور للسيوطي، ص 322/5

المطلب الرابع: لوط عليه السلام:

ووقفة أخرى مع نبي الله لوط عليه السلام، حيث يسلط القرآن الكريم الضوء على مشهد حركة لوط عليه السلام مع أهله في وسط الليل، وهذا التحرك وإن لم يذكره القرآن الكريم بجميع تفاصيله، إلا أن هناك حوارا دار بين سيدنا لوط عليه السلام وأهله، قبل تحركهم ومغادرتهم القرية، وهذه المغادرة لابد من شرح لها كيف سيتم وماذا يجب فعله، وهذا ما اختصره القرآن الكريم بقوله:

{قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ }

(هود/81)، قال سيد قطب في وصف هذه الآية لحوار لوط مع أهله: وقد كان الأمر للوط أن يسير بقومه في الليل قبل الصبح ، وأن يكون هو في مؤخرتهم يتفقدهم ولا يدع أحدا منهم يتخلف أو يتلكأ أو يتلفت إلى الديار على عادة المهاجرين الذين يتنازعهم الشوق إلى ما خلفوا من ديارهم فيتلفتون إليها ويتلكأون [606].

وأيضا وقفة أخرى لسيدنا لوط عليه السلام مع عمه سيدنا إبراهيم عليه السلام، في المشهد الذي ذكره القرآن الكريم ، والحوار الذي دار بينهم، وإن لم يذكره القرآن كاملا، وهذا هو أسلوب القرآن، في قوله تعالى:

{فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (العنكبوت/26)، يقول تعالى مخبرًا عن إبراهيم: أنه آمن له لوط، يقال: إنه ابن أخي إبراهيم، يقولون هو: لوط بن هاران بن آزر، يعني: ولم يؤمن به من قومه سواه، وسارة امرأة [إبراهيم] الخليل [607].

المطلب الخامس: صالح عليه السلام

وأما ما تحدث القرآن الكريم عن تواصل صالح عليه السلام مع أهله، قال تعالى: **{إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ }** (الشعراء/142)، أخوهم صالح فى النسب والوطن [608]، وأما ما

---

[606]- في ظلال القرآن، ص 2149/4

[607]- تفسير ابن كثير، 272/6

[608]- تفسير المنتخب، ص 146/2

دار بينه وبين قومه وعشيرته، فيما قاله تعالى: **{قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ } (النمل/49)**، وقال محمد بن إسحاق: قال هؤلاء التسعة بعدما عقروا الناقة: هَلُم فلنقتل صالحًا، فإن كان صادقًا عجلناه قبلنا، وإن كان كاذبًا كنا قد ألحقناه بناقته! فأتوه ليلا ليبيِّتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فلما أبطؤوا على أصحابهم، أتوا مَنزل صالح، فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة، فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم هموا به، فقامت عشيرته دونه، ولبسوا السلاح، وقالوا لهم: والله لا تقتلونه أبدًا، وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث، فإن كان صادقًا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبًا، وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون. فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك [609].

المطلب السادس: شعيب عليه السلام

وقد روى القرآن الكريم حوار سيدنا شعيب عليه السلام مع ابنتيه [610]، فقال: **{قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا } (القصص/25)**، عن ابن إسحاق، قال: رجعتا إلى أبيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها، فأنكر شأنهما، فسألهما فأخبرتاه الخبر، فقال لإحداهما: عجِّلي عليّ به، فأتته على استحياء فجاءته، فقالت:(إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) [611]

وأما الفتاة، فقد خاطبت أباها عن موسى عليه السلام:

{قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (القصص/26)،

فوقع الحوار بينها وبين أبيها شعيب عليه السلام... (عن ابن عباس، قال: فأحفظته الغَيْرة أن قال: وما يدريك ما قوّته وأمانته؟ قالت: أما قوّته، فما رأيت منه حين سقى لنا، لم أر رجلا قط أقوى في ذلك السقي منه; وأما أمانته، فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، ولم ينظر إليّ حتى بلغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلا وهو أمين، فسُرّي عن أبيها وصدَّقها وظن به الذي قالت) [612].

ومن خلال نسب المصاهرة، كان تواصل سيدنا شعيب مع سيدنا موسى عليهما السلام، وبذلك حكى الله تعالى:

---

[609]- تفسير ابن كثير، ص 199/6

[610]- وذهب أكثر المفسرين على أنهما ابنتا شعيب، أنظر: فتح القدير للشوكاني، ص 399/5

[611]- تفسير الطبري، 560/19

[612]- المصدر السابق، ص 562/19

{قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ } (القصص/27)

المطلب السابع: إسحاق عليه السلام

وفي تواصله مع أهله عليه السلام، ما ورد في قصص الأنبياء . قال تعالى: **{وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ }** (الصافات/112– 113)، قالوا: فلما كبر إسحاق وضعف بصره اشتهى على ابنه العيص طعاما، وأمره أن يذهب فيصطاد له صيدا ويطبخه له ; ليبارك عليه ويدعو له. وكان العيص صاحب صيد، فذهب يبتغي ذلك، فأمرت " رفقا " ابنها يعقوب أن يذبح جديين من خيار غنمه، وينصع منهما طعاما كما اشتهاه أبوه، ويأتي إليه به قبل أخيه ليدعو له، فقامت فألبسته ثياب أخيه، وجعلت على ذراعيه وعنقه من جلد الجلديين ; لان العيص كان أشعر الجسد ويعقوب ليس كذلك. فلما جاء به وقربه إليه قال: من أنت ؟ قال: ولدك [613].

وكان من تواصل أبنائه العيص ويعقوب معه عليه وعلى يعقوب السلام في مرضه حتى موته، ما ذكره ابن كثير: وجاء يعقوب إلى أبيه إسحاق فأقام عنده بقرية حبرون التي في أرض كنعان حيث كان يسكن إبراهيم. ثم مرض إسحاق ومات عن مائة وثمانين سنة: ودفنه ابناه: العيص ويعقوب مع أبيه إبراهيم الخليل في المغارة التي اشتراها [614].

المطلب الثامن: يعقوب عليه السلام وأبنائه ويوسف عليه السلام:

وفي سورة يوسف تجسيد لمشهد تواصل عائلي كامل على رأسهم سيدنا يعقوب عليه السلام، وهذا المشهد يتحلى في السورة كاملة، لكن سنستعرض بعض الآيات من السورة ليبين جميع أطراف الحوار في هذا الباب، وبداية المشهد في هذه السورة ما قصه يوسف على أبيه يعقوب عليهما السلام، وهو تواصل حواري بين الابن والأب، قال تعالى:

- **{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ }** (يوسف/4)

---

[613]- قصص الأنبياء لابن كثير، ص 298/1

[614]- قصص الأنبياء، ص 305/1

فكان رد أبيه يعقوب عليه السلام ونصيحته، كما قال تعالى:

- **{قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ } (يوسف/5)**

قال إخوة يوسف، إذ تآمروا بينهم ، وأجمعوا على الفرقة بينه وبين والده يعقوب، لوالدهم يعقوب [615]:

- **{قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (يوسف/11-12)**

فما كان إلا أن رد عليهم أبيهم:

- **{قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ } (يوسف/13)**

وأما المشهد الآخر من هذا التواصل، هو حوار سيدنا يوسف مع أخيه بنيامين، وذلك في قوله تعالى:

- **{وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ } (يوسف/69)**

وبعد استرسال طويل في القصة، والتقاء يوسف عليه السلام بأخوته، دار حوار بينهم بالعتاب والصفح لما حصل وجرى، فقال تعالى في ذلك:

- **{قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ{90} قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ{91} قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ{92} (سورة يوسف)**، قال ابن كثير في تفسيره : لا تأنيب عليكم ولا عَتْب عليكم اليوم، ولا أعيد ذنبكم في حقي بعد اليوم [616].

كان صفح يوسف الجميل هو الخطوة الأولى لجمع الشمل [617]، وحواره عليه السلام مع أبويه بعد عمر طويل، فقال تعالى في ذلك:

---

[615]- تفسير الطبري، ص 568/15
[616]- تفسير ابن كثير، ص 408/4
[617]- زهرة التفاسير، ص 3858/7

- فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ{99} وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ{100} (سورة يوسف)

وفي نهاية المطاف جمع سيدنا يعقوب عليه السلام جميع أولاده وهو يحتضر على فراش الموت، فأوصاهم بما يوصي به كل نبي أهله[618]، وكان هذا من جملة ما تواصل به معهم، فقال تعالى في هذا الأمر:

- {أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَـهَكَ وَإِلَـهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَـهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ } (البقرة/133)

المطلب التاسع: موسى عليه السلام:

أول بداية التواصل بين سيدنا موسى عليه السلام وأمه التي ذكرها القرآن الكريم، هي الرضاعة : {وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ } (القصص/7) إن الله تعالى أمر أمّ موسى أن ترضعه، فإذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده أن تلقيه في اليمّ[619]. هذا الخوف هو نوع من التواصل لحمياته عليه السلام من عدو الله فرعون، فحكى الله تعالى عن ذلك : {فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ } (القصص/7)

ومن جملة تواصل أهله معه عليه السلام، كان بالنظر والمراقبة، قال تعالى: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (القصص/11)، عن ابن إسحاق، قال: قالت، يعني أم موسى لأخته: قصيه فانظري ماذا يفعلون به، فخرجت في ذلك (فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ) وقد احتاج إلى الرضاع والتمس الثدي [620].

---

[618]- أنظر: زهرة التفاسير، ص 420/1

[619]- تفسير الطبري، ص 520/19

[620]- المصدر السابق، ص 305/18

وكما لا يمكن لعقل أن لا يتخيل الكلمات التي ممكن للأم أن تقولها لرضيعها بعد أن رده الله إليها، وفي هذا المشهد القرآني يمكن أن نقول أن تواصل أم موسى معه عليه السلام كان بحميمية، قال تعالى: { **فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ** } (طه/40)

حين قضى الاجل وسار بأهله وهو مقبل من مدين يريد مصر [621]، كان تواصله عليه السلام مع أهله : {**قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** } (القصص/29)

ومن ضمن تواصل موسى عليه السلام مع أهله كان مع أخيه هارون عليه السلام، وفي هذا الحوار والتواصل عتاب ومحاسبة في أمر الدعوة إلى الله عز وجل [622]، قال تعالى: **قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا {92} أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي {93} قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي {94}** (سورة طه)

المطلب العاشر: داوود و ابنه سليمان عليهما السلام:

وهنا أيضا نبيا الله، أب وابن، يشير القرآن الكريم إلى نوع من التواصل والحوار الذي دار بين النبيين الأب والابن، في مسألة يحكمان فيها قد طرحت عليهما، وهنا نقول أيضا، أنه لا شك من أن هناك حوارا ونقاشا وتشاورا دار بينهما، كما يدور بين القضاة، عندما تطرح عليهم مسألة من المسائل، قبل أو بعد النطق بالحكم في القضية التي طرحت عليهما [623]، وهذا ما جسده القرآن الكريم بقوله: {**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ** } (الأنبياء/78)

وفي تواصل داوود عليه السلام مع أهله وسليمان عليه السلام معه في موته، ما ذكره أحمد في مسنده: (**أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَانَ دَاوُدُ النَّبِيُّ فِيهِ غَيْرَةٌ شَدِيدَةٌ وَكَانَ إِذَا**

---

[621]- تفسير القرطبي، ص 171/11
[622]- انظر: تفسير النيسابوري، ص 313/5
[623]- انظر: تفصيل الحوار الذي دار بين سليمان وداوود عليهما السلام، تفسير الطبري، ص 478/18

خَرَجَ أُغْلِقَتْ الْأَبْوَابُ فَلَمْ يَدْخُلْ عَلَى أَهْلِهِ أَحَدٌ حَتَّى يَرْجِعَ قَالَ فَخَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ وَغُلِّقَتْ الدَّارُ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ تَطَّلِعُ إِلَى الدَّارِ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَتْ لِمَنْ فِي الْبَيْتِ مِنْ أَيْنَ دَخَلَ هَذَا الرَّجُلُ الدَّارَ وَالدَّارُ مُغْلَقَةٌ وَاللَّهِ لَتُفْتَضَحُنَّ بِدَاوُدَ فَجَاءَ دَاوُدُ فَإِذَا الرَّجُلُ قَائِمٌ وَسَطَ الدَّارِ فَقَالَ لَهُ دَاوُدُ مَنْ أَنْتَ قَالَ أَنَا الَّذِي لَا أَهَابُ الْمُلُوكَ وَلَا يَمْتَنِعُ مِنِّي شَيْءٌ فَقَالَ دَاوُدُ أَنْتَ وَاللَّهِ مَلَكُ الْمَوْتِ فَمَرْحَبًا بِأَمْرِ اللَّهِ فَرَمَلَ دَاوُدُ مَكَانَهُ حَيْثُ قُبِضَتْ رُوحُهُ حَتَّى فَرَغَ مِنْ شَأْنِهِ وَطَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلطَّيْرِ أَظِلِّي عَلَى دَاوُدَ فَأَظَلَّتْ عَلَيْهِ الطَّيْرُ حَتَّى أَظْلَمَتْ عَلَيْهِمَا الْأَرْضُ فَقَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ اقْبِضِي جَنَاحًا جَنَاحًا قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ يُرِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ فَعَلَتْ الطَّيْرُ وَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ الْمَضْرَحِيَّةُ) [624]. وقوله وغلبت عليه يومئذ المصرخية : أي وغلبت على تظليله الصقور الطوال الأجنحة [625].

المطلب الحادي عشر: أيوب عليه السلام

وفي تواصل أيوب عليه السلام مع زوجته، في قوله تعالى: {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} (الأنبياء/83) قال السدي: تساقط لحمه حتى لم يبق إلا العظم والعصب، فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته، فلما طال عليها قالت: يا أيوب لو دعوت ربك لفرج عنك، فقال: قد عشت سبعين سنة صحيحاً، فهو قليل لله أن أصبر له سبعين سنة، فجزعت من هذا الكلام، وكانت تخدم الناس بالأجر وتطعم أيوب عليه السلام [626].

وفي نفس تفسير هذه الآية، ما كان تواصله عليه السلام مع أخويه كما ورد في الحديث الشريف: عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**(إن نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه كانا من أخص إخوانه له، كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: يعلم الله لقد أذنب أيوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشر سنة لم يرحمه ربه فكشف ما به، فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن**

[624]- مسند الإمام أحمد، ص 106/19 رقم الحديث: 9063، وأنظر: البداية والنهاية، ص 17/2

[625]- قصص الأنبياء، ص 281/2

[626]- قصص الأنبياء، ص 363/1

الله عز وجل يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما، كراهية أن يذكر الله إلا في حق)) [627].

ومن تواصله أيضا عليه السلام مع أهله، فيما ورد في قوله تعالى:

{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } (ص/42)، قال: ((وكان يخرج في حاجته فإذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يرجع، فلما كان ذات يوم أبطأت عليه، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن **{ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ}** فاستبطأته فتلقته تنظر، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله على ذلك ما رأيت رجلاً أشبه به منك إذ كان صحيحاً، قال: فإني أنا هو)) [628].

المطلب الثاني عشر: زكريا وابنه يحيى عليهما السلام:

وما زلنا في تواصل الأنبياء مع أقربائهم وأهلهم، ومن هؤلاء الأنبياء أيضا سيدنا زكريا عليه السلام، حيث يظهر لنا من هذا التواصل الرباني الذي يملئه العبر والأحكام، وهو ما دار بين سيدنا زكريا ومريم عليهما السلام، حيث والدة مريم تكون أخت زوجة سيدنا زكريا عليه السلام، كما ورد في تفسير القرطبي، فقال زكريا: أنا أحق بها، خالتها عندي [629].

{وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ } (آل عمران/37)

وأما تواصل سيدنا يحيى عليه السلام مع أهله فتحلى ببر والديه، وهذا ما ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى:

{وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً } (مريم/14)، بره بوالديه وطاعته لهما أمرا ونهيا وترك عقوقهما قولا وفعلا [630].

---

[627]- نفس المصدر، ص 364/1-365

[628]- نفس المصدر، ص 365/1

[629]- تفسير القرطبي، ص 81/2

[630]- قصص الأنبياء، ص 354/2

ومن مواقف التواصل مع والديه عليه السلام ما ذكره ابن كثير: وروى ابن عساكر أن أبويه خرجا في تطلبه، فوجداه عند بحيرة الأردن، فلما اجتمعا به أبكاهما بكاء شديدا لما هو فيه من العبادة والخوف من الله عز وجل [631].

وفي تواصل يحيى عليه السلام مع ابن خالته عيسى عليه السلام، فيما ورد بقوله تعالى:
{وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً} (مريم/15)، قال ابن كثير رحمه الله: كان يحيى وعيسى ابني خالة [632]، وعن قتادة: أن الحسن قال: إن يحيى وعيسى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني سلمت على نفسي وسلم الله عليك، فعرف والله فضلهما [633].

المطلب الثالث عشر: عيسى عليه السلام:

وفي تواصل عيسى مع أمه عليهما السلام، وهو في المهد صبيا، فيما ذكر تعالى:
{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً} (مريم/29)، أشارت إليه أنْ كلِّموه . وكان عيسى قد كلَّمها حين أتت قومها ، وقال : يا أُماه أبشري فإني عبد الله ومسيحه ، فلما أشارت أن كلِّموه ، تعجَّبوا من ذلك ، و { قالوا كيف نكلِّم من كان } [634].

وحكي عن مجاهدٍ قال : قالت مريم : كنت إذا خلوتُ أنا وعيسى حدَّثني وحدّثته ، فإذا شغلني عنه إنسان كان يُسَبِّحُ في بطني وأنا أسمعُ [635].

ومن أنواع التواصل بالمودة والبر والطاعة، ما أشار إليه القرآن الكريم بتواصله عليه السلام مع والدته، لقوله تعالى :
{وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً} (مريم/32)، أى : وجعلنى كذلك مطيعاً والدتى ، وبارا بها ، ومحسنا إليها [636].

وأما تواصله عليه السلام مع ابن خالته يحيى عليه السلام، ما أشار الله إليه في قوله :

---

[631]- المصدر السابق، ص 361/2
[632]- تفسير ابن كثير، ص 37/2
[633]- قصص الأنبياء، ص 355/2
[634]- تفسير زاد المسير، ص 228/5
[635]- تفسير اللباب لابن عادل، ص 82/4
[636]- التفسير الوسيط لسيد طنطاوي، ص 35/9

{مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ } (آل عمران/39)، أي: بعيسى ابن مريم قال ابن عباس في قوله: { مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ } قال: كان يحي وعيسى ابني خالة، وكانت أم يحيى تقول لمريم: إني أجد الذي في بطني يَسْجُد للذي في بطنك فذلك تصديقه بعيسى: تصديقه له في بطن أمه، وهو أول من صدق عيسى، وكلمة الله عيسى، وهو أكبر من عيسى عليه السلام، وهكذا قال السدي أيضا [637].

عن خيثمة قال: كان عيسى بن مريم، ويحي بن زكريا ابني خالة، وكان عيسى يلبس الصوف، وكان يحي يلبس الوبر، ولم يكن لواحد منهما دينار ولا درهم، ولا عبد ولا أمة، ولا مأوى يأويان إليه أين ماجنهما الليل أويا، فلما أرادا أن يتفرقا قال له يحي: أوصني،. قال: لا تغضب. قال: لا أستطيع إلا أن أغضب. قال: لا تقتن مالاً. قال: أما هذه فعسى [638].

المطلب الرابع عشر: محمد صلى الله عليه وسلم:

وفي تواصل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع أهله كما ورد في القرآن الكريم، وهو نبي كباقي الأنبياء في أمر الدعوة، حيث أنه من واجبهم دعوة أهلهم لعبادة الله وطاعته، وهذا من جملة التواصل في الخير والإرشاد له، كقوله تعالى:

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى } (طه/132)

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ } (الأحزاب/59)، يقول تعالى آمرا رسوله، صلى الله عليه وسلم تسليما، أن يأمر النساء المؤمنات -خاصة أزواجه وبناته لشرفهن -بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء [639].

ومن جملة تواصل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عشيرته، أنه كان يدعوهم ويتواصل معهم، رغم الأذى الذي كان يلحقه منهم، كأمثال أبي لهب، وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جانب هذا الأذى محاولة قتل النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن الله سبحانه وتعالى، كان في كل

---

[637]- تفسير ابن كثير، ص 37/2

[638]- قصص الأنبياء، ص 362/2

[639]- تفسير ابن كثير، ص 481/6

مرة يعصمه منهم، ورغم هذا وذاك كله، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مستمرا في التواصل معهم، ودعوتهم لعبادة الله وطاعته [640]، وهذا ما شملته الآية، في قوله تعالى:

{وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } (الشعراء/214)

كما ويبين القرآن الكريم تواصل النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه، في قوله تعالى:

{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ } (التحريم/3)

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً } (الأحزاب/28)

وبختم الذكر بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، نختم فقرة تواصل الأنبياء مع أهلهم في القرآن الكريم. وبهذا أواصل الحديث عن تواصل البشر مع البشر عامة:

---

[640] - أنظر سيرة ابن هشام، ص 354/1-355

المبحث الثالث:

تواصل البشر مع البشر عامة في القرآن الكريم

وهذا التواصل أستعرضه من خلال ذكر الآيات التي وردت في القرآن الكريم بهذا الخصوص، ومن هذه الأمثلة، أول حوار وتواصل ذكره القرآن الكريم فيما يتعلق بين البشر بعضهم ببعض، دار حول الإصلاح والنهي عن الفساد، لأنه من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله، فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء بالطَّاعة [641]. قال تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ }** (البقرة/11)، أى : لا تفسدوا فى الأرض بعد إصلا الله إياها ، بأن خلقها على أحسن نظام ، فالجملة الكريمة نهى عن سائر أنواع الافساد كإفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان [642].

ومن التواصل الإيماني كأصحاب موسى عليه السلام، فيما ذكره ابن كثير، قائلا: يوشع كالب بن يوفنا، يعني أحد أصحاب موسى عليه السلام وهو زوج أخته مريم، وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله، وهما يوشع وكالب، وهما القائلان لبني إسرائيل حين نكلوا عن الجهاد [643]:

{قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } (المائدة/23)

والحوار التالي من أشكال التواصل يبين الشيء ونقيضه، بين حق خالص لاريب فيه، وباطل لَا ريب في بطلانه، فهم يعلنون الإيمان، ولم يعلنوا الكفر، وإن كانت حالهم أشد الكفر وأمقته [644]، قال تعالى:

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ } (البقرة/13)

ومن تواصل البشر ما هو من المكائد في التواصل، قول الله تعالى:

641- تفسير ابن كثير، ص 180/1

642- الوسيط لسيد طنطاوي، ص 289/5

643- قصص الأنبياء، ص 247/2

644- زهرة التفاسير، ص 131/1

{وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (آل عمران/72)، هذه مكيدة أرادوها ليلْبسُوا على الضعفاء من الناس أمْر دينهم [645].

ومن تواصل البشر أيضا ما هو من التثبيط في التواصل، فيما قاله تعالى:
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (آل عمران/156)، فتكون هذه المقالة تثبيطاً لإخوانهم الباقين عن الضرب في الأرض وعن الغزو ، وإيهاماً لهم أنْ يصيبهم مثل ما أصاب إخوانهم الآخرين الذين سبق موتهم وقتلهم بالضرب في الأرض والغزو [646]
حتى أن أنواع التواصل بين البشر يكون فيما يتعلق بأمور الإيمان، والتحذير من النفاق، وهي من صور حياة البشر اليومية، فقال تعالى: {وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ } (آل عمران/167) إذ أن نصر المسلمين فى بدر فتح الطريق أمام المنافقين للتظاهر باعتناق الإسلام . وعدم انتصارهم فى أحد ، كشف عن هؤلاء المنافقين وأظهرهم على حقيقتهم ، فإن من شأن الشدائد أنها تكشف عن معادن النفوس ، وحنايا القلوب [647].

ومن تواصل البشر فيما بينهم، تواصل أهل الكهف، التي هي معجزة من معجزات الله في خلقه، فسلط الله عز وجل الضوء على هذا التواصل الذي تم بينهم، عندما استيقظوا من سبات طويل قد ألقاه الله عليهم في الكهف، يقول سيد طنطاوي: أى : وكما أنمناهم تلك المدة الطويلة ، بعثناهم من نومهم بعدها ، ليسأل بعضهم بعضا ، وكأنهم قد أحسوا بأن نومهم قد طال [648].
ومن جملة هذا الحوار الذي دار بينهم، فيما قاله تعالى: {وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ

---

[645]- تفسير ابن كثير، ص 59/2
[646]- تفسير البحر المحيط 80/3
[647]- التفسير الوسيط ص 330/2
[648]- المصدر السابق، ص 490/8

قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَداً } (الكهف/19)

ومن المشاهد التي ذكرها الله تعالى في التواصل ما كان من حوار بين الكافر صاحب الجنتين والمؤمن، قال تعالى:

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (32) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (33) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (34) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (35) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (36) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (37) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (38) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (39) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (40) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (41) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (42) (سورة الكهف)

تواصل أصحاب الجنة (البستان) في البخل وحرمان المساكين، قال تعالى:

فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (23) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (24) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (25) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (26) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (27) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (28) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (29) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (30) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (31) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (32) (سورة القلم)

المطلب الأول:

التواصل الاجتماعي والعائلي

وفي هذا الباب هناك صور من القرآن الكريم تتكلم عن هذا النوع من التواصل، ومثل هذا النوع الذي بينه القرآن الكريم، الحوار الذي دار بين امرأة فرعون وفرعون حول تبني سيدنا موسى عليه السلام، وفي هذا المشهد، نرى البعد الاجتماعي الذي ورد في القرآن الكريم، والبعد في ذلك، أن رضيعا في قلب تابوت في وسط اليم، بلا أم ولا أب، ماذا يفعل به، إلا أن يتم تبنيه ورعايته، يقول ابن عجيبة في قوله تعالى: { **أو نتخذه ولدا** } ؛ أو : نتبناه؛ فإنه أهل لأن يكون ولد الملوك ، وقوله تعالى : { **فالتقطه آلُ فرعون** } والالتقاط : وجدان الشيء من غير طلب ولا إرادة ، ومنه : اللُّقَطَةُ ، لما وُجد ضالاً [649]. هذا البعد الذي ذكرته من التبني واللقطة[650]، لا شك أنه لا يطغى على البعد الذي وصفه الله في هذا المشهد، وهو أنه أراد بقدره أن يصل إلى فرعون ويربى بقصره [651]، لكن في هذا الباب لنا البعد الاجتماعي من هذه الآية، قال تعالى: {**وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** } (**القصص/9**)

وفي بعد اجتماعي آخر، هو قصة أم وأخت سيدنا موسى عليه السلام، نرى في هذا المشهد قوة التواصل بين الأم والأبناء، ورعايتهم حتى في أشد المحن والمصائب التي تدور حولهم، وفي هذه الآية قوله تعالى: {**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ** } (**القصص/11**)

وفي تواصل البشر فيما بينهم، ومن باب التكافل الاجتماعي، وهو رعاية اليتم أو من لا يعرف له أبوين، وتكفل الناس في رعايته، وتوفير الرضاعة له في سن الرضاعة، ورعايته بما يحتاج، وفي هذه الآية التالية تبين ذلك، في قوله تعالى: {**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ** } (**القصص/12**) يقول سيد قطب: واليتيم ضعيف في الجماعة ، بفقده الوالد الحامي والمربي ، ومن ثم يقع ضعفه على الجماعة المسلمة– على أساس التكافل الاجتماعي الذي يجعله الإسلام قاعدة نظامه الاجتماعي – وكان اليتيم ضائعاً في المجتمع

---

[649]- البحر المديد، ص 248/5

[650]- وأما الحكم الشرعي في التبني واللقطة: فيرجع لكتب الفقه وأقوال العلماء في ذلك

[651]- أنظر: تفسير الطبري، ص 523/19

العربي في الجاهلية . وكثرة التوجيهات الواردة في القرآن وتنوعها وعنفها أحيانا تشي بما كان فاشياً في ذلك المجتمع من ضيعة اليتيم فيه؛ حتى انتدب الله يتيما كريماً فيه؛ فعهد إليه بأشرف مهمة في الوجود . حين عهد إليه بالرسالة إلى الناس كافة .وجعل من آداب هذا الدين الذي بعثه به رعاية اليتيم وكفالته [652].

وفي تواصل البشر بينهم، التواصل الاجتماعي، في تواصل النصرة حين الكرب والشدة، وهو من التكافل الاجتماعي الذي لا يقدر البشر تركه، و إلا عم الخراب والظلم، قال تعالى: **{وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ }** (القصص/15) يقول سيد طنطاوي: يشير قوله تعالى: إلى ما كان عليه – موسى– من مروءة عالية . حملته على الانتصار للمظلوم بدون تقاعس أو تردد [653].

ويقول الشوكاني: **{ فاستغاثه الذي مِن شِيعَتِهِ }** أي طلب منه أن ينصره ، ويعينه على خصمه **{ عَلَى الذي مِنْ عَدُوّهِ }** فأغاثه؛ لأن نصر المظلوم واجب في جميع الملل [654].

ومن التواصل العائلي بين البشر عامة، ما هو في الوعظ والحكمة والتربية القويمة للأبناء، " قول تعالى مخبرًا عن وصية لقمان لولده. وقد ذكره الله تعالى بأحسن الذكر، فإنه آتاه الحكمة، وهو يوصي ولده الذي هو أشفق الناس عليه وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف؛ ولهذا أوصاه أولا بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا، ثم قال محذرًا له: **{ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ }** **(لقمان/13)** أي: هو أعظم الظلم. ثم قَرَنَ بوصيته إياه بعبادة الله وحده البر بالوالدين. كما قال تعالى: **{ وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا } [الإسراء: 23]** وقال هاهنا : **{ وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ } (الإسراء/24)** " [655].

ومن أشكال التواصل العائلي الذي يصب في النصح والدعوة أيضا، ومحبة الخير لأولادهم، كالذي قال لوالديه إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث : قبحًا لكما أتعِدانني أن أُخرج من قبري

---

[652]- في ظلال القرآن، ص 1232/3

[653]- التفسير الوسيط ص 387/10

[654]- فتح القدير، ص 163/4

[655]- تفسير ابن كثير، ص 336/6

حيًا، وقد مضت القرون من الأمم من قبلي، فهلكوا فلم يُبعث منهم أحد؟ ووالداه يسألان الله هدايته قائلَين له : ويلك، آمن وصدِّق واعمل صالحًا، إن وعد الله بالبعث حق لا شك فيه، فيقول لهما: ما هذا الذي تقولانه إلا ما سطَّره الأولون من الأباطيل [656]، فقال تعالى: **{وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ } (الأحقاف/17)**

المطلب الثاني:
التواصل عن طريق النصح بين البشر

وفي مثل هذا التواصل الذي يصب في باب الخير والعمل الصالح والنصح، يقول سيد طنطاوي: ثم بين القرآن بعد ذلك أن رجلين مؤمنين منهم قد استنكروا إحجام قومهم عن الجهاد ، وحرضاهم على طاعة نبيهم [657] : **{قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ } (المائدة/23)**

ومن باب التواصل الذي يصب في الخير ونصح المؤمنين، للذين يفترون على الله الكذب: تعالوا إلى تنزيل الله وآي كتابه وإلى رسوله، ليتبين لكم كذبُ قيلكم فيم تضيفونه إلى الله تعالى ذكره من تحريمكم ما تحرِّمون من هذه الأشياء [658]، فقال تعالى في ذلك: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ } (المائدة/104)**

وفي صورة أخرى من صور التواصل بالنصح ومحبة الخير للغير، وعاقبة من يرى الباطل ويسكت عنه، فيما وصفه الله لنا في قوله: وقالت طائفة منهم من أهل البقيّة (الذين لم يصطادوا الحيتان ويأكلوها يوم السبت) : ويحكم! اتقوا الله! ونهوهم عما كانوا يصنعون. وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان، ولم تنه القوم عما صنعوا : **{وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ**

---

[656]- أنظر: تفسير الطبري، ص 117/22-118، بتصرف

[657]- التفسير الوسيط، ص 108/4

[658]- تفسير الطبري، ص 137/11

مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } لسخطنا أعمالهم - (**وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُون**) **(الأعراف/164)**، قال ابن عباس: فبينما هم على ذلك، أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم، وفقدوا الناس فلا يروهم. فقال بعضهم لبعض: إن للناس لشأنا! فانظروا ما هو! فذهبوا ينظرون في دورهم، فوجدوها مغلقة عليهم، قد دخلوا ليلا فغلقوها على أنفسهم، كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قردة، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد. قال: يقول ابن عباس: فلولا ما ذكر الله أنه أنجى الذين نهوا عن السوء، لقلنا أهلك الجميع منهم . قالوا: وهي القرية التي قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم:(**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ**) الآية **(الأعراف/163)**[659].

وتشير الآية التالية إلى تواصل وحوار يظهر محبة الخير للآخرين، حيث يريدون لهم النصح والفوز بما يرون الفوز به عند الله عز وجل، وهو من باب النصح بالخير والإرشاد إليه يقول تعالى: { **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ** } أي: لهؤلاء المجادلين في توحيد الله: { **اتَّبِعُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ** } أي: على رسوله من الشرائع المطهرة، { **قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا** } أي: لم يكن لهم حجة إلا اتباع الآباء الأقدمين، قال الله: { **أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلا يَهْتَدُونَ** } **[البقرة: 170]** أي: فما ظنكم أيها المحتجون بصنيع آبائهم، أنهم كانوا على ضلالة وأنتم خلف لهم فيما كانوا فيه؛ ولهذا قال: { **أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ** }
(لقمان/21) [660]

ومن أمثلة تواصل حب الخير والإرشاد إليه، والدفاع عن الحق بين البشر ما حكاه القرآن لنا عن قصة رجل مؤمن من آل فرعون. يقول سيد قطب: هنا انتدب رجل من آل فرعون ، وقع الحق في قلبه ، ولكنه كتم إيمانه . انتدب يدفع عن موسى ، ويحتال لدفع القوم عنه ، ويسلك في خطابه لفرعون وملئه مسالك شتى ، ويتدسس إلى قلوبهم بالنصيحة ويثير حساسيتها بالتخويف والإقناع : {**وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي**

---

[659]- تفسير الطبري، ص 168/2

[660]- تفسير ابن كثير، ص 347/6

يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (28) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (29) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ (30) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (31) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (32) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (33) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (34) } (سورة غافر) [661]

المطلب الثالث:

التواصل عن طريق العداوة بين البشر

إن تسليط القرآن الكريم الضوء على قصة ابني آدم عليه السلام، له دلالة قوية بأخذ العبر والدروس من هذا التواصل المنهي عنه، وهو كمن قتل الناس جميعا [662]، حيث يقول الله تعالى: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِن أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ } (المائدة/27)

فكان من هذا الدرس أعلاه، نتيجة عملية نتج عنها حوارا وتواصلا للذات، حيث لام ابن آدم القاتل نفسه على فعلته، وأعلن توبته، ووصف الله تعالى ذلك في قوله: {قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ} (المائدة/31) يقول سيد قطب : هذه القصة تقدم نموذجاً لطبيعة الشر والعدوان؛ ونموذجاً كذلك من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له . كما تقدم نموذجاً لطبيعة الخير والسماحة؛ ونموذجاً كذلك من الطيبة والوداعة . وتقفهما وجهاً لوجه ، كل منهما يتصرف وفق طبيعته . . وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها الشر ، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير؛ ويثير الشعور بالحاجة إلى شريعة نافذة بالقصاص

661ـ في ظلال القرآن، ص 3079/5

662ـ مختصر الشمائل المحمدية، ص 425/1

العادل ، تكف النموذج الشرير المعتدي عن الاعتداء؛ وتخوفه وتردعه بالتخويف عن الإقدام على الجريمة؛ فإذا ارتكبها - على الرغم من ذلك - وجد الجزاء العادل ، المكافىء للفعلة المنكرة . كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه . فمثل هذه النفوس يجب أن تعيش ، وأن تصان ، وأن تأمن؛ في ظل شريعة عادلة رادعة [663].

المطلب الرابع:
التواصل عن طريق تناقل الخبر بين البشر

وفيما يتعلق بنوع من أنواع التواصل التي تتم بين البشر، وهو تناقل الأخبار فيما بينهم، حيث ذكر الله تعالى مثل هذا النوع من أنواع التواصل، "حكاية لما تناقلته الألسنة عن امرأة العزيز ، فقد جرت العادة بين النساء ، أن يتحدثن عن أمثال هذه الأمور في مجالسهن ، ولا يكتمنها خصوصا إذا كانت صاحبة الحادثة من نساء الطبقة المرموقة . . كامرأة العزيز" [664]. فقال:
{وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبّاً إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ } (يوسف/30)

ومن جملة هذا التواصل، الذي يمر عبر تناقل الخبر، يكون من نتائجه الكيد وتدبير المكائد، وهذا ما بينه القرآن الكريم في هذا المشهد، حيث قال تعالى: **{فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ }** (يوسف/31)
أو أن يكون تناقل الخبر باذاعة الفاحشة ورمي المحصنات المؤمنات ،كما حصل لأمنا عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك {إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ } [665] ، قال تعالى: **{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ }** (النور/15)، فقد تناقلتم هذه التهمة بألسنتكم وأشعتموها بينكم ، وتخوضون فيما لم يكن لكم

---

[663]- في ظلال القرآن ، ص 875/2
[664]- الوسيط لسيد طنطاوي، ص 351/7
[665]- سورة النور/ 11

علمٌ بصحته، وتحسبون ان هذا الأمر هين بسيطٌ لا يعاقِب الله عليه ، مع أنه أمرٌ خطير عظيم يعاقِبُ عليه الله اشد العقاب[666].

أو ما يكون من تواصل الخير، التخويف والإثباط، قال ابن كثير: أي: الذين توعدهم الناس بالجموع وخوفوهم بكثرة الأعداء[667] : **{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ }** (آل عمران/173)

ومن أمثلة تناقل الخبر في الخير والنصح: **{وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ }** (القصص/20) ذُكِرَ أن قول الإسرائيلي سمعه سامع فأفشاه، وأعلم به أهل القتيل، فحينئذ طلب فرعون موسى، وأمر بقتله؛ فلما أمر بقتله، جاء موسى مخبر وخبره بما قد أمر به فرعون في أمره، وأشار عليه بالخروج من مصر، بلد فرعون وقومه [668].

أخبر القرآن الكريم في الآية التالية عن تواصل نقل الخبر وإعلام بقدوم ضيوف أو غرباء إلى مدينة أو قرية ما، كما حصل مع أبنة لوط عليه السلام بإعلامه عن قدوم ضيوف .. ، وإفشاء الخبر من قبل زوجته لقومها بوجودهم، قال تعالى : وقال تعالى: **{وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ }** (هود/77)

خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط، فأتوها نصف النهار، فلما بلغوا نَهر سَدُوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء لأهلها، وكانت له ابنتان، اسم الكبرى "ريثا"، والصغرى "زغرتا"، فقالوا لها: يا جارية، هل من منزل؟ قالت: نعم، فَمكانَكم لا تدخُلوا حتى آتيكم ! فَرِقَتْ عليهم من قَوْمها . فأتت أباها فقالت: يا أبتاه أرادك فتيان على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم أحسنَ منهم، لا يأخذهم قومك فيفضحوهم ! وقد كان قومه نهوه أن يُضيف رجلا فقالوا: خَلِّ عنَّا فلنضِيف الرجال ! فجاء بهم، فلم يعلم أحدٌ إلا أهل بيت لوط، فخرجت امرأته فأخبرت قومها، قالت: إن في بيت لوط رجالا ما رأيت مثل وجوههم قَطّ ! فجاءه قومه يُهْرَعون إليه [669].

---

[666]- تفسير القطان، ص 492/2

[667]- تفسير ابن كثير، ص 169/2

[668]- تفسير الطبري، ص 545/19

[669]- تفسير الطبري، ص 409/15

كما حكى القرآن عن نقل الخبر وتواصل الأبناء مع الأباء فيما يتعرضوا له من مواقف وشؤون في أمور حياتهم: {فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ } (القصص/25-26)

فذهبتا إلى أبيهما قبل وقتهما، فخبرتاه بخبر موسى وسقيه، فأرسل وراءه بإحداهما فجاءته تمشي على استحياء، فقالت له: {إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ}، أي ليثيبك أجر سقيك غنمنا [670].

المطلب الخامس:

التواصل والحوار بين الأديان

لقد كان الحوار أسلوب الأنبياء عليهم السلام، به استطاعوا النفاذ إلى قلوب الناس بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة. ولقد بينوا لنا سبل الحوار الهادئ والهادف الذي يلتزم العرض والإقناع مع الإيضاح والبيان بكل رفق وتلطف. فلم يكون حوارهم مع أقوامهم حوار الإكراه أو الإجبار أو حوار القسر والقهر ، بل كان حوارا يحترم الفكر والشعور ويستعمل ألين العبارات في الدعوة والبحث عن قاعدة اللقاء كيفما كانت: { تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ } (آل عمران/64) . [671]

ويقول عبد الله علي عليان: ألم يواجه الأنبياء الصد، والاضطهاد والمكابرة والطغيان؟ نعم. واجهوا كل ذلك . لكن هل يئسوا من الحوار مع المختلفين والمخالفين والطغاة؟ لا . بل استمروا معهم في الحوار، والنصح، والتوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة، والمنطق والبرهان، لأن ذلك دعوة ربانية، وتوجيه إلهي لإتخاذ الحوار طريقا ومنهجا مع المختلفين والمخالفين في الرأي والعقيدة والمصالح وغيرها : {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } (طه/43_44) [672]

---

[670]- الهداية إلى بلوغ النهاية، ص 5518/8

[671]- حوار الحضارات في القرن الواحد والعشرين، ص 20

[672]- حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، عبد الله علي عليان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2004، ط1، ص 216

ومن دعوة الحوار الذي أشار إليه القرآن الكريم، قوله: **{قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ}** (**البقرة/136**) وفي نفس السياق قوله تعالى: **{ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }** (**العنكبوت/46**)

وكما أن الحوار بين الأديان يتطلب استعداد كل حضارة لفهم الأخرى في إطار من القبول بالتمايز والاختلاف[673] : **{ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ }** (**الروم/32**) ويقول باسم خفاجي: إن الأمة الإسلامية تدرك أن الاختلاف سنة كونية، وأن التدافع والتنافس بين الشعوب والأمم يسمح للبشرية بدفع عجلة التقدم إلى الأمام. ومع ذلك فإن الاختلاف ليس مبررا للتخاصم بين الشعوب، وإنما هو حافز للتعرف على الأخر، والتكامل معه لما فيه خير الإنسانية. وعندما يتعدى البعض ويتجاوز حدود التعارف إلى الاعتداء أو الرغبة في الهيمنة، فإن الأمة الإسلامية تتعاون مع الآخرين من العقلاء للدفاع عن مصالحها وحماية أمتها والانتصار لرموزها ومقدستها، ولتحجيم مخاطر الاعتداء، وحفظ الاستقرار والسلام بين شعوب العالم (...)
إن الأمة الإسلامية لا تعتدي ابتداءً، ولكنها أحيانا تُعادى من قبل قلة من الآخر الذي يسعى إلى إقصاء الأمة وتهميشها، بل وإلغاءها في بعض الأحيان. لذلك تنتفض الأمة لتقاوم وتدافع عن هويتها، وتحفظ دينها وكرامة رموزها. ولا تخشى الأمة في مواجهة الاعتداء، ولكنها ترغب دائما في السلام وتجنح إليه، وترفض التظالم مع دول العالم وجميع الأمم والشعوب[674].
وقد حكى لنا القرآن الكريم عن رفض الآخر وإقصائه، فقال تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ }** (**البقرة/113**)
حتى أن هذا التعدي في الحوار والتواصل بالشتم والسب، الذي من شأنه الهدم لا البناء وهو من أنواع التواصل غير البناء الذي يوقع متبنيه في المحرمات وفيه قال تعالى : **{وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ }** (**الأنعام/108**)، ومع هذا فأن القرآن الكريم ذكر

---

[673]- المصدر السابق، ص 218
[674]- باسم خفاجي، لماذا يكرهونه: الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض – 1427 هـ / 2006 م، ص 110

قول الآخر رغم اختلافه مع عقيدته، "ومع رده لقولهم، أقام الحجة والبرهان على تنزيهه عن ذلك"[675] فقال تعالى: **{وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ }** (البقرة/116)

وتتجلى دعوة اللاتواصل بالرفض والتحريض له، هروبا من الحجة والدليل : **{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ }** (فصلت/26)، قيل: إنهم فعلوا ذلك لما أعجزهم القرآن[676].

كما ويبين لنا القرآن الكريم كيفية الرد على ما يطرح بما يخص الحوار بين الأديان، فدعوة اليهود والنصارى لأمة سيدنا محمد بدخول ملتهم حتى يجدوا الهداية، فكان جواب الرسول صلى الله عليه وسلم لهم، بل الهداية في اتباع ملة إبراهيم عليه السلام الذي مال عن كل باطل إلى دين الحق، هو الأحق أن يتبع[677]، وفي ذلك قال تعالى: **{وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }** (البقرة/135)

ومن جهة أخرى، فإن دعوة المؤمنون ونصح أهل الضلال باتباع ما أنزل الله من القرآن والهدى قائمة إلى يوم الدين، حيث قال تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ }** (البقرة/170)

وفي حوار وتواصل هذا الباب، يأتي التوجيه الرباني من الله عز وجل للمؤمنين، بترشيد هذا التواصل ووضعه في مكانه الصحيح، حيث أن التواصل يكون مع من لا يكيدون لكم العداوة والبغضاء، قال تعالى: **{هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ }** (آل عمران/119) قال أبو جعفر: يعني بذلك جل ثناؤه : ها أنتم، أيها المؤمنون، الذين تحبونهم، يقول: تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين، فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم، بل يبطنون لكم العداوة

---

[675]- تفسير السعدي، ص 64/1

[676]- تفسير القرطبي، ص 356/15

[677]- انظر: تفسير الطبري، ص 102/3، بتصرف

والغش "وتؤمنون بالكتاب كله" . إنما معناه : بالكتب كلها [678].

ولما كان أهل الباطل لا يجدون في تأييد باطلهم إلاّ الكلمات الباطلة يموهون بها، والكلمات البذيئة القبيحة يتخذون سلاحاً منها، ولا يسلكون في مجادلتهم إلاّ الطرق الملتوية المتناقضة، فيتعسفون فيها ويهربون إليها؛ لما كان هذا شأنهم، أمر الله نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ-. أن يجتنب كلماتهم الباطلة والقبيحة، وطرائقهم المتناقضة والملتوية. وأن يلتزم في جدالهم كلمة الحق والكلمات الطيبة البريئة. وأن يسلك في مدافعتهم طريق الرفق والرجاحة والوقار، دون فحش ولا طيش ولا فظاظة.

وهذه الطريقة في الجدال هي التي أحسن من غيرها، في لفظها ومعناها، ومظهرها وتأثيرها، وإفضائها للمقصود من إفحام المبطل وجلبه، ورد شره عن الناس، وإطلاعهم على نقصه، وسوء قصده. وهذه هي الطريقة التي أمر الله نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- بالجدال بها في قوله: **{وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125].** [679]

---

[678]- المصدر السابق، ص 148/7

[679]- تفسير ابن باديس، ص 325/1

المطلب السادس:

التواصل النفسي في الحروب

لقد أشار القرآن الكريم إلى مادة علمية، تعتبر في العصر الحديث أسلوبا من أساليب الحرب النفسية في الدعاية التثبيطية، وهو نوع من أنواع التواصل أيضا الذي ذكره وبينه القرآن الكريم، حيث قال تعالى:

{الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } (آل عمران/173)، وحذف مفعول { جَمَعُواْ } فلم يقل : جمعوا جيشا كبيرا أو جمعوا أنفسهم وعددهم وأحلافهم وذلك ليذهب الخيال كل مذهب فى مقدار ما جمعوا من رجال وسلاح وأموال ، ولمن هذا القول الذى صدر من هؤلاء المثبطين ، لم يلتفت إليه المؤمنون الصادقون المخلصون فى جهادهم وفى اعتمادهم على خالقهم [680].

ومن ضمن تواصل البشر بالتأثير النفسي في الحروب النفسية الشماتة وإفشال المعنويات، قال سيد طنطاوي مبينا هذا المعنى في المنافقين: شماتتهم فيما حل بالمسلمين من قتل وجراح يوم أحد [681]، وذلك في قوله تعالى : **{الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ }** (آل عمران/168)

ومن أشكال تواصل الحرب النفسية، ما كان يقوم به المنافقون بالتأثير النفسي على المؤمنين، قال الشوكاني: أي : قال المنافقون لإخوانهم هذه المقالة تثبيطاً لهم ، وكسراً لنشاطهم ، وتواصياً بينهم بالمخالفة لأمر الله ورسوله [682]: **{وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّاً لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ }** (التوبة/81)

ومن أساليب التواصل النفسية في الحرب الذي استمر المنافقون باتباعها، كما وصفها سيد قطب: بالتحريض والبلبلة والمراوغة وبث الفزع والخوف في صفوف إخوانهم [683]، في قوله تعالى: **{وَإِذْ**

680- الوسيط لسيد طنطاوي، ص 803/1

681- المصدر السابق، ص 333/2

682- فتح القدير للشوكاني، ص 293/3

683- أنظر: في ظلال القرآن لسيد قطب، ص 2839/5

قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً } (الأحزاب/13)

المطلب السابع:
تواصل الملوك والسادة من البشر

ولهذه الطبقة في مستويات البشر نصيب من القرآن ذكره وبينه، بحيث أنه لم يترك طبقة في بني البشر إلا وذكرها، ففي ذكر الله عز وجل للملك طالوت مع بني إسرائيل، وهي قصة الملوك الذين ينصرون الحق ويقفون معه، ويجعلون هذه القوة وهذا النفوذ فيما يرضي الله، وهو تواصل في الحق من خلال المنصب والقوة، فقال تعالى:

{فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (البقرة/249)

وحكى لنا القرآن أن حاشية فرعون السيئة ، وأصحاب الجاه والغنى فى دولته غاظهم ما جاء به موسى [684]. فكان من هذا الغيظ استخدام النفوذ ضد الحق وفيما لا يرضي الله، ومواجهة الحق والوقوف أمامه باستخدام الدعاية والإعلام الكاذب، كما بين ذلك سيد قطب رحمه الله: إنهم يصرحون بالنتيجة الهائلة التي تتقرر من إعلان تلك الحقيقة . إنها الخروج من الأرض .. إنها ذهاب السلطان .. إنها إبطال شرعية الحكم .. أو .. محاولة قلب نظام الحكم! .. بالتعبير العصري الحديث! [685]، وذلك في قوله تعالى: **{قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ } الأعراف/109-110)**

وكان من نتيجة تواصل " الزعماء والوجهاء من قوم فرعون أن قالوا له : بعد أن أصابتهم الهزيمة

---

[684]- الوسيط لسيد طنطاوي، ص 5/ 346

[685]- في ظلال القرآن لسيد قطب، ص 1348/3

والخذلان فى معركة الطغيان والإيمان، قالوا له على سبيل التهييج والإثارة : أتترك موسى وقومه أحراراً آمنين فى أرضك ، ليفسدوا فيها بإدخال الناس فى دينهم، أو جعلهم تحت سلطانهم ورياستهم " [686]. قال تعالى: {**وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ** } (**الأعراف/127**)

وحكى القرآن أيضا، عن هذا النفوذ والسلطة العمياء الظالمة، التي تكبح كل رغبة وتسلب الحقوق عنوة، يقول سيد قطب: وهل يرى الطغاة إلا الرشد والخير والصواب؟! وهل يسمحون بأن يظن أحد أنهم قد يخطئون؟! وهل يجوز لأحد أن يرى إلى جوار رأيهم رأيا؟! وإلا فلم كانوا طغاة؟! [687] : {**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ** } (القصص/**38**) وقال تعالى : {**وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ** } (غافر/**26**)

ومن الأمثلة التي حكى لنا عنها القرآن الكريم عن تواصل الملوك مع من حولهم، لما طلب الملك تفسيرا لرؤياه،، قال تعالى: {**وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** } (**يوسف/43**)، فكان جواب المفسرين من حول الملك، أن قالوا: {**قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ** } (**يوسف/44**)، وتوسعت رقعة التواصل والحوار في الحاشية، إلى أن وصل لأحد الخدم في القصر ممن يخدمون الملك، فقال: {**وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ** } (**يوسف/45**)

وكما حكى لنا القرآن الكريم أيضا عن تواصل هذه الطبقة من البشر من خلال القوة والسلطة، وهي أكبر سلطة في البلاد وبها تم إحقاق الحق ونصرته في القضية المطروحة ... " قال تعالى : { **قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ** } إخبار عن الملك حين جمع النّسوة اللاتي قطعن

---

[686]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 353/5

[687]- المصدر السابق، ص 3080/5

أيديهن عند امرأة العزيز، فقال مخاطبا لهن كلهن -وهو يريد امرأة وزيره، وهو العزيز -: { مَا خَطْبُكُنَّ } أي: شأنكن وخبركن { إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ } يعني: يوم الضيافة؟ { قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ } أي: قالت النسوة جوابا للملك: حاش لله أن يكون يوسف مُتَّهَمَا، والله ما علمنا عليه من سوء. فعند ذلك {قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ } تبين الحق وظهر وبرز { أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} (يوسف/51)"[688].

وفي قوة السلطة والنفوذ أيضا، ما ذكره القرآن الكريم في قصة أهل الكهف، حيث أن أهل النفوذ والسلطة فرضوا على كل الناس أن يتخذوا على مكان أهل الكهف مسجدا للعبادة، قال ابن كثير: والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ[689]. قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً } (الكهف/21)

وفي التواصل العقيم، والسلطة الأحادية، والقمع وسلب صوت الحق ورأي الآخر، يصور لنا القرآن الكريم هذا المشهد، لفرعون في جبروته وتسلطه، بعد أن قال الرجل المؤمن من قومه لهم : {يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ } يعني: أرض مصر، يقول: لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بني إسرائيل في أرض مصر { فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا } يقول: فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته إن حل بنا، وعقوبته أن جاءتنا ، فما كان الجواب من فرعون إلا العناد والجبروت والتكبر: {قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ } (غافر/29)، فلما رأى الرجل المؤمن، هذه الطريقة في الرد من فرعون وقومه، ما كان له إلا أن يقدم النصيحة الحق لهم، ويتبع أسلوب التواصل الفعال والذي يصب في الخير والنصح : {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ } (غافر/30) [690].

---

[688]- تفسير ابن كثير، ص 394/4

[689]- تفسير ابن كثير، ص 147/5

[690]- أنظر: تفسير الطبري، ص 378/21، بتصرف

المطلب الثامن:

تواصل البشر يوم القيامة

من ضمن تواصل البشر يوم القيامة، التواصل مع الذات، حيث ينادي الكفار على أنفسهم بالحسرة لما يوقفون على النار التي هي مثواهم، فيصف الله تعالى هذا الموقف بقوله: **{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَاء اللّهِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً }** فإذا جاءتهم الساعة بغتةً قالوا إذا عاينوا ما باعوا وما اشتروا، وتبيَّنوا خسارة صفقة بَيْعهم التي سلفت منهم في الدنيا، تندُّمًا وتلهُّفًا على عظيم الغَبْن الذي غبنوه أنفسهم : **{قَالُواْ يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا }** (**الأنعام/31**) يا ندامتنا على ما ضيّعنا فيها [691].

ومن أشكال تواصل الذات يوم القيامة : " ويوم يعضّ الظالم نفسه المشرك بربه على يديه ندما وأسفًا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالكفر به في طاعة خليله الذي صدّه عن سبيل ربه " [692] : **{ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولا (29) }** (**سورة الفرقان**)

وحكى لنا القرآن الكريم عن تواصل أهل النار وتبرأ المتبَع للمُتبِع، فقال تعالى: **{وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ }** (**البقرة/167**) وقال تعالى: **{وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ }** (**الأعراف/39**)

وأما فيما يتعلق بتواصل أهل الجنة مع أهل النار، قوله تعالى: **{وَنَادَى أَصْحَابُ الأَعْرَافِ رِجَالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ }** (**الأعراف/48**)
ومن هذا التواصل تواصل أهل النار مع أهل الجنة، قال تعالى: **{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ }**

---

[691]- تفسير الطبري، ص 325/11

[692]- تفسير الطبري، ص 262/19

(الأعراف/50)

وفي حوار وتواصل جدلي لأهل النار فيما بينهم، قوله تعالى: **{وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ }** (إبراهيم/21)

وفي مشهد آخر من مشاهد يوم القيامة، التي سوف يتواصل بها أهل هذه المشاهد أيضا، مشهد المكذبون بالبعث حيث يقولون وهم نادمين : " يا هلاكنا مَن أخرجنا مِن قبورنا؟ فيجابون ويقال لهم : هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون "[693]، وبذلك قال تعالى: **{قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ }** (يس/52)

ومن مشاهد التواصل بين البشر يوم القيامة أيضا، تواصل المنافقين مع المؤمنين، كما ذكر ابن كثير رحمه الله: ينادي المنافقون المؤمنين حين حُجز بينهم بالسور، فبقوا في الظلمة والعذاب، وصار المؤمنون في الجنة، ألم نكن معكم في الدنيا نصلي ونصوم، ونناكحكم ونوارثكم؟ قالوا: بلى، يقول: قال المؤمنون: بلى، بل كنتم كذلك، ولكنكم فَتَنْتمْ أنفسكم، فنافقتم، وفِتْنَتهم أنفسَهم في هذا الموضع كانت النفاق [694]. وهذا ما معناه في قوله تعالى : **{يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ }** (الحديد/14)

[693]- أنظر: تفسير ابن كثير، ص 581/6، بتصرف
[694]- المصدر السابق، ص 184/23

الفصل الخامس

تواصل البشر مع الحيوانات

وفي تواصل البشر مع الحيوانات صور متعددة، فإما أن تكون كلاما أو تعليما أو تعلما، أو أن تكون من الطرفين أو من طرف واحد وهكذا، وهذا ما سوف أبينه من خلال ذكر الآيات التي وردت في هذا الباب إن شاء الله. يقول البغوي: ومذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره: "وإن من شيء إلا يسبح بحمده"(44-الإسراء) وقال "والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه"(41-النور) وقال: "ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر"(18-الحج) الآية، فيجب على(المؤمن) الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى [695].

ومن أمثلة ذلك: ما كان للنملة من نصيب في هذا التواصل، حيث تم التواصل بينها وبين سيدنا سليمان عليه السلام . "فقالت هذه النملة للنمل ، بالوسيلة التي تتفاهم بها أمة النمل ، وباللغة المتعارفة بينها" [696]، ويقول الجاحظ: والقرآنُ يدلُّ على أنّ لها بياناً، وقولاً، ومنطقاً يفصلُ بين المعاني التي هي بسبيلها [697]: **{ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ } (النمل/18)**، سمع سليمان كلامها [698]: **{فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } (النمل/19)**

ومن تواصل سيدنا سليمان عليه السلام ما كان مع الهدهد، حينما تفقد الطير فلم يجد الهدهد، فقال تعالى على لسانه:

695- تفسير البغوي، ص 111/1

696- في ظلال القرآن، ص 2636/5

697- كتاب الحيوان للجاحظ ص 192/2

698- زهرة التفاسير، ص 5445/10

{وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ } (النمل/20)، {فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ} فمكث سليمان غير طويل من حين سأل عن الهدهد، حتى جاء الهدهد [699]. فقال الهدهد حين سأله سليمان عن تخلفه وغيبته: {فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ } (النمل/22)، يقول تعالى ذكره:(قَالَ) سليمان للهدهد:(سَنَنظُرُ) فيما اعتذرت به من العذر، واحتججت به من الحجة لغيبتك عنا، وفيما جئتنا به من الخبر(أَصَدَقْتَ) في ذلك كله (أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فيه (اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ) (النمل/28) [700]

ومع سيدنا إبراهيم عليه السلام وتواصله مع الطير بطريقتين في نفس الوقت والحال، فمرة من خلال تواصل الإحياء بإذن الله، ومرة بالنداء والكلام معهن، لما ورد في قوله تعالى: {فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً } عن قتادة:(فصرهن إليك) أمر نبيُّ الله عليه السلام أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن، ثم يخلط بين لحومهن وريشهن ودمائهن، ثم يجزئهن على أربعة أجبُل [701]. ثم دعاهن فقال:"تعالين بإذن الله كما كنتُن" [702]: {ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً } (البقرة/260)، ثم دعاهن فأتينه سعيًا على أرجلهن، ويلقي كل طير برأسه [703]. ويقول الشوكاني: دلّت الآية على حصول فهم النداء [704].

ومن هذه المشاهد التي حكى لنا عنها القرآن الكريم في تواصل البشر مع الحيوانات والحوار معها، هو تعليم الحيوانات من ذوي الأنياب والمخالب كالفهود والكلاب والصقور وغيرها، ورعايتها حق الرعاية [705]، وفي هذا قال تعالى: {وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللّهُ } (المائدة/4)، وأما الحوار وإن لم يذكر في الآية وهذا من أسلوب القرآن، إلا أنه ملزم مع التعليم مخاطبة الحيوان، وهذا ما نراه على أرض الواقع. تقول بروفسور ف. هـ. دي يونجا : متى

---

[699]- تفسير الطبري، ص 445/19
[700]- المصدر السابق ، ص 450/19
[701]- المصدر السابقن ص 503/5
[702]- المصدر السابق، ص 507/5
[703]- المصدر السابق، ص 503/5
[704]- فتح القدير للشوكاني، ص 482/3
[705]- انظر: الوسيط لسيد طنطاوي، ص 46/4-47

اعتقد مربي المواشي أو الأبقار أن كلامه مع الحيوان أو تمسيده له لا يشجع الحيوان لفعل الأفضل، فإن اعتقاده خاطئ وتفاعله سلبي مع حيواناته [706].

وأما قوله تعالى: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (النحل/8)
وكما لا يخفى على أحد منا، أن الإنسان يتكلم مع الدوآب التي يستخدمها في النقل أو التنقل، حتى يوجهها لفعل شيء ما، كالوقوف أو السير وهكذا، وذكر القرآن الكريم هذه الوسيلة ألا وهي وسيلة المواصلات دون أن يذكر ما يقوله الشخص الذي يمتطي دابته، وهذا لا ينفي على الإطلاق أنه لا حوار وتواصل مع هذه الدابة أو تلك عند امتطائها أو حمل الأثقال عليها، لأن ذلك يعرف بالسليقة، يقول الجاحظ: وعرفت النّاقةُ فصْل ما بين حَلْ وجاهٍ [707]، وعرَف الحمارُ الصَّوتَ الذي يُلْتَمَسُ به وقوفُه، والذي يلتمس به سيْرُه [708].

وأما قصة الغراب، في تواصله مع ابن آدم قابيل، بعد قتل أخاه، أن أرسل الله غرابا يعلمه كيف يدفن جثمان أخيه، وهذا من عجائب القرآن، لأنه من عند الخالق، حيث مرة يذكر كيف يعلم الإنسان الحيوان، وفي آية أخرى يبين كيف يعلم الطائر الإنسان فعل شيء ما، يقول د. يوسف القرضاوي: حتى إن الإنسان ليتعلم من الحيوان والطير والهدهد والغراب [709]، حيث قال تعالى: {فَبَعَثَ اللّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ } (المائدة/31)

وأما الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتَرْكِهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض -قيل: من مكة. وقيل: من غيرها. فَتُكَلِّم الناس على ذلك. قال ابن عباس، والحسن، وقتادة -ورُوي عن علي رضي الله عنه -: تكلمهم كلاما أي: تخاطبهم مخاطبة. وقال

---

[706]- In het belang van het dier: over het welzijn van dieren in de veehouderij, door: Francien H. de Jonge, Eric A. Goewie, van Gorcum & Copm. B.V., Den Haag 2000

[707]- حل: تقال لزجر البعير – وجاه: لزجر الجمل (لسان العرب ، باب عوج) . وجاه: زجر للبعير دون الناقة: (الصحاح في اللغة ، باب: جوه)

[708]- كتاب الحيوان للجاحظ، ص 379/3

[709] يوسف القرضاوي، العقل والعلم في القرآن الكريم، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت 2001، ص 221

عطاء الخراساني: تكلمهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون [710]. وذلك في ما قاله تعالى : **{وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ }** (النمل/82)

وأما تأويل قوله تعالى : **{أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ }** (الفيل/1) وفي هذه الآية الكريمة ، وإن لم يذكر الله تعالى أي حوار فيها بين البشر والحيوان ، إلا أن التفاسير أشارات إلى ذلك : فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة ، وهيأ فيله – وكان اسمه محمودًا – وعبأ جيشه ، فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت ، فإنك في بلد الله الحرام ". ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل . وخرج نفيل بن حبيب يَشتد حتى أصعد في الجبل [711].

وأما قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } (الحج/18)

وروي عن أبي هريرة يقول، صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ثم أقبل على الناس بوجهه وقال: "بينما رجل يسوق بقرة إذ عيي فركبها فضربها فقالت: إنا لم نخلق لهذا، إنما خلقنا لحراثة الأرض" فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم!؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم" وقال: "بينما رجل في غنم له إذ عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فاستنقذها، فقال الذئب: فمن لها يوم السبع؟ أي يوم القيامة، يوم لا راعي لها غيري" فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم؟ فقال "أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم" [712].

ومن جملة حوار البشر مع الحيوان، ما أورده الديلمي في كتابه، فقال:

---

[710]- تفسير ابن كثير، ص 210/6

[711]- تفسير ابن كثير، ص 485/8

[712]- رواه البخاري في الأنبياء: 6 / 512، وفي الحرث والمزارعة، وفي فضائل أصحاب النبي، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برقم (2388) 4 / 1857. والمصنف في شرح السنة: 14 / 96-97. نقلا عن تفسير البغوي، ص 111/1-112

وفي دلائل النبوة للبيهقي، عن ابن المنكدر أيضاً، أن سفينة، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخطأ الجيش بأرض الروم، وأسر في أرض الروم، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، فإذا هو بالأسد فقال له" :يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من أمري كيت وكيت، فأقبل الأسد يبصبص، حتى قام إلى جنبه، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، فرجع الأسد[713]." واختلف في اسم سفينة رضي الله عنه [714].

[713]- كتاب الحيوان للدليمي، ص 5

[714]- فقيل رومان وقيل مهران وقيل طعمان وقيل عمير. روى مسلم له حديثاً واحداً والترمذي والنسائي وابن ماجه، المصدر السابق، نفس الصفحة

الفصل السادس
تواصل البشر مع الأشياء

وفي هذا النوع من التواصل أشكال مختلفة، فمنها مثلا ما هو على شكل حوار مع هذه الأشياء، ومنها ما هو غير ذلك، سأبينه عند كل آية، ومذهب أهل السنة والجماعة أن لله تعالى علما في الجمادات وسائر الحيوانات سوى العقل، لا يقف عليه غيره، فلها صلاة وتسبيح وخشية كما قال جل ذكره: "وإن من شيء إلا يسبح بحمده"(44-الإسراء) وقال "والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه"(41-النور) وقال: "ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر"(18-الحج) الآية، فيجب على(المؤمن) الإيمان به ويكل علمه إلى الله سبحانه وتعالى [715].

ومن هذه المشاهد: حوار الإنسان مع أعضائه يوم القيامة، قال تعالى: **{وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ } (فصلت/21)**، وتفسير ذلك ما ورد في الحديث النبوي الشريف: "... قالَ فَيُخْتمُ عَلى فِيه، وَتَتَكَلَّمُ أَرْكانُهُ بِمَا كانَ يَعْمَلُ، قالَ: فَيَقُولُ لَهُنَّ: بُعْدًا لَكُنَّ وسُحْقنا، عَنْكُنَّ كُنْتُ أُجادِلُ". [716]

ومن جملة الأشياء التي كانت تتواصل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كالحجر وجذع النخلة والجبل، ما أورده ابن كثير في تأويل قوله تعالى: **{ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّهِ } (البقرة/74)** وقوله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ ...} (الحج/18)**، وفي الصحيح: "هذا جبل يحبنا ونحبه"، وكحنين الجذع المتواتر خبره، وفي صحيح مسلم: "إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن" وفي صفة الحجر الأسود أنه يشهد لمن استلمه بحق يوم القيامة، وغير ذلك مما في معناه [717]. "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب استند إلى جذع نخلة من سواري المسجد،

---

[715]- تفسير البغوي، ص 111/1

[716]- تفسير الطبري، ص 452/21

[717]- تفسير ابن كثير، ص 305/1

فلما صنع له المنبر فاستوى عليه اضطربت تلك السارية وحنت كحنين الناقة حتى سمعها أهل المسجد، حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتنقها فسكنت" [718]

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في نواحيها خارجا من مكة بين الجبال والشجر، فلم يمر بشجرة ولا جبل إلا قال السلام عليك يا رسول الله" [719] ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل: انزل عني فإني أخاف أن تؤخذ علي فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء: إلي يا رسول الله" [720].

ومن تواصل سيدنا موسى عليه السلام مع الحجر الذي أخذ يركض بثيابه وهو يضربه، ما أورده ابن كثير في تفسير قوله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهاً} (الأحزاب/69)**، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم: "إن موسى كان رجلا حيًّا سِتِّيرًا لا يكاد يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بنو إسرائيل، وقالوا: ما تستر هذا التستر إلا من عيب في جلده؛ إما برص، وإما أدرة، وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا، وإن موسى خلا يومًا وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ من غسله، أقبل على ثوبه ليأخذه وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصًا وطلب الحجر، وجعل يقول: ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فرأوه عريانًا كأحسن الناس خلقًا وبرأه الله مما قالوا، وإن الحجر قام فأخذ ثوبه ولبسه فطفق بالحجر ضربًا بذلك، فوالله إن في الحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا". [721]

ومن تواصل موسى عليه السلام مع الحجر أيضا، قوله تعالى : **{وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً} (البقرة60)** والمعنى : وأوحينا إلى موسى حين طلب منه قومه الماء أن اضرب بعصاك الحجر فضربه فخرج منه الماء من اثنتى عشرة

---

[718]- رواه الترمذي: 10 / 100-101 عن أنس، وقال حديث أنس هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وابن ماجه: في إقامة الصلاة برقم (1414). وأحمد: 1 / 349 ومواضع أخرى، والدارمي في المقدمة - باب: ما أكرم الله النبي صلى الله عليه وسلم بحنين المنبر: 1 / 16 وعند البخاري والنسائي بمعناه.

[719]- رواه الترمذي: في المناقب باب: الشجر والحجر يسلمان على النبي 10 / 99-100 وقال: حسن غريب، والدارمي في المقدمة: 1 / 12. والمصنف في شرح السنة: 13 / 287 وقال هذا حديث غريب وفي سنده إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي وعباد بن أبي يزيد ضعيف ومجهول التقريب، ميزان الاعتدال 2 / 378.

[720]- تفسير البغوي، ص 111/1

[721]- المصدر السابق، ص 334/20

عينا ليروا بأعينهم مظاهر قدرتنا ، وليشاهدوا دليلا من الأدلة المتعددة التى تؤيد موسى فى أنه صادق فيما يبلغه عن ربه – عز وجل – [722].

وأما تواصله عليه السلام مع البحر: {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ } (الشعراء63) أي: فضربه "فانفلق" فانشقَّ، { فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ } قطعة من الماء، { كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ } كالجبل الضخم [723]

وأما تواصله عليه السلام مع العصا فهي متعددة : {قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى } (طه/18) وقد أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في عصا موسى قال : أعطاه ملك من الملائكة إذ توجه إلى مدين فكانت تضيء له بالليل ، ويضرب بها الأرض فتخرج له النبات ، ويهشّ بها على غنمه ورق الشجر [724]. وقوله تعالى: {فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ } (الأعراف/107) قال: فتحت فما لها مثل الدحل، ثم وضعت مشفرها على الأرض ورفعت الآخر، ثم استوعبت كل شيء ألقوه من السحر، ثم جاء إليها فقبض عليها، فإذا هي عصا [725].

وفي تأويل قوله تعالى: {فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ } (الشعراء/44)

حكى لنا القرآن الكريم عن مشاهد من سحرة فرعون، ومن هذه المشاهد معاني مختلفة، منها: إظهار التواصل الذي تم بين البشر والأشياء، ولا شك أن في هذا النوع من الأفعال والتواصل مع الأشياء، يتم من خلال ذكر بعض الكلام غير المفهوم أو المفهوم مع هذه الأشياء، حتى يقع السحر مثل ما قالوا: { بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ } وبهذا الصدد قال الألوسي: وقسمهم على ذلك ... إتيانهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر [726].

722_ التفسير الوسيط ص 144/1
723_ تفسير البغوي، ص 115/6
724_ فتح القدير، الشوكاني، ص 363/3
725_ تفسير الطبري، ص 338/18
726_ تفسير الألوسي، ص 78/19

وأما تأويل قوله تعالى :

- {فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ } (الدخان/29) وقال مجاهد أيضا: ما مات مؤمن إلا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحًا، قال: فقلت له: أتبكي الأرض؟ فقال: أتعجب؟ وما للأرض لا تبكي على عبد، كان يعمرها بالركوع والسجود؟ وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل؟ [727]

[727]- تفسير ابن كثير، ص 254/7

الباب الثالث

وسائل وقنوات التواصل في القرآن الكريم

مدخل:

من خلال هذا المدخل سأتطرق لذكر وسائل التواصل بالمختصر، لأني سأدرجها وأبينها بالتفصيل في قنوات التواصل وهي حواس الإنسان، حتى يكون الكلام فيها أكثر شمولية وتوسعا، وهذا ما ذهب له الهولندي روب فين مان عندما عرف التواصل، بقوله : هو نشاط إنساني، فنحن نتكلم ونسمع ونرى ونحس ونشم ونتذوق، لأننا بحاجة للتواصل حتى نبقى أحياء .[728]

يقول الدكتور كريم زكي حسام الدين: إن كل أعضاء الحواس يمكن استخدامها في خلق عملية التواصل فهناك لغة الشم، ولغة اللمس ولغة البصر، ولغة السمع، فعطر ينشر على ثوب، أو منديل أحمر أو أخضر يطل من جيب السترة، أو ضغطة على اليد قد يطول أمدها قليلا أو كثيرا، كل هذه تكون عناصر من لغة ما دام هناك شخصان قد اتفقا على استعمال هذه العلامات في تبادل أمر أو رأي..[729]

ويقول أيضا: أن التواصل يتميز بتعدد قنوات التواصل multi channel التي تعتمد على تعدد الحواس multi sensry[730]. وهذه الحواس الستة التي يمتلكها الإنسان، هي التي سوف نعتمد عليها في هذا الباب لتبين وشرح وسائل وقنوات التواصل.

فالوسائل هي التي تتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به، سواء كان ذلك مكتوبا أو غير مكتوب، لفظي أو غير لفظي، وهذه الوسائل الثلاثة ذكرها ستيفين ب. بارسونس في كتابه المقابلات والتحقيق، فقال: هناك ثلاثة وسائل نتواصل من خلالها مع بعضنا البعض ، وهي[731]:

---

728 -Rob Veenman, Arno van Doorn, Grondslagen van de professionele communicatie, Kluwer, Deventer 1998, p.4

729- كريم زكي حسام الدين، الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 2001، ط 2، ص 92

730- المصدر السابق، ص 26

731- Interviewing and Investigating: Essential Skills for the Paralegal, Stephen P. Parsons, Aspen Publishers, New York 2008, 3rd edition, p.182

الوسائل الشفهية

الوسائل الكتابية

الوسائل غير اللفظية.

وهذه الوسائل إنما هي الوسائل الأساسية في عمليات الاتصال والتواصل، وكل ما يتفرع من هذه الوسائل، هي الأدوات التي نستخدمها حتى نحقق عملية التواصل المبتغاة، ومثل هذه الأدوات، كالكتاب والصحيفة والهاتف والتلفاز والمسرح وغيرها من الوسائل الحديثة والقديمة الحديثة، وهذا ما أشار إليه عارف شيخ بما يخص الوسائل والأدوات [732].

[732]- عارف شيخ، القراءة من أجل التعلم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2008، ص 125

الفصل الأول:

القناة الشفهية

المبحث الأول: وسيلة الكلام (اللغة) و الحوار، بالإضافة لعوائق الحوار

وسيلة الكلام:

الكلام هو حقيقة اللغة [733]. والكلام جمع، والمفرد: كلمة

والكلمة هي اللفظة المفردة الدالة بالاصطلاح على معنى [734].

ويقول الرازي : أن الكلام على أربعة أقسام منه ما ضرره خالص أو راجح ، ومنه ما يستوي الضرر والنفع فيه ومنه ما نفعه راجح ومنه ما هو خالص النفع ، أما الذي ضرره خالص أو راجح فواجب الترك ، والذي يستوي الأمران فيه فهو عيب ، فبقي القسمان الأخيران وتخليصهما عن زيادة الضرر عسر ، فالأولى ترك الكلام [735].

وللكلام أدوات [736]، وإلى ذلك أشار الجاحظ بقوله: واللسان: يصنَع في جَوبة الفمِ وهوائه الذي في جوفِ الفم وفي خارجه، وفي لَهاته، وباطنِ أسنانه [737]، وهذه الأدوات كتالي:

أولا: اللسان .

وهو أول وأهم عنصر من أدوات الكلام والنطق والحوار والتواصل بالوسائل الشفهية .

يقول الرازي: ولا شك أن اللسان هو الآلة في إعطاء المعارف فوجب أن يكون أشرف الأعضاء [738]. قال تعالى:

{وَلِسَاناً ...} (البلد/9) ، أي: ينطق به، فَيُعبر عما في ضميره [739].

733- اللغة والتفسير والتواصل، ص 168

734- مفاتيح الغيب للرازي، ص 18/1

735- المصدر السابق ، ص 42/22

736- أنظر: موقع فضيلة الشيخ الدكتور عويض بن حمود العويطي، مقال بعنوان: صناعة الكلام، تاريخ الإطلاع: 12/6/9، www.alatwi.net

737- كتاب الحيوان للجاحظ ص 67/1

738- مفاتيح الغيب للرازي، ص 41/22

739- تفسير ابن كثير، ص 404/8

وقوله تعالى أيضا: {فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ } (الدخان/58) ويسَّرناه: أطلق به لسانه [740].

{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً } (القصص/34) : أي يبين لهم عني ما أكلمهم به [741].

{وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي } (طه/27)، يقول: وأطلق لساني بالمنطق[742].

{وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي } (الشعراء/13) أي ينحبس لساني فلا يبين عند إرادة المحاجة والاستدلال [743]

{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ } (القيامة/16) وقال ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالوحي، كان يحرك به لسانه وشفتيه [744].

ثانيا: الشفتين ويعاونهما الأسنان.

وثاني هذه العناصر من أدوات الكلام والحوار في عملية التواصل بالوسائل الشفهية، هما: الشفتان.

فالشفتان :طبقا الفم . والواحد شفة، والمشافهة الكلام المنطوق في مقابل المكتوب، وبنت الشفة الكلمة. (...) يمثل التقبيل أهم سلوك إشاري للشفتين إلى جانب الابتسام، وكما رأينا الدلالات المختلفة للابتسامة نجد القبلة تحمل دلالات متباينة وتتوقف هذه الدلالات على من يقبل من وأين؟ فالقبلة على اليد تحمل دلالات الاحترام وتكون من الصغير على يد الكبير كما نرى في تقبيل الابن يد أبيه وأمه وتقبيل يد رجل الدين ويدل تقبيل اليد على الامتنان والشكر (...) أما القبلة على الخدين فتحمل دلالة الحب وتكون من الأبوين للأبناء، كما تكون بين الأصدقاء والصديقات (...) تعتبر قبلة الرجل لشفتي المرأة أهم سلوك إشاري للشفتين تحمل دلالات العشق وتعتبر جزءا من التواصل الجنسي، ولهذا فإنها تمارس في المضاجع ونراها علانية في المجتمعات الأوربية [745].

---

[740]ـ تفسير الطبري، ص 56/22
[741]ـ المصدر السابق، ص 577/19
[742]ـ المصدر السابق، ص 299/18
[743]ـ التحرير والتنوير، ص 106/19
[744]ـ تفسير الطبري، ص 66/24
[745]ـ الإشارات الجسمية، ص 160-162

ويتمثل السلوك الفمي في الإشارات الجسمية في زم الشفتين وانفراجهما وفتحمها بشدة، نرى الإشارة الأولى في حالة الحزن أو الغضب ونرى الإشارة الثانية في حالة الهدوء والرضا، والإشارة الثالثة في حالة الفرح متمثلة في الضحك، أو في حالة الغضب متمثلة في الصراخ . تعتبر الابتسامة من أهم الإشارات الخاصة بالشفتين والتي تدل على الاستحسان والرضا بين المتخاطبين: فهي التي تقوم بمهمة التمهيد لعملية التواصل بينهما (...) أو قد تتحول الابتسامة عن هذا المعنى لتكون تعبيرا عن السخرية والتهكم أو تكون نوعا من الأدب ...[746].

وذكر الله عز وجل الشفتين بالقرآن الكريم بقوله تعالى:

- **{وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ }** (**البلد/9**)، ليتمكن من النطق والإبانة [747].
- **{أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً }** (**آل عمران/41**) عن مجاهد قال: تحريك الشفتين ، وعنه أيضا قال: إيماؤه بشفتيه [748].
- **{عَبُوساً قَمْطَرِيراً }** (**الإنسان/10**) قال مجاهد: العابس الشفتين [749].
- **{مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ }** (**ق/18**) اللفظ هو عمل الشفتين [750].
- **{وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ }** (**المؤمنون/104**) الكلوح : تشمر الشفتين عن الأسنان ومنه كلوح كلوح الكلب والأسد[751].
- **{فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً }** (**طه/108**) فلا يسمع لهم صوت يزيد على الهمس وهو أخفى الصوت ويكاد يكون كلاماً يفهم بتحريك الشفتين لضعفه [752].

وأما قوله تعالى فيما ورد في القرآن الكريم عن الأسنان، ما قاله تعالى:

- **{ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ }** (**آل عمران/119**)

---

[746]- المصدر السابق، ص 320
[747]- تفسير المنتخب، ص 79/3
[748]- تفسير الطبري، ص 389/6
[749]- تفسير ابن كثير ، ص 289/8
[750]- تفسير القرطبي، ص 103/2
[751]- البحر المحيط ص 416/6
[752]- تفسير الرازي، ص 102/22

- {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً } (الفرقان/27)

ثالثا: الحلق الذي يخرج منه النطق .

وأما ثالث هذه العناصر، فهو النطق الذي بدوره يشمل كل عناصر الكلام والنطق .

يرتبط النطق، في اللغة، ارتباطا وثيقا بالصوت، إذ لا يستطيع النطق من لا قدرة له على إصدار الأصوات من الأعضاء الجسدية المستخدمة لهذا الغرض والتي تمتد من الرئتين إلى الشفتين عند الإنسان وبعض الحيوانات الأخرى. ونجد في قاموس "لسان العرب" تحت مادة (نطق) :

" نطق ينطق نطقا: تكلم . والمنطق: الكلام. والمنطيق: البليغ .. وقد أنطقه الله واستنطقه أي كلمه وناطقه. وكتاب ناطق بيّن، على المثل: كأنه ينطق.. وكلام كل شيء: منطقه .. وقد يستعمل المنطق في غير الإنسان كقوله تعالى: علمنا منطق الطير .. وتناطق الرجلان: تقاولا، وناطق كل واحد منهما صاحبه: قاوله .. وصوت كل شيء: منطقه ونطقه " [753].

قال تعالى:

- {فَوَرَبِّ السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ } (الذاريات/23)
- {وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى } (النجم/3)
- {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ } (الأنبياء/63)
- {ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ } (الأنبياء/65)
- {وَلَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ } (المؤمنون/62)
- {هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (الجاثية/29)
- {وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ } (النمل/85)
- {هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ } (المرسلات/35)

---

[753]- التواصل غير اللفظي في القرآن الكريم، ص 842

- {وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ } (النمل/16)
- {مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ } (الصافات/92)
- {وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ } (فصلت/21)

وأما أساس القناة الشفهية فهي اللغة .

فيرى ابن جنى أن اللغة: أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[754] .

ويعرف ابن خلدون اللغة، بقوله: اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل اللسان، فلابد أن تصير ملكةً متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كل أمةٍ بحسب اصطلاحاتهم[755] .

وتشير كثير من تعريفات اللغة إلى أنها وسيلة الاتصال أو التواصل communication بين أفراد المجتمع، كما نجد أن لفظ اللغة language في اللغات الأوروبية يرتبط في أصله الاشتقاقي باللسان الأداة الرئيسية لتحقيق التواصل، ومن ثم أصبح مصطلحا يشير إلى النظام الصوتي الذي يتعارف عليه أفراد المجتمع[756] .

ويقول رومان جاكبسون: أن اللغة هي التنظيم الأساسي لإقامة الاتصال بها، ويشير مارتينيه قائلا: أن اللغة عبارة عن نظام من الإشارات المستخدمة في سبيل تأمين الاتصال[757] .

وأما الهولندية ليوني كورنيبس، الأستاذة بجامعة ماستريخت، تقول : أن اللغة في الإصطلاح تعني: الفهم المتبادل . أي : اذا استطاع الأشخاص أن يفهموا بعضهم البعض فانهم يتكلمون نفس اللغة، وإن لم يفهموا بعضهم فإنهم في هذه الحالة لا يتكلمون اللغة نفسها[758] .

---

[754]- ابو الفتح عثمان بن جنى الموصلي، الخصائص، عالم الكتب، مصر 1953م، ص 33/1

[755]- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة بن خلدون، المطبعة الشرقية، البحرين 1327هـ ص 639

[756] - الإشارات الجسمية ، ص 17

[757]- Roman Jakobson, Andere Martinet, Linguistique Et Communication, Gramaont 1975, p.107

[758]- Leonie Cornips, Eigen en vreemd: Meertaligheid in Nederland, Meertens Instituut (KNAW) / Amsterdam University Press – Amsterdam 2012, p.15

وتقول أولجا بوكداشينا : أن اللغة هي عبارة عن نظام من العلامات أو الرموز التي تؤدي وظيفتها كوسيلة تواصل وكأداة للصياغة والتعبير عن الأفكار [759].

وبالتالي فإن اللغة وسيلة تواصل بين الناس أفرادا وجماعات . ونخلص بذلك، إلى أن اللغة نظام صوتي يمتلك سياقا اجتماعيا وثقافيا له دلالاته ورموزه وهو قابل للنمو والتطور، يخضع في ذلك للظروف التاريخية والحضارية التي يمر بها المجتمع .

ولقد علم الله آدم اللغة، من خلال تعليمه أسماء كل شيء، وذلك لقوله تعالى: **{وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا}** (البقرة/31). عن الحسن وقتادة في قوله:"وعلم آدم الأسماء كلها"، قالا علمه اسم كل شيء: هذه الخيل، وهذه البغال والإبل والجنّ والوحش ، وجعل يسمي كل شيء باسمه [760]. وعن ابن عباس قال: هي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وسماء، وأرض، وسهل، وبحر، وجمل ، وحمار، وأشباه ذلك من الأمم وغيرها [761].

وكذلك قول الله تعالى: **{عَلَّمَهُ الْبَيَانَ }** (الرحمن/ 4)

قال البعض: عنى به الكلام: أي أن الله عزّ وجلّ علم الإنسان البيان [762].

وقال الحسن: يعني النطق [763]. وقال القرطبي: (علمه البيان) أسماء كل شئ. وقيل: علمه اللغات [764].

وينسب اللسان أحيانا في القرآن الكريم إلى اللغة، قال تعالى: **{وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ }** (إبراهيم/4)

أي بلغة قومه ما كانت [765]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لم يبعث الله، عز وجل، نبيا إلا بلغة قومه" [766]. وقال سيد طنطاوي: المراد باللسان: اللغة التي يتخاطب بها الرسول مع قومه [767].

---

[759]- Olga Bogdashina, Communicatiekwesties bij autism en syndroom van Asperger: spreken we dezelfde taal?, Nederlandse vertaling: Wijchen – Rosy Coenen & Fred van Lierop, Fontys OSO & Garant-Uitgevers n.v., Antwerpen – 2006, p.31

[760]- تفسير الطبري، ص 484/1

[761]- تفسير ابن كثير، ص 222/1

[762]- تفسير الطبري، ص 8/22

[763]- تفسير ابن كثير، ص 489/7

[764]- تفسير القرطبي، ص 152/17

ومن قبيل هذا أيضا، قوله تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ } (النحل/103)، والمراد باللسان هنا : الكلام الذى يتكلم به الشخص ، واللغة التى ينطق بها [768].

وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في تعريفيه للغة آنفا، فقال: أن اللغة فعل اللسان .

وللغة وظائف تؤديها، وهي[769]:

الفكرة

الاهتمام أو الشعور

الموقف من المتكلم

المقصد

يقول الدكتور مصطفى ناصف: إن اللغة لا تتجلى إلا في الحوار [770]. وهذا يقودنا إلى تبين الحوار وشرحه:

الحوار:

الحوار في اللغة: تراجع الكلام، ((وهم يتحاورون أي: يتراجعون الكلام. والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة)) [771].

ويقول بركات محمد مراد: أما المعجم الفلسفي في تحليل لفظ حوار Dialogue، فيذهب إلى أن: حاوره محاورة وحوارا، والمحاورة: المجاوبة، أو المراجعة النطق والكلام في المخاطبة. والتحاور التجاوب، لذلك كان لا بد في الحوار من وجود متكلم ومخاطب، ولا بد من تبادل الكلام ومراجعته، وغاية الحوار توليد الأفكار الجديدة في ذهن المتكلم، لا الاقتصار على عرض الأفكار

---

[765]- تفسير الطبري، ص 517/16
[766]- تفسير ابن كثير، ص 477/4
[767]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 513/7
[768]- المصدر السابق، ص 238/8
[769]- د. مصطفى ناصف، اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت 1995، ص 11
[770]- اللغة والتفسير والتواصل، ص 168
[771]- ابن منظور، لسان العرب، ص 217/4

القديمة، وفي هذا التجاوب توضيح للمعاني، وإغناء للمفاهيم يفضيان إلى تقدم الفكر، وإذا كان الحوار تجاوبا بين الأضداد، كالمجرد والمشخص، والمعقول والمحسوس، والحب والواجب، سمي جدالا [772].

وفي هذا السياق يقول علي درويش: أن التواصل التعبيري expressive communication هو قدرة المرء على التعبير عما يجول بخاطره بشكل سليم. وتتألف من القدرة على التعبير عن الأفكار والحاجات والاحتياجات، والمهارة في المحادثة، ووضوح الكلام، والتعبير عن العواطف والمشاعر [773].

والحوار كلمة تستوعب كل أنواع وأساليب التخاطب، سواء كانت منبعثة من خلاف المتحاورين أو عن غير خلاف، لأنها تعني المراجعة في المسألة موضوع التخاطب، وعلى هذا فالحوار يدلل على التقارب والصداقة [774].

ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس : مناقشة بين طرفين أو أطراف، يقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي [775]، ولقد اجتمع الحوار والجدال في القرآن الكريم في آية واحدة، في قوله تعالى: **{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }** (المجادلة/1)

وورد لفظ الحوار أيضا في القرآن الكريم في موضعين في صيغة الفعل وهما :

{وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً } (الكهف/34)

{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً } (الكهف/37)

---

[772]- بركات محمد مراد، دراسات فلسفية لعبقريات إسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2006، ص 42

[773]- علي درويش، دليل الترجمان في مبادئ الترجمة الشفهية، شركة رايتسكوب المحدودة، ملبورون – أستراليا 2011، ط2، ص 22

[774]- د. سعد عبد الله عاشور، ضوابط الحوار مع الآخر، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الأول يناير 2008، ص 84

[775]- المصدر السابق، ونفس الصفحة

وأما العلاقة بين الحوار والجدل :

قال ابن فارس في الجدل : الجيم والدال واللام أصل واحد وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام [776].

ويفرق العلماء بين الحوار والجدل :

فكلمة الحوار تتسع لكل أساليب التخاطب، سواء كانت منطلقة من وضع لا يوحي بالخلاف أو يوحي به [777].

بينما كلمة الجدال تختزن في داخلها معنى الخلاف والشجار، وتحمل في عمقها أيضا معنى التحدي والصراع [778].

وقيل: إن الجدل مظنه التعصب والإصرار على نصرة الرأي بالحق وبالباطل والتعسف في إيراد الشبه والظنون حول الحق إذا برز من الاتجاه الآخر [779].

غير أن الملاحظ أن الله تعالى سمى المجادلة حوارا كما في قوله تعالى: **{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ }** (**المجادلة/1**) . وبالتأمل في مصطلحي الحوار والجدال نجد أنهما يلتقيان في دلالتهما على مراجعة الكلام. والتخاصم والتنازع في محاوبة الحديث [780].

وورد الجدال في القرآن مرة بمعناه المذموم ومرة أخرى بالمعنى المحمود، يقول الدكتور علي جريشة : والذي نلحظه من استعمالات القرآن الكريم أن استعماله بمعناه المذموم هو الغالب [781]:

{ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } (**غافر/5**)

{ وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّاناً أَثِيماً } (**النساء/107**)

{ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم } (**الأعراف/71**)

---

[776] - أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر 1969 ، ط2، ص 433/1

[777] - ضوابط الحوار مع الآخر لسعد عاشور، ص 84

[778] - في أصول الحوار، إعداد الندورة العاليمة للشباب الإسلامي، ط 4، 1415هـ ، 1994م، ص 12

[779] - ضوابط الحوار مع الآخر لسعد عاشور ، ص 84

[780] - د. نجيب السودي، محاورات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، بالجمهورية اليمنية 2004، ص34-35

[781] - علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة 1989، ص 20

{ هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (النساء/109)

{ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } (الأنعام/121)

{وَإِن جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ } (الحج/68)

{حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ... } (الأنعام/25)

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ ... } (الأنفال/6)

{... وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ } (الرعد/13)

{وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ } (الشورى/35)

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ } (الحج/8)

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ } (الحج/3)

{ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ } (البقرة/197)

{ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً } (الكهف/54)

{قَالُواْ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا } (هود/32)

قد يرد الجدال بالمعنى المحمود [782]:

{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ } (المجادلة/1) فقد وردت هنا بمعنى الحوار الهادئ .

{وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (العنكبوت/46)

{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } (النحل/125)

{فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ } (هود/74)

وللحوار أهمية كبيرة وأساسية في عملية التواصل، فهو وسيلة التفاهم بين البشر، وهو الجسر الموصل لعقول وقلوب الآخرين، وكلما كان المحاور هادئا وصاحب حجة، كلما كسب احترام

---

[782]- أدب الحوار والمناظرة لعلي جريشة، ص 21-22

الآخرين. "وعليه فإن للحوار قواعد وقوانين وآداب يجب مراعاتها حتى لا يكون صدام بين الخصوم وعدم الوصول إلى الصواب وحتى يكون الحوار مقنعا ونافعا" [783].

ولذلك قيل فيه – أي فن الحوار – إنه معرفة بالقواعد من الحدود والآداب في الاستدلال التي يتوصل بها إلى حفظ رأي أو هدمه، سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره [784].

عوائق الحوار:

يقول دكتور مصطفى ناصف: إن العجز عن الحوار يوشك أن يكون عجزا عن ملاحظة حركة الكلمات أو حركة السياق [785].

ويمكن للحوار أن يعطل، وتنقطع به وسيلة التواصل بين الناس، بسبب من أسباب معوقات الحوار، وهي مثل:

الخوف والخجل ورفع الصوت من غير داعي، التعصب والصراخ والتشنج، المجاملة والثرثرة، التقعر أو الإطناب، استخدام المصطلحات غير المفهومة، عدم إظهار الحق وقبوله [786].

ومن أمثلة عوائق الحوار في القرآن، ما أتى على لسان سيدنا موسى عليه السلام، حيث طلب من الله عز وجل أن يرسل هارون معه إلى فرعون، ليتخطى معوقات الحوار مع فرعون، فتنعدم وسيلة التواصل التي أمره الله عز وجل بالقيام بها، وهي التبليغ، فخشي ألا ينطلق لسانه، وخشي على نفسه من قوم فرعون، فبهذه الآية التي ستأتي، يجتمع فيها عدد من المعوقات التي ذكرتها أعلاه [787]، وذلك في قول الله تعالى: **{وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ }** (الشعراء/**13**)، وقول الله تعالى: **{وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ }** (القصص/**34**)

---

[783]- أنظر: أدب الحوار والمناظرة لعلي جريشة . وضوابط الحوار مع الأخر لسعد عاشور، وأنظر: في أصول الحوار و تجديد علم الكلام / لطه عبد الرحمن . ط 1 ، 1407هـ ، 1987م ، ص199. وأنظر أيضا: ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة : صياغة للمنطق و أصول البحث متمشية مع الفكر الاسلامي / تأليف عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني . ط2 ، منقحة و مزيدة.1401هـ ، 1981م، ص 479

[784]- مقدمة ابن خلدون، ص 573/1

[785]- اللغة والتفسير والتواصل، ص 128

[786]- أنظر: عوائق التواصل البيداغوجي، إدريس الناصري، موقع فضاء التربية والتكوين، تاريخ الإطلاع: 2012/06/07، www.tarbaouiate.blogspot.com

[787]- أنظر: تفسير القرطبي، ص 92/13، تفسير الطبري، ص 337/19، تفسير البغوي، ص 108/6

المبحث الثاني:

وسيلة الصراخ

صرخ: الصَّرْخةُ: صيحة شديدة عند فزعةٍ أو مصيبة. والصَّريخُ: الذي يأتي قوما يستغيث بهم عند غارةٍ، أو ينعي لهم ميتاً والمستَصْرِخُ: المستغيث. والمصْرِخُ: المغيث. والاصْطِراخُ: التَّصارُخ. والصَّريخُ: المفزع والمعين، أصْرَخْتُهم: أعنتهم [788].

وتعتبر وسيلة الصراخ هي الصورة الأولى التي يعبر بها الطفل عن نفسه [789].

كما ويتضح لنا من خلال التعريف السابق أن المستصرخ هو المستغيث الذي تصحب استغاثته صرخة، ومثال ذلك قوله تعالى:

- **{فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ }** (القصص/18)، فرآه الإسرائيلي فاستصرخه على الفرعونيّ. يقول: فاستغاثه أيضا على الفرعوني، وأصله من الصُّراخ [790].

وقد وردت أيضا في موضع آخر في القرآن الكريم :

- **{ مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ }** (إبراهيم/22)، يقال : استصرخني فأصرخته أي استغاثني فأغثته، وأصله من الصراخ وهو مد الصوت ، والهمزة للسلب كأن المغيث يزيل صراخ المستغيث [791].

وقد ذكر القرآن الكريم أثر الصوت والصياح بشأن إبليس الذي يضل الناس ويغويهم مستعينا بالصوت، قال تعالى:

- **{وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً }** (الإسراء/64)، أي استخفهم وأزعجهم، والصوت يطلق على الكلام كثيرا، لأن الكلام صوت من الفم

---

[788]- كتاب العين للفراهيدي، ص 181/4

[789]- الإشارات الجسمية، ص 101

[790]- تفسير الطبري، ص 542/19

[791]- تفسير الألوسي، ص 209/13

واستعير هنا لإلقاء الوسوسة في نفوس الناس (...) والإجلاب، جمع الجيش وسوقه. مشتق من الجلبة (...) وهي الصياح [792].

وفي الجاهلية مدحوا العرب الرجل بسعة الشدق أو كبره وببعد الصوت وقوته وقدرته على بلوغ الأسماع من مكان بعيد، ونقيض ذلك أنهم ذموه بأنه ضيئل الصوت، كما ذموه بضيق الشدق أو صغره [793].

ولما جاء الإسلام محا بعض الصفات والعادات السيئة وأبطلها وأبقى على بعضها، وهذب بعضها الآخر، من ذلك تهذيب السلوك الكلامي الذي نقرؤه على لسان لقمان الحكيم وهو يوصي ابنه ويعضه [794]:

- **{ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ }** (لقمان/19)، والغض من الصوت : التنقيص من رفعه وجهارته ، والغض : رد طموح الشيء ، كالصوت والنظر والزمام. وكانت العرب تفتخر بجهارة الصوت ، وتمدح به في الجاهلية ، (...) وغض الصوت أوفر للمتكلم ، وأبسط لنفس السامع وفهمه [795].

ومن تهذيب السلوك الكلامي الذي أتى به الإسلام والنهي عن رفع الصوت، قوله تعالى:

- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ } (الحجرات/2-3)**، ويرى أبو حيان أن الآية الأولى في هذه الآيات نزلت بسبب عادة الأعراب من الجفاء وعلو الصوت، فأمرهم الله تعالى بألا يرفعوا أصواتهم إذا نطقوا ولا يجهروا إذا كلموا الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن رتبة النبوة والرسالة يجب أن توقر وتجل ولا يكون الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم كالكلام مع غيره [796].

---

[792]- التحرير والتنوير لابن عاشور، ص 153/15[792]

[793]- أنظر البيان والتبيين، ص 120/1، والدلالة الصوتية، ص 114

[794]- بلقاسم بن أحمد بلعرج، مجلة جامعة دمشق، المجلد 22- العدد 3 + 4 لعام 2006، ص 152

[795]- تفسير البحر المحيط، ص 182/7-183

[796]- أنظر: تفسير البحر المحيط، ص 103/8

ويذهب الفخر الرازي إلى أن رفع الصوت دليل قلة الاحتشام وترك الاحترام، لذا لزم ألا يرفعوا كلامهم على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب [797].

وفي ذم رفع الصوت سواء في المواقف أو في الأوقات نحو حضور الجنائز، وفي الليل وفي العبادة عند الصلاة والدعاء، قال تعالى:

{ وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً } (الإسراء/110). [798]

المبحث الثالث:

وسيلة الأنين

أَنَّ الرجلُ من الوجع يَئِنُّ أَنيناً [799].

وأن الرجل يئن: من الانين، ورجل أننة: (كثير الكلام والبث والشكوى) [800]

وروي عن أبي يوسف: أنه لا يخلو مريض ولا ضعيف من أنين [801].

وقال محمود محمد شاكر في شرحه لـ ((أنّ)) ، بقوله : حيث ينبعث الهواء المقذوف إلى الخياشيم، فيحار فيها ويتردد ويجول ويسمع لجولانه في الأنف صدى ناعما تتبعه غنة مدوية باحتكاك جدار الأنف (...) فهو إذن أقرب الحروف للبيان عن المعاني الصافية التي لا تتحامل أصواتها إلى المادة وصوتها، ولذلك يدور أكثر ما يدور في الألفاظ ذوات المعاني النفسية الصافية التي تذوب فيها آلام النفس وأحزانها وأحلامها وأفكارها التي لا تتكلم إلا لمحا وإشارة وتلويحا. فكذلك هو في معناها إذا قلت (أن) أنينا، و (حن) حنينا وحنانا، و (هن) هنينا، وهو كالحنين والأنين ، وكذلك (خن) خنينا، وهو الانتحاب والبكاء الذي يتردد حتى يصير في الصوت غنة من جولان البكاء في الخياشيم. وذلك كله من أجل الحزن الذي لا يعبر عنه إلا بالصوت المبهم المطاوع لحركة الجسد إذا حرك من نوازي الأحزان الداعية إلى هز الأعصاب وبالرجفة التي تلحقها من تنزيه فيها [802].

---

[797]- الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط/3، ص 28/112-113

[798]- بلقاسم بن أحمد بلعرج، مجلة جامعة دمشق، المجلد 22- العدد 3 + 4 لعام 2006، ص 155

[799]- لسان العرب، ص 28/13

[800]- كتاب العين للفراهيدي، ص 398/8

[801]- تفسير القرطبي، ص 342/10

[802]- محمود محمد شاكر، جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها: الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة – 2003، الجزء الثاني، ص 732_733

وأذكر هنا الآيات التي وردت في معنى أو ما يدل على الأنين في القرآن الكريم:

- {.. لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ } (هود/106)، قال الزجاج: الزفير والشهيق: من أصوات المكروبين. قال: والزفير من شديد الأنين وقبيحة. والشهيق: الأنين الشديد المرتفع جدا [803].

- {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ } (الأنبياء/100)، (فيها زفير) وهو صوت نفس المغموم، والمراد هنا الأنين والبكاء والتنفس الشديد والعويل[804] .

وقد يكون الأنين ما هو ناجم عن العذاب في الحياة الدنيا، كما حصل لقوم عاد، ومن تأويل ذلك قوله تعالى:

- {سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } (الحاقة/7)، يقول البغوي رحمه الله في تأويل ذلك: وروي أن الله عز وجل أمر الريح فأهالت عليهم الرمال، فكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين تحت الرمل ... [805]

- {وَقَالَ لَهُمْ نِبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ } (البقرة/248)، قال النحاس: والآية في التابوت على ما روى أنه كان يسمع فيه أنين، فإذا سمعوا ذلك ساروا لحربهم، وإذا هدأ الانين لم يسيروا ولم يسر التابوت [806].

ويصدر الأنين في أغلب الأحوال من المريض، وفي ذلك ذكر الله تعالى عن مرض سيدنا أيوب عليه السلام، فقال:

- {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } (الأنبياء/83)، وأخرج البيهقي في الشعب عن سفيان الثوري قال : ما أصاب إبليس من أيوب في مرضه إلا الأنين [807].

وفي تأويل قوله تعالى:

---

[803]- تفسير القرطبي، ص 98/9

[804]- فتح البيان في مقاصد القرآن، ص 374/8

[805]- تفسير البغوي، ص 246/3

[806]- تفسير القرطبي، ص 247/3-248

[807]- الدر المنثور، ص 653/5

- { مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ } (ق/18)، ذكر عن الإمام أحمد أنه كان يئن في مرضه، فبلغه عن طاوس أنه قال: يكتب الملك كل شيء حتى الأنين. فلم يئن أحمد حتى مات رحمه الله [808]. وكذا قال سيد قطب: وحكي عن الإمام أحمد أنه كان في سكرات الموت يئن. فسمع أن الأنين يكتب. فسكت حتى فاضت روحه رضوان الله عليه [809].

ومن الأنين ما يكون في المصائب والنوازل، ومن تأويل ذلك قوله تعالى:

- {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ } (البقرة/156)، يقول أبو زهرة: وإن هذه الجملة فيها من كمال التفويض والاعتزاز بجلال الله تعالى والاطمئنان إلى قدرته ما يعلو بالنفس على الأنين والشكوى لغير الله تعالى العلي القدير [810]. وقال في موضع آخر: والشكوى لله لَا تنافي الصبر، وإنما الذي ينافيه الأنين والشكوى للناس [811].
- وكذلك ما ورد في تأويل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى } (الأنفال/70)، عن ابن عباس قال: لما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر، والأسارى محبوسون بالوثاق، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهرا أول الليل، فقال له أصحابه: يا رسول الله، ما لك لا تنام؟ -وقد أسر العباس رجل من الأنصار -فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سمعت أنين عمي العباس في وثاقه" فأطلقوه، فسكت، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم [812].

808- تفسير الطبيري، ص 399/7
809- في ظلال القرآن، ص 3363/6، وانظر: تفسير الطبري، ص399/7
810- زهرة التفاسير، ص 472/1
811- المصدر السابق، ص 4906/9
812- تفسير ابن كثير، ص 92/4

الفصل الثاني:
القناة الكتابية

المبحث الأول: أدوات الكتابة

وهي الوسائل التي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به عن طريق الكلمة المكتوبة [813]، كالكتب والمخطوطات والنقوش والمسكوكات والمنشورات والصحف والمجلات والرسائل وغيرها. وكما تطورت هذه الوسائل على مر الزمن، يقول الدكتور صالح الرقب: فعلى سبيل المثال كانت الكتب قديما تنسخ باليد على الجلود أو أوراق الشجر، ولا يظهر منها إلا نسخ قليلة، أصبحت بعد ذلك تطبع بالمطابع على الورق، ويوزع منها كثير جدا حتى يصل منها لعشرات الآلاف من المستفدين، ثم تطور الأمر إلى أن ظهرت الكتب الالكترونية على الأقراص المدمجة [814].

وتتألف الكتابة من الحروف والرموز، وتعتمد الترقيم [815] لضبط النص وغيرها من الأساليب المطبعية . ويحتاج توليد الكتابة إلى أدوات خاصة كلقلم والورق وآلات التنضيد المطبعي وأجهزة الحاسوب (الكمبيوتر) [816].

ولم يترك البشر سطحا من جلد أو حجر أو غيره إلا وتركوا آثارهم الكتابية عليه، فمنها ما دام ومنها ما اندثر. كما استخدموا وسائل يكتبون بواسطتها وأحبارا وألوانا [817]، سأمر عليها بما ورد في القرآن الكريم.

---

[813]- فن ومهارات الاتصال الفعال، ص 16

[814]- د. صالح الرقب، الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، بحث مقدم لمؤتمر كلية أصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، المنعقد في الفترة: 7-8 ربيع الأول 1426 هـ - 16-17 أبريل 2005 م ، ص 1

[815]- ضوابط النص "Punctuation marks"

[816]- علي درويش، دليل الترجمان في مبادئ الترجمة الشفهية، شركة رايتسكوب المحدودة، ملبورن-أستراليا 2003، ص 25

[817]- موقع شبكة خورة العربية، تاريخ الإطلاع: 2012/6/8،

المطلب الأول:

القلم

القلم ومشتاقته، سواء كان من حديد أو نحاس أو ذهب أو بلاستيك أو خوص أو غيره.

القلم : معروف وهو الذي يكتب به ، وجمعه أقلام ويقع على السهم الذي يقترع به ، وهو فعل بمعنى مفعولاً لأنه يقلم أي : يبرى ويسوى وقيل : هو مشتق من القلامة ، وهي نبت ضعيف لترقيقه ، والقلامة أيضاً ما سقط من الظفر إذا قلم ، وقلمت أظفاره أخذت منها وسويتها [818].

والقلم يدل على العلم والتعلم [819]، وهو ما أشار الله عز وجل إليه في أول سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سورة العلق وتضمنت القراءة والكتابة، وبهذا الصدد يقول الدكتور علي جريشة: لم تكن ((فلتة)) ولا ((صدفة)) أن تكون أول آية تتنزل من عند الله على نبيه **{اقْرَأْ ..}** (**العلق/1**) ولم تكن كذلك فلتة ولا صدفة أن يكون مطلع السورة الثانية قسما بحرف هو ((نون)) ومعه قسم بالقلم والله أعلم بما ينزل . لكن بعض الحكمة التي تتراءى لنا .. أنهما أداتا العلم: قراءة، وكتابة وردتا في السورة الأولى (سورة العلق) فبدأت بالأمر بالقراءة، ثم ذكر الوسيلة الثانية للتعلم والتعليم **{الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}** (**العلق/4**) [820].

وقد أقسم الله بالقلم لأهميته :

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ} (**القلم/1**)، وهو اسم جنس شامل للأقلام، التي تكتب بها أنواع العلوم، ويسطر بها المنثور والمنظوم، وذلك أن القلم وما يسطرون به من أنواع الكلام [821].

وكما ذكر الله عز وجل القلم في القرآن الكريم الدال على علمه الذي لا حد له، قال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ..}** (**لقمان/27**)، أي: ولو أن جميع أشجار الأرض جعلت أقلاما، وجعل البحر مدادًا ومَده سبعة أبحر معه، فكتبت بها كلمات الله الدالة على عظمته وصفاته وجلاله لتكسرت الأقلام، ونَفدَ ماء البحر، ولو جاء أمثالها مَدَدا [822].

818- تفسير البحر المحيط ص 432/2

819- أدب الحوار والمناظرة لعلي جريشة، ص 7

820- أدب الحوار والمناظرة لعلي جريشة، ص 7

821- تفسير السعدي، ص 878/1

وذكر الله عز وجل القلم في موضع آخر فقال:

{ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ } (آل عمران/44) أي: أقلامهم التي كانوا يكتبون بها التوراة [823].

المطلب الثاني:

الحبر (المداد)

يقول صاحب كتاب العين الفراهيدي: والحبر: المداد [824].

ويقول رضى الدين الاستراباذي: والحبر بكسر فسكون – المداد الذى يكتب به [825].

وقد أقسم الله عز وجل بالمداد بقوله :

{ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } (القلم/1)، قال الرازي: أن النون هو المداد الذي تكتب به الملائكة [826].

وذكر الله المداد في موضع آخر من القرآن الكريم، بقوله :

{وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ } (لقمان/27)، (والبَحْرُ يَمُدُّهُ) يقول: والبحر له مداد، والهاء في قوله:(يَمُدُّهُ) عائدة على البحر [827]. ويقول سيد قطب: إن البشر يكتبون علمهم ، ويسجلون قولهم ، ويمضون أوامرهم ، عن طريق كتابتها بأقلام كانت تتخذ من الغاب والبوص يمدونها بمداد من الحبر ونحوه . لا يزيد هذا الحبر على ملء دواة أو ملء زجاجة! [828]

822- تفسير ابن كثير، ص 348/6

823- تفسير القرطبي، ص 86/4

824- كتاب العين للفراهيدي، ص 218/3

825- شرح شافية ابن الحاجب، ص 35/1

826- مفاتيح الغيب للرازي، ص 68/30

827- تفسير الطبري، ص 151/20

828- في ظلال القرآن، ص 2795/5

المطلب الثالث:

الورق

الورق وكل ما تم استخدامه على مر العصور من أشياء للكتابة عليها، ومثال ذلك ما قاله صاحب معجم لغة الفقهاء: الرقعة: بضم الراء وسكون القاف، ج رقع ورقاع، القطعة من الورق أو الجلد يكتب عليها [829].

"لقد مر تطور الأسطح المستخدمة في حمل الكتابة بالعديد من المراحل بدءاً من جدران الكهوف في العصور البدائية والتي كان يستخدمها الإنسان لتسجيل أفكاره مروراً بالورق البردي في الحضارة الفرعونية والذي بدوره قد حمل جزء كبير من تلك الحضارة، وبالألواح الطينية عند السومريين، والألواح الخشبية المغطاة بطبقة رقيقة من الشمع عند الفينيقيين، واستخدام الرق عند الرومان، وشرائح البآمبو والحرير عند الصينيين، إلى أن ظهر أول نوع من الورق اليدوي الصُنع -والذي يشبه إلى حد كبير جداً الورق الذي نستخدمه الآن- على يد تساي لون عام 105 ميلادية في الصين، ومن هنا تقلصت بشكل عظيم تلك المشاق التي كان يتكبدها الإنسان على مر العصور لتدوين حضاراته المختلفة بأفكارها وفنونها وثقافتها" [830].

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم، قول الله تعالى:

{ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ } [سورة البروج: 21-22]

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ } (الأعراف/145)، ولقد اختلف في نوعية الألواح التي تم الكتابة عليها، فأورد القرطبي في تفسيره [831]:

وقال مجاهد: كانت الألواح من زمردة خضراء.

---

[829]- د. محمد روا قلعة جي و د. حامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، دار النفائس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1982، ص 225/1

[830]- ملخص رسالة ماجيستير، بعنوان: الورق كعنصر بنائي في إبداع الطبعة الفنية، وسام محمود عبد الله رضوان، قسم الفنون الجميلة/التصوير، الأسكندرية لعام 2006، نقلا عن موقع: www.ibnalislam.com، تاريخ الإطلاع: 2012/6/8

[831]- تفسير القرطبي، ص 281/7

ابن جبير: من ياقوتة حمراء.

أبو العالية: من زبرجد.

الحسن: من خشب، نزلت من السماء.

وقيل: من صخرة صماء، لينها الله لموسى عليه السلام فقطعها بيده ثم شقها بأصابعه، فأطاعته كالحديد لداود.

قال مقاتل: أي كتبنا له في الألواح كنقش الخاتم.

ومن هذه الأنواع التي كتب عليها ما كان من الحجارة:

{أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً } (الكهف/9)، الرقيم: لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف [832].

وقد ورد أيضا من هذه الأنواع في عدة مواضيع في القرآن الكريم ألا وهي: الصحف، فيما قاله تعالى:

{وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ } (التكوير/10)، يقول تعالى ذكره: وإذا صحف أعمال العباد نُشرت لهم بعد أن كانت مطوية على ما فيها مكتوب من الحسنات والسيئات [833].

{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَى صُحُفاً مُّنَشَّرَةً } (المدثر/52)

{فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ } (عبس/13)

{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى } (الأعلى/18)

وكذلك لفظ الكتاب أو الكتب التي تتكون منها الصحف التي يتم الكتابة عليها، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: والكتاب هو : صُحُف مؤلَّفة مجموعة وموضوعة بين غلافين [834]. ومن ذلك قوله تعالى:

{فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ... } (البقرة/79)

---

[832]- تفسير الطبري، ص 603/17

[833]- المصدر السابق، ص 249/24

[834]- أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، القاهرة - 1429 هـ - 2008 م، ص 1902/3

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً } (النساء/136)

{وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ } (سبأ/44)

{ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ } (البقرة/2)

{وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ } (الانشقاق/10)

وقال: { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ } [سورة الواقعة: 77-78]

المطلب الرابع:

الحفظ (التخزين) والأرشيف

وفي هذا القسم سأبين ثبت وحفظ المعلومة وهي عن طريق الكتابة أو الطباعة ومن ثم أرشفتها، يقال:

{وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ}: مثبتون حافظون [835].

ويقال: أرشف الملفات: حفظها في مكان خاصّ، وفق نظام معيَّن، ويتم ذلك يدويًّا أو آليًّا [836].

ومن أمثلة تثبيت المعلومة أيضا وحفظها، قوله تعالى:

- {إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ } (يونس/21)، أن رسل الله يكتبون مكرهم ويحفظونه [837].
- وكذلك قوله تعالى: {كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ ..} (مريم/79)، أي سنحفظ عليه قوله فنجازيه به في الآخرة[838].

---

[835]- المصدر السابق، ص 1901/3

[836]- المصدر السابق، ص 896/2

[837]- مفاتيح الغيب للرازي، ص 54/17

[838]- تفسير القرطبي، ص 148/11

- {فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ} (البروج/22)، أي مكتوب في لوح. وهو محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين إليه [839].

وفي الآية التالية تبين لنا تسجيل المعلومة وحفظها كاملة، كالمسجل recorder الذي يسجل المعلومة ويحفظها ويخزنها :

- {.. وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} (الزخرف/80)، يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق ، وتكلموا به من كلامهم [840].
- {.. وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (يس/12) ، فقال : نكتب ونحفظ ذلك في إمام مبين [841].
- { سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ } (آل عمران/181)

وورد في معجم اللغة العربية المعاصرة : كتَب العقدَ ونحوَه: سَجَّله، دوّنه وأثبته " {إِذَا تَدَايَنتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ} [842]. وفي الآية التالية، مثل على الكتاب والكتابة والكاتب والذي يملي الكتابة والشهود على الكتابة، قال تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (البقرة/282)

---

[839]- تفسير القرطبي، ص 298/19
[840]- تفسير الطبري، ص 647/21
[841]- مفاتيح الغيب للرازي، ص 11/13
[842]- معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 1901/3

الفصل الثالث

القناة الإشارية غير اللفظية

وهي الوسائل التي يتم بواسطتها تبادل المعلومات بين المتصل والمتصل به عن طريق الإشارات والإيماءات والسلوك (تعبيرات الوجه وحركة العينين واليدين وطريقة الجلوس ... إلخ) ، ويطلق عليها أيضا حركة الجسد body language ، وقد تكون هذه التلميحات مقصودة أو غير مقصودة من مصدر الاتصال، وتصل نسبة استخدمها في الاتصال ما يقرب من 55 % من المعاني وبصفة خاصة في الرسائل الي تتعلق بالأحاسيس والشعور، ويختلف فهم الرسائل غير اللفظية بسبب اختلاف الثقافات داخل المنظمة وداخل المجتمع [843].

وتقول الدكتورة منال طلعت: إن نماذج الصمت ومختلف مظاهر الاتصال غير اللفظي الأخرى، هي في حقيقة أمرها تعبيرات منظمة تشير على مجموعة معاني يستخدمها الإنسان أو يقصدها في احتكاكاته بالآخرين [844].

ومن التواصل الغير لفظي: ترك الكلام، وفي هذا السياق يقول الرازي: ترك الكلام له أربعة أسماء الصمت والسكوت والإنصات والإصاخة ، فأما الصمت فهو أعمها لأنه يستعمل فيما يقوى على النطق وفيما لا يقوى عليه ولهذا يقال: مال ناطق وصامت وأما السكوت فهو ترك الكلام ممن يقدر على الكلام والإنصات سكوت مع استماع ومتى انفك أحدهما عن الآخر لا يقال له إنصات قال تعالى : { **فاستمعوا لَهُ وَأَنصِتُواْ** } [الأعراف : 204] والإصاخة استماع إلى ما يصعب إدراكه كالسر والصوت من المكان البعيد . واعلم أن الصمت عدم ولا فضيلة فيه بل النطق في نفسه فضيلة والرذيلة في محاورته ولولاه لما سأل كليم الله ذلك في قوله تعالى: {**واحلل عُقْدَةً مّن لّسَانِي**} [845].

---

[843]- فن ومهارات الاتصال الفعال، ص 18
[844]- مدخل إلى علم الاتصال، ص 33
[845]- مفاتيح الغيب للرازي، ص 42/22

والتواصل غير اللفظي يشمل الأنظمة الدلالية العضوية organic semantic systems التي تعتمد على جسم الإنسان وتتمثل في :

الإشارات الجسمية gestures والحركات motions والأوضاع الجسمية postures والتجاور proximity أي استعمال المتخاطبين للمسافة التي يسمح العرف بها لتجاوز جسميهما .

التواصل اللمسي tactile والشمي olfactory والذوقي gustative [846].

وكما تعمل هذه الأنظمة من خلال الحواس الخمس – السمع والبصر واللمس والشم والذوق – التي تحدد بدورها نظام العلامات ووظيفته [847]. وهذا ما سأبينه واستدل عليه من أيات القرآن الكريم .

---

[846]- الإشارات الجسمية: دراسة لغوية لظاهرة أعضاء الجسم في التواصل، ص 23

[847]- المصدر السابق، ص 22

المبحث الأول:

الإشارات

وأصل الكلمة : اشر

اشر: أشَّر: أشار إلى، دل. – ورقّم ووسَم – ورمز، صور تصويراً رمزياً، وقال: أشار بظهوره من علامات تنبئ بذلك [848].

تقول الدكتورة منال طلعت: ربما تعتبر "الإشارات Gestures" أول وسيلة من الوسائل التي طورها الإنسان في اتصاله بالآخرين، وتنطوي كل ثقافة من الثقافات المختلفة على نسق من الإشارات ذات المعنى والدلالة، تصاحب لغة الكلام أو تؤدي بمفردها من أجل أن تعطي معنى معينا أو ترسل رسالة خاصة، وأما المعنى الذي يكمن وراء الإشارات فهو مسألة ثقافية خالصة وبالتالي يعتبر نسبيا إلى درجة كبيرة، ومثال ذلك أن إيماءة الرأس تشير في بعض الثقافات إلى معنى الموافقة والتأييد ، بينما تعني الرفض في ثقافات أخرى، وعادة ما يلجأ الأشخاص إلى عدد كبير من إشارات اليد أثناء حديثهم، ومن أكثر الثقافات اعتمادا على التعبير اليدوي أثناء الكلام: الثقافة الفرنيسية، والإسبانية، والإيطالية، وثقافات البحر المتوسط بوجه عام [849].

ويؤكد اللغوي الفرنسي فندريس على الدور المهم الذي تقوم به الإشارة الجسمية قائلا: "…. إنها تساعد الفكر على الانطلاق، فاليد تمتد وتنكمش كما لو كانت تغوص في أعماق الضمير لتجلب الفكرة الوحيدة تعجنها وتصقلها بإعطائها الشكل المناسب، بل إننا قد نجد الجسم كاملا يشترك في هذا العمل ويظهر في هيئات مختلفة .." [850]

كما يذكر الاجتماعي الفرنسي جي روشية " أن استعمال الإشارات يصاحب اللغة المحكية عموما أو يحل محلها عند الضرورة أو يتممها في أغلب الأحيان، وقد تعطي هذه الإشارة جملة معينة ومعنى مختلفا أشد الاختلاف عن معناها دون هذه الإشارات [851].

---

[848]- تكملة المعاجم العربية، ص 142/1

[849]- مدخل إلى علم الاتصال، ص 35

[850]- Vendryes: Language Oral et Langage par Gestes, p. 13

[851]- جي روشية، مدخل إلى علم الاجتماع، ترجمة د. مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية، ط1، بيروت 1983، ص 183

إن الإشارات تصاحب الكلمات وتساعد المتكلم في تواصله مع غيره، كما أنها تكون في بعض المواقف الفردية والاجتماعية بديلا عن الكلمات عندما لا يستطيع المتكلم الكلام بسبب الخجل والحياء أو الخوف والحذر، أو عدم القدرة عليه لسبب مزمن كما نرى في حالة الصم والبكم، أو لسبب عارض كما نرى في حالة عدم معرفة المتكلم للغة من يتواصل معه، أو عندما يكون الكلام من قبيل المحظور اللغوي Linguistic taboo[852].

قال تعالى: **{قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً }** (آل عمران/**41**)، عن قتادة أنه قال: "فجعل لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ وأشار" [853]

وكذلك قول الله تعالى: **{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ..}** (مريم/**29**). وأشار إليه بيده: أي أومأ، قال الله تعالى: فَأَشارَتْ إِلَيْهِ [854].

وقوله تعالى: **{قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ..}** (الأنبياء/**63**) بل فعله كبيرهم هذا مشيراً إلى الصنم الذي تركه ولم يكسره [855].

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً } (مريم/**11**)، يقول أبو حيان في تفسير الآية" :أي خرج زكريا عليه السلام من مصلاه على الناس يأمرهم بالصلاة إشارة، وأوحى إليهم أي أشار [856].

المبحث الثاني:

الإيماءات

[الإيماء]: أومأ إليه، مهموز: أي أشار، وفي الحديث: قال النبي عليه السلام لمريض: **«أومئ إيماءً، وليكن سجودك أخفضَ من ركوعك»** . قال أبو حنيفة: الإيماء بالرأس فقط، وإن لم

852- الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة أعضاء الجسم في التواصل، ص 116

853- تفسير الطبري، ص 386/6

854- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ص 3586/6

855- فتح القدير للشوكاني، ص 414/3

856- البحر المحيط، ص 169/6

يستطع سقط عنه الفرض، وقال الشافعي ومن وافقه: يومئ بالعينين والحاجبين على ما يمكنه [857].

وذكر الثعالبي في فقه اللغة عند تقسيم الإشارات: أشار بيده، أومأ برأسه، غمز بحاجبه، رمز بشفته، لمع بثوبه، ألاح بكمه. اهـ[858]

وينص المعجم على الإيماء يعني الإشارة بأعضاء الجسم مثل الرأس والكف والعين والحاجب، تقول أومأ إليه يومئ إيماء، وومأ يمأ ومئًا أي أشار [859].

ومن (الإيماء) ما يكون منهيا عنه كاللمز، قال تعالى:

{وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ ...} (**الحجرات/11**)، "اللمزة" الذي يومض بعينه ويشير برأسه، ويرمز بحاجبه وهما نعتان للفاعل، نحو سُخَرة وضُحَكة: للذي يسخر ويضحك من الناس [860].

وكذلك قول الله تعالى: **{وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ}** (**الهمزة/1**)، "ويكون اللمز بحالة بين الإشارة والكلام بتحريك الشفتين بكلام خفيّ يعرِف منه المواجه به أنه يذمّ أو يتوعد ، أو يتنقص باحتمالات كثيرة" [861].

ومن الإيماء ما يكون بالإشارة والرمز:

قوله تعالى: **{إِلاَّ رَمْزاً}** (**آل عمران/41**)، قال القرطبي : الرمز في اللغة الإيماء بالشفتين، وقد يستعمل في الإيماء بالحاجبين والعينين واليدين، وأصله الحركة [862].

ومن الإيماء ما يكون في الصلاة، كما في تأويل قوله تعالى:

{فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلاَةِ} (**النساء/101**)، وذكر الألوسي في تفسيره: وقال بعضهم: إن القصر في الآية محمول على قصر الأحوال من الإيماء وتخفيف التسبيح والتوجه إلى أي وجه وحينئذٍ يبقى الشرط على ظاهر مقتضاه المتبادر إلى الأذهان ، ونسب ذلك إلى طاوس والضحاك . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال في الآية :

---

[857]- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ص 7301/11

[858]- أبو منصور الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ضبطه وطبعه رشيد الدحداح، باريس 1861، ص 99

[859] - الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة أعضاء الجسم في التواصل، ص 36

[860]- تفسير البغوي، ص 528/8

[861]- محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، تونس 1997 م، ص 248/26

[862]- المصدر السابق، ص 80/4

قصر الصلاة إن لقيت العدو وقد حانت الصلاة أن تكبر الله تعالى وتخفض رأسك إيماءاً راكباً كنت أو ماشياً [863].

المبحث الثالث:
حركة الجسد

وسبق أن بينت أعلاه تعريف حركة الجسد ، لغة الجسد: وهي الحركات التي يقوم بها بعض الأفراد، مستخدمين أيديهم، أو تعبيرات وجوههم أو تحريك أكتافهم أو رؤوسهم، لإيصال معلومة ما للمستقبل. ومثال ذلك، قوله تعالى:

{فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ .. } (الإسراء/51)، قال الفراء يقال : أنغض فلان رأسه ينغضه إنغاضاً إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل، وقال أبو الهيثم : يقال للرجل إذا أخبر بشيء فحرك رأسه إنكاراً له قد أنغض رأسه فقوله : { فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ } يعني يحركونها على سبيل التكذيب والاستبعاد [864].

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ } (المنافقون5)، فلووا رؤوسهم، أي حركوها استهزاء وإباء، قاله ابن عباس [865].

{وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ } (السجدة/12)

{أَلا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ } (هود/5)، وثني الصدور : إمالتها وطأطأتها وحنيها بحيث تكون القامة غير مستقيمة ، والاستخفاء : محاولة الاختفاء عن الأعين [866].

{ فَرَدُّواْ أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ } (إبراهيم/9)، أي جعل أولئك القوم أيدي أنفسهم في أفواههم ليعضوها غيظا مما جاء به الرسل، (...) قاله بن مسعود، ومثله قاله عبد الرحمن بن زيد، وقرأ: " **عضوا عليكم الأنامل من " الغيظ " [آل عمران: 119]**. وقال ابن عباس: لما سمعوا كتاب

---

[863]- تفسير الألوسي، ص 134/5
[864]- مفاتيح الغيب للرازي، ص 181/20
[865]- تفسير القرطبي، ص 126/18
[866]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 160/7

الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم . وقال أبو صالح: كانوا إذا قال لهم نبيهم أنا رسول الله إليكم أشاروا بأصابعهم إلى أفواههم: أن أسكت، تكذيبا له، وردا لقوله [867].

كما أن حركة الجسم وزاوية ميله تدخل في الدراسات الحديثة لهذا العلم، وهذا ما قرره القرآن الكريم أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وذلك في قول الله تعالى:

{وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ..} (لقمان/19)

{وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً ..} (الإسراء/37)، قول تعالى ذكره: ولا تمش في الأرض مختالا مستكبرا [868].

{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ..} (الفرقان/63)، يعني: بالرفق والسكينة والوقار [869].

وتشير بعض الدراسات التي اهتمت بالإشارات الجسمية إلى ما تسميه لغة السيقان Legs Language وهي لغة خاصة بالنساء، وتظهر في طريقة جلستهن ووقفتهن ومشيتهن حيث ترسل الهيئة التي عليها سيقان المرأة رسائل مختلفة تدل على الإغراء أو التملق أو الهدوء أو الاضطراب [870]، ومن هذا القبيل قوله تعالى:

{وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ } (النور/31)

المبحث الرابع:
حركة العيون

حركة العيون : ولغة العيون: هي الحركات التي تحدثها العيون في أكثر من اتجاه

[غَمَزَ]: غَمَزَه غَمْزا: أي أشار بعينه [871].

---

[867]- المصدر السابق، ص 345/9

[868]- تفسير الطبري، ص 449/17

[869]- المصدر السابق، ص 541/11

[870]- Critchley, Macdonald: Silent Language, Buterwoths, London, 1975, pp. 6 – 7.

[871]- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ص 5008/8

{وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } (المطففين/30)، يغمز بعضهم بعضا، ويشيرون بأعينهم [872].

{.. رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ } (الأحزاب/19).

أي تدور يميناً ، وشمالاً وذلك سبيل الجبان إذا شاهد ما يخافه [873].

وتعبر العيون عن الخشوع والخوف والانفعالات الأخرى بالبكاء، يقول تعالى :

{وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ } (المائدة/83)

ومن انفعالات العيون أيضا، في قوله تعالى:

{وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ } (الشورى/45)

ومن انفعالات العين، الذلة والخضوع، قال تعالى:

{خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ } (القلم/43)، أي ذليلة خاضعة، لا يرفعونها لما يتوقعونه من عذاب الله [874].

ومن لغة العيون ما فيه ضر وحقد، فيما قاله تعالى:

{وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ } (القلم/51)، قال السدي: يصيبونك بعيونهم.

قال النضير بن شميل: يعينونك. وقيل: يزيلونك [875].

المبحث الخامس:

تعبيرات الوجه

إننا يمكن أن نقف على مشاعر وانفعالات الشخص الذي نتخاطب معه من خلال تعبيرات الوجه التي تختلف باختلاف نوع الانفعال مثل الفرح والغضب والخجل والدهشة وغير ذلك، ونلاحظ أن هذه التعبيرات المختلفة للوجه تساهم في تحديدها أعضاء الوجه كالعينين والحاجبين والشفتين إلى جانب الفم الذي يصدر عنه البكاء في انفعال الحزن، والضحك في انفعال الفرح، والصياح في انفعال الغضب [876].

---

[872]- تفسير القرطبي، ص 267/19

[873]- فتح القدير للشوكاني، 270/4

[874]- تفسير القرطبي، ص 297/18

[875]- تفسير البغوي، ص 202/8

[876]- الإشارات الجسمية: دراسة لغوية لظاهر استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص 148

وتقول الدكتورة منال طلعت عن تعبيرات الوجه: نادرا ما يكون الشخص المتحدث غير معبر أو غير متحرك، بل أن الوجه يتحرك كثيرا أثناء الكلام، وكذلك جسم الإنسان، وهذه الحركات إنما تعبر تعبيرا بالغا عن المشاعر، والانفعالات، والعواطف، وردود الفعل، سواء كانت حركات مقصودة أو غير مقصودة [877].

ويعتبر الوجه من أهم وسائل الاتصال غير اللفظي. ومن أمثلة ذلك فيما سيرد من آيات الله في القرآن الكريم .

ويشير الرازي في المقالة الثالثة إلى دلالة الوجه على الأحوال النفسانية وما يظهر عليه من أحوال ظاهرة تتصل بتغير لونه، قائلا: إن للخجالة لونا مخصوصا في الوجه، وللخوف لونا آخر، وللغضب لونا ثالثا، وللفرح لونا رابعا وهذه الألوان متى حصلت في الوجه فإنها تقوى دلالتها على الأخلاق الباطنة والأحوال النفسانية [878]. ويقول الزجاج: والعرب تقول لكل من لقي مكروها: قد اسود وجهه غما وحزنا [879]. ومثال ذلك قوله تعالى:

- **{وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ }** (النحل/58)، أي متغيرا، وليس يريد السواد الذى هو ضد البياض، وإنما هو كناية عن غمه بالبنت [880].
- **{وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ.. }** (لقمان/18)، عن ابن عباس يقول : ولا تتكبر؛ فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك [881].
- **{تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ }** (القلم/43)، وذلك أن المؤمنين يرفعون رؤوسهم ووجوههم أشد بياضا من الثلج. وتسود وجوه المنافقين والكافرين حتى ترجع أشد سوادا من القار [882].
- **{يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ }**(آل عمران/106)
- **{ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً ..}** (يونس/27)

---

[877]- المدخل إلى علم التواصل، ص 36

[878]- الرازي، كتاب الفراسة، تحقيق: د. يوسف مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982، ص 98-100

[879]- تفسير القرطبي، ص 116/10

[880]- المصدر السابق، ونفس الصفحة

[881]- المصدر السابق، ص 144/20

[882]- المصدر السابق، ص 250/18

- **{وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ }** (يونس/**26**)، يقول أبو حيان في تفسير الآية : " أريد بالوجوه الحقيقة لأن آثار الأعراض النفسانية في القلب تظهر على الوجه، ففي الفرح يظهر الإسفار والإشراق، وفي الحزن يظهر الكلوح والغبرة" [883].
- **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ }**(القيامة/**22–24**)، باسرة: أي كالحة، عابسة، ومتغيرة [884].
- **{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ }**(عبس/**38–39**)، مسفرة: يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ مشرقة مضيئة [885].
- **{وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً }** (طه/**111**)، أي ذلت وخضعت ، قاله ابن الأعرابي . قال الزجاج : معنى عنت في اللغة : خضعت ، يقال : عنى يعنو عنواً إذا خضع ، ومنه قيل للأسير : عان [886].
- **{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ..}** (الفتح/**29**)، قال: يعرف ذلك يوم القيامة في وجوههم من أثر سجودهم في الدنيا [887].
- **{تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ }** (المطففين/**24**)

ونجد آيات أخرى في القرآن الكريم تصور حركة الوجه، ومثال ذلك قوله تعالى:

- **{قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء }** (البقرة/**144**)
- **{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }** (البقرة/**149**)
- **{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً }** (يونس/**105**)، أي مائلاً عن كل دين من الأديان إلى دين الإسلام [888].
- **{أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }** (الملك/**22**)

---

[883]- تفسير البحر المحيط، ص 2/6

[884]- تفسير الطبري، ص 73/24 -74

[885]- المصدر السابق، ص 232/24

[886]- فتح القدير للشوكاني، ص 3/ 387

[887]- المصدر السابق، ص 262/22

[888]- فتح القدير للشوكاني، ص 519/1

المبحث السادس:

الملابس

رغم أن وظيفة الملابس هي تغطية الجسم وحمايته من الحر والبرد، إلا أنها تمثل في نفس الوقت نظاما من العلامات تخضع لاتفاق المجتمع من ناحية وتقوم بوظيفة التواصل بين أفراد المجتمع من ناحية أخرى [889].

ويشير أحد المهتمين بشؤون الاتصال غير اللفظي إلى العبارة التالية: "إنك تعبر عن هويتك الخاصة وتنقلها إلى الآخرين بواسطة ذاتك المرئية". وتقوم الملابس بوظائف هامة من وجهة نظر الاتصال، فهي تعبر عن الانفعالات والمشاعر فضلا عن إنها تؤثر في سلوك من يرتديها وسلوك الآخرين نحوه، ومن ثم فهي تعتبر ذات قيمة اتصالية كبيرة، والمقصود بلغة الأشياء أي تلك المعاني التي يخلعها الإنسان على الأشياء التي يغلف بها ذاته، كالملابس، والحلي وطريقة تصفيف الشعر، أو التي يجمل بها منزلة كالقطع الأثرية أو التصميمات الجمالية وما إلى ذلك [890].

والإسلام حث على حسن الملبس والمظهر، فذكر أبو حيان في تفسيره: وقال عطاء وأبو روق : تسريح اللحى وتنويرها بالمشط والترجيل ، وقيل : التزين بأجمل اللباس في الجمع والأعياد ذكره الماوردي [891]، فقال تعالى:

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ} (الأعراف/31)، والزينة فعلة من التزين وهو اسم ما يُتجمل به من ثياب وغيرها [892]. قال أبو جعفر: منَ الكساء واللباس، وعن ابن عباس: قال: الثياب [893]. وذكر القرطبي في تفسيره: والزينة هنا الملبس الحسن، إذا قدر عليه صاحبه. وقيل: جميع الثياب، كما روي عن عمر: إذا وسع الله عليكم فأوسعوا [894].

889- الإشارات الجسمية: دراسة لغوية لظاهرة أعضاء الجسم في التواصل، ص 22

890- المدخل إلى علم الإتصال، ص 36

891- تفسير البحر المحيط ص 235/4

892- المصدر السابق، ص 235/4

893- تفسير الطبري، ص 389/12

894- تفسير القرطبي، ص 195/7

{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ } (**الأعراف/26**)، واللباس يعم جميع ما يلبس ويستر والرّيش عبارة عن سعة الرزق ورفاهية العيش ووجود اللبس والتمتع وأكثر أهل اللغة على أنّ الريش ما يستر من لباس أو معيشة ، (...) وقال الزمخشري : لباس الزينة استعير من ريش الطائر لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباساً يواري سوءاتكم ولباساً يزيّنكم لأنّ الزينة غرض صحيح [895].

{يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا } (**الأعراف/27**)، قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: يا بني آدم، لا يخدعنكم الشيطان فيبدي سوءاتكم للناس بطاعتكم إياه عند اختباره لكم، كما فعل بأبويكم آدم وحواء عند اختباره إياهما فأطاعاه وعصيا ربهما، فأخرجهما بما سبَّب لهما من مكره وخدعه، من الجنة، ونزع عنهما ما كان ألبسهما من اللباس، ليريهما سوءاتهما بكشف عورتهما، وإظهارها لأعينهما بعد أن كانت مستترةً [896].

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ } (**الأعراف/32**)، الزينة : ما يتزين به الإنسان ، من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة ، كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها ، والجواهر ونحوها؛ وقيل الملبوس خاصة ، ولا وجه له ، بل هو من جملة ما تشمله الآية ، فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذا لم يكن مما حرّمه الله ، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة ، ولم يمنع منها مانع شرعي ، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطاً بيناً [897].

ولم يقف الإسلام عند حسن الملبس والزينة فحسب، بل واعتنى بطهارة الثياب ونظافتها، فقال تعالى: **{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ }** (**المدثر/4**)

وقد وصف الله تعالى زينة ولباس أهل الجنة وأنواعها إذ قال جل جلاله:

{جَنَّاتِ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } (**الحج/23**)

---

[895]- تفسير البحر المحيط، ص 230/4

[896]- تفسير الطبري، ص 373/12

[897]- فتح القدير للشوكاني، ص 200/2

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ } (فاطر/33)

{ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَاباً خُضْراً مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ } (الكهف/31)

{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ } (الإنسان/21)

{يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ } (الدخان/53)

وأما لباس أهل النار، فيما قاله تعالى :

{فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ } (الحج/19)

{سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ..} (إبراهيم/50)، السرابيل : القُمص ، واحدها سربال. أي : قمصانهم من قطران تطلى به جلودهم [898].

واستخدم الناس الملابس للتخفي من الآخر، لكي لا يراه أو يسمعه، ونلحظ ذلك في قوله تعالى: **{أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ }** (هود/5)، أي يغطون رؤسهم بثيابهم [899]. وتغشّى بثوبه ، كي لا يراه النبي صلى الله عليه وسلم [900].

{ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَاراً } (نوح/7)، لئلا يسمعوا كلام نوح عليه السلام [901].

ولقد جعل الله رخصة للقواعد من النساء في وضع ثيابهن . فبذلك تشير لنا هذه الحالة إلى دلالة ورمز لمرحلة معينة من عمر النساء، ذكره الطبري رحمه الله بقوله: واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء [902]، فقال تعالى:

{ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ } (النور/60)، أي : الثياب التي تكون على ظاهر البدن كالجلباب ونحوه ، لا الثياب التي على العورة الخاصة ، وإنما جاز لهنّ ذلك لانصراف الأنفس عنهنّ إذ لا رغبة للرجال

---

[898]- المصدر السابق، ص 118/3

[899]- تفسير القرطبي ، ص 6/9

[900]- تفسير الطبري ، ص 234/15

[901]- المصدر السابق، ص 631/23

[902]- المصدر السابق، ص 216/19

فيهنّ ، فأباح الله سبحانه لهنّ ما لم يبحه لغيرهنّ ، ثم استثنى حالة من حالاتهنّ ، فقال : { غَيْرَ متبرجات بِزِينَةٍ } أي : غير مظهرات للزينة التي أمرن بإخفائها (...) والتبرّج : التكشف ، والظهور للعيون [903].

كما للملابس دلالة وإشارة حين وضعها وهي دلالة الإستأذان، وذلك لقوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ } (النور/58)

ومن الملابس ما يشير إلى الهيئة كالكبر والتكبر وغيره وإلى تميز طبقات الناس في المجتمع[904]، قال تعالى:

{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ} (القصص/79)، فخرج قارون على قومه في زينته، وهي فيما ذكر ثياب الأرجوان [905]. عن مجاهد قال: في ثياب حمر، وعنه أيضا قال: عليه ثوبان معصفران، وعن الحسن قال: في ثياب حمر وصفر، وعن قتادة: ذكر لنا أنهم خرجوا على أربعة آلاف دابة، عليهم وعلى دوابهم الأرجوان [906].

يقول تعالى مخبرًا عن قارون: إنه خرج ذات يوم على قومه في زينة عظيمة، وتجمل باهر، من مراكب وملابس عليه وعلى خدمه وحشمه، فلما رآه مَنْ يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زُخرفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أعطي [907].

والقرآن الكريم يؤكد أهمية الملابس باعتبارها نمطا من أنماط الاتصال غير اللفظي، فالحجاب الإسلامي يكتسب أهميتين، أولاهما باعتباره ساترا للعورة، وثانيهما رسالة واضحة معلنة وصريحة تكفل رد الأذى من قول وفكر، ويتجلى ذلك في قول الله تعالى:

---

[903]- فتح القدير للشوكاني، ص 52/4
[904]- الإشارات الجسمية، ص 93
[905]- تفسير الطبري، ص 627/19
[906]- نفس المصدر، ص 528/19
[907]- تفسير ابن كثير، ص 255/6

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ..} (الأحزاب/59). يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين: لا يتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن، فكشفن شعورهن ووجوههن. ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهنّ؛ لئلا يعرض لهن فاسق، إذا علم أنهن حرائر، بأذى من قول [908].

المبحث السابع:

التنقل والسير

ومن وسائل التواصل غير اللفظي السير في الأرض الذي به يحصل الإنسان على المعرفة والإطلاع، يقول الدكتور يحيى مراد: أن للإنسان دوافع نفسية تكمن في نفسه من حيث أنه كائن حي، ومخلوق مفكر، (...) ومن هذه الدوافع رغبة الإنسان الطبيعية في المعرفة والإطلاع ونزعته الظامئة للتعرف على حياة الآخرين وأفكارهم (...) فيتطلع الإنسان لإشباع هذه الرغبات بالاستمرار في السفر والرحلات عبر الأراضي والبحار فيلتذ بمواجهة الصعاب والأخطار ... [909]

ولنا بابن بطوطة مثل، حيث تحمل عناء السفر على ظهور الجمال في القوافل التي عبرت الفيافي وفي بطون المراكب التي سارت بين الأمواج العاتية والعواصف المدمرة في سبيل المعرفة والعلم والكشف عن المجهول [910].

ومن هذا السير والتنقل في الأرض الذي حث عليه القرآن الكريم، لربما نعجب إذا علمنا أن القرآن هو أول كتاب أطلق الدعوة إلى البحث في أسرار بداية الخلق من خلال السير والتنقيب والبحث في الأرض [911]. يقول تعالى:

908- تفسير الطبري، ص 324/20

909- د. يحيى مراد، معجم أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت – 2004، ص 27

910- علي بن عبد الله الدفاع، رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، مكتبة التوبة، الرياض – 1993، ص 210

911- موقع المهندس عبد الدائم الكحيل، أسرار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، عنوان البحث: قل سيروا في الأرض: رؤية علمية جديدة، تاريخ الإطلاع: 12/06/18، www.kaheel7.com

- **{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ }** **(العنكبوت/20)**، لقد بدأ العلماء رحلة البحث عن بدايات الخلق وذلك عبر الصخور والمتحجرات وفي أعماق البحار وغير ذلك. واكتشفوا أن سر المخلوقات وبداية الحياة موجود في الأرض. ولذلك فإنهم أطلقوا آلاف الأبحاث العلمية التي تتحدث عن عمر الأرض وأعمار المخلوقات وكيفية نشوئها وكيف تشكلت الجبال ومتى وكيف نشأت البحار والنباتات وغيرها. فتاريخ أرضنا مختزن ومدون بلغة خاصة في ذرات التراب والصخور والنباتات وفي كل ذرة ماء![912]
- **{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانْظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ }** **(آل عمران137)** أي : فسيروا في الأرض متأملين متبصرين ، فسترون الحال السيئة التي انتهى إليها المكذبون من تخريب ديارهم، وبقايا آثارهم . قالوا : وليس المراد بقوله { فَسِيرُواْ فِي الأرض فانظروا } الأمر بذلك لا محالة ، بل المقصود تعرف أحوالهم ، فإن حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الأرض كان المقصود حاصلا ، ولا يمتنع أن يقال أيضا : إن لمشاهدة آثار المتقدمين أثراً أقوى من أثر السماع[913].
- **{أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ }** **(يوسف/109)**
- **{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا }** **(الروم/9)**
- **{أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ }** **(الحج/46)**، يقول الرازي: هل يدل على الأمر بالسفر الجواب : يحتمل أنهم ما سافروا فحثهم على السفر ليروا مصارع من أهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا ، ويحتمل أن يكونوا قد سافروا ورأوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كأن لم يسافروا ولم يروا[914].

912- المصدر السابق

913- تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 270/2

914- مفاتيح الغيب للرازي، ص 40/23

- { فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ } (ق/36) : قال قتادة: فساروا في البلاد، أي ساروا فيها يبتغون الأرزاق والمتاجر والمكاسب أكثر مما طفتم أنتم فيها ويقال لمن طوف في البلاد: نقب فيها [915].
- {فَسِيحُواْ فِي الأَرْضِ } (التوبة/2) فإنه يعني: فسيروا فيها مقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه. يقال منه: "ساح فلان في الأرض يسيح، سياحة. وسُيُوحًا. وسَيَحانًا.[916]
- {فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا } (الملك/15) أمشوا حيث أردتم فقد جعلتها لكم ذلولا لا تمتنع.[917]
- {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا} (النساء/97) قيل : المراد بهذه الأرض : المدينة ، والأولى العموم اعتباراً بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما هو الحق ، فيراد بالأرض كل بقعة من بقاع الأرض تصلح للهجرة إليها ، ويراد بالأرض الأولى كل أرض ينبغي الهجرة منها [918].

[915]- تفسير ابن كثير، ص 408/7
[916]- تفسير الطبري، ص 111/14
[917]- تفسير القرطبي، ص 215/18
[918]- فتح القدير للشوكاني، ص 504/1

الفصل الرابع:
قناة اللمس

يعتبر التواصل اللمسي أول أشكال الإدراك يبدأ الطفل مع أمه ومع الأشياء المحيطة به، ونجد أن هذا الشكل من التواصل ينمو مع
الإنسان ويتجدد من خلال السياق الثقافي الذي يعيش فيه، ويشترك هذا التواصل مع التواصل اللغوي ويظهر على سبيل المثال في
كيفية اللمس وتحديد أجزاء الجسم الملموسة كما نرى في المصافحة باليد أو القبلة على أجزاء معينة من الجسم، والعناق وأشكاله، كما نرى أيضا التواصل أللمسي في نظام أبجدية المكفوفين الذي يعتمد على اللمس بالأصابع [919].

إن اللمس باليد هو أبرز مظاهر التواصل عبر حاسة اللمس. ولم يرد ذكره صراحة في القرآن الكريم إلا في آية واحدة. فقد قال تعالى في الآية السابعة من سورة الأنعام: **{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ }** (**الأنعام/7**) [920]
ونستنتج من هذه الآية، القوة التواصلية لحاسة اللمس. إذ قدمت على بقية الحواس في تحقيق اليقين، على اعتبار أن من لم يعتد بها مغال وناكر للحقائق الملموسة. وإذا كانت حاستا البصر والسمع قد تتعرضان للخداع ألإدراكي، فإن حاسة اللمس تكون أقرب للواقع وللوعي. فاللمس لا يتم إلا بالاقتراب من الجسم الملموس، وبما أن الإنسان يدرك جسده كحقيقة لا يطالها الشك، فهو على استعداد للتيقن من كل ما يمكن أن يشكل امتدادا لجسده، أي كل ما يمكن لمسه بأحد أعضاء الجسد [921].

ويبين الدكتور زكي حسام الدين موضوع اللمس بالآتي :

وإلى جانب عامل الاقتراب أو التجاور الذي يساهم في عملية التواصل بين المتخاطبين نجد عامل اللمس، الذي يعمق هذا التواصل ويغذيه، ونجد أن إمكانية Touch اللمس تخضع لنوع العلاقة

---

[919]- الإشارات الجسمية ، ص 23
[920]- التواصل غير اللفظي في القرآن الكريم، ص 482
[921]- المصدر السابق، ص 482-483

بين المتخاطبين، وجنس كل منهما، وأجزاء الجسم التي يسمح بلمسها، وقد لاحظ المهتمون بدراسة عملية التواصل الصلة الوثيقة بين عامل الاقتراب أو التجاور وعامل اللمس حيث يعتمد الثاني على الأول اعتمادا كبيرا، فالمنطقة الخاصة التي تكون أفراد الأسرة التي تشمل الزوجين والأولاد تسمح باللمس بالمطلق لمعظم أجزاء الجسم فيما بينهم مع ملاحظة اختلاف درجات اللمس والأعضاء الملموسة بين الذكور والإناث، أما المنطقة القريبة التي تكون بين الأصدقاء والزملاء من نفس الجنس أو بين الذكور أو بين الذكور والإناث، فتسمح باللمس المقيد الذي يخضع لدرجة العلاقة، ويكون بوضع اليد على الساعد أو الكتف، أو تبادل القبلات على الخد أو اليد أو الرأس وفقًا لثقافة المجتمع وأعرافه، أما المنطقة البعيدة التي تميز المسافة بين المتخاطبين الغرباء فنجد اللمس فيها يكون من قبيل الحدوث العشوائي والفجائي الذي يعقبه الاعتذار في معظم الأحيان [922].

المبحث الأول:

النكاح

يطلق النكاح على الزواج فنقول: امرأَة يَنْكِحُها نِكاحاً إذا تَزوجها، ولا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله تعالى إلا على معنى التزويج قال الله تعالى: **وأَنْكِحُوا الأَيامَى منكم** فهذا تزويج لا شك فيه. وتأتي في اللغة بمعنى الوطء أيضا، قال الأزهري: أَصل النكاح في كلام العرب الوطء وقيل للتزوّج نكاح لأَنه سبب للوطء المباح، ونقول: ونَكَحَها يَنْكِحُها باضعها أَيضاً [923] وهذا ما يهمنا في هذا الباب ألا وهو الوطء، لأن فيه الملامسة واللمس ... الخ، الذي نحن بصدده، ولكن ذكرت كلمة النكاح لأنه سبب الوطء المباح كما أشرت في قول الأزهري أعلاه، فجمعت بذلك المعنيين.

يقول أبو حيان: والمسّ كناية عن النكاح [924]، وقيل : المسّ واللمس والجسّ متقارب [925]، وكما أسلفت سابقا أن اللمس يخضع لنوع العلاقة بين المتخاطبين، إلا أنه في النكاح يتجاوز كل هذه

922- الإشارات الجسمية، ص 100

923- انظر لسان العرب، ص 625/2 بتصرف

924- البحر المحيط، ص 268/1

الحدود فيما يسمى بالحالة الخاصة أو العامة أو الاقتراب أو التجاور وغيره في عملية التواصل [926]، وفي النكاح تكون الحالة الخاصة هي الأهم والأشمل، حيث يصف الدكتور زكي حسام الدين هذه الحالة فيقول: المنطقة الخاصة :

تسمح المسافة بملامسة الجسم والالتصاق بالأحضان والقبلات والهمس في الأذن (...)[927]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:

- { أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء } (النساء/43، المائدة/6)، وقد اختلف باللمس : فعن ابن عباس قال:"اللمس" و"المس" "المباشرة"، الجماع، ولكن الله يكني بما شاءَ [928]. وقال ابن مسعود: اللمس، ما دون الجماع. وعن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: القبلةُ، من اللمس [929].
- { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ } (البقرة/187)، فالرفث كناية عن الجماع، قال ابن عباس: إن الله تعالى حيي كريم يكنى كل ما ذكر في القرآن من المباشرة والملامسة والإفضاء والدخول والرفث فإنما عنى به الجماع [930].
- { وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ } (النساء/21)، أراد به المجامعة، ولكن الله حييٌ يُكني، وأصل الإفضاء: الوصول إلى الشيء من غير واسطة [931].
- { .. مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ } (النساء/23)، والدخول النكاح [932].
- { مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا } (المجادلة/3)، أي يجامعها ... [933] وقال الطبري: بمعنى فعل كل واحد من الرجل والمرأة بصاحبه من قولك:"ماسست الشيء أماسه مماسة ومساسا [934]. وذكر القرطبي في تفسيره: أن الله تعالى أوجب الكفارة وأمر بها قبل المسيس، فإذا أخرها حتى مس فقد فات وقتها [935].

---

[925]- نفس المصدر، نفس الصفحة
[926]- انظر: الإشارات الجسمية، ص 93-95
[927]- المصدر السابق، ص 94
[928]- المصدر السابق، ص 391/8
[929]- المصدر السابق، ص 393/8
[930]- تفسير البغوي، ص 206/1
[931]- تفسير القرطبي، ص 187/2
[932]- المصدر السابق، ص 148/8، وانظر: تفسير البغوي، ص 190/2
[933]- تفسير القرطبي، ص 283/17
[934]- تفسير الطبري، ص 118/5
[935]- تفسير القرطبي، ص 283/17

- { وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ } [سورة آل عمران: 47، سورة مريم: 20]، من ولد آدم بنكاح حلال (ولَمْ أَكُ) إذ لم يمسسني منهم أحد على وجه الحلال (بَغِيًّا) بغيت ففعلت ذلك من الوجه الحرام، فحملته من زنا (...) يقول تعالى ذكره: قال لها جبريل: هكذا الأمر كما تصفين ، من أنك لم يمسسك بشر ولم تكوني بغيا، ولكن ربك قال: هو عليّ هين [936].
- {لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنُّ } (البقرة/236)، لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس في أي وقت شئتم [937] والمراد بالمس المذكور في الآية: الجماع [938]
- وكذا قوله تعالى: {وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ } (البقرة/237)،
- وقوله تعالى أيضا: {ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً } (الأحزاب/49)
- { فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ (...) وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} (البقرة/187)، (فالآن باشروهن) يعني انكحوهن [939]. والمباشرة أيضا اتصال الرجل بالمرأة جنسيا لأن بشرته تلتصق ببشرتها كما جاء في قوله تعالى: {وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} وقد تكون المباشرة بمعنى الملامسة وقد جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم "كان يقبل ويباشر وهو صائم أصله من لمس الرجل لبشرة المرأة" [940]

ومن معاني النكاح أيضا ما أورده القرطبي في تفسيره فقال: المسح لفظ مشترك يكون بمعنى الجماع، يقال: مسح الرجل المرأة إذا جامعها. [941]

---

[936]- تفسير الطبري، ص 165/18
[937]- تفسير البغوي، ص 284/1
[938]- المصدر السابق، ص 286/1
[939]- تفسير الطبري، ص 496/3
[940]- الإشارات الجسمية، ص 70
[941]- تفسير القرطبي، ص 238/5

المبحث الثاني:

المسح

وأبين هنا معنى المسح فيما ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة [942]:

مسَحَ على يمسَح، مَسْحًا، فهو ماسِح، والمفعول مَمْسوح ومَسِيح

مسَحَ الشَّيءَ المتلطِّخ: أزال ما عليه من أثر "مسَحَ المقعدَ المبتلّ- مسَحَ الغبارَ عن التلفاز- مسَحَ ما على السيّارة من وَحْل".

مسَحَ الحجرَ الأسودَ: لمسه واستلمه تبرُّكا.

مسَحَ الشَّيءَ بالماء ونحوه/ مسَحَ على الشَّيءِ بالماء ونحوه: أمَرَّ يده عليه به

مسح بيده على رأس اليتيم: عطف عليه

وتأتي بمعنى :

ومَسَحَ الشيءَ بالسيف مَسْحاً: إذا قطعه، وقوله تعالى: **فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْناقِ** (ص/33) [943]

ويقول القرطبي: المسح لفظ مشترك يكون بمعنى الجماع، يقال: مسح الرجل المرأة إذا جامعها. [944]

وقد ورد المسح في القرآن الكريم بقوله تعالى:

- **{فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ }** (النساء/43 – المائدة/6) عن عبد الله أنه قال: التيمم مسحتان، يضرب الرجل بيديه الأرض يمسح بهما وجهه، ثم يضرب بهما مرة أخرى فيمسح يديه إلى المرفقين [945].
- **{وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ }** (المائدة/6)
- **{.. فَطَفِقَ مَسْحاً بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ }** (ص/33) يقول: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حبا لها. [946] وقال القرطبي : أنه أقبل يمسح سوقها وأعناقها بيده إكراما منه لها [947]

---

[942]- معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 2094/3

[943]- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، ص 6300/9

[944]- تفسير القرطبي، ص 238/5

[945]- تفسير الطبري، ص 415/8

- {اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ} (آل عمران/45)، وقال ابن عباس : سمي بذلك لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إبلا بريء [948]

وفي تأويل قوله تعالى:

- {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} (الضحى/9)، وروي عن أبي هريرة أن رجلا شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه، فقال: (إن أردت أن يلين، فامسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين). [949]

المبحث الثالث:

القبض

ورد معنى القبض في لسان العرب كالأتي[950]:

(قبض) القَبْضُ خِلافُ البَسْط قَبَضَه يَقْبِضُه قَبْضاً وقَبَّضَه

وفي أَسماء اللّه تعالى القابِضُ هو الذي يُمْسِكُ الرزق وغيره من الأَشياء عن العِبادِ بلُطْفِه وحِكمته ويَقْبِضُ الأَرْواحَ عند الممات وفي الحديث يَقْبِضُ اللّه الأَرضَ ويقبض السماء أَي يجمعهما

القَبْضُ جَمْعُ الكفّ على الشيء وقَبَضْتُ الشيءَ قبْضاً أَخذته والقَبْضة ما أَخذت بجُمْعِ كفِّك كله فإِذا كان بأَصابعك فهي القَبْصةُ بالصاد

والقَبْضُ التناوُلُ للشيءِ بيدك مُلامَسةً وقبَضَ على الشيء وبه يَقْبِضُ قَبْضاً انْحَنَى عليه بجميع كفه وفي التنزيل فَقَبَضْتُ قَبْضةً من أَثَر الرسول

المِقْبِضَةُ موضع اليد من القَناة وأَقْبَضَ السيفَ والسكين جعل لهما مَقْبِضاً ورجل قُبَضَةٌ رُفَضةٌ للذي يَتَمَسَّكُ بالشيء

946- المصدر السابق، ص 196/21
947- تفسير القرطبي، ص 195/15
948- البحر المحيط ص 349/2
949- تفسير القرطبي، ص 100/20
950- لسان العرب، ص 213/7

ومن خلال تعريف اللغة نجد أن المعنى هو القبض والملامسة والمسك، ولقد وردت هذه الألفاظ في القرآن الكريم بقوله تعالى:

- {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} (طه/96) بمعنى: فأخذت بكفي ترابا من تراب أثر فرس الرسول [951].
- { وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ } (البقرة/245) وأما هذه الآية ففي قراءة ابن مسعود " بل يداه [952] ، هذا عام في كل شيء فهو القابض الباسط [953]
- { وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ .. } (التوبة/67) يقول: ويمسكون أيديهم عن النفقة في سبيل الله... [954]
- { وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ } (الملك/19)، وهذا عتاب وحث على النظر إلى حالة الطير التي سخرها الله، وسخر لها الجو والهواء، تصف فيه أجنحتها للطيران، وتقبضها للوقوع، فتظل سابحة في الجو، مترددة فيه بحسب إرادتها وحاجتها [955].
- { وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (الزمر/67) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون" [956]
- {ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً } (الفرقان/46) وفى هذا القبض اليسير شيئا بعد شيء من المنافع مالا يعد ولا يحصر . ولو قبض دفعة واحدة لتعطلت أكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا [957].

951- تفسير الطبري، ص 362/18
952- تفسير القرطبي، ص 239/6
953- المصدر السابق، ص 240/6
954- تفسير الطبري، ص 338/14
955- تفسير السعدي، ص 877/1
956- أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم (2788): 4 / 2148.
957- تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 205/10

- {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى } (طه/17) فقال موسى: {هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} ذكر فيها هاتين المنفعتين، منفعة لجنس الآدمي، وهو أنه يعتمد عليها في قيامه ومشيه، فيحصل فيها معونة. ومنفعة للبهائم، وهو أنه كان يرعى الغنم ...[958]

وبما ورد في ذكر الملامسة والمسك كما أوردت في المعنى اللغوي لقبض، ما قاله تعالى:

- {لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } (الواقعة/79)
- {وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ } (الأعراف/170)، بفتح الميم وتشديد السين، من "مَسَّك يُمَسِّك" [959].
- {وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَاباً فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ... } (الأنعام/7)
- {وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً } (الجن/8) أصل اللمس المس ، ثم استعير للتطلب ، والمعنى : طلبنا بلوغ السماء لاستماع كلام أهلها فوجدناها ملئت.[960]
- { أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ } (طه/97) أي لا تمسني ولا أمسك.[961]

---

[958]- تفسير السعدي، ص 503/1
[959]- تفسير الطبري، ص 216/13
[960]- البحر المحيط ص 344/8
[961]- المصدر السابق، ص 200/6

المبحث الرابع:

الأخذ

(أخذ) الأَخْذ خلاف العطاء وهو أَيضاً التناول أَخذت الشيء آخُذُه أَخذاً تناولته وأَخَذَه يأْخُذه أَخْذاً والإِخذُ بالكسر الاسم وإِذا أَمرت قلت خذْ وأَصله أُؤْخُذ إلا أَنهم استثقلوا الهمزتين فحذفوهما تخفيفاً (...) يقال أَخذتُ على يد فلان إِذا منعته عما يريد أَن يفعله كأَنك أَمْسكت على يده [962]

لقد وردت كلمة أخذ وأفعالها بشتى معانيها ثلاث وتسعون مرة، إلا أنها وردت بمعنى الأخذ وهو خلاف العطاء أي التناول باليد، وهذا المعنى الذي أريده وأريد ذكره في هذا الباب، وهو قوله تعالى:

- { وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ...} (الأعراف/150)
- { أَخَذَ الأَلْوَاحَ ... } (الأعراف/154)
- { وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً } (البقرة/229)
- {... فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً } (النساء/20)
- {وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً } (النساء/21)
- { وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ ...} (النساء/102)
- { لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (الأنفال/68)
- { مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ } (يوسف/76)
- { وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً } (الكهف/79)
- { يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ } (طه/39)
- {قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي } (طه/94)

---

[962]- لسان العرب، ص 470/3

المبحث الخامس:

تصفيق الكفين

(صفق) الصَّفْق الضرب الذي يسمع له صوت وكذلك التَّصْفِيقُ ويقال صَفَّقَ بيديه وصفَّح سواء وفي الحديث التسبيحُ للرجال والتَّصْفِيقُ للنساء المعنى إذا ناب المصلي شيء في صلاته فأَراد تنبيه مَنْ بحذائه صَفَّقَت المرأَة بيديها وسبَّح الرجل بلسانه وصفَقَ رأْسَه يَصفِقه صفْقاً ضربه وتصافَقُوا تبايعوا وصَفَقَ يَده بالبيعة والبيع وعلى يده صَفْقاً ضرب بيده على يده وذلك عند وجوب البيع والاسم منها الصَّفْقُ والصِّفِقَّى

وفي الحديث إن أَكْبَرَ الكبائِر أَن تقاتِلَ أَهلَ صَفْقَتِكَ هو أَن يُعْطِيَ الرجلَ عهدَه وميثاقَه ثم يقاتله لأَن المتعاهدين يضع أَحدهما يده في يد الآخر كما يفعل المتبايعان وهي المرَّة من التَّصْفِيق باليدين [963]

ورد التصفيق في القرآن الكريم بقوله تعالى:

- **{ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ }** (**الكهف/42**) وقال قتادة: يُصفّق كفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أذهبها عليه [964]
- **{وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً }** (**الأنفال/35**) وفي الحديث أنه نهى عن الصَّفْقِ والصفير كأَنه أَراد معنى قوله تعالى: **{وما كان صَلاتُهم عند البيت إلاَّ مُكاءً وتَصْدِيةً }** كانوا يُصَفِّقونَ ويُصفِّرونَ ليَشْغَلوا النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في القراءة والصلاة [965]

وفي تأويل قوله تعالى:

- **{وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ**

---

[963]- لسان العرب، ص 200/10

[964]- تفسير ابن كثير، ص 160/5

[965]- لسان العرب، ص 200/10

عَلى اللّهِ وَكَانَ اللّهُ غَفُوراً رَّحِيماً } (النساء/100) أنها نزلت في جندب بن ضمرة وكان شيخاً كبيراً فمات بالتنعيم ولما أدركه الموت أخذ يصفق بمينه على شماله؛ ويقول : اللهم هذه لك وهذه لرسولك صلى الله عليه وسلم أبايعك على ما بايع عليه رسولك [966]

- { والذين عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ } لأنهم كانوا عندما يؤثقون عقدا يضع كل واحد منهم يده في يد الآخر ، ليكون ذلك علامة على انبرام العقد وتأكيده . ومن هنا قيل للعقود الصفقات لأن كل عاقد يصفق بيمنه على يمين الآخر [967].

- {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ } (فصلت/26) وقال مجاهد: المعنى " والغوا فيه " بالمكاء والتصفيق والتخليط في المنطق [968].

---

[966]- تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 280/3

[967]- المصدر السابق، ص 134/3

[968]- تفسير القرطبي، ص 356/15

المبحث السادس:

البطش

بَطْشة [مفرد]: ج بَطَشات وبَطْشات: اسم مرّة من بطَشَ بـ/ بطَشَ على: ضربة أو أخذة شديدة " {وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ} – {يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ} "

البَطْشَة الكبرى: قيل: يوم بدر، أو عذاب جهنّم، أو قيام السَّاعة [969].

البطشُ: التّناول عند الصَّولة. والأخذ الشديد في كل شيء: بطش به. والله ذو البطشِ الشديد، أي: ذو البأس والأخذ لأعدائه [970].

ورفع اليد والتلويح بها في الهواء مع قبض الكف لإعلام الآخرين بالقوة [971].

وأهم آلة في جسم الإنسان التي تعبر عن البطش هي اليد، يقول القرطبي: والبطش يكون باليد وأقله الوكز والدفع، ويليه السوط والعصا، ويليه الحديد، والكل مذموم إلا بحق [972]. وهي حركة من حركات الجسد في التواصل غير اللفظي.

يقول الدكتور زكي حسام الدين: ويمد الإنسان يده ليبطش بالآخرين [973]، قال تعالى:

- **{لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَكَ }** (المائدة/28)
- **{ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا }** (الأعراف/195)
- **{وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ }** (الشعراء/130)، يقول: وإذا سطوتم سطوتم قتلا بالسيوف، وضربا بالسياط [974].
- **{فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا }** (القصص/19) وذلك أن موسى أدركته الرقة بالإسرائيلي فمد يده ليبطش بالفرعوني، فظن الإسرائيلي أنه يريد أن يبطش به ... [975]

---

[969]- معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 217/1

[970]- كتاب العين للفراهيدي، ص 240/6

[971]- الإشارات الجسمية، ص 166

[972]- تفسير القرطبي، ص 124/13

[973]- الإشارات الجسمية، ص 167

[974]- تفسير الطبري، ص 377/19

[975]- تفسير البغوي، ص 198/6

- { يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى } (الدخان/16)، قول تعالى ذكره: إنكم أيها المشركون إن كشفت عنكم العذاب النازل بكم، والضرّ الحالّ بكم، ثم عدتم في كفركم، ونقضتم عهدكم الذي عاهدتم ربكم، انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتي الكبرى في عاجل الدنيا، فأهلككم، وكشف الله عنهم، فعادوا، فبطش بهم جلّ ثناؤه بطشته الكبرى في الدنيا، فأهلكهم قتلا بالسيف. وقد اختلف أهل التأويل في البطشة الكبرى، فقال بعضهم: هي بطشة الله بمشركي قريش يوم بدر.[976]
- {فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنهُم بَطْشاً ..} (الزخرف/8) ، أي قوما اشد منهم قوة[977].
- {وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ } (القمر/36) والبطشة : المرة من البطش ، بمعنى الأخذ بعنف وقوة، والمراد بها هنا : الإهلاك الشديد[978]. ويقول ابن كثير: أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعذابه، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به[979] ، يقول تعالى: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} (البروج/12)

---

[976]- تفسير الطبري، ص 22/21-22

[977]- تفسير القرطبي، ص 63/16

[978]- تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 115/14

[979]- تفسير ابن كثير، ص 480/7

الفصل الخامس:

قناة الذوق والشم

إن حاستي الشم والذوق ضروريتان للحياة والاستمرارية البيولوجية للإنسان، لارتباطيهما الوثيق بتناول الطعام والشراب ولضرورة استخدامهما لاختبار ما يصلح للجسد وما يضربه . ومن هنا تكمن أهميتهما التواصلية فحاسة الشم تجعلنا نقترب من مصادر الروائح المفيدة والخالية من الأخطار، والابتعاد عن مصادر الروائح المؤذية والتي تكمن فيها أخطار حياتية أو نفسية. كما أن حاسة الشم تقوم بدور حاسم في ربط العلاقات وتقوية المشاعر العاطفية، التي تترتب عنها قرارات حاسمة في حياة الإنسان الأسرية والمهنية [980].

حاسة الشم حاسة رئيسة عند مختلف الكائنات وهي تعتبر مكملة لحاسة الذوق، بل إن حاسة التذوق تعتمد على الشم كل الاعتماد . ونحن لا نعرف من الطعوم إلا أربعة أنواع هي :الحلو، والمر، والمالح والحمضي. وهذه الأنواع الأربعة لا تكفي لوصف مئات الأنواع من الأطعمة وطعومها المختلفة التي نحس بها كل يوم، ولكن حاسة الشم تتولى استكمال إحساسنا بالطعم فهي المسئولة عن 90% تقريبا من حاسة التذوق . ولعلنا جميعا نتذكر أننا لا نحس بطعم المأكولات عند إصابتنا بالزكام وأننا كنا نسد أنوفنا ونحن صغار بمسكها بإصبع اليدين حتى لا نشعر بطعم "شربة" الدواء وذلك كي نمنع مرور الهواء المحمل بأبخرة هذه "الشربة "على منطقة الشم فلا نحس برائحتها وبالتالي لا نحس بطعمها [981].

980- التواصل غير اللفظي في القرآن الكريم، ص 518

981- أحمد مدحت إسلام، لغة الكيمياء عند الكائنات الحية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت "سلسلة عالم المعرفة، العدد93، سبتمبر 1985.

المبحث الأول:

الأكل

أَكَل الطَّعامَ: مضغه وبلعه "أكل خُبزًا/ لحمًا- نَحْنُ قَومٌ لاَ نَأْكُلُ حَتّى نَجُوعَ وَإِذَا أَكَلْنَا لاَ نَشْبَعُ [حديث] [982]

وآكَلَه الشيءَ أَطعمه إِياه (...) وكذلك كل شيءٍ أَطْعَمْتَه شيئاً والأُكْل الطُّعْمة يقال جَعَلْتُه له أُكْلاً أَي طُعْمة [983]

ويخضع تناول الطعام وهيئة جلوسه لثقافة المجتمع وأعرافه في تواصل الإنسان مع الآخرين [984].

ويقول رولان بارت في نظام الطعام ودوره في التواصل، أن نظام الطعام له لغة تتمثل في [985]:

- الأطعمة المحرمة (كالمسموح أكلها أو غير المسموح أكلها)
- كل ما يدل على وحدة المتعارض، وهو النوع الذي يتوجب تحديده على سبيل المثال بين اللاذع / الحلو
- نظام المجتمع في (الأطعمة التي يمكن أو لا يمكن خلطها أو الجمع بينها)
- طقوس الاستخدام (على سبيل المثال آداب المائدة)

ويقول الدكتور جميل القدسي دويك: لقد اكتشفت أن هناك قواعد ذهبية في القرآن الكريم، فقد ورد أمر كلوا واشربوا في القرآن الكريم عددا من المرات، وفي كل المرات هذه كان يرد أمر كلوا قبل اشربوا، وليس هناك في موضع واحد في القرآن الكريم يرد فيه أمر اشربوا قبل أمر كلوا حتى في قصة الرجل الذي أماته مائة عام ثم بعثه ذكر طعامه قبل شرابه "**فانظر إلى طعامك وشرابك لم**

[982]- معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 107/1
[983]- لسان العرب، ص 19/11
[984]- الإشارات الجسمية، ص 132
[985]- Roland Barthes, Elements of Semiology, publ. Hill and Wang, New York-1968, p.p. 27-28

يتسنه" (البقرة/259) فاستنتجت من ذلك قاعدة ذهبية في أسس علم التغذية والطاقة القرآني هو: أنه لا يجوز الشرب قبل الأكل صحيا وغذائيا... [986]

بداية، أهمية الطعام للإنسان واعتماده الأساسي عليه في حياته، يقول الألوسي في تفسيره: وفي الطعام قوام البدن واستقامة البنية وبقاء النفس [987]، قال تعالى:

- {كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ} (المائدة/75) خبّر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمّه: أنهما كانا أهل حاجةٍ إلى ما يَغْذُوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم [988]
- {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً } (مريم/26)، وقدّم الأكل مع أن ذكر النهر مقدّم على الرطب ، لأن احتياج النفساء إلى أكل الرطب أشدّ من احتياجها إلى شرب الماء [989]. ويقول الدكتور صلاح الدين بسيوني رسلان في هذه الآية: فهنا تكمن حكمة الله في أمره لمريم أن تأكل من بلح النخل الذي يعد بمثابة غذاء كامل لاحتوائه على الأحماض الأمينية الهامة، وهي أساس تكوين البروتينات، وعلى السكريات. ومن ثم يكون شبعها واكتفاؤها وهناؤها وسعادتها الشاملة . ومن هنا تتضح لنا الحكمة الربانية في قوله للسيدة العذراء مريم (وقري عينا) بعد أكلها من بلح النخل، الذي أثبت العلم الحديث كفايته كغذاء متكامل يحتوي على جميع العناصر الغذائية اللازمة للجسم [990].
- {وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ } (الصافات/146) يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى اشتد [991] وأنبتها الله تعالى مطلة عليه لأنها تجمع خصالا برد الظل والملمس وعظم الورق وأن الذباب لا يقع عليها على ما قيل وكان عليه السلام لرقة جلده بمكثه في بطن الحوت يؤذيه الذباب ومماسة ما فيه خشونة

---

[986] - أسرار الغذاء في القرآن للدكتور جميل القدسي دويك، موقع العيساوية، تاريخ الإطلاع: 2012/06/25، www.esawiah.com

[987] - تفسير الألوسي، ص 155/29

[988] - تفسير الطبري، ص 485/10

[989] - فتح القدير للشوكاني، ص 329/3

[990] - صلاح الدين بسيوني رسلان، القرآن الحكيم "رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم"، دار الثقافة، القاهرة-1981، ص 69

[991] - تفسير الرازي، ص 184/22

ويؤلمه حر الشمس ويستطيب بارد الظل فلطف الله تعالى به بذلك وذكر أن ورق القرع أنفع شيء لمن ينسلخ جلده [992]

وقد ذكر الله تعالى أصنافا مختلفة من هذا الطعام وبينه وحث على أكله، فقال تعالى:

- { وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفاً أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ } (الأنعام/141)
- {... زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ } (السجدة/27)
- {وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } (النحل/5)
- {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ } (المؤمنون/21)
- {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً } (النحل/14)
- {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً } (مريم/25–26)

وفي الزرع والإنبات بين الله تعالى للإنسان كيف يحصل على هذا الطعام بعد الحصاد وكيفية تخزينه، وقال الدكتور رسلان: وأنه سبحانه وتعالى هو الذي يزرعها وينبتها، وهو المنشيء للشجر، بما يؤكد قدرته المتفردة في الخلق والإبداع الذي لا يقدر على مشاركته فيه أحد آخر [993] وبذلك يكون التواصل مع هذا الخالق والمبدع، ولنتأمل قوله تعالى:

- {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ }(النمل/60)

---

[992]- تفسير الألوسي، ص 146/23

[993]- القرآن الحكيم "رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم"، ص 68

- {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ} (السجدة/27) أي: اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها [994]
- {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكاً فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ } (ق/9) مطرا مباركا، فأنبتنا به بساتين أشجارا، وحبّ الزرع المحصود من البرّ والشعير، وسائر أنواع الحبوب [995].
- {وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ } (الحج/5) فقد توصل العلم حديثا عن طريق التجارب المعملية إلى أن التربة الزراعية تحتوي على نسبة من المسام، وأن هذه المسام بها هواء: فإذا أنزل الماء على التربة تغلغل في هذه المسام، ودفع أمامه الهواء، وتتحرك بذلك ذرات التربة في اهتزاز أمكن حسابه معمليا ويزداد بذلك حجمها لدرجة أمكن قياسها. ومعنى هذا أن الأرض بنزول الماء، كما يشير الله إلى ذلك الخالق العظيم، تهتز وتربو [996]
- {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ } (يوسف/47) "فذروه في سنبله" قيل: لئلا يتسوس، وليكون أبقى [997]، وقال أبو حيان: والمعنى : اتركوا الزرع في السنبل إلا ما لا غنى عنه للأكل ، فيجتمع الطعام ويتركب ويؤكل الأقدم فالأقدم ، فإذا جاءت السنون الجدبة تقوت الأقدم فالأقدم من ذلك المدخر [998].

وقد بين الله الحلال من الحرام، وأزال اللبس والشك [999] في الأكل والطعام، فهذه من ضمن الأمور التي تمثل أنظمة التواصل في مجتمع ما، كنظام الطعام مثلا [1000]، وقد أورد الله تعالى نظام

---

[994]- تفسير البغوي، ص 309/6
[995]- تفسير الطبري، ص 334/22
[996]- القرآن الحكيم "رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم"، ص 69
[997]- تفسير القرطبي، ص 203/9
[998]- البحر المحيط، ص 313/5
[999]- المصدر السابق، ص 73/7
[1000]- Ferdinand de Saussure's Course in General Linguistics, philosophical library, New York 1959, p.16

الطعام في القرآن الكريم كالإطعام في الكفارة والفدية... الخ، وكالحلال والحرام وآداب الطعام وغيره الذي يمثل نظام المجتمع في التواصل مع الآخرين، ومن ذلك قوله تعالى:

- {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ } (المائدة/3)
- {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ } (الأنعام/121)
- {وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ } (الأنعام/119)
- {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ } (المائدة/5)
- {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ ...} (آل عمران/93)
- {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ } (المائدة/96)
- { وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُماً } (المائدة/96)
- {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ } (البقرة/184)
- {لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ ...} (المائدة/89)
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ } (المائدة/95)
- {..فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً } (المجادلة/4)

ومن نظام المجتمع في آداب الطعام، قوله تعالى:

- { وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ } (الأعراف/31)

{إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ } (الأحزاب/53) قالوا: وكان من عادة بعضهم في الجاهلية أنهم يلجون البيوت بدون استئذان، فإذا وجدوا طعاما يعد، انتظروا حتى ينضج ليأكلوا منه[1001].

{فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا } (الأحزاب/53) ما دام ليس هناك من حاجة إلى هذا المكث . وهذا أدب عام لجميع المسلمين[1002].

والإطعام وسيلة من التواصل، فقيل: أن الإطعام في مقامين ما جبل عليه الناس في طعامها وهو الرياء وما جبلوا عليه في إجابة الدعوة للطعام وهو التواصل والتحابب[1003]. ومن ذلك ما قاله تعالى:

- {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } (الإنسان/8) أي يطعمون هؤلاء الثلاثة الأصناف الطعام على حبه لديهم وقلته عندهم[1004]. وهي تصور شعور البر والعطف والخير ممثلاً في إطعام الطعام ، مع حبه بسبب الحاجة إليه . فمثل هذه القلوب لا يقال عنها : إنها تحب الطعام الذي تطعمه للضعاف المحاويج على اختلاف أنواعهم . إلا أن تكون في حاجة هي إلى هذا الطعام ، ولكنها تؤثر به المحاويج[1005].
- وغاية هذا الإطعام : {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلا شُكُورًا } (الإنسان/9)، أنهم لا يتوقعون المكافأة ولا يريدون ثناء الناس عليهم بذلك[1006].

[1001]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 238/11

[1002]- المصدر السابق، نفس الصفحة

[1003]- عبد الرؤوف المناوي، بيض القدير شرح الجامع الصغير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – 1972، ط2، ص 158

[1004]- فتح القدير، ص 347/5

[1005]- في ظلال القرآن لسيد قطب، ص 3781/6

[1006]- المصدر السابق، ونفس الصفحة

- {أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ } (البلد/14) أي: الإطعام في يوم الطعام فيه عزيز، أو في يوم يشتهى فيه الطعام، أو الجوع، وفيه صدقة وصلة [1007].
أي من هذا الإطعام يكون أيضا التواصل فيه ومن خلاله. ومن قبيل هذا التواصل قوله تعالى:

- {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً } (النور/61)

وقد أورد الله عز وجل هذا التواصل أيضا من خلال الإطعام في التعامل مع غير المسلمين من أهل الكتاب، قال تعالى:

- {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ } (المائدة/5) إن الإسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية؛ ثم يعتزلهم ، فيصبحوا في المجتمع الإسلامي مجفوين معزولين – أو منبوذين – إنما يشملهم بجو من المشاركة الاجتماعية ، والمودة ، والمجاملة والخلطة . فيجعل طعامهم حلا للمسلمين وطعام المسلمين حلاً لهم كذلك . ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة ، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة . . [1008]

[1007]- تفسير ابن كثير، ص 408/8

[1008]- في ظلال القرآن لسيد قطب، ص 848/2

المبحث الثاني:

الشرب

(شرب) الشُّرْبُ مصدر شَرِبْتُ أَشْرَبُ شَرْباً وشُرْباً ابن سيده شَرِبَ الماءَ وغيره شَرْباً وشُرْباً وشِرْباً ومنه قوله تعالى فشارِبون عليه من الحَميمِ فشارِبون شُرْبَ الهِيمِ بالوجوه الثلاثة [1009]

لقد جعل الله تعالى من الماء كل شيء حي فقال: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ } (الأنبياء/30)، فالماء ضرورة من ضرورات الحياة الأرضية، فبدونه لا يمكن لإنسان ولا لحيوان ولا لنبات أن يعيش، (...) وذلك لأن الماء يعين الإنسان على القيام بجميع العمليات الحياتية في جسمه مثل عمليات الهضم، والتخلص من الفضلات والتنفس وتجديد الدم، ويعين الحيوان في كل ذلك، كما يعين النبات على الاستفادة بمركبات الأرض بامتصاصها من التربة والقيام بعملية التمثيل الضوئي، والنتح [1010] والتنفس [1011]. ولقد أشار الله تعالى إلى الماء والشرب في آية واحدة فقال: {أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ } (الواقعة/68) فبهذه الإشارة إلى الماء، بين سبحانه وتعالى مباشرة أنه هو الذي أنزله من السحاب مع تحديه للناس لذلك بقوله: {أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ } (الواقعة/69) وقال الطبري في ذلك: يقول تعالى ذكره: أفرأيتم أيها الناس الماء الذي تشربون، أأنتم أنزلتموه من السحاب فوقكم إلى قرار الأرض، أم نحن منزلوه لكم [1012].

ومع كثرة منافع الماء ، إلا أن الشرب هو أهم المقاصد التي من أجلها أنزل – سبحانه – الماء من السحاب [1013]. وفي الماء أودع الله خاصية الارتواء من العطش، فأشار سبحانه وتعالى إلى ذلك بقوله: { كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاء لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ } (الرعد/14)، أي: كمثل رجل قد

[1009]- لسان العرب، ص 487/1

[1010]- النتح: هي عملية التخلص من الماء الزائد عن حاجة النبات وكذلك التخلص من الأكسجين وثاني أكسيد الكربون الزائدين والناتجين من عمليتي البناء الضوئي والتنفس.

[1011]- الدكتور زغلول النجار، من أسرار القرآن "الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية - 20-، قضايا وآراء، عدد 126 لسنة 14 من رجب 1422 الموافق 1- اكتوبر 2001 ، ص 14

[1012]- تفسير الطبري، ص 142/23

[1013]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 178/14

بلغه العطش حتى كَرَبه الموت [1014]. وكذلك ما أخبر الله تعالى ذكره عن طالوت بما قال لجنوده، إذ شكوا إليه العطش [1015]: **{فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ }** (البقرة/249)، ويقول تعالى ذكره في بني إسرائيل إذ استسقوا موسى من العطش وغور الماء [1016]، ونعمة إغاثتهم بالماء بعد أن اشتد بهم العطش [1017] : **{ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ }** (البقرة/60)، ولقد جعل الله الارتواء من العطش نعمة أي أجر وثواب وفي مواطن أخرى عذاب ونقمة، ففي النعمة كقوله تعالى: **{وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ... }** (التوبة/120) وهو شدة العطش يقال ظميء فلان إذا اشتد عطشه [1018]. أي : إلا كتب لهم بكل واحد مما ذكر عمل صالح ، ينالون بسببه الثواب الجزيل من الله ، لأنه – سبحانه – **{ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المحسنين }** وإنما يكافئهم إلى إحسانهم بالأجر العظيم [1019]. وقوله تعالى في أهل الجنة : **{وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى }** (طه/119) .

وأما النقمة والعذاب ما ورد في يوم الحشر وأهل النار كقوله تعالى: **{ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصور وَنَحْشُرُ المجرمين يَوْمِئِذٍ زُرْقاً }** (طه/102)، " زرقا " معناه : عطاشا، لأن العطش الشديد يغير سواد العين فيجعله كالأزرق [1020].

وقوله تعالى في أهل النار: **{ وَنَسُوقُ المجرمين إلى جَهَنَّمَ وِرْداً }** (مريم/86) أي : ونسوق المجرمين الذين ارتكبوا الجرائم في دنياهم ، نسوقهم سوقا إلى جهنم كما تساق البهائم . حالة كونهم عطاشا ، يبحثون عن الماء فلا يجدونه [1021]. وقوله تعالى: **{تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ }** (الغاشية/5) وقوله : **{فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ }** (الواقعة/54–

[1014]- تفسير الطبري، ص 402/16
[1015]- نفس المصدر، ص 341/5
[1016]- تفسير الطبري، ص 176/13
[1017]- تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 143/1
[1018]- تفسير الرازي، ص 178/16
[1019]- تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 426/6
[1020]- المصدر السابق، ص 150/9
[1021]- المصدر السابق، ص 72/9

55) فصرتم في شرابكم كالإبل العطاش التي لا يرويها الماء مهما كثر لأنها مصابة بداء، هذا الد يمنعها من الشبع منه، فما تزال تشرب منه حتى تهلك [1022].

وفي وصف شرب أهل الجنة قال تعالى:

- {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً } (الإنسان/5)
- {عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً } (الإنسان/6)
- {عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ } (المطففين/28)
- {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ } (الرحمن/50)
- {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ } (الرحمن/66)
- {عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً } (الإنسان/18)
- {وَمَاء مَّسْكُوبٍ } (الواقعة/31)

ويمكن أن أقول في الشرب قريبا مما قلته في الأكل وذلك لتلازم كلمة اشربوا بعد كلمة كلوا في كل آيات القرآن الكريم، وذلك لما ذكرت سابقا في مبحث الأكل على لسان الدكتور جميل القدسي دويك، وأضع نصه أيضا هنا:

يقول الدكتور دويك لقد اكتشفت أن هناك قواعد ذهبية في القرآن الكريم، فقد ورد أمر كلوا واشربوا في القرآن الكريم عددا من المرات، وفي كل المرات هذه كان يرد أمر كلوا قبل اشربوا، وليس هناك في موضع واحد في القرآن الكريم يرد فيه أمر اشربوا قبل أمر كلوا حتى في قصة الرجل الذي أماته مائة عام ثم بعثه ذكر طعامه قبل شرابه **"فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه"** (البقرة/259) [1023]

ويقول رولان بارت في نظام الشراب ودوره في التواصل، أن لكل مجتمع نظام في الأشربة من حيث

[1022] - المصدر السابق، ص 173/14

[1023] - أسرار الغذاء في القرآن للدكتور جميل القدسي دويك، موقع العيساوية، تاريخ الإطلاع: 2012/06/25، www.esawiah.com

الخلط بينها أو عدمه أو توقيت شربها وشكلها وطعمها والأقداح أو الآنية التي تستخدم لأجلها [1024].

وكذلك ورد في القرآن الكريم نظام في الأشربة سأبينه في هذا المبحث إن شاء الله تعالى من خلال ما اكتشفه الدكتور جميل دويك حيث يقول: أن الأشربة في القرآن الكريم حالها حال الأطعمة تربطها علاقات فيما بينها بحيث لا يجوز أخذ بعضها قبل بعضها الآخر أو أن تخلط، ومن أمثلة ذلك اللبن والخل والعسل، فيقول[1025]:

فقد ورد معي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن انتباذ العسل واللبن، أي أن ينقعا ليلة كاملة مع بعضهما.

فقلت في نفسي لأرجع إلى القرآن الكريم وأرى هل جمع العسل واللبن معا ، فوجدت أنه تم ذكرهما في موضعين الأول في سورة النحل والثاني في سورة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وقد وجدت أنه في كلا الموضعين نجد أن الله تعالى يفصل بين اللبن والعسل بشيء يتخمر ولا يسكر ولا يذهب العقل فتأملوا معي ذلك في كلا الموضعين ، فأما في الموضع الأول وهو في سورة النحل

- وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِلشَّارِبِينَ (66) وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (67) وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ(68) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69) (سورة النحل)

[1024]- Roland Bat hes, Elements of Semiology, publ. Hill and Wang, New York-1968, p.p. 27-28

[1025]- أسرار الغذاء في القرآن للدكتور جميل القدسي دويك، موقع العيساوية، تاريخ الإطلاع: 2012/06/25، www.esawiah.com

ففي الآية رقم (66) يذكر الله تعالى اللبن، ثم في الآية (67) يذكر السكر ، وقد قال بعض العلماء في التفسير أن السكر هو الخمر مثل ابن كثير والطبري، أما القرطبي فقد قال في التفسير أن السكر هو الخل، وأنا ارجح هذا الرأي لأنه لا يمكن أن يعطف رب العالمين الرزق الخبيث وهو الخمر على الرزق الحسن، وما من شيء يتسكر فلا يذهب بالعقل ويبقى زرقا حسنا إلا الخل، وبعد ذلك في الآيتين (68)، (69) ذكر الله العسل . وهنا نجد أن الله تعالى قد فصل بين اللبن والعسل بشئ يتخمر ولا يسكر ألا وهو الخل , ولم يجمعهما معا إطلاقا وأبدا [1026].

وهكذا نجد في الموضع الثاني في سورة محمد نفس النظام السابق فتأملوا معي ذلك:

- **{مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ }** (محمد/15)

ففي الآية السابقة نجد أن الله تعالى قد ذكر اللبن أولا ، كما حدث في سورة النحل، ثم ذكر خمر الجنة، وهو خمر يتخمر ولا يسكر أبدا، فقد قال الله تعالى فيه سبحانه:

- **{يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ * بَيْضَاء لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ}** (الشعراء: **44-46**)، والغول في التفسير أنها لا تغتال عقولهم ولا هي تسكرها، ولا يصيبهما منها مرض ولا صداع ، ثم نرى الله بعد ذكر أنهار اللبن والخمر الذي لا يسكر قد ذكر أنهار العسل تماما بنفس الترتيب الذي ورد في سورة النحل [1027].

ومن نظام الشرب المحرم في القرآن الكريم قوله تعالى:

- **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }** (المائدة/90)

[1026]- المصدر السابق

[1027]- أسرار الغذاء في القرآن للدكتور جميل القدسي دويك، موقع العيساوية، تاريخ الإطلاع: 2012/06/25، www.esawiah.com

- {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ} (المائدة/91)
- {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا} البقرة219

وتكملة لهذا النظام الذي نتحدث عنه في مفهوم التواصل الذي بينته أعلاه، أن ذكر الله تعالى واصفا الكؤوس والأقداح وما شابه في آيات عدة ومواضع مختلفة في القرآن الكريم بقوله:

- {يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ } (الصافات/45)
- {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ } (الطور/23)
- {بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ } (الواقعة/18)
- {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً } (الإنسان/5)
- {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً } (الإنسان/17)
- {وَكَأْساً دِهَاقاً } (النبأ/34)
- {وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا } (الإنسان/15)
- {وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ } (الغاشية/14)

ومن نظام الشرب في التواصل أن قسم الله ذلك بين الناس فقال:

{وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاء قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ } (القمر/28)

- {قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ } (البقرة/60 – الأعراف/160)
- {وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ } (المؤمنون/33)
- {قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ } (الشعراء/155)

المبحث الثالث:

التجرع

(جرع) جَرِعَ الماءَ وجَرَعه يَجْرَعُه جَرْعاً واجْتَرَعَه وتَجَرَّعَه بَلِعَه وقيل إذا تابع الجَرْع مرة بعد أُخرى كالمتكارِه قيل تَجَرَّعَه قال الله عزَّ وجل يَتجرَّعُه ولا يَكادُ يُسِيغُه وفي حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما وقيل له في يوم حارٍّ تَجَرَّعْ فقال إنما يَتجرَّعُ أَهلُ النار قال ابن الأَثير التجرُّعُ شُرْبٌ في عَجَلةٍ وقيل هو الشرب قليلاً قليلاً أَشار به إلى قوله تعالى يتجرَّعُه ولا يَكاد يُسِيغُه والاسم الجُرْعة والجَرْعةُ وهي حُسْوة منه وقيل الجَرْعة المرة الواحدة والجُرْعة ما اجْتَرَعْته الأَخيرة للمُهْلة على ما أَراه سيبويه في هذا النحو والجُرْعةُ مِلءُ الفم يَبْتَلِعُه وجمع الجُرْعة جُرَعٌ وفي حديث المقدار ما به حاجةٌ إلى هذه الجُرْعة قال ابن الأَثير تروى بالفتح والضم فالفتح المرة الواحدة منه والضم الاسم من الشرب اليسير وجَرِعَ الغيظَ كظَمَه على المثل بذلك وجَرَّعه غُصَصَ الغَيْظِ فتجَرَّعه أَي كظَمَه [1028].

التجرع تناول المشروب جرعة جرعة على الاستمرار [1029].

ولقد ذكر الله التجرع وأصنافه في القرآن الكريم، وهو نوع من أنواع العذاب في جهنم، قال تعالى:

- **{مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ }** (**إبراهيم/16-17**) قال: "يُقَرَّبُ إليه فيتكرهه، فإذا أدنى منه شَوى وجهه، ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره. يقول الله تعالى: **{ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ } [محمد: 15]**، ويقول: **{ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ } (5) [الكهف: 29]**. [1030] ويقول القرطبي: (يتجرعه) أي يتحساه جرعا لا مرة واحدة لمرارته وحرارته [1031]. بل يغص به فيشربه بعد عناء ومشقة جرعة عقب جرعة [1032].

[1028]- لسان العرب، ص 46/8

[1029]- تفسير الرازي، ص 82/19

[1030]- تفسير ابن كثير، ص 485/4

[1031]- تفسير القرطبي، ص 351/9

[1032]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 537/7

- {وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً} (المزمل/13) يقال : الماء سواغ الغصص[1033]. يقول: وطعاما يَغَصّ به آكله، فلا هو نازل عن حلقه، ولا هو خارج منه[1034]

المبحث الرابع:
الذوق

(ذوق) الذَّوْقُ مصدر ذاقَ الشيءَ يذُوقه ذَوقاً وذَوَاقاً ومَذاقاً فالذَّواق والمذاق يكونان مصدرين ويكونان طَعْماً كما تقول ذَواقُه ومذاقُه طيّب والمذاق طَعْمُ الشيء والذَّواقُ هو المأْكول والمشروب وفي الحديث لم يكن يَذُمُّ ذَواقاً فَعال بمعنى مفعول من الذَّوْقِ وتَذَوَّقْته أَي ذُقْته شيئاً بعد شيء وأَمر مُستَذاقٌ أَي مُجَرَّبٌ معلوم والذَّوْقُ يكون فيما يُكره ويُحمد قال الله تعالى **فأَذاقَها اللهُ لِباسَ الجُوعِ والخَوْفِ** أَي ابْتَلاها بسُوء ما خُبِرت من عِقاب الجوع والخَوْف وفي الحديث كانوا إِذا خرجوا من عنده لا يَتفرَّقون إِلا عن ذَواق ضَرب الذواق مثلاً لما يَنالون عنده من الخير أَي لا يَتفرقون إِلا عن علم وأَدب يَتعلَّمونه يَقوم لأَنفسهم وأَرواحهم مَقام الطعام والشراب لأَجسامهم ... ابن الأَعرابي في قوله **فذوقُوا العذاب** قال الذَّوْق يكون بالفم وبغير الفم وقال أَبو حمزة يقال أَذاق فلان بعدك سَرْواً أَي صار سَرِيّاً وأَذاقَ بعدَك كَرَماً وأَذاق الفرَسُ بعدك عَدْواً أَي صار عَدّاء بعدك وقوله تعالى **فذاقَت وبالَ أَمرِها** أَي خبَرت وأَذاقَه اللهُ وبال أَمره .

وذاقَ الرجل عُسَيْلَةَ المرأَة إِذا أَوْلَجَ فيها إِذاقةً حتى خَبر طِيب جِماعها وذاقَت هي عُسَيْلَته كذلك لما خالَطها ورجل ذَوّاق مِطْلاق إِذا كان كثير النكاح كثير الطلاق ويومٌ ما ذُقْته طعاماً أَي ما ذقت فيه وذاقَ العذاب والمكروه ونحو ذلك وهو مثَل وفي التنزيل **ذُقْ إِنَّك أَنت العزيز الكريم** وفي حديث أُحُد أَن أَبا سفيان لما رأَى حمزة رضي الله عنه مقْتولاً قال له ذُقْ عُقَقُ أَي ذق طعْمَ مُخالَفَتِك لنا وتَرْكِكَ دِينَك الذي كنت عليه يا عاقُّ قومه جعل إِسلامَه عُقوقاً وهذا من المجاز أَن يستعمل الذَّوْق وهو ما يتعلّق بالأَجسام في المعاني كقوله تعالى **ذق إنك أنت العزيز الكريم** وقوله

[1033] - المصدر السابق، ص 126/10
[1034] - تفسير الطبري، ص 691/23

فذاقُوا وبالَ أَمرِهم وأَذَقْته إِياه وتَذواقَ القومُ الشيء كذاقُوه قال ابن مُقْبِل يَهْزُزْنَ للمَشْيِ أَوْصالاً مُنَعَّمةً هَزَّ الشَّمالِ ضُحىً عَيْدانَ يَبْرِينا أَو كاهْتِزازِ رُدَيْنِيٍّ تَذاوَقَه أَيدي التِّجارِ فَزادُوا مَتْنَه لِينا والمعروفُ تداوله ويقال ما ذُقت ذَواقاً أَي شيئاً وهو ما يُذاق من الطعام [1035]

وتمثل حاسة الذوق إلى جانب حاسة الشم عاملا هاما في تواصل الإنسان مع ما وله في بيئته ويتمثل التواصل الذوقي في ألوان الطعام النيئة والمطبوخة التي يأكلها الإنسان مع غيره، وتخضع عملية التذوق مثل الشم واللمس إلى تواضع الجماعة ويمثل الطعام من هذه الناحية نظاما من العلاقات التي تخضع لتواضع المجتمع واتفاقه ويتمثل ذلك في اختيار أنواع الطعام وطريقة الطهي [1036].

وترتبط حاسة الذوق ارتباطا وثيقا بحاستي الشم واللمس . فمن خلال الشم يتكون موقف أولي تجاه الأشياء مما يحفز إلى اختبارها وتذوقها أو ينفر منها. وإذ حفزت حاسة الشم على التذوق، فإن هذا الأخير يتم بملامسة الشيء المختبر بواسطة اللسان لتبين طعمه أو درجة حرارته أو بواسطة الملامسة لمعرفة ما إذا كان باردا أو حارا [1037].

ومن خلال سرد معنى الذوق لغويا الذي ذكرته آنفا سوف نتعرف إلى الاتصال عبر حاسة الذوق من خلال القرآن الكريم، لقد ورد ذكر حاسة الذوق بمدلوله الحقيقي في القرآن الكريم في قصة آدم عليه السلام وحواء عندما كانا يقيما في الجنة، بقوله تعالى:

{فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ } (الأعراف/22) فأكلا منها ، كما ورد مصرّحاً به في سورة البقرة ، فلمّا ذاقاها بدت لهما سوآتهما. والذّوق إدراك طعم المأكول أو المشروب باللّسان ، وهو يحصل عند ابتداء الأكل أو الشّرب ، ودلت هذه الآية على أن بُدُوّ سوآتهما حصل عند أوّل إدراك طعم الشّجرة ، دلالة على سرعة ترتّب الأمر المحذور عند أوّل المخالفة ، فزادت هذه الآية على آية البقرة [1038].

[1035]- لسان العرب، ص 10/111-112

[1036]- الإشارات الجسمية، ص 23

[1037]- التواصل اللفظي في القرآن الكريم، ص 529

[1038]- التحرير والتنوير، ص 48/8

وورد ذكر الذوق في القرآن الكريم بمعنى الإنعام من خلال ذكر الرحمة، وذلك يتمثل بالخيرات من حيث التذوق حقيقة كالأكل والشرب أو مجازا في كل أصناف النعم التي ينعم الله عز وجل بها على الناس كالمطر والمال والصحة... الخ، كقوله تعالى:

- {وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ } (الروم/33)
- {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا } (يونس/21)
- {وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ } (هود/9)
- {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ } (هود/10)
- {إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً } (الإسراء/75)
- {وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ } (الروم/36)
- {وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِن بَعْدِ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ } (فصلت/50)
- {وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ } (الشورى/48)
- {وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (الروم/46)

وكذلك ورد ذكر إذاقة الموت في أربعة مواضع في القرآن الكريم، حيث قال سبحانه وتعالى:

- {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ } (آل عمران/185)

- {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (الأنبياء/35)
- {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } (العنكبوت/57)
- {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ } (الدخان/56)
- وتشير بعض الآيات القرآنية إلى إذاقة العقاب لمن يكفرون بالله أو يعصونه في الحياة الدنيا :
- {وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } (الأنفال/35)
- {وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (النحل/94)
- {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ } (فصلت/16)
- {إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً } (الإسراء/75)
- {ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ } (الأنفال/14)
- {وَلاَ تَتَّخِذُواْ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ الْسُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } (النحل/94)
- {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ } (الأنفال/50)
- {أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ } (ص/8)
- {فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (الزمر/26)
- {وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ } (القمر/37)

كما ورد ذكر إذاقة العذاب يوم القيامة في كثير من الآيات القرآنية، حيث قال تعالى:

- {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ } (آل عمران/106)
- {لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ } (آل عمران/181)
- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً } (النساء/56)
- {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُواْ بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ العَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } (الأنعام/30)
- {وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ } (الأعراف/39)
- {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ } (التوبة/35)
- {ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ } (يونس/52)
- {كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } (الحج/22)
- {يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (العنكبوت/55)
- {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ } (السجدة/14)
- {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ } (السجدة/20)
- {فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعاً وَلَا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ } (سبأ/42)

- {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ } (فاطر/37)
- {أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ } (الزمر/24)
- {وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ } (الأحقاف/34)
- {ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ } (الذاريات/14)
- {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ } (القمر/48)
- {فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَاباً } (النبأ/30)

واقترن الذوق في القرآن الكريم "بوبال الأمر" ، يقول القرطبي: وحقيقة الذوق إنما هي في حاسة اللسان، وهي في هذا كله مستعارة. (...) والوبال سوء العاقبة [1039] . ونرى ذلك في قوله تعالى:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّداً فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْياً بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَاماً لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } (المائدة/95)
- {كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيباً ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (الحشر/15)
- {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (التغابن/5)
- {فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً } (الطلاق/9)
- كما ورد ذكر آيات أخرى من قبيل معنى وبال الأمر، كقوله تعالى:
- {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } (الروم/41)، يقول الألوسي ومعنى قوله تعالى : { لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ

[1039]- تفسير القرطبي، ص 317/6

الذى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } على الأول ظاهر وهو أن الله تعالى قد أفسد أسباب دنياهم ومحقها وبال بعض أعمالهم في الدنيا قبل أن يعاقبهم بجميعها في الآخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه[1040].

- {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ } (الأنعام/65)

- {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ } (الأنعام/65)، يقول الطبري في معنى هذه الآية: والعرب تقول للرجل ينال الرجل بسلام فيقتله به: "قد أذاق فلان فلانًا الموت"، و"أذاقه بأسه"، وأصل ذلك من: "ذوق الطعام" وهو يطعمه، ثم استعمل ذلك في كل ما وصل إلى الرجل من لذة وحلاوة، أو مرارة ومكروه وألم[1041].

[1040]- تفسير الألوسي، ص 48/21

[1041]- تفسير الطبري، ص 420/11

المبحث الخامس:

الشم

تمثل عملية الشم فعلا عضويا يقوم بتوصيل رسالة دلالية معينة يترجمها الجهاز العصبي للإنسان ويؤدي إلى سلوك استشاري يتمثل في الإقبال والإعراض، ونلاحظ أن المجتمع هو الذي يعطي الأفراد الانطباعات الشمية التي يقوم بتصنيفها إلى روائح كريهة وروائح ذكية . إن الإنسان يتواصل مع العالم ومع غيره من الأفراد بحاسة الشم فهو يشم روائح الطعام وألوانه المختلفة، لقد اخترع الإنسان أنواعا مختلفة من العطور التي تقوم بوظيفة اجتماعية في التواصل بين الأفراد، لاحظ على سبيل المثال الروائح الخاصة بالرجال والخاصة بالنساء، وكراهية الإسلام لاستعمال المرأة للعطر خارج منزلها، ولاحظ أيضا الدور الهام الذي تقوم به الرائحة أو العطر في الأديان [1042].

وتعتبر حاسة الشم من الحواس الخمس المختصة في التواصل والتأثير العاطفي. وتبلغ هذه الحاسة حدا من القوة عند كثير من الحيوانات وهي تخطرها باقتراب الفريسة أو تنذرها بوقوع الخطر، وتعوض النقص في قوة الإبصار عند بعضها، كما في حالة الفيل، كما تستخدمها الخفافيش في اكتشاف الأشجار المحملة بالثمار أثناء طيرانها فوق قمم هذه الأشجار.

وتختلف هذه الحاسة من كائن لآخر، فهي ضعيفة نسبيا عند الإنسان وقوية عند الحشرات –وقد تصبح هي الحاسة الرئيسة عند الحيوان كما في حالة الكلاب التي تبلغ عندها قوة حاسة الشم حوالي ثلاثمائة مرة قدر قوتها عند الإنسان [1043].

أما لدى الإنسان، فإن الروائح المختلفة تثير فيه بعض الانفعالات والشعور بالانتشاء والابتهاج، عند استنشاق الروائح الذكية، أو الشعور بالاشمئزاز والتقزز، عند استنشاق الروائح الكريهة. وقد أتضح من خلال تشريح الدماغ البشري أن المناطق المتعلقة بحاسة الشم سابقة في تطورها للمناطق المختصة بالحواس الأخرى [1044].

[1042]- الإشارات الجسمية، ص 23

[1043]- التواصل غير اللفظي في القرآن الكريم، محمد الأمين موسى، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة 2003، ص 519

[1044]- المصدر السابق، نفس الصفحة

على الرغم من قلة ذكر حاسة الشم في القرآن الكريم ووظيفته التواصلية، إلا أنها ذكرت في مواطن كثيرة في القرآن الكريم من خلال المادة التي تنتج الرائحة كالمسك والعنبر والكافور والريحان وغيره من الروائح الأخرى، وهذا سأبينه في مبحث الرائحة.

وأما ذكره تعالى لحاسة الشم في القرآن الكريم هو عندما أرسل سيدنا يوسف عليه السلام قميصه لأبيه يعقوب عليه السلام ليرتد بصيرا، بعد أن ذهب بصره بسبب حزنه وبكائه على ابنه يوسف عليه السلام، قال تعالى: {**اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ** } (يوسف/**93**)، يقول سيد قطب في هذا السياق: كيف عرف يوسف أن رائحته سترد على أبيه بصره الكليل؟ ذلك مما علمه الله . والمفاجأة تصنع في كثير من الحالات فعل الخارقة . . وما لها لا تكون خارقة ويوسف نبي رسول ويعقوب نبي رسول؟ [1045]

وأما ذكره تعالى لحالة الشم التي حصلت لسيدنا يعقوب عليه السلام :
{**وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ** } (يوسف/**94**)، يقول طنطاوي: أي : رائحته التي تدل عليه ، وتشير إلى قرب لقائي به . وقد أشم الله – تعالى – يعقوب – عليه السلام – ما عبق من القميص من رائحة يوسف من مسيرة أيام ، وهى معجزة ظاهرة له – عليه السلام – .
وقال الإمام مالك – رحمه الله – أوصل الله – ريح قميص يوسف ليعقوب ، كما أوصل عرش بلقيس إلى سليمان قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه [1046].

وفي هذا السياق تفصيل علمي أذكره هنا لإظهار الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .
وهو أن العلماء وجدوا أثاراً لعضو ضامر يسمى vomeronasal في أنف الإنسان كان في يوم ما يلتقط الإشارات الكيميائية البعيدة الصادرة عن أشخاص آخرين، ويقول العلماء إن هذا العضو الحساس يقع في الدماغ خلف فتحتي الأنف.

[1045]- في ظلال القرآن لسيد قطب، ص 2027/4
[1046]- تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 414/7

إن هذا العضو الضامر كان عبارة عن ثقبين صغيرين يلتقطان الإشارات الكيميائية التي يفرزها أشخاص آخرون ويحتوي على مجموعة من الأعصاب تستطيع تحليل هذه الإشارات والتعرف على صاحبها!

هذه الخلايا العصبية كانت فعالة منذ آلاف السنين ولكنها فقدت حساسيتها مع الزمن ولم يعد لها مفعول يُذكر، ولكن وكما نعلم هنالك كثير من الحيوانات تتخاطب بلغة الإشارات الكيميائية، مثل النمل مثلاً. ويؤكد العلماء أن هذا العضو كان مستخدماً بفعالية كبيرة لدى البشر في عصور سابقة [1047].

حتى إن العلماء اليوم يعتقدون بوجود إشارات كيميائية يتم تبادلها بين البشر ويحاولون دراسة هذه الإشارات وتأثيراتها واستكشافها، ويعتقدون بوجود مواد كيميائية تميز كل إنسان عن الآخر، بل وتميز الرجال عن النساء، حتى إن هذه المواد تؤثر على الجاذبية التي تمارسها المرأة على الرجل [1048].

كما يؤكد الباحثون أن الكثير من الثدييات مثل الفئران تتخاطب بالرموز الكيميائية (مثلاً تفرز أنثى الفأر مواد كيميائية يستطيع الذكر تحليلها والإسراع إلى التزاوج!). ويقول العلماء إن الإنسان يستطيع أن يميز عشرة آلاف نوع مختلف من أنواع الرائحة [1049].

واكتشفت الدكتورة ليندا باك Linda Buck أن أجهزة التحسس في أنف الإنسان تتلقى الروائح وتعاملها مثل الرسائل المؤلفة من أحرف ألفبائية ثم تحولها إلى الدماغ ليتعرف عليها، وبالتالي هناك إمكانية للتعرف على آلاف المواد الكيميائية [1050].

كيف يفهم الدماغ لغة الروائح

يقول علماء ثلاثة من جامعة هارفارد الأمريكية وهو Liman, Corey, and Dulac:

[1047]- illiam J. Cromie, Scientists Find Evidence for A Sixth Sense in Humans, Harvard university, May 20, 1999.

[1048]- Robert Taylor, Sniffing Out Human Sexual Chemistry, Journal of NIH Research, Volume 6, January 1994.

[1049]- Maya Pines, Sniffing Out Social and Sexual Signals, Howard Hughes Medical Institute.

[1050]- William J. Cromie, Researchers Sniff Out Secrets of Smell, Harvard university, April 08, 1999.

هنالك جزيئات تدعى TRP2 توضع على الخلايا العصبية وعندما تأتي المواد الكيميائية التي يطلقها إنسان آخر فإنها تندفع عبر الجزيئات TRP2 وتسبب تغيراً في توتر الخلية (الطاقة الكهربائية المختزنة في الخلية)، وبالتالي ترسل الخلية إشارات كهربائية إلى الدماغ يحللها الدماغ مثل رسالة بريد إلكتروني!

وهنالك مواد كيميائية يطلقها الإنسان وتؤثر على سلوك الآخرين، ويطلق اليوم العلماء مصطلح "ذاكرة الرائحة" للدلالة على وجود تقنيات في دماغ الإنسان تستطيع تذكر الروائح والتفاعل معها بل وتستطيع هذه الروائح إحداث تغييرات فيزيولوجية في الإنسان [1051].

وتؤكد الدكتورة Linda Buck من جامعة هارفارد أن الروائح تستطيع التأثير في سلوك البشر، وتستطيع الروائح تنشيط مناطق كثيرة في الدماغ فتجعل الإنسان يتذكر أشياء ارتبطت برائحة المادة التي يشمها، ويستطيع الإنسان تذكر أشياء مضى عليها عشرات السنين ويربطها بهذه الرائحة [1052].

الرؤيا والشم

يؤكد العلماء على وجود علاقة بين الروائح التي يشمها الإنسان وبين الكثير من مناطق الدماغ مثل التذكر والرؤيا وحتى تغير السلوك الإنساني. أي أن الرائحة التي يشمها الإنسان قد تؤثر في القسم الأمامي من الدماغ المسئول عن السلوك والقيادة واتخاذ القرارات. ولذلك من الممكن علمياً أن تتعطل منطقة ما من مناطق الدماغ بسبب معين، ثم تأتي رائحة تذكر ذلك الشخص بالسبب الذي أدى لحدوث هذا التعطل وبالتالي تنشيط هذا الجزء المعطل وإعادته لصورته الطبيعية [1053].

كيف تحدث القرآن عن هذه الحقائق؟

[1051]- illiam J. Cromie, Scientists Find Evidence for A Sixth Sense in Humans, Harvard university, May 20, 1999.

[1052]- William J. Cromie, Researchers Sniff Out Secrets of Smell, Harvard university, April 08, 1999.

[1053]- Biomedical Research Report, Howard Hughes, Medical Institue, 1995.

والآن نأتي إلى الآية الكريمة ونتأملها من جديد على ضوء هذه الاكتشافات، فقد أحضر إخوة يوسف قميص سيدنا يوسف وفيه رائحة سيدنا يوسف، هذه الرائحة انتقلت مع الريح لتصل إلى أنف سيدنا يعقوب قبل أن تصل القافلة.

وبما أن البشر كانوا يملكون قدرة كبيرة على تحليل الإشارات الكيميائية أو الروائح، فإن سيدنا يعقوب استطاع تذكر رائحة ابنه الذي مضى على غيابه عشرات السنين، بينما بقية أفراد العائلة لم يصدقوا ذلك، إذ أن الجميع يظن بأن يوسف قد أكله الذئب، ولذلك قالوا له: **(قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) [يوسف/95]**.

إذن ما جاء في القرآن موافق للمنطق العلمي وللمكتشفات الجديدة ولا يناقضها أبداً، وإذا تذكرنا بأنه قبل آلاف السنين لم يكن هنالك أي تلوث، فإن أي رائحة مميزة ستنتشر بشكل أفضل من انتشارها في عصرنا هذا بسبب التلوث الكبير للهواء. وإذا علمنا أيضاً أن العلماء يؤكدون قدرة الإنسان على تذكره الروائح لفترات طويلة من الزمن، وتذكرنا ما يقوله العلماء حول تأثير هذه الروائح على السلوك الإنساني، فيمكننا عندها أن نقتنع بقصة سيدنا يوسف وأن سيدنا يعقوب عليه السلام قد شمّ رائحة قميص ابنه وقد أعادت هذه الرائحة له البصر.

وإذا تأملنا قصة سيدنا يعقوب عليه السلام عندما ابيضَّت عيناه بسبب حزنه على ولديه يوسف وأخيه، نجد أن العمى حدث نتيجة صدمة نفسية، أي أن السبب نفسي وليس عضوي. وبكلمة أخرى لم يكن هنالك خلل في العين بل إن الخلل حدث في الدماغ في منطقة الرؤيا.
ورائحة قميص يوسف أو كما سمَّاها (ريح يوسف) قد أثَّرت ونشَّطت هذه المنطقة من الدماغ أي منطقة الرؤيا، وتذكَّر على الفور ابنه يوسف وتأكد أنه لا يزال حياً، وبالتالي فإن السبب الذي أدى إلى الخلل في الرؤيا قد انتفى، مما أدى إلى تصحيح الخلل في الرؤيا.
رأينا أيضاً كيف أن دماغ الإنسان يقرأ الروائح كما يقرأ الرسائل المكتوبة، أي أن سيدنا يعقوب كان ينتظر هذه الرسالة ليتعرف من خلالها أن ابنه لا زال حياً يُرزق، وبالتالي ستكون سبباً في رد بصره إليه. وهذا ما قاله يوسف لإخوته عندما أمرهم أن يأخذوا قميصه لأن فيه رائحة سيدنا يوسف التي سيتعرف عليها الأب مباشرة حتى قبل أن يصل القميص: **(اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) [يوسف/93]**.

ولذلك لم يقل سيدنا يعقوب: (إني لأشم ريح يوسف)، بل قال: (**إني لأجد ريح يوسف**)، لأن سيدنا يعقوب قد وجد فعلاً هذه الرائحة، وتعرّف عليها جيداً لأنه كان يبحث عنها طوال سنوات، وهذا يدل على الثقة الكبيرة لسيدنا يعقوب بهذه الرائحة، وأن يوسف لا يزال حياً [1054].

المبحث السادس:

الرائحة

لقد اخترع الإنسان أنواعا مختلفة من العطور التي تقوم بوظيفة اجتماعية في التواصل بين الأفراد، لاحظ على سبيل المثال الروائح الخاصة بالرجال والخاصة بالنساء، وكراهية الإسلام لاستعمال المرأة للعطر خارج منزلها، ولاحظ أيضا الدور الهام الذي تقوم به الرائحة أو العطر في الأديان [1055].
ويقول فريق من الباحثين الهولنديين: إن العطور عبارة عن منتج يستخدمه الرجل أو المرأة لإثبات شخصية كلا منهما . ويعتبر علماء النفس الأخصائيين أن الروائح والعطور تؤثر بطريقة مباشرة على اللاوعي بالروابط الاجتماعية والرغبات أكثر من تأثير الصور والأصوات . والعطور تحمل رسالة تواصلية تعبر فيها عن شخصية المرء، وتأثيرها أقوى من الكلمات أو الصور وبجزء كبير على النطاق المعرفي. إن المستخدم للعطور يختار نوعية عطره كأن يكون عطرا ذو طابع عدواني أو رصين أو يثير الشهوة الجنسية أو أن يعبر عن الثقة .. وذلك ليعبر عن جزء من شخصيته . إن استخدامك للعطور ربما يكون بقصد لا شعوري إلا أنه قد يكون رسالة مباشرة تعبر عن شخصيتك عند شخص آخر يتلقاها بوعي دون أن يشك في معناها [1056].

ويقول البروفيسور الهولندي أ.أ. كابيتاين: (...) ويمكن للتواصل أن يتم من خلال حواسنا الأخرى، مثل الروائح (العطور) أو عن طريق اللمس (التمسيد) [1057].

1054- عبد الدائم الكحيل، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – ذاكرة الروائح، موقع كحيل: www.kaheel7.com

1055- الإشارات الجسمية، ص 23

1056- Marc de Laet, Paul Offermans, Pol Toye: Marketingonderzoek, Uitgeverij De Boeck nv, Antwerpen-2004, 7de druk, p. 299

1057- Prof.dr. A.A. Kaptein, dr. R.A.M. Erdman, dr. J.B. Prins, Prof. Dr. H.B.M. van de Wiel: Medische Psychologie, Bohn Satfleu van Loghum, Houten 2006, p.165

وفي هذا السياق يقول الدكتور الأمين: إن الروائح المختلفة تثير لدى الإنسان بعض الانفعالات والشعور بالانتشاء والابتهاج، عند استنشاق الروائح الذكية أو الشعور بالاشمئزاز والتقزز، عند استنشاق الروائح الكريهة [1058].

وتضمن القرآن الكريم ذكر بعض أصناف الطعم التي تشتهر برائحتها النفاذة والتي تؤثر في التواصل بين الناس عند تناولها، لأن رائحتها غير المستحبة، تفوح من الفم عند التحدث ومن بين تلك الأطعمة، الثوم والبصل [1059]. قال تعالى:

{وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا... } (البقرة/61)

كما أن الطعام الفاسد تفوح منه الروائح الكريهة نتيجة للتعفنات من جراء إصابته بالبكتيريا [1060]. ومثال ذلك قوله تعالى:

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

(**البقرة/259**)، "لم يتسنه"، يقول: لم يتغير فيحمُض التين والعنب، ولم يختمر العصير، هما حُلوان كما هما [1061].

وأن الطعام الشهي يكشف عن نفسه من خلال المواد والتوابل المستخدمة فيه بروائحها النفاذة التي يختبرها الأنف [1062]. وفي ذلك قال تعالى:

- **{فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً }** (**الكهف/19**)

[1058]- التواصل غير اللفظي في القرآن الكريم، ص 520
[1059]- المصدر السابق، ص 526
[1060]- المصدر السابق، ص 528
[1061]- تفسير الطبري، ص 465/5
[1062]- المصدر السابق، ص 528

- ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴾ (البقرة/57 ، الأعراف/160 ، طه/80) اختلف في المن ما هو وتعيينه على أقوال فقيل صمغة حلوة وقيل عسل: وقيل شراب حلو[1063]. وأما السلوى: طائر يشبه السماني، أو هو السماني نفسه، أو طيور حمر (...) وقيل : كانت تنزل على الشجر فينطبخ نصفها وينشوي نصفها[1064].

وذكر الله في كتابه العزيز، من بين سمات النعيم والاستمتاع في الجنة، التمتع بالروائح الذكية التي تسعد مستنشقها، وقد ورد بعض المأكولات التي تشتهر بروائحها الزكية إضافة إلى طعمها اللذيذ، كالعسل والثمار . وورد ذكر الريحان وهو شجر لورقه وقضبانه رائحة ذكية شديد الخضرة كانت الأمم تزين به مجالس الشراب . والكافور وهو زيت يستخرج من شجرة تشبه الدفلى تنبت في بلاد الصين وجاوة يتكون فيها إذا طالت مدتها نحوا من مائتي سنة فيغلى حطبها ويستخرج منه زيت يسمى الكافور. وهو ثخن قد يتصلب فيصير كالزبد وإذا يقع حطب شجرة الكافور في الماء صارا نبيذا يتخمر فيصير مسكرا . والكافور أبيض اللون ذكي الرائحة منعش . ويعد الكافور من أنفس أنواع الطيب عند العرب وهو أحد الروائح الأولية السبع التي تتشكل منها جميع أنواع الروائح (رائحة الكافور – رائحة المسك – رائحة الزهور –رائحة النعناع – رائحة الاتير– رائحة نفاذة – رائحة عفنة) وهناك الزنجبيل والرحيق والمسك –كلها تمتاز بطيب رائحتها[1065]. قال تعالى:

- ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ (الواقعة/89)
- ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴾ (الرحمن/12)
- ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (المطففين/25–26)
- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾ (محمد/15)

[1063]- تفسير القرطبي، ص 406/1
[1064]- البحر المحيط ص 203/1
[1065]- التواصل غير اللفظي في القرآن الكريم ، ص 522

- {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً } (الإنسان/5)
- {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً } (الإنسان/17)

أما أصحاب النار فتنتظرهم كل الروائح الكريهة التي مصدرها وقود النار وأجسادهم التي تشوى وتحترق فتفوح منها رائحة الجلد والصديد والحميم . أي أن حاسة الشم ستكون قناة مهمة لإدراك العذاب الني ينتظر أصحاب النار[1066]. قال تعالى:

- {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً } (النساء/56)
- {سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ } (إبراهيم/50)
- {نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى } (المعارج/16) عن الحسن قال: للهام تحرق كلّ شيء منه، ويبقى فؤاده نضيجا[1067].
- {يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ } (الكهف/29)
- {وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ } (الواقعة/94) يقول: وحريق النار يحرق بها؛ والتصلية: التفعلة من صلاة الله النار فهو يصليه تصلية، وذلك إذا أحرقه بها[1068].

[1066]- المصدر السابق، ص 523
[1067]- تفسير الطبري، ص 609/23
[1068]- المصدر السابق، ص 163/23

الفصل السادس:

القناة السمعية

خلق الله أذن الثدييات على هيئة تراكيب متخصصة جدا حتى تستطيع تجميع وتكبير الموجات الصوتية قبل نقلها إلى المخ. وتلك الآذان كلها لها تركيب متشابه [1069].

ولكي تتفاعل الأذن مع الأصوات الخارجية، يجب أن تعمل كل أجزائها دون استثناء في وقت متزامن: القناة السمعية الخارجية، غشاء الطبل، عظيمات الأذن الوسطى وهي المطرقة والسندان وعظم الركاب، السائل الذي يملأ قوقعة الأذن، المستقبلات السمعية مثل الخلايا الشعرية والأهداب التي تساعد هذه الخلايا على تحسس الأصوات. شبكة الأعصاب المتصلة مع المركز السمعي في الدماغ [1070].

وتتم حاسة التقاط الصوت عن طريق الأذن. "فالأذنان هما العضوان اللذان بهما يتمكن الإنسان من استقبال الإحساس بالأصوات التي تصدر في بيئته، وهما بالإضافة إلى ذلك عضوا التوازن في الجسم، فبمساعدتهما يتمكن الجسم من التعرف على وضعه واختلال اتزانه، فيعمل على تصحيح الوضع وإعادة الاتزان [1071].

ويقول مور كيث: أن الجهاز السمعي والجهاز البصري لدى الإنسان تنشأ بدايتهما في ذات الوقت وذلك في الأسبوع الثالث بعد حضانة الخلايا الأولى للجنين في بطن الرحم، إلا أن جهاز السمع يصبح فاعلاً وظيفيًّا أثناء فترة الحمل. وتبدأ مُقلتا العين في التحرك فقط مع بداية الأسبوع الثاني عشر بينما تفتقد حركات العين إلى الإدراك، في حين أن الأذن قادرة على ممارسة وظيفتها السمعية طول أثناء مرحلة الحمل رغم امتلائها بالسوائل التي تجعلها صماء جزئيًّا. وهذا الصمم

[1069]- سالي وأدويان مورجان، استخدام الصوت، مكتبة العبيكان، الرياض – 1994، ص 12

[1070]- هارون يحيى، التصميم في الطبيعة، ترجمة أورخان محمد علي، دار النشر أراستيرما، استانبول 2003، ص 10

[1071]- د. سعد كمال طه، مبادئ الفسيولوجي - علم وظائف الأعضاء، ص 222

الجزئي يقوم في واقع الأمر بحماية الجنين من التعرض للإزعاج من الأصوات الخارجية غير أن هذه الحماية لا تشمل الأصوات العالية بجوار بطن الأم [1072].

لقد ورد ذكر السمع والبصر في القرآن معا ثمانية وثلاثين مرة بذات التتابع. ووردت كلمة السمع ومشتقاتها مائة وخمسا وثمانين مرة بينما ذكرت كلمة البصر ومشتقاتها مائة وثمانية وأربعين مرة. واستخدمت كلمة السمع في القرآن لسماع الأصوات والكلام ولإدراك المعلومات المنقولة عن طريق هذه الأصوات والكلمات.

ومن خلال هذا السياق في تقديم السمع على البصر نجد أن الإعجاز العلمي في القرآن الكريم يتضح لنا جليا من خلال الاكتشاف العلمي التالي:
يقول جويتون: وتقع منطقة التفسير اللغوي داخل قشرة الدماغ بجوار منطقة السمع وهي الأكثر ارتباطاً بها من منطقة البصر، وهذا التقارب في المواقع يساعد منطقة التفسير اللغوي على النمو وعلى اكتمال وظائفها قبل زمن طويل من نظيرها البصري، وهذا ما يفسر السبب الذي يتيح للأطفال اكتساب اللغة المنطوقة وفهمها قبل فهمهم للأشياء المرئية [1073].

المبحث الأول:

السمع

قال تعالى : **{وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ }** (السجدة/9 ، الملك/23)، يقول الرازي: أن العلوم الكسبية إنما يمكن اكتسابها بواسطة العلوم البديهية ، وحدوث هذه العلوم البديهية إنما كان عند حدوث تصور موضوعاتها وتصور محمولاتها . وحدوث هذه التصورات إنما كان بسبب إعانة هذه الحواس على جزيئاتها ، فظهر أن السبب الأول لحدوث هذه المعارف في النفوس والعقول هو أنه تعالى أعطى هذه الحواس . فلهذا السبب قال تعالى : **{ والله أخرجكم**

[1072]- Moore, Keith L. The Developing Human. W.B. Saunders Company 1988, 4th ed. P. 346
[1073]- Guyton, AC. Textbook of Medical Physiology. Philadelphia. Saunders - 1981. P. 688

من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة } ليصير حصول هذه الحواس سبباً لانتقال نفوسكم من الجهل إلى العلم بالطريق الذي ذكرناه ، وهذه أبحاث شريفة عقلية محضة مدرجة في هذه الآيات [1074].

وكان يقال: الناس ثلاثة: فسامع عامل، وسامع غافل، وسامع تارك [1075].

وكيفية السمع تتم بأن:

"ينتقل الصوت على هيئة موجات صوتية خلال الهواء إلى الأذن، حيث يقوم صوان الأذن بتجميع هذه الموجات الصوتية، وتركيزها خلال القناة السمعية إلى غشاء الطبلة، فيهتز غشاء الطبلة اهتزازات مماثلة للموجات الصوتية، ثم تنتقل هذه الاهتزازات بواسطة عظيمات الأذن الوسطى إلى الكرة البيضية، فيهتز الغشاء الذي يمتد فوقها، فيحدث في اللمف الخارجي اهتزازات مماثلة تسري من الدهليز إلى القوقعة، حيث تؤدي بدورها إلى اهتزاز اللمف الداخلي، عندئذ تتأثر الخلايا الحية بهذه الاهتزازات، فيتولد بها إشارات عصبية حسية تنتقل بواسطة الألياف العصبية المكونة للعصب المخي الأول (العصب السمعي) إلى مراكز السمع في المخ لإدراك الصوت الأصلي وتميزه" [1076].

وأن الله عز وجل هو خالق لهذه الحاسة المعقدة ووهبها أو سالبها، يقول هاورن يحي: وبما أن هذه البنية المعقدة التي لا يمكن تجزئتها تدحض نظرية التطور، فقد كان داروين قلقا من هذه الدلائل الظاهرة، فكتب في كتابه "أصل الأنواع" : " إذا تمت البرهنة على وجود أي عضو معقد تشكل غير تعديلات ضخمة ومتتالية، فإن نظريتي ستنسف من أساسها".

لم يكن باستطاعة داروين أو لم يكن يريد أن يجد مثل هذا العضو المعقد مع إمكانيات القرن التاسع عشر العلمية البسيطة. إلا أن البحث العلمي الدقيق الذي تميز به القرن العشرون، والذي تناول أدق التفاصير، برهن على أن غالبية الأنظمة الحيوية هي بنية معقدة لا يمكن تجزئتها، وهكذا " نسفت نظرية داروين من أساسها" كما كان يخشى [1077]. ومن ذلك قوله تعالى:

[1074]- تفسير الرازي، ص 73/20

[1075]- تفسير الطبري، ص 169/22

[1076]- مبادئ الفسيولوجي، ص 222-223

[1077]- هاورن يحيى، ص 10

- { قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلا مَا تَشْكُرُونَ } (الملك/23)
- {وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } (المؤمنون/78)
- {أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ } (يونس/31) أي: الذي وهبكم هذه القوة السامعة، والقوة الباصرة، ولو شاء لذهب بها ولسلبكم إياها [1078].
- {وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (البقرة/20)
- {إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ } (فاطر/22)
- { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ } (الأنعام/46)
- {وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (النحل/78)
- {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ } (السجدة/9)
- {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً } (الأحقاف/26)

فالسمع: سمع الإنسان، يكون واحدا وجمعا كقوله تعالى: {خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ } (البقرة/7) [1079]

ومن ذلك قوله تعالى:

- {وَلَوْ شَاء اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (البقرة/20)

[1078]- تفسير ابن كثير، ص 266/4

[1079]- الصحاح في اللغة، ص 366/4

- {وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم} (الأحقاف/26)
- {حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (فصلت/20)
- {يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ } (ق/42)
- {وَإِذَا سَمِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ... } (المائدة/83)
- {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ } (الأنبياء/60)
- {مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ } (المؤمنون/24 – القصص/36)
- {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ } (ص/7)
- {فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ...} (يوسف/31)
- {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً } (الإسراء/36)

وكذلك السمع هو: حاسة التقاط الصوت عفويا بدون قصد المستمع (مثل سماعك صوت موسيقى تنبعث من السيارة بقربك) [1080] ومن ذلك قوله تعالى: **{وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ } (القصص/55)**

وقد تضمن القرآن الكريم كثير من الآيات التي تتكلم عن سماع تفهم وتدبر واتعاظ أو اعتبار، قال القرطبي في قوله تعالى: (**إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون**) يريد سماع تفهم وتدبر. وقيل: يسمعون الحق فيتبعونه. وقيل: يسمعون الوعظ فيخافونه. وقيل: يسمعون القرآن فيصدقونه، والمعنى متقارب [1081]. ومن مثال ذلك قوله تعالى:

[1080]- جريدة الرياض، مقال بعنوان: حول العالم ثم أغلق عينيك حتى تراني، 6 جمادى الآخرة 1428 هـ - 21 يونيو 2007م، العدد 14241

[1081]- تفسير القرطبي، ص 18/14

- {وَلَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَّأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ } (الأنفال/23) سماع تفهم وتدبر، أي : لجعلهم سامعين للحق ، ومستجيبين له ، ولكنه – سبحانه – لم يعلم فيهم شيئا من ذلك ، فحجب خيره عنهم بسبب سوء استعدادهم[1082].

ويقول ابن القيم الجوزية رحمه الله: وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ. فإن ذلك حاصل لهم، وبه قامت الحجة عليهم. لكن ذاك إسماع الآذان، وهذا إسماع القلوب. فإن الكلام له لفظ ومعنى، وله نسبة إلى الأذن والقلب وتعلق بهما. فسماع لفظه حظ الأذن، وسماع حقيقة معناه ومقصوده حظ القلب. فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذي هو حظ القلب، وأثبت لهم سماع الألفاظ الذي هو حظ الأذن في قوله: {مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مَّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ } (الأنبياء/2)

وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه، أو تمكنه منها. وأما مقصود السماع وثمرته، والمطلوب منه: فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه، بل يخرج السامع قائلا للحاضر معه : {مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ } (محمد/16)

والفرق بين هذه المرتبة ومرتبة الإفهام: أن هذه المرتبة إنما تحصل بواسطة الأذن، ومرتبة الإفهام أعم. فهي أخص من مرتبة الفهم من هذا الوجه. ومرتبة الفهم أخص من وجه آخر. وهي أنها تتعلق بالمعنى المراد ولوازمه ومتعلقاته وإشاراته .

ومرتبة السماع مدارها على إيصال المقصود بالخطاب إلى القلب ويترتب على هذا السماع سماع القبول .

فهو إذن ثلاث مراتب: سماع الأذن، وسماع القلب، وسماع القبول والإجابة[1083]. – انتهى قول ابن القيم –

- {إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ } (الأنعام/36)

[1082]- تفسير الوسيط لطنطاوي، ص 71/6

[1083]- الضوء المنير على التفسير، ص 69/1

- {أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (النحل/108)
- {أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } (الأعراف/100)
- {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } (الأعراف/179)
- {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } (الأنفال/21)
- {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } (يونس/67)، أي سماع تدبر واتعاظ (تفسير الجلالين)
- {وَاللّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } (النحل/65)
- {أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً } (الفرقان/44)
- {وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ } (الروم/23)
- {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ } (السجدة/26)
- {بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } (فصلت/4) سماع قبول (تفسير الجلالين).

وتضمن القرآن أيضا نفي السمع وعدمه أو رفض الاستماع، ويعتبر ذلك من رفض التواصل ومعوقاته، وفي ذلك قال تعالى:

- {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ } (فصلت/26) يقول: قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين: لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن إذا قرأه، ولا تصغوا له، ولا تبعوا ما فيه فتعملوا به[1084].

- {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ } (البقرة/171)
- {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } (الأعراف/100)
- {وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا } (الأعراف/179)
- {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ } (الأعراف/198)
- {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } (الأنفال/21)
- {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُواْ لاَ يَعْقِلُونَ } (يونس/42)
- {أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ } (هود/20)
- {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاء عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً } (الكهف/101)
- {قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاء إِذَا مَا يُنذَرُونَ } (الأنبياء/45)
- {إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ } (النمل/80)

[1084] - تفسير الطبري، ص 460/21

- {وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ } (النمل/81)
- {فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاء إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ } (الروم/52)
- {وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ } (الروم/53)
- {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً ..} (لقمان/7)
- {إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ..} (فاطر/14)
- {بَشِيراً وَنَذِيراً فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ } (فصلت/4)
- {أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (الزخرف/40)، وفي هذه الآية وفيما سبق من آيات يقول أبو حيان: أي هم ، وإن استمعوا إليك صم عن إدراك ما تلقيه إليهم ليس لهم وعي ولا قبول ، ولا سيما قد نضاف إلى الصمم انتفاء العقل ، فحري بمن عدم السمع والعقل أن لا يكون له إدراك لشيء البتة، بخلاف أنْ لو كان الأصم عاقلاً فإنه بعقله يهتدي إلى أشياء [1085].

وورد ذكر السمع في القرآن الكريم "الطاعة" ويقابلها "العصيان" يقول الطبري: وأما قوله:(واسمعوا)، فإن معناه: واسمعوا ما أمرتكم به وتقبلوه بالطاعة، كقول الرجل للرجل يأمره بالأمر:"سمعت وأطعت"، يعني بذلك: سمعت قولك، وأطعت أمرك [1086]، ومن ذلك كله قوله تعالى:

- {خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا } (البقرة/93)

[1085]- البحر المحيط ص 145/5

[1086]- تفسير الطبري، ص 356/2

- {مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ } (النساء/46)
- {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاء لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ } (الأنفال/31) قال القرطبي: قالوه على وجه العناد والإيهام على الناس أنهم على بصيرة [1087].
- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } (البقرة/104)
- {وَاتَّقُوا اللّهَ وَاسْمَعُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (المائدة/108)
- {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ } (التغابن/16)
- {وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ } (البقرة/285)
- {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا } (آل عمران/193)
- {وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُم بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا } (المائدة/7)
- {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (النور/51)
- {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ } (السجدة/12)
- {وَاتَّقُوا اللّهَ وَاسْمَعُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } (المائدة/108)

وفي سماع الأشياء روح وأنس، فمنع الله الكفار ذلك في النار، وقيل: لا يسمعون ما يسرهم، بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية. [1088]. وكل ذلك من أنواع العذاب في حق أهل النار، فقال تعالى:

[1087]- تفسير القرطبي، ص 398/7

[1088]- تفسير القرطبي، ص 345/11

- {لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ } (الأنبياء/100)
- {إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ } (الشعراء/212)

أما عند دخولهم النار فيسمعون صوت التهاب جهنم وذلك قبل أن يصم على أذانهم، فيكون بذلك العذاب عند دخولها بأن يسمعوا صوتها يقول ابن عاشور: أي من جملة مذام مصيرهم مذمة ما يسمعونه فيها من أصوات مؤلمة مخيفة [1089]. وكذلك بعد دخولهم النار بأن يصم على أذانهم فلا يسمعون، وفي هذا يقول ابن عاشور: و { إذا } ظرف متعلق ب { سمعوا } يدل على الاقتران بين زمن الإلقاء وزمن سماع الشهيق [1090]. وفي ذلك يقول تعالى:

- {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِيَ تَفُورُ } (الملك/7)
- {إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً } (الفرقان/12)

وأما أهل الجنة فلا يسمعون ما يعكر مزاجهم أو يزعجهم في الجنة، يقول الشوكاني: أن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤلمهم وإنما يسمعون ما يسلمهم [1091]، وفي ذلك قال تعالى:

- {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلَّا سَلَاماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً } (مريم/62)
- {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً } (الواقعة/25)
- {لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً } (النبأ/35)
- {لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً } (الغاشية/11)
- {لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ } (الأنبياء/102) أي حس النار وحركة لهبها [1092].

ومن مواقف يوم القيامة، ما وورد في السمع، مثل قوله تعالى:

[1089]- التحرير والتنوير، ص 23/29
[1090]- المصدر السابق، نفس الصفحة
[1091]- فتح القدير للشوكاني، ص 340/3
[1092]- تفسير القرطبي، ص 345/11

- {حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } (فصلت/20)
- {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً } (طه/108)
- {وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ } (فصلت/22)
- {وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ } (ق41

وقد تضمن القرآن أيضا آيات استنكار، "للذين يعبدون الأصنام، فيقول جل ثناؤه: فإن كانت آلهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات (الأرجل والأيدي والأعين والآذان) التي ذكرتُها، والمعظَّم من الأشياء إنما يعظَّم لما يرجى منه من المنافع التي توصل إليه بعض هذه المعاني عندكم، فما وجه عبادتكم أصنامكم التي تعبدونها، وهي خالية من كل هذه الأشياء التي بها يوصل إلى اجتلاب النفع ودفع الضر؟"[1093]

- {أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُواْ شُرَكَاءكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلاَ تُنظِرُونِ } (الأعراف/195)
- {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ } (الشعراء/72)
- {وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُواْ وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ } (الأعراف/198)
- {إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } (فاطر/14)
- {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً } (مريم/42)

[1093]- تفسير الطبري، ص 322/13

- {قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ } (الشعراء/72)

وورد السمع في القرآن للتوجيه بفعل الشيء أو تركه :

- {أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} (النساء/140)
- {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ } (النور/12)
- {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ } (النور/16)
- {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيراً وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ } (آل عمران/186)
- {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ } (التوبة/6)
- {فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (البقرة/181)

المبحث الثاني:

الاستماع

واستمعت كذا، أي أصغيت، وتسمعت إليه. فإذا أدغمت قلت اسمعت إليه. وقرئ: **{ لا يسمعون إلى الملا الأعلى }**. يقال: تسمعت إليه، وسمعت إليه، وسمعت له، كله بمعنى، لأنه تعالى قال: **{ لا تسمعوا لهذا القرآن }**، وقرئ: **{ لا يسمعون إلى الملا الأعلى }** مخففا. وتسامع به الناس [1094].

روي عن وهب بن منبه أنه قال: من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه، ولا يشغلها [1095].

وقال سفيان بن عيينة: أول العلم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل ثم النشر، فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنية صادقة على ما يحب الله أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نورا [1096].

ويقول الدكتور كريم حسام الدين: آذن له وإليه أي: استمع وأنصت، ومن ذلك قوله تعالى :

- **{وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ } (الانشقاق/2)** [1097]
- **{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ } (الأحقاف/29)**
- **{قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً } (الجن/1)**
- **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ ...} (الأعراف/204)**
- **{قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ } (الأحقاف/30)**

[1094]- الصحاح في اللغة، ص 367/4

[1095]- تفسير القرطبي، ص 176/11

[1096]- تفسير القرطبي، ص 176/11

[1097]- الإشارات الجمسية، ص 185

- {وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ } (الجن/13)

والاستماع: فعل يقصد منه استراق السمع وتمييزه جيدا (كأن تفتح نافذة سيارتك كي تستمع للموسيقى السابقة) ، وفي حال أعجبك الصوت ستدخل مرحلة "الإصغاء" حيث التركيز وتفاعل القلب والمشاعر ..[1098] و إلا فسيكون استماع دون تركيز أو تفاعل أو وعي لما يسمع، وهذا ما سأبينه في تفسير الآيات، ومن ذلك قوله تعالى:

- {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً } (الجن/9) "شهابا" جمع شهب، وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق السمع[1099].
- {إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ } (الحجر/18)
- {لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ } (الصافات/8)
- {يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ } (الشعراء/223) أي ينصتون ويصغون بأسماعهم، ليسترقوا شيئاً مما يتكلم به الملائكة[1100].

{وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً } (الأنعام/25) يقول: من يستمع القرآن منك، ويستمع ما تدعوه إليه من توحيد ربك، وأمره ونهيه، ولا يفقه ما تقول ولا يُوعِيه قلبَه، ولا يتدبره، ولا يصغي له سمعه، ليتفقهه فيفهم حجج الله عليه في تنزيله الذي أنزله عليك، إنما يسمع صوتك وقراءتك وكلامك، ولا يعقل عنك ما تقول[1101].

يقول الله تعالى :

- {وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ } (يونس/42)

[1098]- مقال: حول العالم، مصدر سابق

[1099]- تفسير القرطبي، ص 11/19

[1100]- البحر المحيط ص 28/7

[1101]- تفسير الطبري، ص 305/11

- **{نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى }**
(الإسراء/47)
- **{وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ }** **(محمد/16)** يقول تعالى ذكره: يا محمد(مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) وهو المنافِق، فيستمع ما تقول فلا يعيه ولا يفهمه، تهاونا منه بما تتلو عليه من كتاب ربك، تغافلا عما تقوله، وتدعو إليه من الإيمان [1102]
- **{أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ }**

(الطور/38) أي : بل أيقولون : إن لهم سلماً منصوباً إلى السماء يصعدون به ، ويستمعون فيه كلام الملائكة ، وما يوحى إليهم ، ويصلون به إلى علم الغيب ، كما يصل إليه محمد صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي [1103].

[1102]- تفسير الطبري، ص 169/22

[1103]- فتح القدير للشوكاني، ص 101/5

المبحث الثالث:

الإصغاء

صغا يصغو ويصغى صغوا، أي مال. أصغيت إلى فلان، إذا ملت بسمعك نحوه [1104].

يقول الطبري: وهو من"صغَوْت تَصْغَى وتصغُو"= والتنزيل جاء ب "تصغَى" ="صَغْوًا، وصُغُوًّا"، وبعض العرب يقول:"صغيت"، بالياء، حكي عن بعض بني أسد:"صَغيت إلى حديثه، فأنا أصغَى صُغِيًّا" بالياء، وذلك إذا ملت. يقال:"صَغْوِي معك"، إذا كان هواك معه وميلك، مثل قولهم:"ضِلَعِي معك". ويقال:"أصغيت الإناء" إذا أملته ليجتمع ما فيه [1105].

ويقول علي درويش: الإصغاء هو الميل بالسمع نحو المتكلم والاستماع إليه . وينطوي الإصغاء على السمع والإدراك [1106].

وأما ريكس ب. غاتو فيقول: نحن في العادة نستمع، ولكن هل نصغي؟ إن التواصل لا يتضمن طرح معلومات فحسب، بل يتضمن أيضا أخذ المعلومات. لذا فإن الإصغاء مهارة مهمة يمكن أن يشذب لتحسين تواصلك مع الآخرين [1107].

فالإصغاء: الاستماع مع التركيز وتفاعل القلب والمشاعر .. [1108] فيشتغل قلبه عما يسمع، ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى، ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشيء سوى ما يستمع إليه، ويعزم على أن يفهم فيعمل بما يفهم [1109].

ولقد ورد ذكر الإصغاء في القرآن الكريم بأحد مشتقات الفعل صغى أو السمع مع الإدراك كما ورد في التعريف، قال تعالى:

[1104]- الصحاح في اللغة، ص 251/7

[1105]- تفسير الطبري، ص 58/12

[1106]- علي درويش، ص 55

[1107]- دليل المدير الذكي: لأكثر التساؤلات ورودا، تعريب: د. هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، الرياض – 2004 ، ص 61

[1108]- مقال: حول العالم، مصدر سابق

[1109]- تفسير القرطبي، ص 176/11

- {إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا } (التحريم/4)
- {وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ } (الأنعام/113) إن قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة لتستمع الى ذلك الخداع والقول المموّه بالباطل [1110].
- {وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلَا رَهَقاً } (الجن/13)
- {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ } (الزمر/18)
- {تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ } (المنافقون/4) إذا سمعهم السامع يصغي إلى قولهم لبلاغتهم[1111]
- {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى } (طه/13) يقول: فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه، واعمل به[1112].

المبحث الرابع:

الإنصات

[نصت] الإنصات: السكوت والاستماع للحديث: تقول: أنصتوه وأنصتوا له [1113].

ويعرف علي درويش الإنصات، فيقول: هو السكوت والاستماع . وهو التيقظ والانتباه للكلام والوقوف على معانية ومقاصده[1114]

ويقول القرطبي: والإنصات: السكوت للاستماع والإصغاء والمراعاة [1115].

فشرط للإصغاء الجيد يتطلب إلغاء الضوضاء وإسكات بقية الأصوات (كأن تطلب من الأطفال السكوت حتى تستمع بشكل أفضل) [1116]

[1110]- تفسير القطان، ص 499/1
[1111]- تفسير ابن كثير، ص 126/8
[1112]- تفسير الطبري، ص 283/18
[1113]- الصحاح في اللغة، ص 290/2
[1114]- علي درويش، ص 56
[1115]- تفسير القرطبي، ص 354/7
[1116]- مقال: حول العالم، مصدر سابق

- {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } (الأعراف/204)
- {فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ } (الأحقاف/29)
- {يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ } (الحج/73) أي: أنصتوا وتفهموا [1117].
- {يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ } (الشعراء/223) أي ينصتون ويصغون بأسماعهم [1118].

وفي تأويل قوله تعالى:

- {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ } (البقرة/210) أن الله تعالى يوم القيامة "يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس، إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا، أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إلي، فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه [1119].
- {وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ } (طه/114) أي: بل أنصت، فإذا فرغ الملك من قراءته عليك فاقرأه بعده [1120].

[1117]- تفسير ابن كثير، ص 453/5
[1118]- البحر المحيط، ص 28/7
[1119]- تفسير ابن كثير، ص 285/3
[1120]- تفسير ابن كثير، ص 319/5

الفصل السابع:
القناة الباطنية غير الفيزيائية

وهي ما يسمى بالعقل الباطن، يقول محمد فريد وجدي: لقد ثبت أخيرا وصار في عداد المعارف الأولية لدى الباحثين بأن في باطن كل منا عقلا مستقلا غير عقلها العادي أرفع وأوسع مجالا منه هو الذي يوحي إلى الإنسان بالميول الطيبة وينهاه عن المنكر والبغي وهذا العقل الباطن هو الذي يدبر جثمانه ويدير أجهزته وأعضاءه ويصلحها إن اعتراها عطب. هذا العقل الباطن الذي لا يحس الإنسان بوجوده متصل بالحياة الروحانية العامة اتصالا مباشرا فهو يتلقى عنها ما يناسب درجته من المعارف ويحاول أن يعكسه على صاحبه من طريق الإلهام ...[1121]

وهذا العقل الباطن (اللاوعي) ما هو إلا مجرد مستقبل للأوامر: إنه لا يسأل في ما إذا كانت الأسئلة خيرة أم شريرة، صحيحة أم خاطئة، بل هو ينفذها فحسب. (...) فهو الذي يوجه جميع أفعال حياتنا، مثل إيقاع القلب والدورة الدموية وجهاز الهضم وردود الأفعال . إنه يحقق التوازن لجسمنا ويوفر له درجة الحرارة المناسبة، وهو ينسق العمل بين المجموعات العضلية. إنه يحول المادة الغذائية إلى نسج عضوية وعضلات وعظام ودم. وهي أفعال غامضة ليس بوسع أي عالم تفسيرها. لكن المعروف هو أنه بمستطاعنا التأثير في لا وعينا، نستطيع أن نحفزه على أن يدخل إلى حياتنا الصحة والسعادة والنجاح . إذ يكمن فيه نبع لا ينضب من المواهب والأفكار والسلطة والحكمة[1122].

والحكمة التي عرفها الحكماء في الأزمان الغابرة، عاد العلم ليثبت صحتها في زمننا الحديث: أي أن الأفكار، حسبما ثبت علميا، تولد في الدماغ تغيرات بيوكيميائية، فالأفكار الغاضبة أو العدوانية أو المحبطة أو الخائفة تسبب تسرعا في خفقان القلب وارتفاعا في ضغط الدم أو تعرقا شديدا. وبما أننا قادرون على التحكم بأفكارنا، فهذا يعني في الحالة العكسية أن الأفكار القانعة

[1121]- محمد فريد وجدي، الإسلام دين الهداية والإصلاح، دار الجيل – بيروت 1991، ط 1، ص 498
[1122]- روبرت سباستيان، سر ينبوع الشباب، تعريب: د. نبيل الحفار، مكتبة العبيكان، الرياض 2004، ص 86-85

والسعيدة والمحبة والشفوقة والموحية بالثقة تولد الصحة والحيوية والسعادة ؟ [1123]

وتجمع هذه المعاني كلها من الأفكار الغاضبة أو العدوانية أو المحبطة أو الخائفة ...الخ، في قوله تعالى: { **أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** } (الرعد/28) وقد وصفها الرازي رحمه الله بالكمالات النفسانية فقال: أما المرتبة الأولى وهي الكمالات النفسانية فاعلم أن النفس لها قوتان إحداهما استعدادها لقبول صور الموجودات من عالم الغيب وهذه القوة هي القوة المسماة بالقوة النظرية وسعادة هذه القوة في حصول المعارف وأشرف المعارف وأجلها معرفة أنه لا إله إلا هو وإليه الإشارة بقوله أَنْ أَنْذِرُواْ أَنَّهُ لا إله إِلا أَنَاْ . والقوة الثانية للنفس استعدادها للتصرف في أجسام هذا العالم وهذه القوة هي القوة المسماة بالقوة العملية وسعادة هذه القوة في الإتيان بالأعمال الصالحة وأشرف الأعمال الصالحة هو عبودية الله تعالى وإليه الإشارة بقوله فَاتَّقُونِ ولما كانت القوة النظرية أشرف من القوة العملية لا جرم قدم الله تعالى كمالات القوة النظرية وهي قوله لا إله إِلا أَنَاْ على كمالات القوة العملية وهي قوله فَاتَّقُونِ[1124]

ونظير ما تقدم في الأفكار السلبية التي تؤثر على صحة البدن والعقل، ما ذكره حقي في تفسيره، حيث قال: تبديل الأسماء القبيحة بالأسماء الحسنة، فإن في الأسماء الحسنة التفاؤل ونظير ذلك ما يفهم من قوله عليه السلام « **لا تمارضوا فتمرضوا** » يعنى أن من اظهر المرض وقال أنا مريض فهذا القول والفعل منه يثمر المرض ويؤاخذ به [1125]

ويدخل في ذلك التفاؤل والتشاؤم والقنوط واليأس وتأثير كل ذلك على الحالة النفسية، ويرى نزار عاني أن الإسلام كله دعوة للتفاؤل وعدم الاستسلام لليأس والقنوط حتى للمسرف في ذنوبه وخطاياه. بينما تنزع بعض مدارس علم النفس إلى التشاؤم الكبير (مدرسة التحليل النفسي) بينما تنظر إليه مدرسة السمات والإنسانية نظرة تفاؤلية والمدرستان السلوكية والمعرفية نظرة تحكمية مسؤولة [1126] . وفي ذلك يقول تعالى جل ذكره:

[1123]- المصدر السابق، ص 250

[1124]- تفسير الرازي، ص 176/19-177

[1125]- تفسير حقي، ص 165/3

[1126]- نزار عاني، الإسلام وعلم النفس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا 2008، ص 256-257

- {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (الزمر/53)
- {وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } (يوسف/87)
- {قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ } (النمل/47) قال الأزهري : وقيل للشؤم طائر وطير وطيرة (...) فسموا الشؤم طيراً وطائراً وطيرة لتشاؤمهم بها . ثم أعلم الله تعالى على لسان رسوله أن طيرتهم باطلة ، فقال : { لا طيرة ولا هام } وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتفاءل ، ولا يتطير . وأصل الفأل الكلمة الحسنة [1127]. وذكر ابن عاشور في تفسيره: « لا طيرة وإنما الطيرَة على من تطيّر» أي : الشؤم يقع على من يتشاءم ، جعل الله ذلك عقوبة له في الدنيا لسوء ظنه بالله ، وإنما غلب لفظ الطيرة على التشاؤم لأن للأثر الحاصل من دلالة الطيران على الشؤم دلالة أشد على النفس ، لأن توقع الضر أدخل في النفوس من رجاء النفع [1128].

ويقول محمد الرازي رحمه الله، في تأثير الكلمة على النفس والفرق بين الفأل والطيرة:
ولا بد من ذكر فرق بين البابين . والأقرب أن يقال : إن الأرواح الإنسانية أصفى وأقوى من الأرواح البهيمية والطيرية . فالكلمة التي تجري على لسان الإنسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير ، وحركات البهائم ، فإن أرواحها ضعيفة ، فلا يمكن الاستدلال بها على شيء من الأحوال [1129].

[1127]- تفسير الرازي، ص 176/14
[1128]- التحرير والتنوير، ص 66/9
[1129]- تفسير الرازي، ص 176/14

المبحث الأول:

الوحي

الوحي لغة:

[وحى] الوحي: الكتاب، وجمعه وحى، والوحي أيضا: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وحيت إليه الكلام وأوحيت، وهو أن تكلمه بكلام تخفيه. وأوحى الله إلى أنبيائه [1130].

ويقول الرازي: الوحي وهو عبارة عن الإيماء والقول السريع [1131].

ويقول مناع القطان: أن الوحي بمعناه اللغوي يتناول [1132]:

الإلهام الفطري للإنسان، كالوحي إلى أم موسى **{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ }** (**القصص7**)

والإلهام الغريزي للحيوان، كالوحي إلى النحل **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ }** (**النحل/68**)

والإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن عنه : **{فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً }** (**مريم/11**)

ووسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان : **{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ}** (**الأنعام/121**) **{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً }** (**الأنعام/112**)

وما يلقيه الله إلى الملائكة من أمر ليفعلوه: **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ }** (**الأنفال/12**)

وأما التعريف الشرعي للوحي فهو:

[1130]- الصحاح في اللغة، ص 7/369-370

[1131]- تفسير الرازي، ص 13/127

[1132]- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ص 26-27

إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة .
ويعرف أيضا من الجهة الثانية: بأنه عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من عند الله، سواء أكان الوحي بواسطة أم بغير
واسطة. ويعرف من الجهة الثالثة بأنه: ما أنزله الله على أنبيائه وعرفهم به من أنباء الغيب والشرائع والحكم، ومنهم من أعطاه كتابا، ومنهم من لم يعطه [1133].

ويعتبر الوحي هو المرجع والمصدر الحقيقي في الإسلام
يقول ابن باديس: أن الوحي هو المرجع الوحيد لبيان دين الله تعالى وشرعه، وما أنزله لعباده من الحكمة، وذلك الوحي هو القرآن العظيم، وسنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الذي أرسل ليبين للناس ما نزل إليهم [1134].

ويقول محمود يوسف سماسيري: إذا كانت الحقيقة في الكوزمولوجيا [1135] العلمانية تتسم – كما رأينا – بالنسبة كنتيجة لافتقارها إلى معيار ثابت يحتكم إليه في تقرير سلامة حقيقة ما أو عدم سلامتها، بعد ما رفضت الاعتراف بأي مصدر علوي للحقيقة، واعتمدت بشكل مطلق على العقل القاصر بطبيعته كمصدر وحيد للوصول إلى حقائق الأشياء، من خلال مناهج معينة للبحث عن هذه الحقائق ابتكرتها لها. إذا كان هذا هو اعترافها بالعقل كمصدر مهم للوصول للكثير من الحقائق باستخدام المناهج التي لا تختلف عن تلك التي يستخدمها العقل الوضعي، في فهم الظواهر الطبيعية والإنسانية، الحاضرة والماضية . إلا أنها تعتمد أساسا على مصدر علوي، تستمد منه الحقائق المطلقة هو "الوحي الإلهي" الذي يقدم للعقل الإنساني القاصر بطبيعته، القول الفصل فيما ليس للعقل طاقة للفصل فيه (مثل حقيقة الوجود ومصيره، وسر الوجود ومصيره، وكل ما يتعلق بما هو فوق الوقائع الملموسة والمحسوسة من الإلهيات، ومن الكائنات غير المادية، وكذلك كل ما يتعلق بالعبادات والأخلاقيات وما إلى ذلك) هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يقدم الوحي الإلهي للعقل المعايير الثابتة التي تمكنه من كيفية التعامل مع الظواهر الطبيعية والإنسانية،

[1133]- محمد بن محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن الكريم، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض-1987، ط3، ص 79
[1134]- تفسير ابن باديس، ص 111/1
[1135]- الكوزمولوجيا أو الكسمولوجيا: علم الكون الفيزيائي

الحاضرة والماضية بالشكل الذي يمكنه من تحقيق أفضل فهم للحقائق التي تشملها، وأفضل أشكال التفاعل العملي هذه الحقائق[1136].

ويصف ابن تيمية الوحي – القرآن – فيقول: فأخبر أن ما بعث به للقلوب كالماء للأرض، تارة تشربه فتنبت، وتارة تحفظه، وتارة لا هذا ولا هذا، والأرض تشرب الماء وتتغذى به حتى يحصل الخير، وقد أخبر الله – تعالى – أنه روح تحيا به القلوب فقال: **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}** (الشورى/52)[1137]

ولقد ذكر الله الوحي في القرآن الكريم وبين أنواعه إلى الرسل فقال عز من قائل :

- **{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}** (الشورى/51)، قال ابن تيمية رحمه الله: فقد بين – سبحانه – أنه لم يكن لبشر أن يكلمه الله إلا على أحد الأوجه الثلاثة :

1– إما وحيا

2– وإما من وراء حجاب

3– وإما أن يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء[1138]

وتفصيلا لهذه الأوجه الثلاثة:

يقول الطبري : وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحياً يوحي الله إليه كيف شاء ، إما إلهاماً وإما غيره[1139]. ويضيف إلى ذلك الدكتور القصبي زلط قائلا: والقذف في القلب قريب من الإلهام أو بمعنى . وقد عبرت عنه الآية بالوحي مع أن بقية الأنواع أيضاً وحي ؛ لأن هذا النوع

[1136]- محمود يوسف سماسيري، فلسفات الإعلام المعاصرة: قراءة في ضوء المنظور الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا 2008، ص 202-203

[1137]- مجموع الفتاوى لابن تيمية، ص 17/ 287

[1138]- تقي الدين احمد بن تيمية الحراني، مجموع الفتاوى، اعتنى بها واخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الجيل-1997، ص17/ 26

[1139]- تفسير الطبري، ص 558/21

أكثر خفاءً من بقية الأنواع . فالموحى إليه لا يسمع صوتاً ، ولا يرى ملكاً ، وإنما يلقى الله في قلبه ما يريد إلقاءه إليه [1140] . " وذلك مثل ما ورد في حديث : { إن روح القدس نفث في روعي : لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب . " [1141]

والوجه الثاني، يقول الطبري: وإما غيره (**أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**) يقول: أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه، كما كلم موسى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم [1142]. وقد عبر القرآن عن هذا النوع في قصة موسى عليه السلام فقال : **{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } (القصص/30)** [1143]

والوجه الثالث: (**أَوْ يُرْسِلَ رَسُولا**) يقول: أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل، وإما غيره (**فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ**) يقول: فيوحي ذلك الرسول إلى المرسل إليه بإذن ربه (**ما يشاء**) يعني: ما يشاء ربه أن يوحيه إليه من أمر ونهي، وغير ذلك من الرسالة والوحي [1144].

يقول ابن القيم الجوزية رحمه الله:

إن أول مبتدأ الوحي كان هو الرؤيا الصادقة، وذلك نصف سنة. ثم انتقل إلى وحي اليقظة مدة ثلاث وعشرين سنة، من حين بعث إلى أن توفي، صلوات الله وسلامه عليه. فنسبة مدة الوحي في المنام من ذلك: جزء من ستة وأربعين جزءا. فثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة)).

والرؤيا: مبدأ الوحي. وصدقها بحسب صدق الرائي. وأصدق الناس رؤيا أصدقهم حديثا. وهي عند اقتراب الزمان لا تكاد تخطئ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لبعد العهد بالنبوة وآثارها. فيتعوض المؤمنون بالرؤيا. وأما في زمن قوة نور النبوة: ففي ظهور نورها وقوته ما يغني عن الرؤيا .

[1140]- القصبي محمود زلط، مباحث في علوم القرآن، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت 1987، الطبعة الثانية، ص 32

[1141]- المدخل لدراسة القرآن الكريم، ص 80

[1142]- تفسير الطبري، ص 558/21

[1143]- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ص 32

[1144]- تفسير الطبري، ص 558/21

وقال عبادة بن الصامت: ((رؤيا المؤمن كلام، يكلم به الرب عبده في المنام)). وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((لم يبق من النبوة إلا المبشرات)). قيل: والمبشرات، يا رسول الله؟ قال: ((الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو ترى له)) وإذا تواطأت رؤيا المسلمين لم تكذب .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: لأصحابه لما أروا ليلة القدر في العشر الأواخر قال: ((أرى رؤياكم قد تواطأت في العشر الأواخر. فمن كان منكم متحريها فليتحرها في العشر الأواخر من رمضان)).

والرؤيا كالكشف، منها رحماني. ومنها نفساني. ومنها شيطاني.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((الرؤيا ثلاثة: رؤيا من الله، ورؤيا تحزين من الشيطان، ورؤيا مما يحدث به الرجل نفسه في اليقظة. فيراه في المنام)).

ورؤيا الأنبياء وحي. فإنها معصومة من الشيطان. وهذا باتفاق الأمة، ولهذا أقدم الخليل على ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام بالرؤيا. وأما رؤيا غيرهم: فتعرض على الوحي الصريح. فإن وافقته و إلا لم يعمل بها.

وللرؤيا ملك موكل بها، يريها العبد في أمثال تناسبه وتشاكله. فيضربها لكل أحد بحسبه. وقال مالك: ((الرؤيا من الوحي وحي)) وزجر عن تفسيرها بلا علم. وقال ((أتتلاعب بوحي الله؟)).[1145]

ومن أمثلة رؤيا الأنبياء في القرآن الكريم، قوله تعالى:

- **{قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى } (الصافات/102)**
- **{إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ } (يوسف/4)**
- **{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ } (الأنفال/44)** إذ يري الله نبيه في منامه المشركين قليلا...[1146]

[1145]- الضوء المنير على التفسير، ص 1/72-74

[1146]- تفسير الطبري، ص 13/572

وأما رؤيا غير الأنبياء، قوله تعالى:

- {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ } (يوسف/43)
- {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ } (يوسف/36)

ويقول ابن تيمية رحمه الله: والوحي وحيان:

1- وحي من الرحمن

2--ووحي من الشيطان، قال – تعالى – :

- {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } (الأنعام/121)
- {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً } (الأنعام/112)
- {هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ } (الشعراء/221) [1147]

ولم يكن رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أول رسول أوحي إليه، بل أوحى الله تعالى إلى الرسل قبله بمثل ما أوحى إليه : {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً } (النساء/163) .

فليس هناك في نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم ما يدعو إلى العجب، ولذا أنكر الله على العقلاء هذا في قوله: {أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ } (يونس/2) [1148]

[1147]- مجموع الفتاوى، ص 17/73-75

[1148]- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مكتبة وهبة، القاهرة – 2000، ط 11، ص 25-26

ومن العجيب أن الوحي يخبر عن كل ما ليس في طاقة البشر معرفته بوسائلهم العلمية . ولنأخذ قوله تعالى مثالا على ذلك: **{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }** (**الأعراف/172**)، فأنى لوسائل البشر أن تصل إلى هذا المشهد العظيم حين أخذ الله ذرية آدم من ظهره وهم في عالم الذر، وأشهدهم على أنفسهم بسؤاله لهم: ألست بربكم؟ فشهدت الذرية أنه ربها؟ [1149]

ونشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيئته أمية جاهلية، وسيرته بين قومه، من أقوى الدلائل على أن الله قد أعده لحمل رسالته، وأوحى إليه بهذا القرآن هداية لأمته : **{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ }** (**الشورى/52**) [1150]

وكذلك قال تعالى:

- **{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى }** (**النجم/10**)
- **{ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ }** (**الإسراء/39**)
- **{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }** (**يونس/109**)
- **{فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَاء مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنتَ نَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ }** (**هود/12**)
- **{وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ }** (**الأحزاب/2**)

ولم يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم درسا على معلم قط ، فمن أين جاءته هذه الأنباء فجأة بعد أن بلغ الأربعين؟ **{إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى }** (**النجم/4**) [1151]

[1149]- يحيى مراد، عالم الغيب بين الوحي والعقل، دار الكتب العلمية، بيروت 2003 ، ص 150-151

[1150]- مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ص 27

[1151]- المصدر السابق، ص 39

- {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يِوحَى إِلَيَّ مِن رَّبِّي } (الأعراف/203)
- {وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ } (الأنعام/50)
- {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ } (يونس/15)
- {قُلْ إِنَّمَا يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ } (الأنبياء/108)
- {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ } (الأحقاف/9)

المبحث الثاني:

الإلهام

الإلهام لغة:

الإلهام: ما يلقى في الروع. يقال ألهمه الله. واستلهمت الله الصبر. والتهم الفصيل ما في الضرع: استوفاه[1152].

ويقول الدكتور محمد إسماعيل المقدم: الإلهام: مصدر ألهم، يقال ألهمه الله خيرا، أي لقنه إياه، والإلهام أن يلقي الله في النفس أمرا يبعث على الفعل أو الترك، وهو نوع من الوحي يخص الله به من يشاء من عباده[1153].

ويفرق أبو مؤنس بين الحكمة والإلهام بقوله: والحكمة لا تعرف إلا ببذل الجهد العقلي والبحث والتأمل والاستنباط، وأما الإلهام ففيض لا يتبع سببا مكتسبا ولا جهدا مبذولا[1154].

الإلهام في الاصطلاح:

[1152]- الصحاح في اللغة، ص 315/6

[1153]- محمد أحمد إسماعيل المقدم، كتاب المهدي، دار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية – 2004، ط 8، ص 287

[1154]- منهج التعليل ، ص 378

إيقاع شيء في القلب يطمئن له الصدر، يخص به الله – سبحانه – بعض أصفيائه [1155].

ويطلق الإلهام على " العلم اللدنيّ" كما بين ذلك ابن القيم بقوله " والعلم الدني : هو العلم الذي يقذفه الله في القلب إلهاما بلا سبب من العبد واستدلال ولهذا سمي لدنّيا " [1156] قال تعالى:

{وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْماً } (الكهف/65)

وهو ليس بحجة عند العلماء، إلا عند الصوفيين. الفرق بينه وبين الإعلام: أن الإلهام أخص من الإعلام، لأنه قد يكون بطريق الكسب، وقد يكون بطريق التنبيه [1157]

ويقول ابن خلدون: ثم الإلهام العام للمولودين في الإقبال على الثدي أوضح شاهد على وجود الإلهام العام لهم. (...)

وإذا كان الإلهام يخلق في الحيوان الأعجم، فما المانع من خلقه للمولود نفسه، كما قررناه أولا. وخلق الإلهام في شخص لمصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لمصالح غيره [1158].

ويقول ابن القيم الجوزية: مراتب الهداية الخاصة والعامة ، ومن ذلك:

مرتبة الإلهام. قال تعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } (الشمس/7–8)** .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لحصين بن منذر الخزاعي لما أسلم : (**قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي**) ، (...) فإن الإلهام عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان [1159].

وقد عد الأصوليون الإلهام نوعا من أنواع الوحي إلى الأنبياء، وفي كتاب ((التقرير والتحبير)) عن الإلهام من الله لرسوله: إنه إلقاء معنى في القلب بلا واسطة عبارة الملك، وإشارته مقرون بخلق علم ضروري أن ذلك المعنى منه – تعالى – ومنه ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت، حتى تستكمل رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب**)) [1160].

[1155]- كتاب المهدي، ص 287

[1156]- مدارج السالكين 431/3

[1157]- الضوء المنير على التفسير، ص 71/1-75

[1158]- مقدمة ابن خلدون، ص 462

[1159]- ابن القيم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، جمعه: علي الحمد المحمد الصالحي، مؤسسة النور، العنيزة – 1425هـ ، ص 69

[1160]- كتاب المهدي، ص 287

يقول الدكتور محمد أحمد المقدم: يتفق الأصوليون على أن الإلهام من الله – تعالى – لأنبيائه حق، وهو بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم حجة في حقه، كذلك هو في حق أمته، ويكفر منكر حقيقته، ويفسق تارك العمل به كالقرآن [1161].

والإلهام ليس حجة شرعية عند الأصوليين، فلا يعد حجة شرعية في التشريع عندهم، هذا ما صرحوا به إلى حد الاتفاق على ذلك[1162]

يقول الدكتور محمد أحمد المقدم: أما إلهام غير الأنبياء من المسلمين، فإنه ليس بحجة، لأن من ليس معصوما لا ثقة بخواطره، لأنه لا يأمن من دسيسة الشيطان فيها، وهو قول جمهور أهل العلم، وهو المختار عند الحنفية، ولا عبرة بما قاله قوم من الصوفية بأنه حجة في الأحكام [1163].

وقيل: هو حجة على الملهم لا على غيره، إذا لم يكن له معارض من نص أو اجتهاد أو خاطر آخر، وهذا ذكره غير واحد، فيجب العمل به في حق الملهم، ولا يجوز أن يدعو غيره إليه [1164].

وقد بين ابن تيمية على أن الإلهام إما إلهام وحي، وإما وسوسة شيطان، وذلك من خلال قوله تعالى :

- {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } (الشمس/7-8)، يقول ابن تيمية رحمه الله: فهو – سبحانه – يلهم الفجور والتقوى للنفس، والفجور يكون بواسطة الشيطان، وهو إلهام وسواس، والتقوى بواسطة ملك، وهو إلهام وحي، هذا أمر بالفجور وهذا أمر بالتقوى، والأمر لابد أن يقترن به خبر. وهذه الآية مما تدل على أنه يفرق بين إلهام الوحي، وبين الوسوسة. فالمأمور به إن كان تقوى الله فهو من إلهام الوحي، وإن كان من الفجور فهو من وسوسة الشيطان. فيكون الفرق بين الإلهام المحمود وبين الوسوسة المذمومة هو الكتاب والسنة، فإن كان مما ألقي في النفس مما دل الكتاب والسنة على انه تقوى لله فهو من الإلهام المحمود، وإن كان مما دل على أنه

[1161]- كتاب المهدي، ص 287

[1162]- منهج التعليل، ص 376

[1163]- كتاب المهدي، ص 287-288

[1164]- انظر: مجموعة الفتاوى، ص 2/42-47 و ص 10/472-479

فجور فهو من الوسواس المذموم، وهذا الفرق مطرد لا ينتقض . وقد ذكر أبو حازم في الفرق بين وسوسة النفس والشيطان فقال: ما كرهته/ نفسك لنفسك فهو من الشيطان فاستعذ بالله منه، وما أحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فانهها عنه [1165].

قال الإمام ابن القيم الجوزية رحمه الله:

-الإلهام- على ثلاث درجات [1166]:

الدرجة الأولى: نبأ يقع وحيا قاطعا مقرونا بسماع، إذ مطلق النبأ الخبر الذي له شأن، فليس كل خبر نبأ، وهو نبأ خبر عن غيب معظم.

ويريد بالوحي والإلهام: الإعلام الذي يقطع من وصل إليه بموجبه، إما بواسطة سمع، أو هو الإعلام بلا واسطة.

قلت: أما حصوله بواسطة سمع، فليس ذلك إلهاما، بل هو من قبيل الخطاب، وهذا يستحيل حصوله لغير الأنبياء، وهو الذي خص به موسى، إذ كان المخاطب هو الحق – عز وجل .

وأما ما يقع لكثير من أرباب الرياضات من سماع، فهو من أحد وجوه ثلاثة، لا رابع لها، أعلاها: أن يخاطبه الملك خطابا جزئيا، فإن هذا يقع لغير الأنبياء، فقد كانت الملائكة تخاطب عمران بن حصين بالسلام، فلما أكتوى تركت خطابه، فلما ترك الكي عاد إليه خطاب ملكي، وهو نوعان:

أحدهما: خطاب يسمعه بأذنه، وهو نادر بالنسبة إلى عموم المؤمنين.

والثاني: خطاب يلقى في قلبه يخاطب به الملك روحه، كما في الحديث المشهور: ((إن للملك لمة بقلب ابن آدم، وللشيطان لمة، فلمة الملك: إيعاد بالخير، وتصديق بالوعد، ولمة الشيطان: إيعاد بالشر ، وتكذيب بالوعد))، ثم قرأ :

- **{الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً }** (البقرة/268)
- **{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ }** (الأنفال/12)

1165- مجموعة الفتاوى، ص 288/17

1166- مدارج السالكين، ص 70/1-73

وأما وقوعه بغير واسطة: فمما لم يتبين بعد، والجزم فيه بنفي أو إثبات موقوف على الدليل، والله أعلم.

النوع الثاني من الخطاب المسموع: خطاب الهواتف من الجان، وقد يكون المخاطب جنيا مؤمنا صالحا، وقد يكون شيطانا، وهذا – أيضا – نوعان:

أحدهما: أن يخاطبه خطابا يسمعه بأذنه.

والثاني: أن يلقي في قلبه عندما يلم به، ومنه وعده، وتمنيته حين يعد الإنسي ويمنيه، ويأمره، وينهاه، كما قال تعالى: **{يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً } (النساء/120)**، **وقال: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء } (البقرة/268)**، وللقلب من هذا الخطاب نصيب، وللأذن – أيضا – منه نصيب، والعصمة إلا عن الرسل، ومجموع الأمة .

النوع الثالث: خطاب حالي، تكون بدايته من النفس، وعوده إليها، فيتوهمه من خارج، وإنما هو من نفسه، منها بدا، وإليها يعود.

قال: "الدرجة الثانية: إلهام يقع عيانا، وعلامة صحته: أنه لا يخرق سترا، ولا يجاوز حدا، ولا يخطئ أبدا ."

الفرق بين هذا وبين الإلهام في الدرجة الأولى: أن ذلك علم شبيه بالضروري الذي لا يمكن دفعه عن القلب، وهذا معاينة ومكاشفة، فهو فوقه في الدرجة، وأتم منه ظهورا، ونسبته إلى القلب نسبة المرئي إلى العين، وذكر له ثلاث علامات:

إحداها: (أنه لا يخرق سترا)، أي صاحبه إذا كوشف بحال غير المستور عنه لا يخرق ستره، ويكشفه، خيرا كان أو شرا، أو أنه لا يخرق ما ستره الله من نفسه عن الناس، بل يستر نفسه، ويستر من كوشف بحاله.

الثانية: (أنه لا يجاوز حدا) يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه لا يتجاوز به إلى ارتكاب المعاصي، وتجاوز حدود الله، مثل الكهان، وأصحاب الكشف الشيطاني.

الثاني: أنه لا يقع على خلاف الحدود الشرعية، مثل أن يتجسس به على العورات التي نهى الله عن التجسس عليها وتتبعها، فإذا تتبعها وقع عليها بهذا الكشف، فهو شيطاني لا رحماني.

الثالثة: أنه لا يخطئ أبدا، بخلاف الشيطاني، فإن خطأه كثير، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صائد: ((ما ترى؟ قال: أرى صادقا وكاذبا، فقال: لبس عليك))، فالكشف الشيطاني لا بد أن يكذب، ولا يستمر صدقه البتة)) [1167]

قال : " **الدرجة الثالثة** : إلهام يجلو عين التحقيق صرفا ، وينطق عن عين الأزل محضا ، والإلهام غاية تمتنع الإشارة إليها . "

عين التحقيق عنده هي الفناء في شهود الحقيقة ، بحيث يضمحل كل ما سواها في ذلك الشهود ، وتعود الرسوم أعداما محضة ، فالإلهام في هذه الدرجة يجلو هذا العين للملهم صرفا ، بحيث لا يمازجها شيء من إدراك العقول ولا الحواس ، فإن كان هناك إدراك عقلي أو حسي لم يتمحض جلاء عين الحقيقة ، والناطق عن هذا الكشف عندهم لا يفهم عنه إلا من هو معه ، ومشارك له ، وعند أرباب هذا الكشف أن كل الخلق عنه في حجاب ، وعندهم أن العلم والعقل والحال حجب عليه ، وأن خطاب الخلق إنما يكون على لسان الحجاب ، وأنهم لا يفهمون لغة ما وراء الحجاب من المعنى المحجوب ، فلذلك تمتنع الإشارة إليه ، والعبارة عنه ، فإن الإشارة والعبارة إنما يتعلقان بالمحسوس والمعقول ، وهذا أمر وراء الحس والعقل .

وحاصل هذا الإلهام أنه إلهام ترتفع معه الوسائط وتضمحل وتعدم ، لكن في الشهود لا في الوجود ، وأما الاتحادية القائلون بوحدة الوجود فإنهم يجعلون ذلك اضمحلالا وعدما في الوجود ، ويجعلون صاحب المنازل منهم ، وهو بريء منهم عقلا ودينا وحالا ومعرفة ، والله أعلم. – انتهى قول ابن القيم –

[1167]- مدارج السالكين، 1/48-49

وذكر ابن تيمية رحمه الله بعض الآيات التي وردت في الوحي بمعنى الإلهام، فقال:

وإذا كان ما يوحيه إلى عباده تارة يكون بوساطة ملك، وتارة بغير وساطة، فهذا للمؤمنين كلهم مطلقا لا يختص به الأنبياء، قال تعالى:

- **{وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ }** (القصص/7)
- **{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ }** (المائدة/111)

وإذا كان قد قال:

- **{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ }** (النحل/68)، فذكر أنه يوحى إليهم، فإلى الإنسان أولى، وقال تعالى:
- **{وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا }** (فصلت/12)
- **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا }** (الشمس/7-8)، فهو – سبحانه – يلهم الفجور والتقوى للنفس، والفجور يكون بواسطة الشيطان، وهو إلهام وسواس، والتقوى بواسطة ملك، وهو إلهام وحي، هذا أمر بالفجور وهذا أمر بالتقوى، والأمر لابد أن يقترن به خبر.

المبحث الثالث:

الكشف

الكشف في اللغة: رفع الشيء عما يواريه ويغطيه، ومنه رفع الحجاب ورفع الستائر، والكشف، الإظهار .

وأما في الاصطلاح: الإطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا .[1168]

وقال الشيخ : المكاشفة :مهاداة السر بين متباطنين ، يريد أن المكاشفة إطلاع أحد المتحابين المتصافيين صاحبه على باطن أمره وسره [1169].

وقال القسطلاني: علم المكاشفة وهو نور يظهر في القلب عند تزكيته فتظهر به المعاني المجملة فتحصل له المعرفة بالله تعالى وأسمائه وصفاته وكتبه ورسله؛ وتنكشف له الأستار عن مخبآت الأسرار فافهم [1170].

قال الله تعالى : **{فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى }** (النجم/10)

وجه احتجاجه بإشارة الآية : أن الله سبحانه كشف لعبده صلى الله عليه وسلم ما لم يكشفه لغيره ، وأطلعه على ما لم يطلع عليه غيره ، فحصل لقلبه الكريم من انكشاف الحقائق التي لا تخطر ببال غيره ما خصه الله به ، والإيحاء هو الإعلام السريع الخفي ، ومنه الوحا الوحا ؛ أي : الإسراع الإسراع .

قوله : " ما أوحى " أبهمه لعظمه ، فإن الإبهام قد يقع للتعظيم ، ونظيره قوله تعالى : **{فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ }** (طه/78) أي : أمر عظيم فوق الصفة [1171].

وقال الإمام المحقق ابن القيم الجوزية :

[1168]- رائد نصري جميل أبو مؤنس، منهج التعليل بالحكمة وأثره في التشريع الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا 2007 ، ص 374

[1169]- مدارج السالكين، ص 211/3

[1170]- شرح القسطلاني، ص 154/1

[1171]- مدارج السالكين، ص 211/3

وهي – المكاشفة – على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى : مكاشفة تدل على التحقيق الصحيح ، وهي لا تكون مستدامة ، فإذا كانت حينا دون حين ، ولم يعارضها تفرق، غير أن الغين ربما شاب مقامه ، على أنه قد بلغ مبلغا لا يلفته قاطع ، ولا يلويه سبب ، ولا يقتطعه حظ ، وهي درجة القاصد، فإذا استدامت فهي الدرجة الثانية .

المكاشفة الصحيحة :علوم يحدثها الرب سبحانه وتعالى في قلب العبد ، ويطلعه بها على أمور تخفى على غيره ، وقد يواليها وقد يمسكها عنه بالغفلة عنها ، ويواريها عنه بالغين الذي يغشى قلبه ، وهو أرق الحجب ، أو بالغيم ، وهو أغلظ منه أو بالران ، وهو أشدها .

فالأول : يقع للأنبياء عليهم السلام ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : إنه ليغان على قلبي ، وإني لأستغفر الله أكثر من سبعين مرة .

والثاني : يكون للمؤمنين . والثالث : لمن غلبت عليه الشقوة ، قال الله تعالى : كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قال ابن عباس وغيره : هو الذنب بعد الذنب يغطي القلب حتى يصير كالران عليه.

وأما الدرجة الثالثة: فمكاشفة عين، لا مكاشفة علم..

وليس مراد الشيخ في هذا الباب: الكشف الجزئي المشترك بين المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، كالكشف عما في دار إنسان، أو عما في يده، أو تحت ثيابه، أو ما حملت به امرأته، بع انعقاده ذكرا أو أنثى، وما غاب عن العيان من أحوال البعد الشاسع ونحو ذلك، فإن ذلك يكون من الشيطان تارة، ومن النفس تارة، ولذلك يقع من الكفار، كالنصارى، وعابدي النيران، والصلبان، فقد كاشف ابن صياد النبي صلى الله عليه وسلم بما أضمره له، وخبأه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنما أنت من إخوان الكهان))، فأخبر أن ذلك الكشف من جنس كشف الكهان، وأن ذلك قدره، وكذلك مسيلمة الكذاب، مع فرط كفره، كان يكاشف أصحابه بما فعله

أحدهم في بيته، وما قاله لأهله، يخبره به شيطانه، ليغوي الناس، وكذلك الأسود العنسي، والحارث المتنبي الدمشقي الذي خرج في دولة عبد الملك بن مروان، وأمثال هؤلاء ممن لا يحصيهم إلا الله، وقد رأينا نحن وغيرنا منهم جماعة، وشاهد الناس من كشف الرهبان عباد الصليب ما هو معروف [1172].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وما يحصل من نوع المكاشفة والتصرف " ثلاثة أصناف "

1- ملكي

2- ونفسي

3- وشيطاني

فإن الملك له قوة والنفس لها قوة والشيطان له قوة وقلب المؤمن له قوة . فما كان من الملك ومن قلب المؤمن فهو حق وما كان من الشيطان ووسوسة النفس فهو باطل وقد اشتبه هذا بهذا على طوائف كثيرة فلم يفرقوا بين أولياء الله وأعداء الله بل صاروا يظنون في من هو من جنس المشركين والكفار – أهل الكتاب من وجوه كثيرة – أنه من أولياء الله المتقين [1173].

وللمكاشفة ثلاث علامات:

إحدهما: (أنه لا يخرق سترا)، أي صاحبه إذا كوشف بحال غير المستور عنه لا يخرق ستره، ويكشفه، خيرا كان أو شرا، أو أنه لا يخرق ما ستره الله من نفسه عن الناس، بل يستر نفسه، ويستر من كوشف بحاله.

الثانية: (أنه لا يجاوز حدا) يحتمل وجهين:

أحدهما: أنه لا يتجاوز به إلى ارتكاب المعاصي، وتجاوز حدود الله، مثل الكهان، وأصحاب الكشف الشيطاني.

الثاني: أنه لا يقع على خلاف الحدود الشرعية، مثل أن يتجسس به على العورات التي نهى الله عن التجسس عليها وتتبعها، فإذا تتبعها وقع عليها بهذا الكشف، فهو شيطاني لا رحماني.

[1172]- مدارج السالكين، ص 210-215

[1173]- مجموع الفتاوى، ص 614/10

الثالثة: أنه لا يخطئ أبدا، بخلاف الشيطاني، فإن خطأه كثير، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صائد: ((ما ترى؟ قال: أرى صادقا وكاذبا، فقال: لبس عليك))، فالكشف الشيطاني لا بد أن يكذب، ولا يستمر صدقه البتة)) [1174]

فالكشف الصحيح: أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، معاينة لقلبه، ويجرد إرادة القلب له، فيدور معه وجودا وعدما، هذا هو التحقيق الصحيح وما خالفه فغرور قبيح [1175].

وقال الإمام أبو إسحاق الشاطبي – رحمه الله – تعالى :

اعلمْ أن النبي صلى الله عليه وسلم مؤيد بالعصمة، معضود بالمعجزة الدالة على صدق ما قال، وصحة مابين، وأنت ترى الاجتهاد الصدر منه معصوما بلا خلاف، إما بأنه لا يخطئ البتة، وإما بأنه لا يقر على خطأ إن فرض، فما ظنك بغير ذلك؟

فكل ما حكم به، أو أخبر عنه من جهة رؤيا نوم، أو رؤية كشف، مثل ما حكم به مما ألقى إليه الملك عن الله – عز وجل .

وأما أمته، فكل واحد منهم غير معصوم، بل يجوز عليه الغلط، والخطأ، والنسيان، ويجوز أن تكون رؤياه حلما، وكشفه غير حقيقي، وإن تبين في الوجود صدقه، واعتيد ذلك فيه واطرد، فإمكان الخطأ والوهم باق، وما كان هذا شأنه لم يصح أن يقطع به حكم .

وأيضا، فإن كان مثل هذا معدودا في الإطلاع الغيبي، فالآيات والأحاديث تدل على أن الغيب لا يعلمه إلا الله، كما في الحديث من قوله – عليه السلام – : ((في خمس لا يعلمهن إلا الله، ثم تلا: {**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** } (لقمان/34)

وقال في الآية الأخرى: {**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ**} (الأنعام/59)، واستثنى المرسلين في الآية الأخرى بقوله:

[1174]- كتاب المهدي، ص 292-293

[1175]- مدارج السالكين، ص 226/3

{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ } (الجن/26-27)، فبقي من عداهم على الامتناع الأول، وهو امتناع علمه. وقال تعالى:
{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ } (آل عمران/179)، وقال: **{قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ }** (النمل/65) [1176]

وفي هذا السياق، يقول حجة الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

و يفيد العلم القطعي بأن الأنبياء أكمل الخلق وأفضلهم وأنه لا يصلح لأحد أن يعارضهم برأيه ولا يخالفهم بهواه لكن لا يفيد العلم بحقيقة النبوة إلا أن يعترف أن النبي أعلم منه فلا يمكنه أن يقول هو أعلم منه فكل من حصل له من المخاطبات ومن المشاهدات ما يحصل للأولياء فإنه يعلم أن الذي للأنبياء فوق الذي له من ذلك كعمر بن الخطاب رضي الله عنه فإنه قد ثبت في الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**إنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر**» «[1177]».
وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله ضرب الحق على لسان عمر وقلبه**» «[1178]».
وفي الترمذي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال: «**لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر**» «[1179]» وكان عمر بهذا يعلم أن ما يأتي النبيّ صلى الله عليه وسلم من الوحي والملائكة وما يخبر به من الغيب وما يأمر به وينهى عنه أمر زائد على قدره ومجاوز لطاقته بل يجد بينه وبين ذلك من التفاوت ما يعجز القلب واللسان عن معرفته وتبيانه بل كان عمر بما حصل له من المكاشفة والمخاطبة يعلم أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه أكمل منه معرفة ويقينا وأتم صدقا وأخلاقا وأعلم منه بقدر الرسول صلى الله عليه وسلم فكان خضوع عمر هذا الذي هو أفضل الأولياء

[1176]- كتاب المهدي، ص 293

[1177]- أخرجه مسلم في صحيحه برقم (2398) والترمذي في سننه برقم (3693) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[1178]- أخرجه الترمذي في سننه برقم (3947) وأحمد في المسند برقم (5145 و5697) وعبد بن حميد في المنتخب برقم (857) والطبراني في الأوسط برقم (291) والبغوي في شرح السنة برقم (3875) وابن حبان في صحيحه برقم (6895) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

[1179]- لم أجده بهذا اللفظ وإنما أخرجه الترمذي في سننه برقم (3951) وأحمد في المسند (4/ 154) والطبراني في معجمه الكبير (17/ 257) والحاكم في المستدرك (3/ 85) والقطيعي في الفوائد المنتقاة (17/ 1 - 2) والروياني في مسنده (50/ 1) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب».

المحدثين الملهمين المخاطبين لأبي بكر الصديق كخضوع من رأى غيره من مشاركيه في فنه أكمل منه، كخضوع الأخفش لسيبويه وزفر لأبي حنيفة [1180].

وقد غلا أبو حامد الغزالي في إثبات حجية ((الكشف))، حتى إنه ليقول في "مشكاة الأنوار" : ((في الأولياء من يكاد يشرق نوره حتى يكاد يستغني عن مدد الأنبياء)) [1181]

وقال أيضا: ((فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور [1182] من السمع المجرد، فلا يستقر له فيها قدم، ولا يتعين له موقف)) [1183]

علق شيخ الإسلام ابن تيمية قائلا: ((قلت: هذا الكلام مضمونه أنه لا يستفاد من خبر الرسول صلى الله عليه وسلم شيء من الأمور العلمية، بل إنما يدرك ذلك كل إنسان بما حصل له من المشاهدة والنور والمكاشفة)).

وقال أيضا: ((وهذان أصلان للإلحاد، فإن كل ذي مكاشفة إن لم يزنها بالكتاب والسنة، وإلا دخل في الضلالات)) .

وقال رحمه الله: ((وما جاء به الرسول معصوم لا يستقر فيه الخطأ، وأما ما يقع لأهل القلوب من جنس المخاطبة والمشاهدة ففيه صواب وخطأ، وإنما يفرق بين صوابه، وخطئه بنور النبوة [1184].

وقال رحمه الله فيمن يدعي علم غيب الأمور كالعرش وغيره بطريق الكشف والمشاهدة :

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ عَلِمَ ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْكَشْفِ وَالْمُشَاهَدَةِ، وَيَكُونُ كَاذِبًا فِيمَا يَدَّعِيهِ وَإِنَّمَا أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَفَلْسِفَةِ تَقْلِيدًا لَهُمْ، أَوْ مُوَافَقَةً لَهُمْ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ الْفَاسِدَةِ، كَمَا فَعَلَ أَصْحَابُ رَسَائِلِ إخْوَانِ الصَّفَا وَأَمْثَالُهُمْ.

وَقَدْ يَتَمَثَّلُ فِي نَفْسِهِ مَا تَقَلَّدَهُ عَنْ غَيْرِهِ فَيَظُنُّهُ كَشْفًا، كَمَا يَتَخَيَّلُ النَّصْرَانِيُّ التَّثْلِيثَ الَّذِي يَعْتَقِدُهُ، وَقَدْ يَرَى ذَلِكَ فِي مَنَامِهِ فَيَظُنُّهُ كَشْفًا، وَإِنَّمَا هُوَ تَخَيُّلٌ لِمَا اعْتَقَدَهُ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَرْبَابِ الِاعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ إذَا ارْتَاضُوا صقلت الرياضة نفسوهم، فَتَتَمَثَّلُ لَهُمْ اعْتِقَادَاتُهُمْ، فَيَظُنُّونَهَا كَشْفًا [1185].

[1180]- شرح العقيدة الأصفهانية، ص 1/171-172

[1181]- مشكاة الأنوار، ص 45

[1182]- يقصد بهذه الأمور: معرفة ما يتأول من الصفات الإلهية وغيرها مما لا يتأول.

[1183]- مشكاة الأنوار، ص 45

[1184]- كتاب المهدي، ص 297

[1185]- الرسالة العرشية، ص 5/1

قال بعض الشيوخ ما معناه: ((قد ضُمِنَت لنا العصمة فيما جاء به الكتاب والسنة، ولم تُضمَن لنا العصمة في الكشوف))، ثم قال شيخ الإسلام: ((من المعلوم أن هذا – أي الكشف – لو كان ممكنا، لكان السابقون الأولون أحق الناس بهذا، ومع هذا فما منهم من ادعى أنه أدرك بنفسه ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم))[1186].

والكشف الرحماني من هذا النوع:

هو مثل كشف أبي بكر لما قال لعائشة رضي الله عنهما: إن امرأته حامل بأنثى، وكشف عمر رضي الله عنه لما قال: ((يا سارية الجبل))، وأضعاف هذا من كشف أولياء الرحمن .

والمقصود: أن مراد القوم بالكشف في هذا الباب أمر وراء ذلك، وأفضله وأجله: أن يكشف للسالك عن طريق سلوكه، ليستقيم عليها، وعن عيوب نفسه ليصلحها، وعن ذنوبه ليتوب منها[1187].

المبحث الرابع:

الحدس

الحدس لغة : هو: الظن والتخمين. يقال: هو يحدس بالكسر، أي يقول شيئا برأيه. والحدس أيضا: الذهاب في الأرض على غير هداية[1188]. قال الأزهري: الحدس: التوهم في معاني الكلام والأمور، بلغني عن فلان أمر وأنا أحدس فيه، أي: أقول بالظن والتوهم[1189].

ويعرف الرازي الحدس بقوله:

الحدس ولا / شك أن الفكر لا يتم عمله إلا بوجدان شيء يتوسط بين طرفي المجهول لتصير النسبة المجهولة معلومة فإن النفس حال كونها جاهلة كأنها واقفة في ظلمة ولا بدّ لها من قائد يقودها وسائق يسوقها وذلك هو المتوسط بين الطرفين وله إلى كل واحد منهما نسبة خاصة فيتولد من نسبته إليهما مقدمتان فكل مجهول لا يحصل العلم به إلا بواسطة مقدمتين معلومتين

1186- كتاب المهدي، ص 298
1187- المصدر السابق، ص 299
1188- الصحاح في اللغة، ص 53/4
1189- العواصم والقواصم، ص 152/2

والمقدمتان هما كالشاهدين فكما أنه لا بدّ في الشرع من شاهدين فكذا لا بدّ في العقل من شاهدين وهما المقدمتان اللتان تنتجان المطلوب فاستعداد النفس لوجدان ذلك المتوسط هو الحدس [1190].

ويعرفه الشوكاني بأنه:

هو الذي يميز به عمل الفكر وهو استعداد النفس لوجود المتوسط بين الطرفين ، المصير للنسبة المجهولة معلومة لأن كل مجهول لا يعلم إلا بواسطة مقدمتين معلومتين تنتج المطلوب [1191].

يقول فيليكس إيشباخر: الحدس كالحلم، هو دائما إدراك، يجب أولا تفسيره وتأويله بالعقل، وهكذا نتصرف باللاوعي لدى كل الأحاسيس [1192].

ويقول بيتر و كيمل: يُعد الحدس عالما بكل شيء لأنه على اتصال مباشر بشبكة الكون الشاملة. وهو خالص من الأخطاء، متحرر من الزمان والمكان، وهو كأنه يعرف المخطط الكبير لحياة الإنسان، والأكثر من ذلك أيضا أنه يعرف كتاب حياة الإنسان اللانهائي، الذي تختزن فيه كل حيواته [1193].

"والحدس بالقانون" : هو إدراك الصلات الدقيقة بين الظواهر في عملية الملاحظة الحسية في التفكير التي تتضمن تدخلا إيجابيا من قبل العقل [1194].

ويُسمّي كانط "الحدس" شكل المعرفة المتعلق بالأشياء والموضوعات . فإن كان هذا الشيء محسوسا، فإن الحدس الذي يطابقه يُسمى حدسا تجريبيا – أو امبريقيا – ، بينما الشيء يُسمى ظاهرة [1195].

ومنه أيضا البديهي الحدسي: وهو كل قضية يحكم فيها العقل بثبوت المحمول للموضوع استنادا إلى حدس قوي من النفس يزول معه الشك ويحصل به اليقين كقولك ارتفاع الماء في الأنهار سبب

[1190]- مفاتيح الغيب/ الرازي، ص 189/2

[1191]- فتح القدير، ص 12/2

[1192]- فيليكس إيشباخر، الفراسة وقوة الحدس، تعريب: كامل محمد إسماعيل، مكتبة العبيكان، الرياض-2004، ص 18

[1193]- نشط حياتك، ص 245

[1194]- أنظر: موقع وزارة الأوقاف المصرية: www.islamic-council.com

[1195]- إلياس بلكا، الوجود بين السببية والنظام، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا-2009، ص 122

ارتفاع ماء الآبار التي ليست بعيدة من الأنهار وجرت عادة أهل هذا الفن وأهل فن المنطق بأنهم يمثلون للحدسيات بأن نور القمر مكتسب من نور الشمس قالوا لأن القرائن تقوي هذا الحدس حتى يصير يقينا لأن نور القمر يشاهد كماله ونقصانه بحسب بعده من الشمس وقربه منها ويجزمون بناء على هذا بأن نوره مكتسب من نورها ونحن دائما نتوقى هذا المثال ونحوه بأدبا مع ظاهر القرآن في قوله تعالى: **{هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً }** (يونس/5) ، وقوله: **{وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً }** (نوح/16)

وذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الحدسيات من الظنيات لا من اليقينيات وقال العلامة محمد بن الحسن البناني في شرحه لسلم الأخضري: والتحقيق أن الحدس عبارة عن الظفر عند الالتفات إلى المطالب بالحدود الوسطى دفعة فلا حركة فيه و إلا كان فكرا

فالانتقال في الحدس دفعي لا تدريجي عكس الفكر انتهى [1196].

ويقول الشيخ الشنقيطي معلقا على قول العلامة البناني :

أن الحدسيات لا يحتاج فيها إلى العلم بدليلها ثم الانتقال من علم الدليل إلى علم المدلول الذي هو الحدسيات لأنها من البديهيات لا من النظريات بل يكفي في إدراكها التأمل في الطرف المتكرر الذي هو الحد الأوسط كما تقدم [1197].

والقدرة على استخدام الحدس هي بمثابة صحوة حاسة جديدة هي الحاسة السادسة، فيها تتلقى حياتنا بعدا جديدا وأمنا داخليا، غير معروف سابقا [1198].

ويفرق الراغب الأصفهاني بين الحدس والوهم والخيال بقوله:

والحدس إسراع الحكم بما لا يأتي به الهاجس من غير توقف فيه مأخوذ من حدس في سيره، أي أسرع، والوهم صورة تتصورها في نفسك سواء كان لها وجود من خارج كصورة إنسان ما، أم لم يكن له وجود كعنقاء مغرب، وغزائل، والخيال تصور ما أدركه الحاسة في النفس [1199].

[1196]- محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- ص 40-41

[1197]- المصدر السابق، ص 41

[1198]- فيليكس إيشباخر، الفراسة وقوة الحدس، تعريب: كامل محمد إسماعيل، مكتبة العبيكان، الرياض-2004، ص 9

[1199]- تفسير الراغب الأصفهاني، ص 115/1

والحدس يدخل في كثير من العلوم كعلم البصريات والطب والهندسة والحساب والفلسفة والمنطق وعلم النفس، وغيرها من العلوم الأخرى :

يقول ابن الهيثم: وأكثر ما يدركه البصر من أوضاع المبصرات إنما يدركه بالحدس من حدسه على مقادير أبعاد أطرافها ومن إدراكه لتساوي أبعاد أطرافها واختلافها بالحدس. فمعول البصر في إدراك أوضاع المبصرات إنما هو على الحدس [1200].

وفي الطب كالتفريق بين شبيهين من المواد :

يقول ابن البيطار : جوهر هذه الحبة متوسط بين الحنطة والشعير على طريق الغذاء وعلى طريق الدواء، ولذلك ينبغي أن يستعمل الحدس في تعرف الحال فيها مما وصفنا به الحنطة والشعير [1201].

وفي سياق آخر فإنه لا يمكن الاعتماد على الحدس وحده في الفحص الطبي عند الجراحة :

إن الفحص -الطبي- يتضمن دفع المفسدة المترتبة على الإقدام على فعل الجراحة الموهومة ودفع المفسدة أمر شهدت نصوص الشرع باعتباره .

ووجه هذه المفسدة أن الأطباء لو أقدموا على علاج المرض بالجراحة استنادًا إلى الحدس والتخمين فإن ذلك في الغالب يفضي إلى تلف الأرواح والأجساد، وقد حرم الله عز وجل ذلك، كما حرم الأسباب المفضية إليه. قال تعالى: **{وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا}** (**النساء/29**). وقال سبحانه: **{وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ }** (**البقرة/195**) [1202].

ومن أمثلة هذه الحالة التي يحكم فيها بتحمل الطبيب الفاحص وحده للمسئولية الكاملة عن فعله أن يقدم على تشخيص المرض عن طريق الحدس والتخمين مع توفر الوسائل والآلات التي يمكن

[1200]- الحسن ابن الهيثم، المناظر، تحقيق: محمود إسماعيل، دار العودة، بيروت-1974، الطبعة الأولى، ص 143

[1201]- ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مكتبة الشاملة وترقيم الشاملة، ص 117/2، الكتاب عبارة عن مخطوطة ممسوح ضوئيها، وكما عثرت عليها في مكتبة المصطفى الإلكترونية، الموقع www.al-mostafa.info

[1202]- محمد بن محمد المختار الشنقيطي، أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، مكتبة الصحابة، جدة، ط2، 1415 هـ - 1994 م، ص 218

بواسطتها التأكد من وجود المرض وعدمه. وذلك لقوله تعالى: **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (البقرة/141)** [1203]

صور الحدس الحسي:

يفرق كانط في الحساسية بين المادة والصورة.

- **فالمادة** : هي موضوع الإدراك الحسي، أي الشيء الذي وقع عليه الإحساس .
- **أما الصورة Forme**: فهي مبدأ باطن في الذات العارفة، وهذا المبدأ يسمح للذات بتنظيم محتوى الإدراك الحسي وفقا لعلاقات خاصة .

والمواد كثيرة جدا كثرة ما تقع عليه الحساسية، أما الصور التي تنظم ما يرد علينا من الخارج من معطيات هذه الحساسية فثنتان:

- **الزمان**
- **والمكان**

وليس للزمان والمكان وجود خارجي حقيقي، بل هما صورتان للذهن يدرك بهما الموجودات وينظم بهما ما يحصله من معارف. ولذلك نحن لا نستطيع أن نتصور — في العالم — شيئا في غير مكان، ولا حدثا في غير زمان. فتصورنا للمكان والزمان حدس أولي سابق على التجربة ولا يرجع إليها البتة، بل قيام التجربة عينها أمر مشروط بوجود هذا الحدس. ولو لم يكن لنا هذا الحدس الأولي بالزمان والمكان لما أمكن أن توجد أحكام تركيبية وأولية في الرياضيات، لأن هذا العلم يقوم على هاتين الصورتين، كما في الهندسة — علم المكان – ، والحساب — علم الزمان – [1204].

ومما ورد في ذكر الحدس من خلال تأويل الآيات القرآنية ، مثال قوله تعالى :

- **{ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا }(الإسراء/36)** وقال القتيبي : المعنى لا تتبع الحدس والظنون ، وكلها متقاربة وأصل القفو البهت بالباطل) [1205]

[1203]- المصدر السابق، ص 498

[1204]- الوجود بين السببية والنظام، ص 123

[1205]- تفسير القرطبي، ص 257/10

- {وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } (يوسف/18) ، يقول عز الدين ابن عبد السلام: { سَوَّلَتْ } زينت ، أو أمرت ، قاله عن وحي، أو عن علم تقدم له به ، أو عن حدس وفراسة[1206].
- {فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ } (الأعراف/7) ، (بِعِلْمٍ)، أي أنه قصص لأعمالهم وأعمال رسلهم بعلم صادق ليس فيه حدس وتخمين[1207].
- {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ } (الذاريات/10)، يقول الطبري رحمه الله: ويدخل في الخرص قول المنجمين وكل من يدعي الحدس والتخمين[1208].
- {وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ } (البقرة/78)، قيل: هو مجرد الحدس[1209]
- {وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ } (الأعراف/17)، وقد عَلِم – الشيطان– ذلك بعلم الحدس وترتيب المسبّبات[1210].
- {مَا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ } (الكهف/51)، وفي الآية رد على المنجِّمين الذين يخوضون في أسرار غيب السماوات بالتخمين ، وعلى الطبائعيين من الأطباء ومن سواهم ، من كل متخوض في هذه الأشياء ، وعلى الكُهّان وكل من يتطلع على الغيب بطريق الحدس ، والمصدقين لهم[1211].

وختاما لهذا المبحث، اختمه بالقاعدة الفقهية بما يخص الحدس، من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إني لَمْ أُوْمَرْ أنْ أشُقَّ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ "[1212].

[1206]- تفسير ابن عبد السلام، ص 495/1

[1207]- زهرة التفاسير، ص 2788/5

[1208]- تفسير الطبري، ص 34/17

[1209]- فتح القدير للشوكاني، ص 105/1

[1210]- التحرير التنوير، ص 50/8

[1211]- البحر المديد، ص 243/4

[1212]- أخرجه أحمد 3/ 4، والبخاري (4351)، ومسلم (1063) (144) من حديث أبي سعيد الخدري قال: بعث علي رضي الله عنه إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة، وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - ، فقال: " ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساءً "، قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله اتق الله، قال: " ويلك أو لست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟ " قال: ثم ولى الرجل فقال خالد بن الوليد يا رسول الله ألا

يقول ابن الوزير من ضمن شرح هذا الحديث: "وقد أجمعتِ الأمة إجماعاً ضرورياً أنه لا يُكَفَّرُ أحدٌ ولا يُفَسَّقُ لمجرد الفهمِ والحَدْسِ ولا يجري بذلك حُكْم مِن أحْكَامِ الشريعة النبوية"[1213].

المبحث الخامس:

الوجد

الوجد لغة: والوَجْد: الحُبّ وجدتُ به أَجِدُ وَجْداً. ووجدتُ الشيءَ أَجِده وِجْداناً. ومثل من أمثالهم: " فأين حلاوة الوِجدان " . وأصل ذلك أن رجلاً من العرب كان يحمِّق فضلَّ له بعير فجعل يقول: من أَرشدني على بعيري فهو له. فقيل له: فما تصنع به إذاً؟ قال: فأين حلاوة الوِجدان. ووجدتُ على الرجل مَوْجِدة، ووجدتُ في المال جِدَةً ووِجداً ووُجداً.
والواجد: الغنيّ ويقال في الحديث: " مَطْلُ الواجد ظُلْمٌ " ويقال: " لَيُّ الواجد ظُلْمٌ " .[1214]

والوجدان: حالة نفسية تجعل الإنسان متأثرا بعواطفه أكثر من تأثره بفكره[1215].

والوجدان في الفلسفة يطلق أولا على كل إحساس أولي باللذة أو الألم، وثانيا على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة[1216].

ويقصد بالوجدان في قاموس علم النفس كل ما يتعلق بالمشاعر والعواطف والانفعالات، ويتضمن تبعا لذلك الاتجاهات والقيم والميول والاهتمامات والتوافق والمزاج. والوجدان ثنائي القطب، فكل استجابة وجدانية لها استجابة وجدانية تناقضها، فالحب يناقضه الكره، والأمل يناقضه اليأس،

اضرب عنقه؟ فقال: لا لعله أن يكون يصلي، قال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " إني لم أؤمر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم ".

[1213]- العواصم والقواصم، ص 152/2

[1214]- جمهرة اللغة، ص 452/1

[1215]- معجم لغة الفقهاء، ص 499/1

[1216]- المعجم الوسيط ص 1055/2

والتقبل يناقضه الرفض.

وإلى عهد قريب كان علماء النفس ينظرون إلى الوجدان باعتباره "متغيرا غير منظم ومشوش، وتصعب السيطرة عليه وضبطه، وأنه يتناقض مع التفكير المنطقي. وقد سادت هذه النظرة منذ القرن الثامن عشر، وسميت بـ"حركة العقلنة" التي لا ترى للوجدان دورا يذكر في نجاح الفرد، وأن حياته ستكون أفضل لو تم تحكيم عقله وعزل انفعالاته، وحتى لا تشوش على التفكير السليم. وأن الانفعالات تعكس صورة غير حضارية للفرد.

وتتضمن الخبرة الانفعالية الوجدان السلبي والوجدان الإيجابي. فالوجدان السلبي بعد مزاجي، يتصف بأنه مؤلم مزعج، ويسبب نظرة سلبية للشخص عن ذاته. ويتكون الواجدان السلبي المرتفع من حالات وجدانية سلبية واسعة، مثل الخوف والعصبية والغضب والشعور بالذنب والازدراء والاشمئزاز والحزن والشعور بالوحدة. أما الوجدان السلبي المنخفض، فيعكس حالات الهدوء والسكون والاسترخاء والانسحاب. وأشار الباحثون إلى أن عامل الوجدان السلبي يشير إلى أن حالات المزاج السلبي تحدث معا، أي أن الشخص يشعر بالخوف والغضب والشعور بالذنب والحزن في نفس الوقت.

وتبعا لهذا الاتجاه، فقد اقتصر مفهوم الذكاء لدى معظم الباحثين، لفترة طويلة من الزمن، على الذكاء المعرفي فقط؛ الذي يشير إلى مجموعة من القدرات المعرفية كالتفكير المجرد والاستدلال والحكم والذاكرة وغيرها. غر أن هذه النظرة أثارت حفيظة بعض السيكولوجيين الذين شعروا بالخوف من سيطرة المدرسة المعرفية على العوامل الأخرى التي تتحكم في السلوك البشري، وفي مقدمتها العامل الوجداني، مما قد يؤدي إلى اختلال النظرة المتزنة إلى الإنسان باعتباره كائنا يجمع بين العقل والوجدان. وأدى هذا الشعور بتحيز علم النفس إلى العامل المعرفي، على حساب العوامل الأخرى، إلى حدوث تغير في نظرة السيكولوجيين إلى الوجدان ودوره في حياة الإنسان، وإلى ضرورة الاعتراف بمكانته في التأثير على السلوك [1217].

[1217]- الدكتور بشير معمرية : "الذكاء الوجداني كمفهوم جديد في علم النفس"، مجلة عالم التربية، مطبعة النجاح، المغرب- الدار البيضاء-2005، العدد 16، ص 53

وقد أشار الدكتور محمد إبراهيم سعفان إلى أن الانفعال جانب من جوانب الوجدان، كما أن السلوك الانفعالي استجابة مركبة، والاضطراب الانفعالي حالة تكون فيها الاستجابة الانفعالية غير مناسبة، أما الوجدان فهو تنظيم من الأحاسيس والمشاعر والانفعالات، وعن طريقه نستشعر الألم والسعادة. في حين أن العاطفة فكرة مركزية تتجمع حولها الانفعالات، وإذا كان الانفعال له خاصية واحدة مثل انفعال القلق أو الخوف أو الغضب، فإن العاطفة هي تنظيم من الانفعالات المتشابهة والمختلفة معا [1218].

وهذا يقودنا إلى الوجدان الأخلاقي:

فالأنا العليا : هي الضمير الذي يوجه سلوك الفرد والجانب الأكبر منه لا شعوري وهو ما نسميه بالضمير أو الوجدان الأخلاقي، لها زواجر وأوامر تفرضها على (الأنا)، وهي سمة خاصة بالإنسان، إذ إنها أمور حتمية صادرة من العالم الداخلي [1219].

قال الله تعالى: **{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ }** (**القيامة/2**) أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات [1220].

{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا } (**الشمس/7-8**)، يقول تعالى ذكره: فبين لها ما ينبغي لها أن تأتي أو تذر من خير، أو شرّ أو طاعة، أو معصية . وقال تعالى : **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}** (**الشمس/9**) يقول: قد أفلح من زَكَّى الله نفسه، فكثَّر تطهيرها من الكفر والمعاصي، وأصلحها بالصالحات من الأعمال [1221]. وقال تعالى: **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ }** (**البلد/10**) أي: منافعه ومضاره التي يهتدي إليها بطبعه وكمال عقله [1222]. وقال تعالى : **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً }** (**الإنسان/3**) أي : بينا له السبيل إلى الشقاء أو السعادة [1223]. وقال تعالى: **{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ }** (**عبس/20**)

[1218]- انظر: د. إبراهيم سعفان؛ " دراسات في علم النفس والصحة النفسية: اضطراب انفعال الغضب"، دار الكتاب الحديث القاهرة، ص 11

[1219]- موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: 2 ، تم تحميله في/ ربيع الأول 1433 هـ

[1220]- تفسير ابن كثير، ص 276/8

[1221]- تفسير الطبري، ص 454/24

[1222]- تفسير القرطبي، ص 122/19

[1223]- تفسير الطبري، ص 224/24

ويعتبر الوجدان أيضا من وسائل الهداية التي منحها الله تعالى للإنسان، حيث أشار بذلك الشيخ حسن البنا فقال:

الوجدان الطبيعي والإلهام الفطري، وهذا يكون مع الطفل منذ ولادته. ألا تراه يشعر بالحاجة إلى الغذاء فيلتقم الثدي ويمتصه بحركة آلية فطرية لا تفكير معها ولا تدبير [1224].

وفي نفس السياق فإن هناك ميادين – وخاصة في معارف عالم الغيب – سبيل معرفتها النقل – أي الوحي – والوجدان – القلب والإلهام – فالهدايات التي يهتدي بها الإنسان هي " العقل " و " النقل " و " التجربة " و " الوجدان " [1225]. وكذلك الطرق التي بها يعرف اختلاف الصفات إما الإدراك، أو الوجدان من النفس، أو اختلاف الأحكام. انتهى بحروفه [1226].

وبمعنى آخر فإنه "لا يجوز أن تترك العبادة للوجدان يقررها كما يطيب له، أو يؤديها الإنسان كما يتخيل: بل لا بد أن يتدخل العقل لتعيين ما تجب عبادته، لأن الوجدان عرضة للخطأ والضلال. وكثيرا ما يدفع الإنسان لعبادة أشياء يجب تحطيمها، أو يدفع لتقديس أشياء محتقرة، فإذا ترك الوجدان وحده يقرر ما يعبده الإنسان أدى ذلك إلى الضلال في عبادة غير الخالق، أو إلى التوهم في التقرب إلى الخالق بما يبعد عنه. ذلك أن الوجدان أو الضمير إحساس غريزي أو شعور يتراءى أمام واقع محسوس فيتجاوب معه، أو هو تفكير يثير هذا الشعور، فإذا أحدث الإنسان رجعا لهذا الشعور بمجرد وصوله دون تفكير، فربما أدى ذلك إلى الخطأ والضلال [1227].

وطريقة القرآن التصويرية تؤدي وظيفتها بمخاطبة العقل والوجدان معا، لإقناع العقل بالحجة والتأثير في الوجدان [1228].

ولذلك لا يجوز أن يضطرب الإنسان بناء على دافع الخيال أو الوجدان وحده، بل لا بد من استعمال العقل معه. ولا يجوز أن تكون عبادة إلا وفق ما يرشد إليه العقل حتى تكون العبادة لمن تهدي الفطرة لعبادته، وهو الله تبارك وتعالى، الخالق المدبر الذي يشعر الإنسان دائما بالحاجة إليه

[1224]- نظرات في كتاب الله، ص 147

[1225]- موقع وزارة الأوقاف المصرية، مصدر سابق

[1226]- العواصم والقواصم، ص 29/5

[1227]- سميح عاطف الزين، علم النفس: معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة، دار الكتاب اللبنانني، بيروت- 1991، ص 194/1

[1228]- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص 454

سبحانه . قال سبحانه وتعالى: {**قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي**} (**الزمر/14**) . وقال تعالى: {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} (**الفاتحة/5**) أي نخصك يا الله وحدك بالعبادة ونوحدك، لا إله إلا أنت رب العالمين، ونتضرع إليك بطلب المعونة على العبادة وغيرها من الطاعات التي ترضيك. قال تعالى: {**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ**} (**الإسراء/23**) [1229].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "القلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة.....ومن جهة الاستعانة والتوكل....فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر، ولا يلتذ ولا يطيب، ولا يسكن ولا يطمئن، إلا بعبادة ربه وحده وحبه والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه (بالفطرة)، من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه. وبذلك يحصل له الفرح والسرور، واللذة والنعمة، والسكون والطمأنينة. وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له؛ فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله، فهو دائما مفتقر إلى حقيقة {**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**} (**الفاتحة/5**) فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده، ولم يحصل له عبادة الله، فلن يحصل إلا على الألم والحسرة والعذاب، ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب لله بحيث يكون الله هو غاية مراده، ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله، لا يحب شيئا لذاته إلا الله" [1230].

إن منهج الخطاب القرآني للبشرية ليس قائما على إثارة المشاعر ومخاطبة الوجدان فحسب، بل إنه مع ذلك يتوجه بالخطاب إلى العقل، فيحثه على التدبر والتأمل، ويثير فيه التساؤلات التي ترشد وجهته، ومن تلك التساؤلات: هل يمكن أن يوجد هذا الكون الهائل بلا خالق؟ **أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (36) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (37) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (38) [الطور/35 – 38]** [1231]

[1229]- نفس المصدر، نفس الصفحة

[1230]- أحمد ابن تيمية، رسالة العبودية، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت - ط7، 1427هـ - 2005م

[1231]- أركان الإيمان، ص 33

ويقول سيد قطب فالتقوى شعور في الضمير ، وحالة في الوجدان ، تنبثق منها اتجاهات وأعمال؛ وتتوحد بها المشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة؛ وتصل الإنسان بالله في سره وجهره [1232].

هذا هو منهج القرآن في مخاطبة الفطرة البشرية بآيات اللّه الكونية ، المبثوثة حول الإنسان في هذا الكون والتي يعلم اللّه سبحانه أن بينها وبين فطرة الكائن البشري لغة مفهومة ، وإيحاءات مسموعة! ولم يلجأ المنهج القرآني إلى الأسلوب الجدلي الذي جد فيما بعد عند المتكلمين والفلاسفة لأن اللّه يعلم أن هذا الأسلوب لا يصل إلى القلوب ولا يتجاوز منطقة الذهن الباردة التي لا تدفع إلى حركة ولا تؤدي إلى بناء حياة وقصارى ما تنتهي إليه حركة في الذهن البارد تتلاشى في الهواء! ولكن الأدلة التي يقدمها المنهج القرآني - بأسلوبه هذا - هي أقوى الأدلة المقنعة للقلب والعقل جميعا - وهذه ميزتها - فإن وجود هذا الكون ذاته أولا. ثم حركته المنتظمة المتسقة المضبوطة وما يقع فيه من تحولات وتغيرات تضبطها قوانين واضحة الأثر - حتى قبل أن يعرفها البشر - ثانيا .. إن هذا كله لا يمكن تفسيره بغير تصور قوة مدبرة .. [1233]

وذلك أن الوجدان الإنساني أقدر على كشف المستورات غير المادية من الفكر المحدود بقيود المادة والأرقام، فالإسلام كثيرا ما يخاطب الوجدان، ويستثير الخواص النفسانية الكامنة في الإنسانية لتتصل بالله تبارك وتعالى وتسمو إلى حظائر الملأ الأعلى [1234].

ومن هذا الوجدان الخوف والرجاء:

يقول الحارث المحاسبي في كتابه "الرعاية لحقوق الله". " باب ما ينال به خوف وعيد الله عز وجل"؛ قلت فبم ينال الخوف والرجاء ؟

قال: تعظيم المعرفة بعظيم قدر الوعد والوعيد.

قلت: فبم ينال عظيم المعرفة بعظيم قدر الوعد والوعيد؟

قال: بالتخويف لشدة العذاب والترجي لعظيم الثواب.

قلت: وبم ينال التخويف؟ قال بالذكر والفكر في العاقبة، لأن الله عز وجل قد علم أن هذا العبد إذا غيب عنه ما قد خوفه ورجاه لن يخاف ولن يرجو إلا بالذكر والفكر، لأن الغيب لا يرى

[1232]- في ظلال القرآن، ص 41/1

[1233]- في ظلال القرآن، ص 1766/3

[1234]- نظرات في كتاب الله، ص 356

بالعين، وإنما يرى بالقلب في حقائق اليقين، فإذا احتجب العبد بالغفلة عن الآخرة... ولم يخف ولم يرج إلا رجاء الإقرار وخوفه. وأما خوف ينغص عليه تعجيل لذته... إنما يجتلب بالذكر والفكر والتنبيه والتذكر لشدة غضب الله وأليم عذابه وليوم المعاد [1235].

قال تعالى: **{وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً }** (**الإسراء/57**)

وحتى لا يطغى وجدان الخوف على المسلم فيلقي به في مهاوي اليأس والقنوط أمر الشارع باللجوء إلى الرجاء والتمسك به كي يحصل الاعتدال والإشفاق، قال تعالى: **{وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً }** (**الأعراف/56**)، وقال تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَـئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }** (**البقرة/218**)

ومما يحسن الإشارة إليه، أن الإفراط في التخويف قد يأتي بنتيجة غير مرضية، ومن ثم ينبغي للمسلم أن يراعي التوازن بين حالتي الخوف والرجاء، لأن الإفراط في الخوف يؤدي إلى اليأس والقنوط، كما أن الإفراط في الرجاء يوقع في التهاون والكسل. وكان فيما قاله أبو بكر الصديق — وهو يودع الدنيا –لعمر بن الخطاب. "... ألم تر يا عمر أنها نزلت آية الرجاء مع آية الشدة، وآية الشدة مع آية الرخاء، ليكون المؤمن راغبا راهبا، لا يرغب رغبة يتمنى فيها على الله ما ليس له، ولا يرهب رهبة يلقي فيها بيديه [1236]

حب الله تعالى:

والمحبة هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون، وعليها تفاني المحبون، وبروح نسيمها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم وآلام ... [1237]

[1235]- الحارث ابن أسد المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، المحقق: عبد الحليم محمود، دار المعارف 1984، ص 61

[1236]- محمد الخضري بك، إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، تحقيق: بديع السيد اللحام، دار الإيمان ، سوريا – 1997، ص 64

[1237]- مدارج السالكين، ص 9/3-10

وحب الله تعالى أسمى أنواع الحب الإنساني، وأكمل الشعور وأجله على الإطلاق. يتجلى حب الإنسان لربه بوصفه عبدا لله تعالى، عليه عبادته وطاعته، والدعاء إليه، والخشية منه، وشكره على نعمه [1238]. قال تعالى: **{قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }** (التوبة/24)، ويقول تعالى : **{وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ }** (البقرة/165)

الذوق الإيماني:

والذوق أبلغ في الدلالة من الحدس، لأن هذا الأخير لا يفيد إلا الإدراك المباشر دون واسطة في مقابل الاستدلال. في حين أن الذوق لا يتعلق بالنظر، وإنما يقتضي حالا تتصل عندها النفس الذائقة بالموضوع المذاق. ومن هنا فإن الذوق سلوك، وليس الحدس كذلك، كما أن الذوق يحصل بالاستغراق في الوجد.

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ذوق طعم الإيمان ووجد حلاوته، فذكر الذوق والوجد وعلقهما بالإيمان، فقال: **" ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد رسولا"** [1239] ، فالذوق والوجد: أمر باطن، والعمل دليل عليه ومصدق له. كما أن الريب والشك والنفاق أمر باطن، والعمل دليل عليه ومصدق له. فالأعمال ثمرات العلوم والعقائد [1240]

– والمؤمنون – تستشعر قلوبهم هذا الوجدان الخاص . وجدان التقوى . الذي يدع هذه القلوب مستجاشة حساسة ، سريعة التأثر والاستجابة لمجالي القدرة ومظاهر الإبداع ومعجزات الخلق المعروضة للأنظار والأسماع [1241].

– والصلاة – بآثارها الروحية وأذكارها وتلاوتها وأدعيتها خير ما يهذب النفس ويرقق الوجدان [1242].

[1238]- علم النفس: معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة، ص 203

[1239]- صحيح، أخرجه مسلم: كتاب الإيمان – باب الدليل على أن من رضي الله رباً... حديث (34).

[1240]- مدارج السالكين، ص 3/104-105

[1241]- في ظلال القرآن، ص 3/1766

[1242]- نظرات في كتاب الله، ص 179

المبحث السادس:

الإحساس

المعنى اللغوي:

[حسس] الحس والحسيس: الصوت الخفي. وقال الله تعالى: **{ لا يسمعون حسيسها }** والحس أيضا: وجع يأخذ النفساء بعد الولادة. ويقال أيضا: ألحق الحس بالاس. معناه ألحق الشيء بالشيء، أي إذا جاءك شيء من ناحية فافعل مثله. والحس أيضا: مصدر قولك حس له، أي رق له.

والحس بالفتح: مصدر قولك حس البرد الكلا يحسه، بالضم. وحسسناهم، أي استأصلناهم قتلا. وقال تعالى: **{ إذ تحسونهم بإذنه }**. وحس البرد الجراد: قتله. والحسيس: القتيل.

والحواس: المشاعر الخمس: السمع، والبصر، والشم، والذوق، واللمس. ويقال أيضا: أصابتهم حاسة، وذلك إذا أضر البرد أو غيره بالكلا.

ويقال أيضا: حسست بالخبر وأحسست به، أي أيقنت به [1243].

وعرف الفخر الرازي (التحسس) بأنه: طلب الشيء بالحاسة ، وهو شبيه بالسمع والبصر [1244].

المعنى الاصطلاحي:

الإحساس Sensation

الإحساس إدراك الشيء بإحدى الحواس، فإن كان الإحساس للحس الظاهر فهو المشاهدات، وإن كان للحس الباطن فهو الوجدانيات . وفي الفكر الأوروبي في القرن التاسع عشر: الإحساس متصل اتصالا وثيقا بالحالات الوجدانية الجسمية. أما العاطفة فاتصالها وثيق بالحالات الوجدانية الناشئة عن التفكير والحياة الخلقية [1245].

[1243]- الصحاح في اللغة، ص 54/4-55

[1244]- التفسير الكبير، ص 198/18

[1245]- مجدي وهبة و كمال المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت - 1984، ص 14

الإحساس: الإدراك ببعض الحواس الخمس، وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس [1246] .

وعرف ابن الجوزي الحس الباطني بأنه: إدراك النفس ما لا تدركه بآلات الحِسّ [1247] (آلات الحس: الحواس الخمسة) .

وقال الألوسي: وأصل الإحساس الإدراك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة [1248].

وأما التعريف المعاصر عند علماء النفس للإحساس:

فهو: قرع المنبهات الحسية لحواسنا، وانتقال أثر هذه المنبهات إلى المخ عن طريق أعصاب خاصة، وتحول هذه المنبهات إلى حالات شعورية نوعية بسيطة. فهو الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس، وتأثر مراكز الحس في الدماغ، كالإحساس بالألوان والأصوات والروائح والمذاقات والحرارة والبرودة والضغط [1249] .

والإحساس هو: تلقي المؤثرات الخارجية بالحواس المختلفة، بما يؤدي إلى إدراكها، فالإحساسات تكون بصرية أو سمعية وهكذا حسب أنواع الحواس المختلفة [1250].

ويقسم ابن سينا الإحساس إلى [1251]:

الإحساس الظاهر

الإحساس الباطن

وأما الإحساس الظاهر، فإما أن يكون:

إدراكا عقليا: فهو امتثال صور المعقولات في العقل

أو، إدراكا حسيا: فهو امتثال صور المحسوسات في الحواس

[1246]- البحر المحيط ص 357/2

[1247]- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، ص 240/1

[1248]- تفسير الألوسي، ص 167/2

[1249] - أصول علم النفس العام، ص187

[1250]- السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين، ص 67

[1251]- الإدراك الحسي عند ابن سينا، ص 45 ، ص 134

ويقول ابن سينا: ((... المحسوسات كلها تتأدى صورها إلى آلات الحس وتنطبع فيها فتدركها القوى الحاسة)). ويقول أيضا: ((كل واحدة من هذه القوى الحاسة إذا حققت فإنما تدرك بتشبّهٍ بالمحسوس. بل إنما تدرك أولا ما تأثر فيها من صورة المحسوس . فإن العين إنما تدرك الصورة فيها من المحسوس)).

ويعرف الإحساس الظاهر: بأنه قبول الحس لصورة المحسوس، أو استحالة الحس إلى مشابهة المحسوس . ويقول أيضا: إن الإحساس انفعال ما أو مقارن لانفعال ما [1252].

وأما تعريف الإحساس الباطن عند ابن سينا: فإنه إدراك صور المحسوسات والمعاني الجزئية الموجودة فيها. ويصاحب هذا الإدراك انفعال يحدث في أعضاء الحواس الباطنة. غير أن المؤثر في الحواس الباطنة يوجد في الداخل، بينما المؤثر في الحواس الظاهرة يوجد في الخارج [1253].

ويقول أبو حيان: فالروح لها تدبير عالم الحياة ، والنفس لها تدبير عالم الإحساس [1254].

والإحساسات لدى الإنسان على ثلاثة أنواع [1255] :

إحساسات باطنية عامة: وهي مجموعة الإحساسات الخاصة بداخل البدن كامتلاء الأمعاء، وتغير الحالة الكيميائية للجسم بنقص الماء والملح.

احساسات باطنية خاصة: وتتصل بالجهاز العضلي للجسم، كالإحساس بالحركة والإحساس بالاتزان وهو — وضع الجسم — إحساس تلقائي حشوي.

إحساسات خارجية: وهي الإحساسات المتعلقة بالعالم الخارجي، التي تخضع للجهاز العصبي المركزي. وهذه الإحساسات هي الإستجابة للمثيرات الخارجية، فمن المعروف أن للإنسان خمس أنواع الإحساسات، هي السمع والبصر واللمس والذوق والشم، وهي نوافذ الجسم إلى العالم الخارجي. والحواس في الإنسان وسيلة للإدراك، إما لحدوثه أو لحفظه [1256]، والإدراك عملية عقلية تنتج من الإحساس [1257]. أو بعبارة أخرى: إن الإدراك: هو العلم بما حولك أو بما تسمع أو بما

[1252]- الإدراك الحسي عند ابن سينا ، ص 45-49

[1253]- نفس المصدر ، ص 136

[1254]- البحر المحيط ص 426/7

[1255] - المدخل إلى علم النفس العام، ص87-88

[1256] - جامع العلوم، ص 5/2

[1257] - السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين، ص67

يخطر على بالك . أي: الإحساس الإدراكي بالحواس الخمسة المختلفة التي بها تستطيع أن تدرك وتعلم [1258]. ولكي يحدث الإدراك لابد من حدوث الإحساس.

وتتضح حكمة الله – سبحانه وتعالى – من جعل الحواس مقابلة للمحسوسات، في أن لكل حاسة من الحواس شيئاً تدركه، وتختص بإدراكه، إذ "لاشك أنَّ الله تعالى خلق كلاً من الحواس الإدراك أشياء مخصوصة كالسمع للأصوات والذوق للطعوم، والشم للروائح، لا يدرك بها ما يدرك بالحاسة الأخرى" [1259].

لقد وردت (حسّ) في القرآن الكريم في ستة مواضع بصيغ مختلفة، أستعرضها أدناه:

- {**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ** } (**آل عمران/52**) يقول الرازي: الإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة وههنا وجهان **أحدهما** : أن يجري اللفظ على ظاهره ، وهو أنهم تكلموا بالكفر ، فأحس ذلك بإذنه **والثاني** : أن نحمله على التأويل ، وهو أن المراد أنه عرف منهم إصرارهم على الكفر ، وعزمهم على قتله ، ولما كان ذلك العلم علماً لا شبهة فيه ، مثل العلم الحاصل من الحواس ، لا جرم عبر عن ذلك العلم بالإحساس [1260]. وحمله الطبري على معنى: فلما وَجد عيسى منهم الكفر [1261].
- {**إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ** } (**آل عمران/152**) ومعنى تحسونهم : تقتلونهم [1262]. وقال الطبري: فأما"الحَسُّ"، بغير"ألف"، فهو الإفناء والقتل [1263]،
- {**يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ** } (**يوسف/87**) أي فتعرفوا ، وهو تفعل من الحس وهو في الأصل الإدراك بالحاسة ، وكذا أصل التحسس طلب الإحساس ، واستعماله في التعرف استعمال له في لازم معناه وقريب منه التجسس بالجيم ، وقيل : إنه به في الشر وبالحاء في الخير [1264]. وقال الشوكاني: التحسس بمهملات : طلب

[1258] ـ المصدر السابق، ص 20
[1259] ـ كشاف اصطلاحات الفنون: التهاوني، ص 45/2
[1260] ـ تفسير الرازي، 54/8
[1261] ـ تفسير الطبري، ص 442/6
[1262] ـ البحر المحيط ص 62/3
[1263] ـ تفسير الطبري، ص 443/6
[1264] ـ تفسير الألوسي، ص 42/7

الشيء بالحواس ، مأخوذ من الحسّ ، أو من الإحساس أي : اذهبوا فتعرّفوا خبر يوسف وأخيه وتطلبوه [1265].

- **{هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً}** (مريم/98) أي هل ترى منهم أحد وتجد [1266]. وقال الطنطاوي: للنفي : أي : ما تحس منهم أحداً ولا ترى منها دياراً . يقال : أحس الرجل الشيء إحساساً ، إذا علمه وشعر به [1267].
- **{فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ}** (الأنبياء/12) والإحساس الإدراك بالحاسة أي فلما أدركوا بحاستهم عذابنا الشديد ، ولعل ذلك العذاب كان مما يدرك بإحدى الحواس الظاهرة ، وجوز أن يكون البأس استعارة مكنية ويكون الإحساس تخييلاً وأن يكون الإحساس مجازاً عن مطلق الإدراك أي فلما أدركوا ذلك **{ إِذَا هُمْ مِّنْهَا }** أي من القرية **{ يَرْكُضُونَ }** [1268]
- **{لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ}** (الأنبياء/102) **والحسيس الصوت الذي يحس من حركة الأجرام** [1269]. **والحسيس الصوت الذي يحس** [1270].

الجلد مكان الإحساس:

قال تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً} (النساء/56)

إن أهم ما أوكل إلى الجلد هو (وظيفة الحسّ) بجميع أنماطه من لمس وحرارة وألم.

ففي سطحه الفسيح ما يدعى بنقاط الحس وهي التي يبدأ منها صدور الشعور وتوافق نهاية الليفات العصبية وعدد هذه النقاط في السنتيمتر المربع يختلف حسب شأن البقعة في استقبال

1265- فتح القدير للشوكاني، ص 49/3
1266- تفسير القرطبي، ص 162/11
1267- التفسير الوسيط ص 77/9
1268- تفسير الألوسي، 16/9
1269- البحر المحيط ص 249/6
1270- تفسير الرازي، ص 196/22

الحس وأكثرها في الأنامل، وينتقل الحس من تلك النقاط إلى الليفات فالألياف حتى مراكز الجملة العصبية المركزية حيث يكون إدراكها واستبيان دلائلها ..
وقد جاء هذا صريحا في أن الجلد دون غيره من أجزاء البدن هو وحده مصدر الألم [1271].

وقال الشيخ الزنداني:
وإذا كان جل وعلا يخبرنا بأنه سيبدل الجلد جلدا آخر لنذوق عذاب النار فإنه عندما أخرنا بالعذاب الذي سيكون بالمعدة من شراب النار لا يكون بتغيير معدة أخرى للتألم لا، قال تعالى:
{وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ } (محمد/15)
ولماذا هنا قطع أمعاءهم؟ لأنهم وجدوا تشريحيا أنه لا يوجد أبدا أعصاب للإحساس بالحرارة أو البرودة بالأمعاء وإنما تتقطع الأمعاء فإذا قطعت الأمعاء ونزلت في الأحشاء فإنه من أشد أنواع الآلام. تلك الآلام التي عندما تنزل مادة غذائية إلى الأحشاء عندئذ يحس المريض :انه يطعن بالخناجر.. فوصف القرآن ما يكون في الجلد ووصف ما يكون هنا بالمعدة والأمعاء وكان وصفا لا يكون إلا من عند من يعلم سر تركيب الجلد وسر تركيب الأمعاء [1272].

ومن أمثلة ما ورد في تأويل الإحساس، قوله تعالى:

- **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (النحل/78)**، قال الألوسي في تأويل هذه الآية: والمعنى جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوها بأفئدتكم وتنتبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرير الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية [1273].

[1271]- يوسف الحاج أحمد، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهرة، مكتبة دار ابن حجر، دمشق 2003، ط2، ص 154
[1272]- المصدر السابق، ص 155
[1273]- تفسير الألوسي، ص 438/7

- **{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ } (الرعد/9)** أي : عالم ما غاب من الإحساس وما حضر [1274]

- **{لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ } (الأنبياء/103)** وقال الزمخشري : ما لا يخلو منه أحد عند الإحساس بشدة نفع ، وهو يفجأ من رعب وهيبة ، وإن كان المحسن يأمن لحاق الضرر به [1275].

- **{فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى } (الزمر/42)**، يقول الشوكاني : إن توفي الأنفس حال النوم بإزالة الإحساس ، وحصول الآفة به في محل الحسّ ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ولا يردّها إلى الجسد الذي كانت فيه ، ويرسل الأخرى بأن يعيد عليها إحساسها [1276].

- **{آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً } (القصص/29)** وأصل الإيناس على ما قيل الإحساس فيكون أعم من الإبصار [1277]

- **{إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا } (الحجر/15)، وهو سدّها عن الإحساس** [1278]

[1274]ـ فتح القدير للشوكاني، ص 207/5
[1275]ـ البحر المحيط ص 76/7
[1276]ـ فتح القدير للشوكاني، ص466/4
[1277]ـ تفسير الألوسي، ص 280/10
[1278]ـ فتح القدير للشوكاني، ص 123/3

الباب الرابع

وظائف التواصل وضوابطه وآثاره العمرانية [1279]

الفصل الأول:

وظائف التواصل في القرآن الكريم

ويتبين لنا مما سبق أن التواصل هو "جوهر العلاقات الإنسانية وأساسها الذي تبنى عليه" [1280]. وهو تقرير رباني، أقره الله عز وجل في عدد من آياته كما ذكرت ذلك سابقا، ومن خلال هذا التقرير فإنه يمكن أن يتبين لنا وظائف التواصل، والتي تتفاوت في مجملها من مجتمع لآخر حيث أنها مرتبطة بالتطور المعرفي والتكنولوجي والفكري. ويقول فيركينس: للتواصل وظائف مختلفة، وذلك لأن الناس تتواصل مع بعضها البعض لأسباب مختلفة [1281]. وعلى هذا الأساس يمكن لي أن أقسم هذه الوظائف إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وقد أشار الهولندي فيركينس إلى هذه الوظائف في كتابه مهارات التواصل، وسأبين ذكر ذلك مع كل وظيفة :

المبحث الأول: وظيفة التبليغ

المبحث الثاني: وظيفة الإقناع

المبحث الثالث: وظيفة التودد والترغيب

المبحث الرابع: وظيفة الترهيب والتخويف والتهديد

المبحث الخامس: وظيفة التذكير

المبحث السادس: وظيفة الانتصار والغلبة

المبحث السابع: وظيفة الإفحام

[1279]- العمران باصطلاح ابن خلدون: هو الحضارة بمفهومها الشامل للجوانب الروحية والثقافية والاجتماعية ... الخ

[1280]- عبد اللطيف الفارابي وآخرون، معجم علوم التربية، سلسلة علوم التربية، عدد 9-10، دار الخطابي للطباعة والنشر 1994، ص 43

[1281]- Verckens J. Piet, communicatievaardigheden, Garant, Apeldoorn, 1999, p. 19

المبحث الأول:

وظيفة التبليغ

يعتبر الهولندي "فيركينس" J. Piet Verckens أن وظيفة التبليغ هي أول وظائف الاتصال، ويقول بصدد هذا : "تتواصل الناس حول العالم لتبليغ المعلومات" [1282].

إن من أهم وظائف التواصل في القرآن الكريم، وظيفة التبليغ، حيث يقول ابن عاشور: "التبليغ الذي هو مهمة كل القرآن[1283]، وفي التبليغ " معجزة الرسالة الخاتمة، أو الآية الدالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في التبليغ عن ربه هي القرآن الذي جمع بين البيان الواضح، والإعجاز القاطع لحجة العناد والجحود، وذلك ليتهيأ استمرار التبليغ بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، واستمرار وسائل الإقناع على مر الزمن" [1284]. وهي التي تسمى في التواصل الحديث الوظيفة الإعلامية، حيث تحمل رسائل واضحة من المرسل (الله عز وجل) إلى المستقبل كان من كان. يقول الله تعالى: **{هَذَا بَلاَغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ وَلِيَعْلَمُواْ أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ }** (إبراهيم/**52**)، ويقول تعالى: **{إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغاً لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ }** (الأنبياء/**106**)، ويقول تعالى: **{إِلَّا بَلَاغاً مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ }** (الجن/**23**)

وقد بين الله تعالى أن من جملة وظائف الرسول صلى الله عليه وسلم وبقية الرسل عليهم السلام، التبليغ عن ربهم، يقول الطنطاوي: أما أنت – محمد صلى الله عليه وسلم – فوظيفتك التبليغ والإرشاد ثم بعد ذلك من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر [1285]. قال تعالى: **{مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ }** (المائدة/99). ويقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ }** (المائدة/**67**)، ويقول تعالى جل ذكره: **{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي }** (الأعراف/**62**–الأعراف/**68**) ويقول تعالى: **{لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ }**

[1282] - Verckens J. Piet, communicatievaardigheden, Garant, Apeldoorn, 1999, p. 19

[1283] - التحرير والتنوير، ص 185/22

[1284] - محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومراجعة: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة – 1997، ص 40

[1285] - التفسير الوسيط، ص 255/2

(الأعراف/79) ويقول تعالى: {فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ } (النحل/35) وقال تعالى : {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ } (هود/57) وقال عز من قائل: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ } (الأحزاب/39) وقال تعالى : {قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ } (الأحقاف/23) وقال تعالى: {لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ } (الجن/28) ويقول تعالى: {فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ } (الرعد/40) ويقول تعالى: {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ } (النحل/82) ويقول تعالى: {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ } (الشورى/48)

المبحث الثاني:
وظيفة الإقناع

ويذكر فيركينس في كتابه "مهارات التواصل" أن ثالث وظائف الاتصال هي وظيفة الإقناع، يقول: "يتواصل الناس لإقناع الآخرين، أو لحثهم على فعل عمل ما" [1286].

وتقوم هذه الوظيفة إلى تقديم خطاب عقلاني يحاكي العقل والمنطق بأدلة وبراهين واضحة، في مختلف أمور الدنيا والآخرة، يقول الزركشي: أنّ القرآن قد اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة والحجج وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحديد شيء من كليات المعلومات العقلية والسّمعية إلاّ وكتاب الله قد نطق به [1287]. وتعتمد في كثير من الأحيان على العلم المخبري، الذي توصل إليه العلم الحديث لاحقا بعد أكثر من أربعة عشر قرن من نزول القرآن الكريم، ومثال ذلك قوله تعالى: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً } (النساء/56)**

قال الشيخ الزنداني: الناس من قبل كانوا يتصورون أن جسم الإنسان حساس كله أينما ضربته يتألم، تضربه في رأسه يتألم، تضربه في عينيه يتألم، وكانوا يعتقدون أن جسمه حساس كله للألم حتى تقدم علم التشريح فجاء بحقيقة قال: لا ليس الجسم كله، بل الجلد فقط هو مصدر الألم .. بدليل أنك لو جئت بإبرة ووضعتها في جسم الإنسان فإنها بعد أن تدخل من جلد الإنسان إلى اللحم لا يتألم، ثم شرّحوا هذا تحت المجهر فوجودا أن الأعصاب تتركز في الجلد... [1288]

ولذلك فإنّ الصور المنطقية التي استعملها هذا الخطاب ليست واردة فيه بحسب مدارك النبي (فتكون هذه الصور متطابقة تماماً مع هذه المدارك كما قد يعتقد البعض)، بل إنّ الصور المنطقية التي استعملها القرآن في صور يستعملها عامة الناس من حيث هم بشر ذوو طبيعة معاصرة لماهية

[1286] Verckens J. Piet, communicatievaardigheden, Garant, Apeldoorn, 1999, p. 19 -

[1287]- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، لبنان، دار المعرفة، ط2، 1972، ص 34/2

[1288]- موسوعة الإعجاز في القرآن الكريم والسنة المطهرة، ص 154

مصدر الخطاب [1289]. والخطاب القرآني في مواطن كثيرة وآيات عديدة يخاطب هذا العقل بقوله: أفلا تعقلون، يا أولي الألباب، وهكذا من الخطابات الربانية الواضحة في آياته سبحانه وتعالى، ومن هذه الأمثلة من آيات الله، قوله: **{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا }** (الأنبياء/22) أي لو كان فيهما إلهان لفسد التدبير، لان أحدهما إن أراد شيئا والآخر ضده كان أحدهما عاجزا: وقيل: معنى " لفسدتا " أي خربتا وهلك من فيهما بوقوع التنازع بالاختلاف الواقع بين الشركاء [1290]. ويكرر القرآن موضحا الأمر في موطن آخر وبأسلوب الإقناع : **{قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لاَّبْتَغَوْاْ إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلاً }** (الإسراء/42) أي : إلى مغالبته وإفساد ملكه لأنهم شركاؤه كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض [1291].

[1289]- محمود يعقوبي، المنطق الفطري في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- 2000، ص 18

[1290]- تفسير القرطبي، ص 279/11

[1291]- البحر المحيط ص 27/6، ولتفصيل التفصيل في هذا الموضوع، الرجوع إلى : مفاتيح الغيب للرازي، ص 2/11

المبحث الثالث:

وظيفة التودد والترغيب

وتطرق فيركينس لهذا الطرح في النقطة الثانية من وظائف الاتصال، بقوله: وكذلك يتواصل الناس للتعبير عن مشاعرهم[1292].

يتودد الله عز وجل لعباده، برحمته ورأفته بهم، لينيبوا إليه، ويحفظوا أنفسهم من عذاب أليم، يقول الله تعالى: **{وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ}** (**هود/90**) أي كثير الود والمحبة فيحب من يتوب ويرجع إليه[1293]، يقول الشيخ عائض القرني: - أن الله سبحانه —كثير الغفران لأهل الذنوب والعصيان، وواسع الحلم والتودد لكل تائب ندمان، للمقصر يغفر وللمقبل يتودد[1294]، فيستعمل الله عز وجل كلمات التودد مع عباده، بقوله مثلا: **يا عبادي** ....، وحتى الآيات التي فيها الوعيد بالعذاب والعقاب، هي آيات يذكرها الله عز وجل لجميع خلقه حتى يتوبوا ويرجعوا وينيبوا له قبل فوات الأوان من موت أو قيام قيامة، فتدخل بذلك هذه الآيات تحت التودد، قال تعالى : **{وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}** (**السجدة/21**) يقول: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا[1295]. وهذه هي رحمة الله بعباده وخلقه أجمعين، حيث يحذرهم ويسبق لهم القول قبل الوقوع فيه وقبل أن يحق عليهم العذاب بكفرهم وعصيانهم، وبهذا الصدد يقول الله تعالى: **{قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}** (الزمر/53)

وأما الترغيب، بأن "يدعوهم بالرغبة والرهبة، لعلهم يرجعون إلى الحق وإتباع الرسول والاتعاظ بالقرآن وزواجره، وامتثال أوامره، وتصديق أخباره "[1296]، إنّ من أشهر أساليب القرآن في الدعوة إلى الخير والدعوة إلى نبذ الشر أسلوب الترغيب والترهيب لما فيه من فائدة لتحقيق الأهداف التي

1292 - Verckens J. Piet, communicatievaardigheden, Garant, Apeldoorn, 1999, p. 19

1293- تفسير الألوسي، ص 317/6

1294- عائض القرني، التفسير الميسر، العشر الأخير، مكتبة العبيكان، الرياض – 1428هـ - 2007م ، ص 81

1295- تفسير الطبري، ص 189/20

1296- تفسير ابن كثير، ص 242/1

جاء بها القرآن الكريم، وذلك؛ لأنّه بدأ كتاب دعوة وخُتِم كتاب تشريع وتوجيه، كتاب دعوة يدعو إلى عبادة الله وطاعة رسوله والى الدين الحقِّ الذي أراده الله للإنسان، طريق هداية وسبيل نجاة، فيكون من الطبيعي أنّ يعيش القرآن واقع تلك الدعوة ويعرض أساليبها ووسائلها ويحاكم الشبهات والافتراءات التي وجهت إليها [1297]. وقد استعمل القرآن الترغيب في ذكر ما تطمئن إليه النفس وبما يفرحها ويترك الأمل أمامها للوصول إلى أسمى غاياتها [1298]، ومثال ذلك قوله تعالى: **{وَبَشِّرِ الَّذِين آمَنُواْ وَعمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}** (البقرة/25) ، رغَّب الله جل ثناؤه بهذه الآية عبادَه في الإيمان، وحضّهم على عبادته بما أخبرهم أنه أعدّه لأهل طاعته والإيمان به عنده [1299].

واستعمل القرآن الكريم الترغيب حتى مع مخالفي الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: **{فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ}** (الأنعام/147)، يقول تعالى: فإن كذبك يا محمد مخالفوك من المشركين واليهود ومن شابههم **"فقل ربكم ذو رحمة واسعة"** وهذا ترغيب لهم في ابتغاء رحمة الله الواسعة بإتباع رسوله [1300].

[1297]- أنظر: أسلوب الدعوة في القرآن، فضل الله، ص 21

[1298]- عبد الحكيم السعدي، الترغيب والترهيب، مطبعة الميناء، بغداد – 2002، ص 7

[1299]- تفسير الطبري، ص 385/1

[1300]- الحافظ ابن كثير، عمدة التفسير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الوفاء، القاهرة - 2005، ط 2، ص 120/5

المبحث الرابع:

وظيفة الترهيب والتخويف والتهديد

تجتمع هذه المفردات في اللغة العربية بمعنى واحد وهو: التحذير، وسأبين هذا المعنى من خلال الرجوع إلى أمهات اللغة.

التحذيرُ في اللغة

قال الجوهري (ت 393هـ) : ((الحَذَرُ والحِذْر: التحرز (...) وقد حذرتُ الشيء أحْذُرهُ حَذَراً، ورَجُلٌ حَذِرٌ وحَذُرٌ ، أي: متيقّظ (...) التحذير التخويف (...) حاذرون متأهبون))[1301] . والى مثل هذا ذهب ابنُ منظور (ت 711هـ) قائلاً: ((الحذْرُ، والحَذَرُ الخِيفةُ، حَذِرَه يَحْذَرَهُ يَحْذَرُه حذراً واحتذرَهُ، ورجلٌ حَذِرٌ وحَذَرَ (...) متيقّظ شديدُ الحذر والفزع متحرّز، وحَاذِرٌ متأهّب (...) التحذير التخويف))[1302] .

وقد أفاد الزبيدي الدلالةَ المعجميّة ذاتها لـ(حذر) بقولهِ: ((الحِذْرُ بالكسر ، ويُحَرَّك الخيفةُ، وقيل: هو الاحتراز، وفسره قومٌ بالاستعداد والتأهّب ، وقومٌ بالفزع (...) حاذِرٌ متأهّب مُعِدٌّ كأنَّه يحذرُ أن يُفاجأ (...) القومُ الذين يُحذِّرون ، أي: يُخوِّفون (...) التحذير التخويف))[1303] . وقد تابع اللاحقون السابقين في إفادتهم المعاني ذاتها، إذ ذكروا أنَّ التحذير من الشيء تخويفُ منه[1304] .

ومعاني التحذير في مجملها تفيدُ الترهيب؛ وذلك لأنَّ ((الترهيب: التخويف))[1305] . وبهذا فإنَّ التحذير والترهيب يشتركان في إفادتهما لدلالة واحدة وهي التخويف .

[1301]- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية، اسماعيل بن حَمّاد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 1984م: 626/2، ينظر: كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، والدكتور ابراهيم السامرائي، طُبِعَ في مطابع الرسالة، الكويت، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1400هـ 1980م : 3/ 199.

[1302]- لسان العرب ، للعلامة ابي الفضل جمال الدين ابن منظور،دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت 1968م: 4/ 175-176.

[1303]- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: محمود محمد الطنطاوي، مراجعة: مصطفى حجازي، وعبد الستار أحمد فراج، دار الجيل، مطبعة حكومت الكويت 1976: 10/ 564-566، 567-568.

[1304]- ينظر: المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية)، قام باخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيّات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران : 1/ 162.

[1305]- الصحاح 1/ 140، ينظر: لسان العرب 1/ 436.

أما النحاة فقد جاء في حدِّهم للتحذير هو "تنبيه المخاطب على أمر يجب الاحتراز منه"[1306].

وقد ذهب العلاّمة الخضري إلى ما يُقرب من هذا بقوله: "التحذيُر هو التبعيد عن الشيء"[1307].

أمّا المفسرون فقد ذكروا "الحَذرُ إعداد ما يتقي الضرر ومثلُه الخوف، حذرت حذراً، وتَحَذَّر تحذّراً (...) وحذَّرَهُ تحذيراً"[1308]. وفي موضع ثانٍ أفاد الشيخ الطوسي (ت 460هـ) ما يُبيّن الكيّفية التي يتم بها إعداد ما يتقي الضرر بقوله : "الحَذَرُ تجنّب الشيء لما فيه من المكروه"[1309]. أما الفخر الرازي (ت 606هـ) فقال : "الحَذَرُ، التّحذّر والتيقّظ"[1310]. مما ذهب إليه الفخر الرازي يتبيّن أنه لم يرد بالحذر الاستعداد واليقظة فحسب بل أراد المبالغة فيهما وذلك بيِّن من التشديد الذي أدخله على المعاني التي أفادها.

ونستنتج من المعنى اللغوي:

أن وظيفة الترهيب والتخويف والتهديد تكمن في التحذير، والتحذير هو: "تنبيه المخاطب على أَمر يجب الاحتراز منه"[1311]، وهو "التبعيد عن الشيء"[1312] أي : النهي عن فعل الشيء المحذَّر منه – أو المخَوَّف منه- بإظهار مساوئه وأَضراره بأسلوب "طريقة القرآن التصويرية التي تؤدي وظيفتها بمخاطبة العقل والوجدان معا، لإقناع العقل بالحجة والتأثير في الوجدان"[1313]، لترسم له صورة مخيفة، لها أَثر نفسي عند المتلقّي مما يجعلهُ ينفر ويرهَب عند سماعه تلك الآيات،

1306- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (698-769هـ) ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد، الناشر ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط14، 1385هـ-1965م: 2/ 300.

1307- حاشية الخضري على ابن عقيل للعلاّمة الشيخ محمد الخضري، على شرح العلاّمة ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وبهامشه شرح ابن عقيل، طُبِعَ بمطبعة دار احياء الكتاب العربي، عيسى اليابي الحلبي وشركاؤه، دون تاريخ : 2/ 87.

1308- حاشية الخضري على ابن عقيل للعلاّمة الشيخ محمد الخضري، على شرح العلاّمة ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وبهامشه شرح ابن عقيل، طُبِعَ بمطبعة دار احياء الكتاب العربي، عيسى اليابي الحلبي وشركاؤه، دون تاريخ : 2/ 87.

1309- المصدر نفسه 11/ 370.

1310- التفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، مطبعة البهية، مصر ، ط1، 1357هـ: 11/ 26-27.

1311- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (698-769هـ) ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد، الناشر ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط14، 1385هـ-1965م: 2/ 300.

1312- حاشية الخضري على ابن عقيل للعلاّمة الشيخ محمد الخضري، على شرح العلاّمة ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وبهامشه شرح ابن عقيل، طُبِعَ بمطبعة دار احياء الكتاب العربي، عيسى اليابي الحلبي وشركاؤه، دون تاريخ : 2/ 87.

1313- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، ص 454

"وبهذا يكون الترهيب لما فيه من فائدة لتحقيق الأهداف التي جاء بها القرآن الكريم" [1314]. ذلك هو الهداية وتقويم السلوك الإنساني.

يقول تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ } (البقرة/235) قال القرطبي: هذا نهاية التحذير من الوقوع فيما نهى عنه [1315]. وقال ابن عباس : فاحذروه ، الهاء تعود على الله تعالى ، أي : فاحذروا عقابه. وقال الزمخشري : يعلم ما في أنفسكم من العزم على ما لا يجوز فاحذروه ولا تعزموا عليه [1316]. ويقول أبو حيان أيضا: في قوله : { يعلم ما في أنفسكم } ومنها : التهديد ، بقوله { فاحذروه } [1317]

ثم إنه تعالى ختم الآية بالتهديد فقال : { واعلموا أَنَّ الله يَعْلَمُ مَا فِى أَنفُسِكُمْ فاحذروه } وهو تنبيه على أنه تعالى لما كان عالماً بالسر والعلانية ، وجب الحذر في كل ما يفعله الإنسان في السر والعلانية [1318].

- ويقول تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ } (آل عمران/28) قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك، ويخوّفكم الله من نفسه أن تَرْكبوا معاصيه، أو توالوا أعداءه [1319]، وقال ابن كثير: أي: يحذركم نقمته، أي مخالفته وسطوته في عذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه [1320]. وقال تعالى: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ } (آل عمران/30) يقول الطبري: وأنّ من رأفته بهم: تحذيرُه إياهم نفسه، وتخويفهم عقوبته، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه من معاصيه [1321].

[1314]- أنظر: أسلوب الدعوة في القرآن، فضل الله، ص 21
[1315]- تفسير القرطبي، ص 196/3
[1316]- البحر المحيط، ص 167/2
[1317]- المصدر السابق، نفس الصفحة
[1318]- تفسير الرازي، ص 115/6
[1319]- تفسير الطبري، ص 317/6
[1320]- تفسير ابن كثير، ص 31/2
[1321]- تفسير الطبري، ص 321/6

- وقوله تعالى: (**واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه**) هذا نهاية التحذير من الوقوع فيما نهى عنه [1322].
- يقول تعالى: {**وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً**} (**الإسراء/59**)
- ويقول تعالى، مخوفًا لعباده: {**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ**} وذلك من كثرة ما ألقي فيها، {**وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ**} أي: لا تزال تطلب الزيادة، من المجرمين العاصين، غضبًا لربها، وغيظًا على الكافرين [1323]. و قد ثبت ذلك في الحديث لقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((**لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا وَهِيَ تَقُولُ هَلْ مَنْ مَزِيدٍ. حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا رِجْلَهُ وَفِي رِوَايَةٍ عَلَيْهَا قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَتَقُولُ قَطْ قَطْ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**)) [1324]

وقال تعالى: { **لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ**} (**الزمر/16**) يقول الطبري: يقول تعالى ذكره: تخويف من ربكم لكم، يخوفكم به لتحذروه، فتجتنبوا معاصيه، وتنيبوا من كفركم إلى الإيمان به، وتصديق رسوله، وإتباع أمره ونهيه، فتنجوا من عذابه في الآخرة(فَاتَّقُونِ) [1325]

- وقال تعالى: {**لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ** } (الزمر/**16**) ويقول تعالى: {**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً** } (**النساء/56**)

وفي التهديد، يقول تعالى جل ذكره: {**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ** } (**البقرة/279**) يقول أبو حيان: فالإعلام أو العلم بالحرب جاء على سبيل المبالغة في التهديد دون حقيقة الحرب [1326]. ويقول تعالى : { **وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**} (**المائدة/96**) والمقصود منه التهديد ليكون المرء مواظباً على الطاعة محترزاً عن المعصية [1327].

[1322]- تفسير القرطبي، ص 196/3
[1323]- تفسير السعدي، ص 806
[1324]- البخاري : الأيمان والنذور (6661) , ومسلم : الجنة وصفة نعيمها وأهلها (2848) , والترمذي : تفسير القرآن (3272) , وأحمد (234/3).
[1325]- تفسير الطبري، ص 272/21
[1326]- البحر المحيط ص 256/2
[1327]- تفسير الرازي، ص 83/12

ولقد اجتمعت معاني التخويف والتهديد والتحذير والوعد والوعيد والخشية في آية واحدة بقوله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } (الزمر/23)، وقوله: { تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ } أي هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف [1328].

والآيات في هذا الباب كثيرة وختامها، قوله: { فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ } ؟ يقول: فبأي تخويف وتحذير وترهيب -بعد تحذير محمد وترهيبه، الذي أتاهم به من عند الله في آي كتابه - يصدقون، إن لم يصدقوا بهذا الحديث الذي جاءهم به محمد من عند الله، عز وجل؟! [1329].

[1328]- تفسير ابن كثير، ص 94/7

[1329]- تفسير ابن كثير، ص 517/3

المبحث الخامس:

وظيفة التذكير

حقيقية التذكير أن تقول لغيرك قولاً يذكر به ما كان به جاهلًا، أو عنه ناسياً، أو غافلًا. وقد يقوم الفعل والسمت والهدي مقام القول، فيسمى تذكيراً مجازاً وتوسعاً [1330].

والتذكير هو وظيفة القرآن التي وصفها الله تعالى في كتابه بقوله: {ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ } (ص/1) قال بعضهم: بل معناه: ذي التذكير، ذكَّركمُ الله به [1331]. ويقول تعالى: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ } (التكوير/27) أي: موعظة وتذكير عظيم لمن يعلم [1332] ويصف سيد قطب كلمة «لِلْعالَمِينَ» .. هنا والدعوة في مكة تقابل بالجحود (...) وفي هذا الضيق المستحكم، تعلن عن عالميتها. كما هي طبيعتها وحقيقتها [1333]. وفي وصف آخر يقول تعالى: {وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلاً مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ } (النور/34) قال الخليل: الوعظ التذكير بالخير فيما يرق له القلب [1334]. وقال الشوكاني: والوعظ في الأصل: هو: التذكير بالعواقب سواء كان بالترغيب أو الترهيب ، والواعظ هو كالطبيب ينهى المريض عما يضرّه [1335].

وحاجة العباد إلى هذا التذكير أعظم ما يحتاجون إليه وأشرف وألزم. فإن سعادتهم الحقيقية في هذه الحياة بإنارة عقولهم، وزكاة نفوسهم واستقامة سلوكهم. وفي الحياة الأخرى بنعيم الجنان، وحلول الرضوان- إنما هي بإيمانهم بربهم، وشكرهم له [1336].

والتذكير هو المنهج الذي يقوم عليه دين الله ، ومن أجله كانت وتعددت رسالات السماء في شتى مراحل التاريخ ، وتحمل الرسل عبء هذا المنهج ، ليذكروا البشر بأبعاد الهداية ، ويدلوهم على

[1330]- تفسير ابن باديس، ص 25/1
[1331]- تفسير الطبري، ص 140/21
[1332]- تفسير الألوسي، ص 265/15
[1333]- في ظلال القرآن، ص 3671/6
[1334]- تفسير القرطبي، ص 444/1
[1335]- فتح القدير، ص 453/2
[1336]- تفسير ابن باديس، ص 25/1

مواطن الخير في وحي الله ودين السماء ؛ ليستطيع الإنسان تحقيق الرسالة التي أرادها الله له في هذا الوجود [1337].

فالأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام- أولو هذا المقام الجليل: مقام التذكير، ثم من بعدهم ورثتهم من العلماء العاملين. وقد كان النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- على سنة إخوانه من الأنبياء والمرسلين- عليهم الصلاة والسلام- في القيام بتذكير العباد، ممتثلا أمر ربه تعالى بقوله: **{فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ، لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ} [الغاشية: 21، 22]**. إذ السيطرة لا تكون على القلوب؛ والإيمان -وهو من أعمال القلب- لا يكون بالإكراه، وإنما بذكر الحجج والأدلة، وكذلك سنة المرسلين في الدعوة إلى الله، كما قصها علينا القرآن الكريم في كثير من السور والآيات [1338]. وقال تعالى: **{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ }** (ق/**45**) وقال تعالى: **{فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ }** (الطور/**29**) وقال جل ذكره: **{فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى }** (الأعلى/**9**)

والتذكير الذي هو مهمة ورسالة لم يكونا مقصورين على خاتم الأنبياء وحده ، فهذا أمر الله لنبيه عيسى عليه السلام بالتذكر ، إذ يقول له: **{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ }** (المائدة/**110**)، وهذا أمر آخر لنبيه موسى بالتذكير: **{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ }** (إبراهيم/**5**)، ويحدثنا القرآن عن عتاب نوح عليه السلام لقومه الذين ساءهم الدعوة إلى الله والتذكير بآياته: **{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ**

[1337]- مجلة البحوث الإسلامية، بعنوان: التذكر والتذكير في القرآن، العدد الثالث عشر، الإصدار: من رجب إلى شوال 1405هـ ، ص 164/13

[1338]- تفسير ابن باديس، ص 26/1

تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ } (يونس/71)، ويصف الله تعالى أنبياءه إبراهيم وإسحاق ويعقوب بصفة اختصهم بها ، وهي تذكرهم لدار الجزاء {إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ } (ص/46).

فرسل الله جميعا ذكروا فتذكروا ، وقاموا بواجب التذكير كما أمرهم الله ، وإن لم تنسب إليهم الألفاظ صراحة بهذه الكثرة كخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم [1339].

ولحاجة العباد للتذكير ومنزلته من الدين شرعه الله للمسلمين شرعاً مؤقتا في خطب الجمع والأعياد، وشرعاً مرسلاً موكولاً للمذكرين

على ما يرونه من نشاط الناس وحاجتهم. وكما كان يتخول النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- الناس بالموعظة، وطلبه طلباً عاماً من جميع المؤمنين في قوله تعالى: {وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} (العصر/3) في صفة المؤمنين العاملين [1340].

[1339]- مجلة البحوث الإسلامية، ص 166/13

[1340]- تفسير ابن باديس، ص 27/1

المبحث السادس:
وظيفة الانتصار والغلبة

يشترك الانتصار والغلبة في معنى واحد، حيث ورد في معجم اللغة العربية المعاصرة :
انتِصار [مفرد]: ج انتصارات : فوز، وغَلَبة وظَفَر [1341].
وكذا ورد في معجم المغني: إنْتِصارٌ – [ن ص ر]. (مص. إنْتَصَرَ). "حَقَّقَ انْتِصاراً ساحِقاً": حَقَّقَ غَلَبَةً وَفَوْزاً [1342].

ومعنى الغلبة:
(الغلبة) العلم بالغلبة ما كان تعيين مدلوله بغلبة الاستعمال لا بالوضع مثل الكتاب عند أهل الشريعة للقرآن وعند أهل العربية لكتاب سيبوية [1343].

فالانتصار والغلبة وظيفة من وظائف القرآن الكريم التي تتجلى في الانتصار والغلبة لله ولرسوله ولدينه ولمن يؤمن بذلك كله، يقول تعالى: **{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ }** (**المجادلة/21**) أي كتب في اللوح المحفوظ وقضى في سابق علمه لأغلبن أنا ورسلي بالحجة والسيف [1344]. يقول: قضى الله وخطّ في أمّ الكتاب، لأغلبن أنا ورسلي مَن حادّني وشاقَّني. وعن قتادة، قوله: (كَتَبَ اللَّهُ لأغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي) قال: كتب الله كتابا وأمضاه [1345]. وقال تعالى: **{إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ }** (**غافر/51**)، وإلى جانب نصرة الرسل تكون النصرة للذين أمنوا أيضا، لكن لهذه النصرة شروط، يقول تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ }** (**محمد/7**) يقول سيد قطب: – والنصر – ما لم يقام على أساس المنهج الرباني في الانتصار على النفس، والغَلَبَة على الهوى، والفوز على الشهوة، وتقرير الحق الذي أراده الله في حياة الناس؛ ليكون كلُّ نصر نصراً لله

[1341]- معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 2220/3
[1342]- معجم المغني، ص 635/1
[1343]- المعجم الوسيط ص 658/2
[1344]- فتح القدير للشوكاني، ص 193/5
[1345]- تفسير الطبري، ص 256/23-257

ولمنهج الله، وليكون كل جهد في سبيل الله ومنهج الله؛ و إلا فهي جاهلية تنتصر على جاهلية [1346]، وقال القرطبي في تفسيره: "وفى البخاري: وقال أبو الدرداء: إنما تقاتلون بأعمالكم. قال الله تعالى: " **اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله** (1) " وقال: " **وعلى الله فتوكلوا** (2) " وقال: " **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** (3) " وقال: " **ولينصرن الله من ينصره** (4) " وقال: " **إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** (5) ". فهذه أسباب النصر وشروطه وهى معدومة عندنا غير موجودة فينا، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما أصابنا وحل بنا ! بل لم يبق من الإسلام إلا ذكره، ولا من الدين إلا رسمه لظهور الفساد ولكثرة الطغيان وقلة الرشاد حتى استولى العدو شرقا وغربا برا وبحرا، وعمت الفتن وعظمت المحن ولا عاصم إلا من رحم !
[1347].

ويؤكد الله النصر لرسله وللمؤمنين بقوله تعالى: **{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ}** (**الصافات/171–173**) وفي قصة سيدنا موسى عليه السلام وعد الله في الغلبة لموسى وأتباعه لقوله تعالى: **{قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ }** (**القصص/35**) ومرة أخرى يبين القرآن بأن الغلبة لأهل الإيمان فيقول : **{قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }** (**المائدة/23**) قال القرطبي: "فعليه توكلوا فإنه إن يعنكم ويمنعكم من عدوكم لن تغلبوا لقوله تعالى: **{إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ }** وقال: **{وَإِن يَخْذُلْكُمْ }** يتركْكم من معونته **{فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }** (آل **عمران/160**) أي لا ينصركم أحد من بعده، أي من بعد خذلانه إياكم، لأنه قال: " وإن يخذلكم " والخذلان ترك العون" [1348]. ولذلك قال تعالى : **{أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ }** (**الملك/20**) ولأنه تعالى هو : **{خَيْرُ النَّاصِرِينَ }** (**آل عمران/150**)

[1346]- في ظلال القرآن، ص 459/1
[1347]- تفسير القرطبي، ص 255/3
[1348]- المصدر السابق، نفس الصفحة

والكثرة ليست سبباً للانتصار، فكثيرا ما انتصر القليل على الكثير [1349]، يقول تعالى: **{كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ }** (البقرة/249)، وقال تعالى : **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ }** (الأنفال/65) وإن وعد الله بهزيمة الذين يكفرون ويكذبون وينحرفون عن منهج الله ، قائم في كل لحظة [1350]. ويؤكد جل جلاله حصول هذا الوعد بقوله: **{فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ }** (الأعراف/119) وقال: **{ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ }** (الأنفال/36) وقال تعالى : **{قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ }** (آل عمران/12)

المبحث السابع:
وظيفة الإفحام

الإفحام في اللغة:

فحم : الفحم معروف ، الواحدة فحمة، ويقال: للفحم فحيم (...) وإذ هي سوداء مثل الفحيم تغشى المطانب والمنكبا وفحمة العشاء أيضا: ظلمته. فحم الصبي بالفتح يفحم فحوما وفحاما، إذا بكى حتى ينقطع صوته. وكلمته حتى أفحمته، إذا أسكته في خصومة أو غيرها [1351].

وقد أفاد أحمد مختار الدلالةَ المعجميّة ذاتها لـ(فحم) بقولهِ: أفحمَ يُفحم، إفحامًا، فهو مُفحِم، والمفعول مُفحَم

- أفحم خَصْمَه: أسكته بالحُجَّة القاطعة؛ أعجزه عن الجواب "أفحم مناظره بحججه القوية- أفحم القاضي المتهمَ- أفحم المعارضة".
- أفحمه البكاءُ: قطع نَفَسه وصوْتَه [1352].

[1349]- البحر المحيط، ص 198/2

[1350]- في ظلال القرآن، ص 372/1

[1351]- الصحاح في اللغة، ص 278/6

[1352]- معجم اللغة العربية المعاصرة، ص 1677/3

ووردت في معجم المغني بهذا المعنى: أَفْحَمَ - [ف ح م]. (ف: ربا. متعد). أَفْحَمْتُ، أُفْحِمُ، أَفْحِمْ، مص. إِفْحَامٌ. "أَفْحَمَ أَقرَانَهُ فِي كُلِّ نِقَاشٍ" : أَسْكَتَهُمْ بِحُجَجِهِ وَعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِه [1353].

ومن أقوال المفسرين:

قال النيسابوري في الإفحام: وكثيراً ما يستعمل القسم بعد إفحام الخصم الألدّ كيلا يقول إنك قد أفحمت بقوّة جدالك وأنت في نفسك خبير بضعف مقالك [1354]. وقال أيضا: فالرجل العالم المحق ليس عليه إلا إفحام الخصم الألدّ وإلزامه بمقدّمات مسلمة أو مشهورة [1355].

وقال ابن عاشور في طريقة إفحام المناظر: طريقة إفحام المناظر بإبداء ما في كلامه من لوازم الفساد ، مثل فساد اطّراد التّعريف أو انعكاسه [1356].

وقال أبو حيان: ويُقال : ناظرته فأبلس ، أي : أُفْحِمَ وأَيِسَ من الحجة ، أو : يسكتون متحيرين [1357].

والمنطقيون يقولون إن المراد بالحجة الجدلية إفحام الخصم أو إقناع القاصر عن الدليل كما هو معروف (...) لا يخفى أن لابد في المناقشة أن تنتهي بعجز أحدهما عن دفع دليل الآخر — فإن كان العاجز هو السائل سمي ملزما، سمي عجزه إلزاما — وإن كان العاجز هو المعلل سمي مفحما وسمي عجزه إفحاما [1358].

إن وظيفة الإفحام في القرآن الكريم ما هي إلا لإثبات الحق وتقرير المسلمات، ذكر أبو السعود في تفسيره: جيء به إلزاماً لهم غِبَّ إلزامٍ وإفحاماً إثرَ إفحام (...) إلى أن قال، حيث قوله تعالى : **{قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ }** (يونس/35) أي هو يهدي له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب الأدلةِ والحججِ وإرسالِ الرسل وإنزال الكتبِ والتوفيقِ للنظر والتدبر وغيرِ ذلك من فنون الهداياتِ، والكلامُ في الأمر بالسؤال والجوابِ كما مر فيما مر **{ أَفَمَن يَهْدِى إِلَى الحق }** (يونس/35)

[1353]- معجم المغني، ص 224/1

[1354]- تفسير النيسابوري، ص 524/23

[1355]- نفس المصدر، ص 545/23

[1356]- التحرير والتنوير، ص 367/7

[1357]- البحر المديد، ص 334/5

[1358]- محمد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية القاهرة – بدون تاريخ، ص 89-90

وهو الله عز وجل {أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي} (يونس/35) [1359]، يقول سيد قطب: ومع هذا فهو يسير معهم خطوة أخرى في الإفحام والإحراج. يقول لهم: إن لم يكن يعجبكم القرآن، ولم تكن تعجبكم التوراة؛ فإن كان عندكم من كتب الله ما هو أهدى من التوراة والقرآن فأتوا به أتبعه : {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (القصص/49)

وهذه نهاية الإنصاف، وغاية المطاولة بالحجة، فمن لم يجنح إلى الحق بعد هذا فهو ذو الهوى المكابر، الذي لا يستند إلى دليل :

{فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (القصص/50) . . إن الحق في هذا القرآن لبين؛ وإن حجة هذا الدين لواضحة، فما يتخلف عنه أحد يعلمه إلا أن يكون الهوى هو الذي يصده [1360]

وأمثلة هذه الوظيفة في القرآن كثيرة، ولنتأمل في أسلوب القرآن الكريم عن طريقة الإفحام بالحجة الدامغة، وكيف لا وهي من عند الخالق البارئ، قال تعالى:

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (البقرة/258) ثم حكى القرآن جواب نمرود على إبراهيم فقال: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ} أي قال ذلك الطاغية : إذا كنت يا إبراهيم تدعى أن ربك وحده الذي يحيي ويميت فأنا أعرضك في ذلك لأني أنا – أيضاً أحيي وأميت وما دام الأمر كذلك فأنا مستحق للربوبية. قالوا : ويقصد بقوله هذا أنه يستطيع أن يعفو عمن حكم بقتله، ويقتل من شاء أن يقتله .

ولقد كان في استطاعة إبراهيم – عليه السلام – أن يبطل قوله، بأن يبين له بأن ما يدعيه ليس من الأحياء والإماتة المقصودين بالاحتجاج، لأن ما قصده إبراهيم هو إنشاء الحياة وإنشاء

[1359]- تفسير أبي السعود، ص 143/4

[1360]- في ظلال القرآن، ص 2699/5

الموت، كان في استطاعة الخليل – عليه السلام – أن يفعل ذلك ، ولكنه آثر ترك فتح باب الجدال والمحاورة ، وأتاه بحجة هي غاية في الإفحام فقال له – كما حكى القرآن : { فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بالشمس مِنَ المشرق فَأْتِ بِهَا مِنَ المغرب } [1361].

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ } (القصص/71–72) ذكر البقاعي في تفسيره: { **قل** } لمن ربما عاندوا في ذلك ، منكراً عليهم ملزماً لهم ، وعبر بالجمع لأنه أدل على الإلزام ، أعظم في الإفحام ، فقال : { **أرءيتم** } أي أخبروني { **إن جعل الله** } أي الملك الأعلى نظراً إلى مقام العظمة والجلال { **عليكم الليل** } الذي به اعتدال حر النهار { **سرمداً** } أي دائماً ، وقال : { **إلى يوم القيامة** } تنبيهاً على أنه مما لا يتوجه إليه إنكار { **من إله غير الله** } العظيم الشأن الذي لا كفوء له [1362].

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (23) قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (24) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (25) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (26) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (27) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (28) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29) [الشعراء] وبهذا الجواب التوبيخي أفحم موسى– عليه السلام – فرعون [1363]. ويقول القطان: وبعد أن أفحمهم موسى بحجّته كشفوا عن حقيقة الدوافع التي تصدّهم عن الإيمان بالله ، ألا وهي الخوف من تحطيم معتقداتهم الموروثة ، وضَياع مصالحهم. **{ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الكبرِيَآء فِي الأرض وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ } (يونس/78)** [1364]

[1361]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 594/1
[1362]- نظم الدرر للبقاعي، ص 513/5
[1363]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 240/10
[1364]- تفسير القطان، ص 201/2

{ هذا خَلْقُ الله فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الذين مِن دُونِهِ } (لقمان/11) وبعد أن أفحمهم – سبحانه – من الناحية العقلية ، أتبع ذلك بإفحامهم بالأدلة النقلية ، فقال – تعالى – : { ائتوني بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هاذآ أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } (الأحقاف/4) [1365].

{قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ } (الأنعام/148) يقول ابن عاشور في تأويل هذه الآية: وجاء بالاستفهام المقصود منه الإفحام والتهكّم بما عُرف من تشبّثهم بمثل هذا الاستدلال [1366].

[1365]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 180/13

[1366]- التحرير والتنوير، ص 149/8

الفصل الثاني:
قيم التواصل في القرآن الكريم

وفي هذا الفصل سأتطرق إن شاء الله إلى المواضيع التالية:

المبحث الأول: معنى القيم

المبحث الثاني: قيم تحكم المتواصل

المبحث الثالث: قيم تحكم مقصد المتواصل

المبحث الرابع: قيم تحكم فعل المتواصل

المبحث الأول:
معنى القيم

المفهوم اللغوي لمعنى القيم:

والقيمة: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. يقال: قومت السلعة. وأهل مكة يقولون: استقمت السلعة، وهما بمعنى. والاستقامة: الاعتدال. يقال: استقام له الأمر. وقوله تعالى: (فاستقيموا إليه) أي في التوجه إليه دون الآلهة. وقومت الشيء فهو قويم، أي مستقيم. وقولهم: ما أقومه، شاذ. وقوله تعالى: (وذلك دين القيمة) إنما أنثه لأنه أراد الملة الحنيفية. والقوام: العدل. قال تعالى: (وكان بين ذلك قواما). وقوام الرجل أيضا: قامته وحسن طوله. والقومية مثله. وقوام الأمر بالكسر: نظامه وعماده. يقال: فلان قوام أهل بيته وقيام أهل بيته، وهو الذي يقيم شأنهم: ومنه قوله تعالى: (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما). وقوام الأمر أيضا: ملاكه الذي يقوم به [1367].

[1367]- الصحاح في اللغة، ص 296/6

ومن خلال المفهوم اللغوي نفهم أن قوام الأمر هو: نظامه وعماده، وأمر قيم: مستقيم، وحتى يفهم المعنى الإجمالي لما أريد التطرق إليه من حيث أهمية القيم في حياة الإنسان، سوف أسلط الضوء على معاني القيم عند علماء الاجتماع في الغرب ، وذلك من وجهة نظر الآخر وأيضا عند علماء المسلمين والعرب.

وأما المفهوم الاصطلاحي والعلمي لمعنى القيم:

يعرف فرانز أدلر القيم، بقوله: ينبغي علينا أن نعرفها بمعنى السلوك، ويتصور القيم كمكونات مكتسبة في الشخصية، يمكن التعرف عليها من خلال السلوك، كما يذهب إلى أن الجماعات والمجتمع والثقافة تمثل اتساقا للقيم، وأنه من خلال السلوك الفردي يمكننا التعرف على البناء الداخلي للشخصية، ونماذج الأنساق السوسيوثقافية [1368].

تعريف باريت: أشار إلى عدم الاتفاق بين العلماء حول معنى القيم، موضحا أن القيم في قلب الحياة والفعل البشري، وتمثل تصورات من شأنها أن تقضي إلى سلوك تفضيلي أو محاكات ومعايير للاختيار بين معايير معينة للسلوك [1369].

تعريف تالكوت باسونز: يذهب في كتابه النسق الاجتماعي إلى أن القيمة عنصر في نسق رمزي مشترك، يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التي توجد في الموقف، وهذا معناه أن القيم تمثل معايير عامة وأساسية يشارك فيها أعضاء المجتمع، وتسهم في تحقيق التكامل وتنظيم أنشطة الأعضاء [1370].

والقيم في نظر روكيش ما هي إلا معايير مثالية، توجه السلوك من داخل الفرد، أي أنها في جوهرها شخصية ذاتية، في حين أن المعايير الاجتماعية تمثل قواعد أو توقعات من الجماعة لسلوك أو اتجاه معين، أي أن مصدرها جماعة وليس الفرد [1371].

[1368]- د.كمال التابعي و د. علي المكاوي، علم الاجتماع العلم، كتب عربية.كوم، 2007 ، ص 24

[1369]- المرجع السابق

[1370]- المرجع السابق

[1371]- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر - 2005، ص 16

وتعرف القيم بأنها: مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولا من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد وسلوكه واتجاهاته ومعتقداته ...[1372]

بقي أن نعرف الآن العلاقة بين التمييز، وبين الفضائل. التمييز نشاط يتوسل به العقل للوصول إلى الفضائل، والعلاقة بينهما هي علاقة الوسيلة بالغاية، إذ يقوم العقل بالتمييز بين البراهين والأدلة والأدوات لإدراك حقيقة الأشياء، والمعيار الذي يستند إليه العقل في مراجعة نشاطه التمييزي هو القيم الأخلاقية المتمثلة في الفضائل واجتناب الرذائل، وهي قيم فطرية يعرفها العقل من دون تجربة. تبقى هذه القيم العليا معيارا، يسدد العقل ويرشده، وتجد هذه القيم منتهاها في الإيمان والطاعة للخالق ((فصح أن العقل هو الإيمان وجميع الطاعات))[1373]

وخلاصة هذه التعاريف، أن القيم :

هي عبارة عن المعتقدات التي يحملها الفرد نحو الأشياء والمعاني وأوجه النشاط المختلفة والتي تعمل على توجيه رغباته واتجاهاته نحوها، وتحدد له السلوك المقبول والمرفوض والصواب والخطأ[1374].

فمما لا شك فيه أن هناك مصادر تستمد منها القيم مثل: الدين والمعتقدات والتراث والعلاقات الاجتماعية والثقافية، كما تعتبر القيم جزاءا هاما في الإطار المرجعي للسلوك في الحياة العامة وفي مجالاتها المختلفة دينيا وعليما واجتماعيا واقتصادية وسياسيا وفنيا[1375].

والمسلمون يستمدون مصادرهم من الشرع. وحتى يتم تحقيق أهداف التواصل، لابد من ضبطه بقيم شرعية توجه النيات، ومن هذه "الضوابط التي تندرج تحت قيم الإسلام التواصلية"[1376]:

المبحث الثاني: قيم تحكم نية المتواصل:

[1372]- موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، ص 16

[1373]- علي أحمد ديري، طوق الخطاب: دراسة في نظرية ابن حزم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-2007 ، ص 42-43

[1374]- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية في سلك البكالوريا، مصدر سابق

[1375]- موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، ص 12

[1376]- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية للسنة الأولى من سلك الباكالوريا، المملكة المغربية، وحدة التربية التواصلية، عنوان الباب: قيم التواصل وضوابطه، السنة الدراسية 2004، من موقع: www.edumek.com، تاريخ الإطلاع: 2010/09/03، وأنظر موقع: شبكة التربية الإسلامية الشاملة أقسام الأولى باك

وهي تشتمل على إخلاص النية وحسن الظن بالناس .

وفي ذلك قول الله تعالى: {**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** } (البينة/5)، وقال الرازي في تفسير قوله تعالى : {**لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً** } (النساء/**114**) والمعنى أن هذه الأقسام الثلاثة من الطاعات وإن كانت في غاية الشرف والجلالة إلا أن الإنسان إنما ينتفع بها إذا أتى بها لوجه الله ولطلب مرضاته ، فأما إذا أتى بها للرياء والسمعة انقلبت القضية فصارت من أعظم المفاسد ، وهذه الآية من أقوى الدلائل على أن المطلوب من الأعمال الظاهرة رعاية أحوال القلب في إخلاص النيّة ، وتصفية الداعية عن الالتفات إلى غرض سوى طلب رضوان الله تعالى ونظيره قوله تعالى : { **وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدين** } [**البينه : 5**] **وقوله** { **وَأَن لَّيْسَ للإنسان إِلاَّ مَا سعى** } [**النجم : 39**] وقوله عليه الصلاة والسلام : « **إنما الأعمال بالنيات** » [1377] . ويقول سيد طنطاوي: وفى تقييد الفعل بكونه ابتغاء مرضاة الله، تحريض على إخلاص النية، لأن الأعمال بالنيات، وإذا صَاحَبَ الرياء الأعمال أبطلها ومحق بركتها [1378].

ويقول الله تعالى في حسن الظن: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ**} (**الحجرات/12**)

فليس للمرء أن يبادر إلى إنكار شيء إلا بعد العلم إما بالدليل أو بالشهود

قال في الفتوحات المكية لا يجوز لأحد المبادرة إلى الإنكار إذا رأى رجلا ينظر إلى امرأة في الطريق مثلا فربما يكون قاصدا خطبتها أو طبيبا فلا ينبغي المبادرة للإنكار إلا فيما لا يتطرق إليه احتمال وهذا يغلط فيه كثير من المذنبين لا من أصحاب الدين لان صاحب الدين أول ما يحتفظ على نفسه ولا سيما في الإنكار خاصة وقد ندبنا الحق إلى حسن الظن بالناس لا إلى سوء الظن فصاحب الدين لا ينكر قط مع الظن لأنه يعلم الظن إثم ويقول لعل هذا من ذلك البعض وإثمه أن ينطق به وان وافق العلم في نفس الأمر وذلك إن ظن وما علم فنطق فيه بأمر محتمل وما كان

[1377]- تفسير الرازي، ص 34/11

[1378]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 310/3

له ذلك فمعلوم أن سوء الظن بنفس الإنسان أولى من سوء ظنه بالغير وذلك لأنه من نفسه على بصيرة وليس هو من غيره على بصيرة فلا يقال في حقه أن فلانا أساء الظن بنفسه بل انه عالم بنفسه وإنما عبرنا بسوء الظن بنفسه إتباعا لتعبيرنا بسوء الظن بغيره فهو من تناسب الكلام والى الآن ما رأيت أحدا من العلماء استبرأ لدينه هذا الاستبراء فالحمد لله الذي وفقنا لاستعماله انتهى كلام الشيخ في الفتوحات [1379].

ويقول سيد طنطاوي: وهكذا المؤمنون الأطهار الأخيار ، يبنون أمورهم على حسن الظن بالناس [1380].

المبحث الثالث: أن هناك قيم تحكم مقصد المتواصل:

وهي تتمثل في التعارف ونشر قيم الخير والسلم بين الناس .

وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتحلى الحفاظ على القيم الشرعية التي تضبط منهاج الحياة المثالية للإنسان على هذه الأرض، وفي هذا سياق يقول الله تعالى: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (آل عمران/110)**

قال ابن تيمية: وصف الأمة بما وصف به رسولها صلوات الله وسلامه عليه [1381]. وذلك لأن صلاح المعاش والمعاد إنما يكون بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك لا يتم إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس [1382].

وقال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجها رأى من الناس رِعَة [1383]، فقرأ هذه الآية: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ... }**، ثم قال : من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها [1384]. وقال ابن كثير: وهكذا قال ابن عباس ومجاهد وعطية العوفي وعكرمة وعطاء والربيع بن أنس **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ... }** يعني خير الناس للناس .

[1379]- تفسير حقي، ص 258/7

[1380]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 96/10

[1381]- مجموع فتاوى ابن تيمية، ص 122/28-125

[1382]- المصدر السابق، ص 306/28-307

[1383]- الرعة: سوء الهيئة وسوء الأدب .

[1384]- تفسير ابن جرير، ص 102/5

والمعنى أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس ولهذا قال: { **تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** }[1385].

المبحث الرابع: قيم تحكم فعل المتواصل:

وتشمل الصدق والأمانة والاحترام والحياء والتواضع والرفق بالآخرين والخضوع للحق .

والإسلام رسالة قيم وأخلاق في الدرجة الأولى، حتى صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)) [1386]، فحصر رسالته في هذه المهمة الأخلاقية، ولا غرو أن ربط الإسلام الأخلاق بالعقيدة، حتى نفى الإيمان عمن لا أمانة له، وعمن بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع، وعمن زنى أو سرق أو شرب الخمر .. وجعل من لوازم الإيمان: صلة الرحم، وإكرام الجار، وقول الخير: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)) [1387].

كما ربط الأخلاق بالعبادات، وجعلها من ثمراتها وفوائدها، فإقامة الصلاة {**تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ**} (**العنكبوت/45**) ، والزكاة {**تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**} (**التوبة/103**)، والصيام {**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} (**البقرة/183**)، والحج لا ينال الله من هدى ولا لحم ولا دم {**وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ**} (**الحج/37**) .

وإذا لم تؤت هذه العبادات أكلها في الأخلاق والسلوك فقد فقدت قيمتها عند الله: ((رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر، ورب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع)) [1388]، ((من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)) [1389].

[1385]- تفسير ابن كثير، ص 396/1

[1386]- رواه ابن سعد في الطبقات والبخاري في الأدب المفرد، والحكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب، ورمز له السيوطي بعلامة الصحة، وذكره الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (2349).

[1387]- متفق عليه عن أبي شريح وأبي هريرة. المصدر السابق (6501) وهو من أحاديث الأربعين النووية الشهيرة .

[1388]- رواه ابن ماجة عن أبي هريرة ، وذكره في صحيح الجامع الصغير (3488) وعند الطبراني عن ابن عمر، وعند الحاكم وأحمد والبيهقي في السنن عن أبي هريرة (3490) .

[1389]- رواه البخاري في كتاب الصوم عن أبي هريرة .

كما ربط الإسلام المعاملات بالأخلاق أيضا من الصدق والأمانة والعدل والإحسان والبر والصلة والمرحمة . وربط الحياة كلها بالأخلاق، فلا انفصال بين العلم والأخلاق، ولا بين السياسة والأخلاق، ولا بين الاقتصاد والأخلاق، ولا بين الحرب والأخلاق فالأخلاق لحمة الحياة الإسلامية وسداها .

ومثل الأخلاق : القيم ، سواء أكانت قيما دينية ربانية، وعلى رأسها الإيمان بالله تعالى، وبرسالاته، وبالجزاء العادل في الآخرة، وما يثمره هذا الإيمان من قيم أخرى مثل حب الله تعالى والرجاء في رحمته، والخشية من عقابه ، والتوكل عليه، والإخلاص له .

أم كانت قيما إنسانية مثل: الحرية ، والكرامة، والعدل، ورعاية الفطرة، والاعتدال أو الوسطية، واحترام الحقوق، والمساواة بين الناس، والرحمة بالضعفاء ... إلى آخر تلك المعاني الجميلة [1390].

وتعتبر هذه الصفات السلوكية هي صفات المؤمن التي تتجلى على أرض الواقع، والقرآن الكريم مليء بهذه الآيات والأمثلة، التي لا تعد ولا تحصى، بحيث تكون هذه الصفات المنهج الذي يتوجب على المؤمن أن يسلكه في حياته مع كل الناس، بالتطبيق وليس القول فقط، فيكون بذلك خلقه القرآن، كما سئلت سيدتنا عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: كان خلقه القرآن [1391].

كما نجد أن الفرد في كل زمان ومكان، في حاجة ماسة في تعامله مع الأشخاص والمواقف والأشياء إلى نسق أو نظام للمعايير والقيم، ويكون هذا النظام بمثابة: موجهات لسلوكه، وطاقات ودوافع لنشاطه الفردي والعائلي والاجتماعي، ولذا، فإنه من البديهي أنه إذا غابت القيم أو تضاربت في نفوس الأفراد، فإن الإنسان يغترب عن ذاته.. وعن مجتمعه، بل ويفقد دوافعه للعمل ويقل إنتاجه ويضطرب [1392].

[1390]- يوسف القرضاوي، دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، مكتبة وهبة، القاهرة – 1995، ط 1، ص 7-8

[1391]- مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم الحديث: 24736

[1392]- موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، ص 13

الفصل الثالث:

ضوابط التواصل في القرآن الكريم

وهو من مبحثين:

المبحث الأول: ضوابط الإرسال والتبليغ

المبحث الثاني: ضوابط التلقي والاستقبال

بداية نقف عند تعريف الضوابط:

الضوابط جمع ضابط، والضابط مأخوذ من الضبط وهو المحافظة واللزوم والإتقان [1393].

ويعرفها الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ بقوله:

الضابط في المسألة: هو ما به نعرف ما تحكم به مسائل الباب الواحد وترجع إليه مسائل الباب الواحد.

وأما القاعدة: فهي أمر كلي ترجع إليه المسائل في أبواب مختلفة [1394].

فالضوابط والقواعد لابد أن تُرعى، فإن الضوابط بها يعصم المرء نفسه من الوقوع في الغلط، فالضوابط الشرعية والقواعد المرعية إذا أخذنا بها ولازمناها وأقتفونا أثرها، فإن عند ذلك سيحصل لنا من الخيرات ما لن نندم عليه بإذن الله [1395].

والإسلام يقيم هذه الضوابط في حياة الناس . يقيمها ويحددها بدقة ووضوح؛ ويربطها كلها بالله سبحانه؛ ويكفل لها الاحترام الواجب ، فلا تنتهك ، ولا يستهزأ بها؛ ولا يكون الأمر فيها للأهواء والشهوات المتقلبة؛ ولا للمصالح العارضة التي يراها فرد ، أو تراها مجموعة أو تراها أمة ، أو يراها جيل من الناس فيحطمون في سبيلها تلك الضوابط . . فهذه الضوابط التي أقامها الله وحددها

[1393] - ابن منظور ، لسان العرب، القاهرة 2005م، ص 509/2

[1394] - صالح آل الشيخ، الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن، نص محاضرة ألقاها صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ بتاريخ: ربيع الثاني 1411هـ ، وروجع النقل على الشريط ونقله من الشريط: أكرم بن سردار شيخ، في 1411/5/22 هـ ، ص 9، الموقع: ملتقى أهل الحديث

[1395] - المصدر السابق، ص 8 - 9

هي « للمصلحة » ما دام أن الله هو الذي أقامها للناس . . هي المصلحة ولو رأى فرد ، أو رأت مجموعة أو رأت أمة من الناس أو جيل أن المصلحة غيرها! فالله يعلم والناس لا يعلمون! وما يقرره الله خير لهم مما يقررون! وأدنى مراتب الأدب مع الله – سبحانه – أن يتهم الإنسان تقديره الذاتي للمصلحة أمام تقدير الله [1396].

وأما ضوابط التواصل فهي من شقين:

ضوابط الإرسال والتبليغ

ضوابط التلقي والاستقبال

المبحث الأول:

ضوابط الإرسال والتبليغ [1397]:

- حسن البيان ومخاطبة الناس بما يفهمون على حسب إدراكهم . ومخاطبة الناس على قدر عقولهم من الحكمة التي أمر بها الله سبحانه وتعالى ، قال سبحانه :{ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** } (النحل/125) "وقال عليه السلام: (حدث الناس بما يفهمون أتحبون أن يكذب الله ورسوله). وقال عبد الله بن مسعود: ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" [1398]. والقرآن يخاطب الناس بما يفهمون ويشير إلى ما لا يعلمون إلى أن يفهمه المتدبرون [1399].

وكذلك سنة الأنبياء في مخاطبة أقوامهم على حسب إدراكهم، ألا نرى على سبيل المثال لا الحصر، كيف خاطب سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه حسب إدراكهم، لما كانوا يعتقدون بالفلك، قال تعالى: {**فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا**

[1396]- في ظلال القرآن، ص 835/2

[1397]- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية في سلك البكالوريا، مصدر سابق

[1398]- تفسير القرطبي، ص 184/2-185

[1399]- التحرير والتنوير، ص 146/27

قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ } (الأنعام/78)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا [1400] يفهمه كل من يسمعه) رواه أبو داوود [1401].

ويقول ابن باديس: فلنتوخ دائماً الحق الثابت بالبرهان أو بالعيان، ولنفسره أحسن التفسير ولنشرحه أكمل الشرح، ولنقربه إلى الأذهان غاية التقريب. وهذا يستدعي صحة الإدراك، وجودة الفهم ومتانة العلم لتصور الحق ومعرفته [1402].

- الرفق بالمخاطب والمعاملة الطيبة . قال تعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ}** (آل عمران/159) الفظ: الغليظ، والمراد به هاهنا غليظ الكلام؛ لقوله بعد ذلك: { غَلِيظَ الْقَلْبِ } أي: لو كنت سيِّئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: إنه رأى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفَظٍّ، ولا غليظ، ولا سَخّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح [1403]. وقال السعدي في تفسيره: أليس من أوجب الواجبات، وأهم المهمات، الإقتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما يعاملهم به صلى الله عليه وسلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالا لأمر الله، وجذبا لعباد الله لدين الله [1404].

- التثبت وتبين الحقيقة، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ }** (الحجرات/6) وهذا أيضًا، من الآداب التي على أولي الألباب، التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه،

[1400]- فصلا: بينا ظاهرا

[1401]- أبو زكريا يحيى بن شرف النووي الدمشقي، رياض الصالحين، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985، ص 324، والترميذي رقم: (3901)

[1402]- تفسير ابن باديس، ص 183/1

[1403]- تفسير ابن كثير، ص 148/2

[1404]- تفسير السعدي، ص 154/1

فحصل من تلف النفوس والأموال، بغير حق، بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه، كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب، مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير [من] الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فساقًا [1405].

وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا... }** وقرأ حمزة والكسائي : فتثبتوا بالثاء المثلثة ، والباقون : فتبينوا . وكلاهما تفعل بمعنى استفعل التي للطلب ، أي : اطلبوا إثبات الأمر وبيانه ، ولا تقدموا من غير روية وإيضاح وقال رسول صلى الله عليه وسلم: « التبين من الله والعجلة من الشيطان » [1406]. وقال تعالى: **{ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا }** (يوسف/26) أي : من قرابتها ، وسمي الحكم بينهما شهادة لما يحتاج فيه من التثبت والتأمل ، قيل : لما التبس الأمر على العزيز احتاج إلى حاكم يحكم بينهما ليتبين له الصادق من الكاذب [1407].

- أن لا يخالف القول الفعل، قال تعالى: **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ }** (البقرة/44) قال النخعي: ثلاث آيات منعتني أن أقص على الناس " **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " [البقرة: 44]، " وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه " [هود: 88]، " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون** ". وعن ثمامة أن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أتيت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما قرضت وفت، قلت: (من هؤلاء يا جبريل) ؟ قال: (هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ولا يفعلون ويقرءون كتاب الله ولا يعملون) [1408].

[1405]- تفسير السعدي، ص 801/1

[1406]- البحر المحيط ص 327/3

[1407]- فتح القدير للشوكاني، ص 19/3

[1408]- تفسير القرطبي، ص 80/18

- الصبر وتحمل الأذى الذي قد يصدر عن الآخرين، قال تعالى: **{وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ }**

(الشورى/43) أي : صبر على الأذى ، وغفر لمن ظلمه ، ولم ينتصر [1409]، وقال تعالى: **{ وَإِنَّ الله لَعَفُوٌّ غَفُورٌ }** (**الحج/60**) وقال تعالى: **{ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ للتقوى }** (**البقرة/237**) قال الرازي: كأنه سبحانه قال : إني قد عفوت عن هذه الإساءة وغفرتها ، فإني أنا الذي أذنت لك فيه وثانيها : أنه سبحانه وإن ضمن له النصر على الباغي ، لكنه عرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو والمغفرة فلوح بذكر هاتين الصفتين وثالثها : أنه سبحانه دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة ، لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده [1410].

- البعد عن اللغو والشتم والسب، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ }** (**المؤمنون/3**) "وقيل: هو معارضة الكفار بالشتم والسب: قال الله تعالى: **{ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا }** (**الفرقان/72**) ، أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه" [1411]. وقال ابن عاشور: والإعراض عن جنس اللغو من خُلق الجِدِّ ومن تخلق بالجد في شؤونه كملت نفسه ولم يصدر منه إلاّ الأعمال النافعة ، فالجد في الأمور من خلق الإسلام [1412]. وأن صفات هؤلاء المؤمنين أنهم ينزهون أنفسهم عن الباطل والساقط من القول أو الفعل [1413]. وقال تعالى: **{ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً }** (البقرة/83) .

[1409]- فتح القدير، ص 541/4
[1410]- تفسير الرازي، ص 53/23
[1411]- تفسير البغوي، ص 409/5
[1412]- التحرير والتنوير، ص 11/18
[1413]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 12/10

المبحث الثاني:

ضوابط التلقي والاستقبال [1414]:

- حسن الإنصات والاستماع، وهذان العنصران المهمان اجتمعا في آية واحدة، قال تعالى: **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ }** (الأعراف/204)، قال إبراهيم بن الجنيد : قال حكيمٌ لابنه : ((يا بُنَيَّ، تعلم حُسنَ الاستماعِ كما تتعلم حسن الكلام، فإن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يفضي إليك بحديثه، و الإقبال بالوجه و النظر، و تركُ المشاركة بحديث أنت تعرفه)) [1415].

- عدم مقاطعة كلام المتكلم حتى يتم حديثه لتكتمل فائدة الكلام، قال تعالى: **{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ }** (طه/114)، قال ابن عبد البر : « ومن سوء الأدب في المجالسة أن تقطع على جليسك حديثه » [1416]. قال الحسن البصري : «إذا جالست فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتَعَلَّمْ حسن الاستماع كما تَعَلَّمُ حسن القول، ولا تقطع على أحد حديثه» [1417].

- حسن الإقبال على المخاطب وإعارته الاهتمام، ومن أمثلة القرآن الكريم على ذلك، في سورة عبس، أن انشغل رسول الله صلى الله عليه وسلم بصناديد قريش لأن بإسلامهم يسلم الكثير معهم، فتلهى عن ابن أم مكتوم الأعمى، فنزل الخطاب الرباني على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوجيه [1418] (أن جاءه الأعمى)، فقال تعالى: **{فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى}** (عبس/10)، أي تعرض عنه بوجهك وتشغل بغيره. وأصله تتلهى، يقال: لهيت عن الشيء ألهى: أي تشاغلت عنه [1419] . وقال السعدي: وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء

[1414]- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية في سلك البكالوريا، مصدر سابق

[1415]- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، الفقيه والمتفقه، دار ابن الجوزي، 1996، ص 32/2

[1416]- يوسف بن عبد البر القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، المتحف الجزائري، 2005، ص 46/1

[1417]- أبو محمد بن جعفر الخرائطي، المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق، دار الفكر المعاصر، 1986، ص 155

[1418]- أنظر: تفسير الطبري، ص 218/24-219 ، بتصرف

[1419]- تفسير القرطبي، ص 215/19

بنفسه مفتقرا لذلك منك ، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر. فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: " لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة " وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره [1420].

- التثبت وطلب الفهم عند الاستشكال، قال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً }** (الإسراء/85) وقال أهل النظر منهم: إنما سألوه عن كيفية الروح ومسلكه في بدن الانسان، وكيف امتزاجه بالجسم واتصال الحياة به، وهذا شئ لا يعلمه إلا الله عز وجل[1421]. ومثال هذه الآيات في القرآن كقوله تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ .. }** (**البقرة/189**) وقال تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ...}** (**البقرة/215**) وقال تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ..}** (**البقرة/217**) وقال تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ }** (**البقرة/219**) وقال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى...}** (**البقرة/220**) وقال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ...}** (**البقرة/222**) وقال تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ }** (**المائدة/4**) وقال جل شأنه: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا }** (**الأعراف/187**) وقال تعالى: **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ ...}** (**الأنفال/1**) وقال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ ق..}** (**الكهف/83**) وقال تعالى: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ..}** (**طه/105**) قال ابن عبد البر: (...) فمن سأل مستفهما راغبا في العلم ونفي الجهل عن نفسه، باحثا عن معنى يجب الوقوف في الديانة عليه، فلا بأس به، فشفاء العي[1422] السؤال[1423].

[1420]- تفسير السعدي، ص 911/1

[1421]- تفسير القرطبي، ص 324/10

[1422]- العي : الجهل

[1423]- تفسير القرطبي، ص 333/6

- احترام رأي المتكلم ولو كان مخالفا لرأيك، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر الأقوال المخالفة للعقيدة والإيمان في كثير من المواطن في القرآن الكريم، وهذا يشير إلى أن هناك آراء قد تعارض الرأي المطروح، وبذلك يعلمنا القرآن الكريم احترام الرأي الآخر والرد بالمنطق والعقل، ألا نقرأ قوله تعالى: **{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ } (التوبة/30)**، وهنا يأتي الرد المنطقي والدليل بالمنطق، قال تعالى: **{لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } (المائدة/17)** وقوله – تعالى – : **{ مَّا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لآبَائِهِمْ }** توبيخ لهم على تفوههم بكلام يدل على إيغالهم في الجهل والبهتان [1424].

[1424]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 468/8

الفصل الرابع:
مبادئ التواصل في القرآن الكريم

تنقسم مبادئ التواصل إلى شقين، شق يتعلق بالمرسل والشق الآخر بالمتلقي.

المبحث الأول: شق يتعلق بالمرسل فهو كالآتي [1425]:

- الرغبة في الإصلاح التي تتحقق بالتناصح.

وذكر الله تعالى في كتابه على لسان نبيه هود عليه السلام قوله: { **إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** } (هود/88) يقول: ما أريد فيما آمركم به وأنهاكم عنه، إلا إصلاحكم وإصلاح أمركم = **(ما استطعت)** ، يقول: ما قدرت على إصلاحه ، لئلا ينالكم من الله عقوبة منكِّلة، بخلافكم أمره ، ومعصيتكم رسوله = **(وما توفيقي إلا بالله)** يقول: وما إصابتي الحق في محاولتي إصلاحكم وإصلاح أمركم إلا بالله، فإنه هو المعين على ذلك، إلا يعنّي عليه لم أصب الحق فيه [1426].

ويذكر الشيخ عبد الكريم ابن صالح بعض شروط الإصلاح قائلا [1427]:

– الإصلاح ليس بمشاركة أهل الباطل وسلوك طريقهم.

– السلف يصلحون ولا يدخلون بشيء من باطل من يصلحونهم.

– الإصلاح الحقيقي هو ما يراد به وجه الله –عز وجل– على هدي نبيه –صلى الله عليه وسلم– أما إرادة الدنيا والرئاسة كما هو حاصل والاستمرار على سلوك غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم– كيف يسمى إصلاحاً؟

وفي سياق متصل يقول الدكتور علي محمد الصلابي: إن خلافة عمر بن عبد العزيز حجة تاريخية على من لا يزال يردد الكلمات والأصوات القائلة: إن الدولة التي تقوم على الأحكام الإسلامية والشريعة عرضة للمشاكل والأزمات و عرضة للانهيار في كل ساعة، وإنها ليست إلا حُلماً من

[1425]- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية في سلك البكالوريا، مصدر سابق

[1426]- تفسير الطبري، ص 454/15

[1427]- عبد الكريم ابن صالح بن عبد الكريم الحميد، دعوى الإصلاح، دار الحميضي، ودار الكتاب والسنة، الرياض، ط1، 1993، ص 14

الأحلام ولا يزال التاريخ يتحدى هؤلاء ويقول لهم: ((**قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين**)) (**البقرة، الآية: 111**).

ولقد سار نور الدين زنكي المتوفى عام 568 على منهج عمر بن عبد العزيز وأخذه نموذجاً ومثالاً له في القدوة والتأسي، فآتت محاولته الإصلاحية ثمارها للأمة وساهمت في نهوضها وعودة الوعي لها وتغلبت على أعدائها الصليبيين وطهرت بيت المقدس على يدي تلميذه، القائد الأشم، البطل المغوار صلاح الدين الأيوبي، كثر الله من أمثاله في جيلنا [1428].

وقال تعالى: {**أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**} (**الأعراف/62**) وقال تعالى: {**فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ**} (**الأعراف/79**) وقال تعالى: {**لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} (التوبة/**91**) وقال : {**وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**} (**هود/34**)

- الصدق والأمانة في نقل الخبر.

قال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ**} (التوبة/119) وقال تعالى أيضا: {**فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ**} (محمد/21) وقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدق والأمانة من قبل النبوة، يقول تعالى: {**أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ**} (**المؤمنون/69**) يقول تعالى ذكره: أم لم يعرف هؤلاء المكذبون محمدا، وأنه من أهل الصدق والأمانة فهم له منكرون [1429].

"ومن أبرز صفات الداعية: الصدق والأمانة، فهو مبلّغ عن الله ورسوله، ولو كذب أو خان فعُرِفَ ذلك منه، لم يثق أحد في حديثه، ولم يستطع أداء رسالته، بل ربما كان وبالًا على ما يدعو إليه، ولعله لا يغيب عنكم أنّ الصدق في الداعية، هو الأساس الذي يشاد عليه البناء، وهو المدخل

[1428]- علي محمد محمد الصلابي، عمر بن عبد العزيز معالم التجديد الإصلاح الراشد على منهج النبوة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر – الطبعة الأولى 1427 هـ 2006 م ، ص 6

[1429]- تفسير الطبري، ص 19،56

لإقناع الآخرين بما يقول، ولذلك ترَوْن أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين أُمِر بتبليغ الدعوة وقف على الصفا ونادى بطون مكة، فلما اجتمعوا إليه لم يقل لهم من البداية إنّ الله اختاره رسولًا للعالمين، وأن هذه الرسالة قائمة على وحي الله، وفيه كذا وكذا، إنما سألهم قائلًا: ((أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلًا بهذا الوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ؟)) قالوا: نعم، ما جربنا عليك كذبًا قط، حينذاك قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد))" [1430].

وهكذا كل الرسل، وهكذا يجب أن يكون أتباعهم ومن على طريقهم، ولهذا اعتنى القرآن والسنة بالدعوة إلى الصدق والأمانة، ورهَّبا من الكذب والخيانة في آيات وأحاديث كثيرة [1431].

- الكلمة الطيبة.

قال تعالى: { **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً** } (البقرة/83) وقال تعالى: { **ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ** } (إبراهيم/24) قال الشوكاني: والرد الجميل خير من الصدقة التي يتبعها أذى . وقد ثبت في صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم : « الكلمة الطيبة صدقة » [1432]. وقال طلحة بن عمر: قلت لعطاء إنك رجل يجتمع عندك ناس ذوو أهواء مختلفة، وأنا رجل في حدة فأقول لهم بعض القول الغليظ، فقال: لا تفعل ! يقول الله تعالى: " **وقولوا للناس حسنا** ". فدخل في هذه الآية اليهود والنصارى فكيف بالحنفي* [1433].

وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قول للناس لينا ووجهه منبسطا طلقا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه، لان الله تعالى قال لموسى وهارون: " **فقولا له قولا لينا** ". فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه [1434].

- فهم أنماط الناس وطرق تعاملهم.

[1430]- التفسير الموضوعي 2، منهاج جامعة المدينة العالمية، الناشر جامعة المدينة العالمية، ص 353
[1431]- المصدر السابق، ص 354
[1432]- فتح القدير ، ص 284/1
[1433]- تفسير القرطبي، ص 16/2، * في بعض نسخ الأصل: فكيف في غيرهما
[1434]- المصدر السابق، نفس الصفحة

والقاعدة في هذا الأمر أن الله خلق البشر مختلفين في الأهواء والطبائع والعقائد، قال تعالى: **{وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ }** (هود/118) ومعنى ذلك: ولا يزال الناس مختلفين في أديانهم وأهوائهم على أديان وملل وأهواء شتى [1435]، وقال تعالى: **{وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}** (هود/119) أي: وللاختلاف خلقهم [1436]. وهذه الآية قاعدة جليلة في فهم أنماط الناس والتعامل معهم: "ولو شاء ربك – أيها الرسول الكريم الحريص على إيمان قومه – أن يجعل الناس جميعاً أمة واحدة مجتمعة على الدين الحق لجعلهم ، ولكنه – سبحانه – لم يشأ ذلك ، ليتميز الخبيث من الطيب ، وشبيه بهذه الآية قوله – تعالى – **{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأرض كُلُّهُمْ جَمِيعاً... }** وقوله – سبحانه – **{ وَلَوْ شَآءَ الله لَجَمَعَهُمْ عَلَى الهدى . . . }** وقوله **{ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ }** تأكيد لما اقتضته سنته من اختلاف الناس"[1437]. وبوضوح الحجة تتضح طريقة التعامل:يقول ابن عجيبة: في الآية تسلية لأهل التذكير حين يرون الناس لم ينفع فيهم تذكيرهم ، وفيها تأديب لمن حرص على هداية الناس كلهم ، أو يتمنى أن يكونوا كلهم خصوصاً ، فإن هذا خلاف حكمته تعالى . قال تعالى **{ وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ } [هود : 118]** فالداعون إلى الله لا يكونون حُرصاً على الناس أبداً ، بل يدعون إلى الله ، ويذكرون بالله ، وينظرون ما يفعل الله اقتداء بنبي الله، بعد أن علمه الله كيف يكون مع عباد الله ، والله تعالى أعلم [1438]. وفي الحديث الصحيح تبيان لأنواع الناس، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « **تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ فَخِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا وَتَجِدُونَ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَكْرَهُهُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ فِيهِ وَتَجِدُونَ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**» [1439]، "فمنهم الأبيض والأسود والأحمر واللين والغليظ [1440]" وقال بعض العلماء: الناس رجلان: فرجل محسن، فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته ولا ما يحرجه. وإما مسيء، فمره بالمعروف، فإن تمادى على ضلاله، واستعصى عليك، واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يرد

[1435]- تفسير الطبري، ص 534/15

[1436]- المصدر السابق، ص 535/15

[1437]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 293/7

[1438]- البحر المديد، ص 56/6

[1439]- الإمام زكي الدين المنذري، مختصر صحيح مسلم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت 2007، ص 297

[1440]- تفسير حقي، ص 92/1

كيده، كما قال تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ * وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ * وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ } [المؤمنون:96-98] [1441]

المبحث الثاني:
شق يتعلق بالمتلقي [1442]

- الاستماع وحسن الإصغاء.

ومن أسس الاستماع الفعال قول الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } (ق/37)، روى عن وهب بن منبه أنه قال: من أدب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحب الله تعالى، وهو أن يكف العبد جوارحه، ولا يشغلها [1443]. وقال مجاهد: { أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ } أي: استمع الكلام فوعاه، وتعقله بقلبه وتفهمه بلبه [1444]. وقال الطبري: يقول: أو أصغى لإخبارنا إياه عن هذه القرون التي أهلكناها بسمعه، فيسمع الخبر عنهم، كيف فعلنا بهم حين كفروا بربهم، وعصوْا رسله (وَهُوَ شَهِيدٌ) يقول: وهو متفهم لما يخبرُ به عنهم شاهد له بقلبه، غير غافل عنه ولا ساه [1445]. كما حذر الله عز وجل المؤمنين من عدم السماع، فقال: {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ } (الأنفال/21) أي لا يتدبرون ما سمعوا، ولا يفكرون فيه، فهم بمنزلة من لم يسمع وأعرض عن الحق [1446]. ومن ثمرة السماع والإذعان أن يكون كما "دلت الآية على أن قول المؤمن: سمعت وأطعت، لا فائدة فيه ما لم يظهر أثر ذلك عليه بامتثال فعله" [1447]. وقال أبو حيان: ولما لم يجد سماعهم ولا أثر فيهم نفى عنهم السّماع لانتفاء ثمرته إذ ثمرة سماع الوحي تصديقه والإيمان به والمعنى أنكم تصدّقون بالقرآن والنبوة

[1441]- تفسير ابن كثير، ص 532/3
[1442]- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية في سلك البكالوريا، مصدر سابق
[1443]- تفسير القرطبي، ص 176/11
[1444]- تفسير ابن كثير، ص 409/7
[1445]- تفسير الطبري، ص 373/22
[1446]- تفسير القرطبي، ص 388/7
[1447]- المصدر السابق، نفس الصفحة

فإذا صدر منكم تولٍّ عن الطاعة كان تصديقكم كلا تصديق فأشبه سماعكم سماع من لا يصدق [1448].

- إتباع الحق متى تبين وظهر والرجوع عن الخطأ.

قال تعالى: **{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ}** (الزمر/18)

أي: يفهمونه ويعملون بما فيه، كقوله تعالى لموسى حين آتاه التوراة: **{ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا } [الأعراف:145]** [1449]. لأن الحق إذا وضح لا يبقى للتروي ولا للفكر مجال، بل لا بد من إتباع الحق والحالة هذه لكل ذي زكاء وذكاء ولا يفكر وينزوي هاهنا إلا عَيِيّ أو غبي [1450]، ومن رحمة الله تعالى بعباده في تبين طرق إتباع الحق قال: **{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ} (البقرة/219)** أي : مثل هذا البيان تصرف الأمثال المقربة الأشياء للذهن ، يبين لكم العلامات التي يوصل بها إلى إتباع الحق [1451].. وفي الرجوع عن الخطأ، قال تعالى: **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ }** (آل عمران/135)

- حسن الرد حتى على الكلام غير اللائق .

قال تعالى: **{ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً }** (الفرقان/63) يقول: وإذا خاطبهم الجاهلون بالله بما يكرهونه من القول، أجابوهم بالمعروف من القول، والسداد من الخطاب [1452]. وعن الحسن، قال: حلماء لا يجهلون وإن جهل عليهم حلموا [1453]. وقال ابن كثير: أي: إذا سَفه عليهم الجهال بالسّيئ، لم يقابلوهم عليه بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرًا، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، وكما قال تعالى: **{ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ } (القصص/55)** [1454].

[1448]- البحر المحيط ص 473/4
[1449]- تفسير ابن كثير، ص 90/7
[1450]- المصدر السابق، ص 316/4
[1451]- البحر المحيط ص 301/2
[1452]- تفسير الطبري، ص 295/19
[1453]- المصدر السابق، ص 296/19
[1454]- تفسر ابن كثير، ص 122/6

الفصل الخامس:

أهداف التواصل في القرآن الكريم

ومما لا شك فيه أن للتواصل أهدافا، لابد أن تتحقق من عملية التواصل، إذ أن أي عمل لم يضبط بأهداف وغايات يكون بلا جدوى ووضوح ويكون عبثيا ، وهذا أكثر بعدا من أن يكون في كتاب الله عز وجل، فكتاب الله تضبط فيه الأمور وتحدد بوضوح وبينة لذوي العقول السليمة المتبصرة ببصيرة العلم ونور الإيمان، للوقوف على حقائق وغايات القرآن الكريم، فهو ضالة كل باحث ومتأمل في آياته، فلو تأملنا قول الله تعالى: : **{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }** (الحجرات/13)، لوجدنا أن هذه الآية تجمع في طياتها عددا من أهداف التواصل الظاهرة [1455] :

- تحقيق التعارف والتقارب بين الناس .

"وقد أمر الإسلام بالتعايش والتعارف **{يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا} (الحجرات/13)** " [1456]. يقول القرطبي : " خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى ، أنسابا وأصهارا ، وقبائل ، وشعوبًا ، وخلق لهم منها التعارف ، وجعل لهم بها التواصل "[1457]. فبالتعارف يحصل التواصل ، فيرجع كل إلى قبيلته ، ويعرف قرب القرابة منه وبعدها [1458] فدلت الآية على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة ؛ لأن الله جعلهم شعوبا وقبائل لأجل ذلك[1459]. ولقد حث صلى الله عليه وسلم على التعرف على المدعوين بفعله ، فقد كان يبدأ مدعويه بالتعرف عليهم قبل دعوتهم ، فلنتأمل ما ترويه لنا كتب السيرة حيال ذلك . يذكر ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم في رحلته إلى الطائف ، وحينما ألجأته ثقيف إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة التقى غلاما لهما اسمه " عدَّاس " فماذا دار بينهما من حوار [1460] ؟

[1455]- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية في سلك البكالوريا، مصدر سابق

[1456]- موقع وزارة الأوقاف المصرية، مصدر سابق

[1457]- تفسير القرطبي، ص 217/4

[1458]- المرجع السابق، وأنظر: ابن كثير ص 217/4

[1459]- تفسير السعدي، ص 139/7

[1460]- أنظر: ابن هشام ، السيرة النبوية، ص 48/2-49

يقول ابن إسحاق : " فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أي أهل البلاد أنت يا عداس ؟ وما دينك ؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى[1461]. فبدأه صلى الله عليه وسلم بالتعرف على بلاده وديانته ، فكان هذا التعرف نقطة البداية في تحول هذا الرجل من دينه إلى دين الإسلام[1462].

- تبليغ مختلف المعارف والمعلومات للطرف الآخر .

" إن الله أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم من العلوم قليلا ولا كثيرا، وجعل لنا الأسماع والأبصار والأفئدة لنشكره بصرفها إلى المعارف النافعة "[1463]. قال تعالى: **{وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ }** **(النحل/78)**، وقال تعالى : **{ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ}** (**النحل/125**) قال تعالى: **{وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ }** (**آل عمران/79**) لقد أرشدنا ربنا إلى الطريقة المثلى في تعليم المتعلمين، وأن نسلك أقرب طريق يوصل المعارف إلى أذهان المشتغلين ، فلا نزحمها بكثرة الفنون فإن الأذهان لا تتحملها ، ولا تلقي عليها من المسائل ما لا تطيقها ولا تحفظها . بل تلقي على كل أحد ما يتحمله ذهنه وما يشتاق إليه[1464].

- بناء جسور الثقة المؤدية إلى الحوار والنقاش وحل الخلافات .

"ويعتبر الإسلام أن السلام هو السياسة الإسلامية الأصيلة التي تمارس داخل المجتمع الإسلامي في علاقاته مع مخالفيه وهو يفرق في هذا الصدد بين الذين يسالمون المسلمين والذين يقاتلونهم ، والاختلاف ليس سبيلا للحرب بل إنه كامن في طبيعة الحياة، والسلام لا يعنى الاستسلام للمعتدين، وحتى في حالة الحرب فلها سياستها وآدابها، والإسلام يدعو إلى التعايش والحوار كمنهاج لممارسة السياسة، وفى ظلها تنمو العلاقات السياسية والاقتصادية وغيرها من أوجه العلاقات التي تتم في إطار السياسة الدولية"[1465]. من هنا فإن النظرة الثاقبة والفاحصة في الحوار القصصي في القرآن الكريم في أغلب آياته تبين لنا أهمية الإنسان المحاور الذي ينبغي أن يعرف

[1461]- ابن هشام، السيرة النبوية، ص 49/2
[1462]- أنظر: المصدر السابق، نفس الصفحة
[1463]- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، ص 153
[1464]- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، ص 154
[1465]- موقع وزارة الأوقاف المصرية، مصدر سابق

كيف يصل إلى عقل الإنسان الآخر بأقصر الطرق، وأفضل أسلوب وأقوى دليل، لقد كان الحوار أسلوب الأنبياء عليهم السلام، به استطاعوا النفاذ إلى قلوب الناس بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة. وقد بينوا لنا سبل الحوار الهادئ والهادف الذي يلتزم العرض والإقناع مع الإيضاح والبيان بكل رفق وتلطفن فلم يكن حوارهم مع أقوامهم حوار الإكراه أو الإجبار أو حوار القسر والقهر، بل كان حوارا يحترم الفكر والشعور ويستعمل ألين العبارات في الدعوة والبحث عن قاعدة اللقاء كيفما كانت : **{تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ } (آل عمران/64)** [1466]

- التأثير في المتلقي ليتصرف وفق إرادة الملقي .

وهي بما تسمى الانفعالية: إن الغاية من هذه الانفعالية هو التأثير في المتلقي الناقص سلبا أو إيجابا إما بالرفع من قيمة الشيء حتى يقتنع المتلقي أنه رفيع، أو بالحط منه حطا إلى أن يقتنع المتلقي أنه وضيع . فهذه الأساليب الانفعالية التأثيرية تجعل المتلقي الناقص يتبنى موقف المصنف، فيبهر بالشيء ويقدسه إذا أراد المصنف ويحط منه ويحقره إذا أراد المؤلف أن يصل إلى تلك الغاية [1467]

أما على الصعيد النفسي فإن التأثير في الآخرين عن طريق الموعظة والأمر والنهي يظل محدودا حيث يقف طرف المتلقي وظرف الواعظ دائما عائقا دون التواصل الكامل، وحيث يتم استقبال ما يطلب القيام به عن طريق (الوعي). أما حين يتجلى المبدأ أو القيمة الخلقية في سلوك شخص من الأشخاص فإن التأثير في الآخرين يتغلغل في نفوسهم وأذهانهم عن طريق ((اللاوعي)) و ((اللاشعور)) فيتأثرون، ويتغيرون بطريقة خفية. ثم إن طبيعة القيم تتأبى على القسر والإكراه، فهي لا تُفرض لكنها تجذب. وقد استطاع الصحابة – رضوان الله عليهم – وكثير من صالحي هذه الأمة من تجار وغيرهم نشر المبادئ والأخلاق الإسلامية عن طريق السلوك العملي، ولم يكن لدى القوم وسائل إعلام، ولا كتب فلسفة، بل إن كثيرا منهم كانوا أميين [1468]. قال تعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (فصلت/33)** وقال تعالى: **{وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم/4)**

[1466]- حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، ص 19-20

[1467]- نور الهدى باديس، دراسات في الخطاب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – الطبعة الأولى 2008، ص 103

[1468]- عبد الكريم بكار، مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار القلم، دمشق - 2001، ص 118

- إشباع الحاجات والتعلم والمتعة والمساعدة .

وإشباع الحاجات الأساسية للإنسان كالجوع والعطش وحب الإطلاع والرغبة في التواصل مع الآخرين [1469]. يقول تعالى: {وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ } (الأعراف/31) وفي حب الإطلاع والتعلم قال تعالى: {وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً } (طه/114) وقول الله تعالى في الرغبة في التواصل مع الآخرين: {وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (الحجرات/13) وفي المتعة قال تعالى: {فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ } (الصافات/148) أي إلى منتهى آجالهم [1470]. وفي المساعدة قال الله تعالى : { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البر والتقوى } (المائدة/2) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً ، وكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر قال الله : نحن أحق بذلك تجاوزوا عنه» [1471].

[1469]- فرنر تيكي كوستنمخر وآخرون، بسط حياتك، ترجمة عمار قسيس، مكتبة العبيكان، الرياض - 2004، ص 366

[1470]- تفسير القرطبي، ص 132/15

[1471]- صحيح الجامع صححه الألباني عن أبي مسعود رقم 3159

الفصل السادس:

مظاهر التواصل في القرآن الكريم

ومن مظاهر التواصل في القرآن الكريم، التي تظهر نتيجة للتواصل الفعال، هي [1472]:

- **التآلف:**

قال الجرجاني في تعريف الألفة: اتفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش [1473]. وقال الرَّاغب: (الإِلْفُ: اجتماع مع التئام، يقال: أَلَّفْتُ بينهم، ومنه: الأُلْفَة) [1474]. "ومن ذلك الهداية والتوفيق للإسلام المؤدي إلى التآلف وزوال الأضغان" [1475]، وهي نتيجة لأي تواصل فعال يتم بين أفراد أو جماعات، لأن الألفة لا تتم إلا بعد تواصل ومعرفة بين طرفين أو أكثر ويتم التعارف والمخالطة التي ينتج عنها الألفة كما أن "مشروعية العفو تستدعي التآلف والتحاب وصفاء البواطن" [1476]، وأن الأخوة في الإسلام هي النتيجة الفعالة للألفة في عملية التواصل، وإن كانوا فيما بينهم أعداء قبل اعتناق الإسلام [1477]، قال تعالى في ذلك: {**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً**} (آل عمران/103)، قال الرَّاغب الأصفهاني: (قوله: (وَلَا تَفَرَّقُوا) حثٌّ على الأُلْفَة والاجتماع، الذي هو نظام الإيمان واستقامة أمور العالم، وقد فضَّل المحبَّة والأُلْفَة على الإنصاف والعدالة، لأنَّه يُحتاج إلى الإنصاف حيث تفقد المحبَّة. ولصدق محبَّة الأب للابن صار مؤتمنًا على ماله، والأُلْفَة أحد ما شرَّف الله به الشَّريعة سيَّما شريعة الإسلام) [1478].

ولأن الإنسان مقصود بالأذية محسود بالنعمة فإذا لم يكن آلفا مألوفا تخطفته أيدي حاسديه وتحكمت فيه أهواء أعاديه فلم تسلم له نعمة ولم تصف له مدة فإذا كان آلفا مألوفا انتصر بالألفة على أعاديه وامتنع من حاسديه فسلمت نعمته منهم وصفت مدته عنهم وإن كان صفو الزمان غرة وسلمه خطرا. وقد روى ابن جريج عن عطاء رحمهما الله عن جابر رضي الله عنه عن النبي

[1472]- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية لسلك الباكلوريا، مصدر سابق

[1473]- التعريفات للجرجاني، ص 34

[1474]- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص 81

[1475]- تفسير الألوسي، ص 236/2

[1476]- البحر المحيط ص 496/1

[1477]- انظر: تفسير الألوسي، ص 236/2، بتصرف

[1478]- تفسير الراغب الأصفهاني، ص 765/2

صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس أنفعهم للناس)) [1479].

- **التعاون والمشاركة الإيجابية .**

قال السعدي رحمه الله : " الإعانة هي : الإتيان بكل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها ، والامتناع عن كل خصلة من خصال الشر المأمور بتركها ، فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه ، وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المسلمين ، بكل قول يبعث عليها ، وبكل فعل كذلك " [1480].

وسئل سفيان بن عيينة عن قوله تعالى : { **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** } فقال : هو أن تعمل به وتدعو إليه وتعين فيه وتدل عليه [1481]. ويقول القرطبي في تفسيره : (وتعاونوا على البر والتقوى : هو أمر لجميع الخلق بالتعاون على البر والتقوى ؛ أي ليُعِن بعضكم بعضا ، وتحاثوا على أمر الله تعالى واعملوا به ، وانتهوا عما نهى الله عنه وامتنعوا منه ، وهذا موافق لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدال على الخير كفاعله » [1482].

وهو أيضا من المظاهر التي تنتج عن التواصل الفعال بين الأفراد أو الجماعات، ويظهر التعاون عادة بعد تحقيق التعارف، قال تعالى: { **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** } (المائدة/2) وقال ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى : { **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** } .. الآية : (اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم ، فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين : واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق ، فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها وهي البر والتقوى اللذان هما جماع الدين كله) [1483].

[1479]- أبي الحسن الماوردي، أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار إقرأ، بيروت – الطبعة الرابعة 1985، ص 162

[1480]- تفسير السعدي، ص 238/2 ، بتصرف يسير

[1481]- حلية الأولياء، ص 284/7

[1482]- تفسير القرطبي، ص 46/6

[1483]- زاد المهاجر، ص 1/6-7

ثم بيّن أهمية التعاون على البر والتقوى وأنه من مقاصد اجتماع الناس فقال : " والمقصود من اجتماع الناس وتعاشرهم هو التعاون على البر والتقوى ، فيعين كل واحد صاحبه على ذلك علما وعملا ، فإن العبد وحده لا يستقلُّ بعلم ذلك ولا بالقدرة عليه ؛ فاقتضت حكمة الرب سبحانه أن جعل النوع الإنساني قائما بعضه ببعضه معينا بعضه لبعضه[1484].

- **التفاهم:**

الفهم : حسن تصور المعنى وجودة استعداد الذهن للاستنباط . و (تفاهم) فهم شيئا فشيئا والقوم أفهم بعضهم بعضا[1485]. "تَفَاهَمَ الْمُتَنَازِعُونَ بَعْدَ نِزَاعٍ" : أَدْرَكَ كُلٌّ مِنْهُمْ رَأْيَ الآخَرِ، فَهِمَهُ، تَفَهَّمَهُ. "تَفَاهَمَ مَعَ رَفِيقِهِ". "حَصَلَ بَيْنَهُمَا تَفَاهُمٌ لِحَلِّ مَشَاكِلِهِمَا"[1486].

ونستخلص من المعنى اللغوي، معناً للتفاهم: فهو الاتفاق على نقاط الخلاف وتقليصها قدر المستطاع، وبها يتم تجنب الاصطدام ومنع عائق من عوائق التواصل، التي بها ترتقي نحو التواصل الفعال، "والقرآن في جدله مع أهل الكتاب كان يلاحظ إمكان التفاهم معهم على قواعد يمكن حملهم على الإقرار بها"[1487] كما في قوله – تعالى – : **{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** (آل عمران/64)، ولقد حث الإسلام على التفاهم حتى في الحرب، فقال تعالى : **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ}** (**البقرة/216**)

يقول أبو زهرة رحمه الله: فكان من حصر القتال في أضيق دائرة أن يتفق الفريقان على إلقاء السلاح أمدا معلوما في أثناء القتال لعل العقول تثوب إلى رشدها، والنفوس تهدأ حدَّتها، فيكون التفاهم والسلام وحقن الدماء[1488].

والتفاهم لابد له أن يرتكز على أسس أخلاقية، يقول عبد الرحمن حبنكة الميداني: (إن أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية لا يستطيع أفراده أن يعيشوا متفاهمين متعاونين سعداء ما لم تربط بينهم روابط متينة من الأخلاق الكريمة.

ولو فرضنا احتمالًا أنه قام مجتمع من المجتمعات على أساس تبادل المنافع المادية فقط، من غير أن

[1484]- زاد المهاجر، ص 13/1

[1485]- المعجم الوسيط، ص 704/2

[1486]- معجم المغني، ص 298/3

[1487]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 492/1

[1488]- زهرة التفاسير، ص 589/2

يكون وراء ذلك غرض أسمى؛ فإنه لابد لسلامة هذا المجتمع من خلقي الثقة والأمانة على أقل التقادير.

فمكارم الأخلاق ضرورة اجتماعية، لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، ومتى فقدت الأخلاق التي هي الوسيط الذي لابد منه لانسجام الإنسان مع أخيه الإنسان، تفكك أفراد المجتمع، وتصارعوا، وتناهبوا مصالحهم، ثم أدى بهم ذلك إلى الانهيار، ثم إلى الدمار.

من الممكن أن تتخيل مجتمعًا من المجتمعات انعدمت فيه مكارم الأخلاق كيف يكون هذا المجتمع؟!

كيف تكون الثقة بالعلوم، والمعارف، والأخبار، وضمان الحقوق لولا فضيلة الصدق؟!

كيف يكون التعايش بين الناس في أمن واستقرار، وكيف يكون التعاون بينهم في العمل ضمن بيئة مشتركة، لولا فضيلة الأمانة؟

كيف تكون أمة قادرة على إنشاء حضارة مثلى لولا فضائل التآخي، والتعاون، والمحبة، والإيثار؟

كيف تكون جماعة مؤهلة لبناء مجد عظيم لولا فضيلة الشَّجَاعَة في رد عدوان المعتدين وظلم الظالمين، ولولا فضائل العدل والرحمة والإحسان والدفع بالتي هي أحسن؟!

كيف يكون الإنسان مؤهلًا لارتقاء مراتب الكمال الإنساني إذا كانت أنانيته مسيطرة عليه، صارفة له عن كل عطاء وتضحية وإيثار؟

لقد دلت التجربات الإنسانية، والأحداث التاريخية، أن ارتقاء القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لارتقائها في سلم الأخلاق الفاضلة، ومتناسب معه، وأن انهيار القوى المعنوية للأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها، ومتناسب معه، فبين القوى المعنوية والأخلاق تناسب طردي دائمًا، صاعدين وهابطين) [1489].

- **التشاور والنقاش:**

تَشَاوُرٌ : "خَرَجُوا لِلتَّشَاوُرِ": لِتَبَادُلِ الآرَاءِ مِنْ أَجْلِ الاتِّفَاقِ عَلَى رَأْيٍ مُوَحَّدٍ [1490].

"قال ابن عطية: والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب. قال القرطبي: هذا ما لا خلاف فيه. وقد مدح الله المؤمنين بقوله: [1491]" :

[1489]- "الأخلاق الإسلامية وأسسها" لعبد الرحمن حبنكة الميداني، ص 29/1

[1490]- معجم المغني، ص 193/3

[1491]- تفسير القرطبي، ص 249/4

{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ } (الشورى/38) .

وهي النتيجة الحتمية في عملية التواصل الإيجابي والفعال في العلاقات بين الأفراد أو الجماعات، التي بدورها تحافظ على العلاقات بأن تبقى علاقات قوية ووطيدة، قال تعالى: { وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } (آل عمران/159) قال أبو جعفر: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله عز وجل أمرَ نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه، تألُّفًا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالإسلام البصيرةَ التي يُؤْمَنُ عليه معها فتنة الشيطان = وتعريفًا منه أمته مأتى الأمور التي تحزُبهم من بعده ومطلبها، ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاوروا فيما بينهم، كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعله. فأما النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الله كان يعرِّفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو إلهامه إياه صوابَ ذلك. وأما أمته، فإنهم إذا تشاوروا مستنِّين بفعله في ذلك، على تصادُقٍ وتآخٍ للحق، وإرادةِ جميعهم للصواب، من غير ميل إلى هوى، ولا حَيْد عن هدى، فالله مسدِّدهم وموفِّقهم [1492].

يقول ابن عجيبة في قوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر}.. الآية، الذي يصح أن يشاور فيه؛ تطييباً لخاطرهم ، ورفعاً لأقدارهم ، واستخراجاً وتمهيداً لسنة المشاورة لغيرهم ، وخصوصاً الأمراء . قال عليه الصلاة والسلام : « ما شقا عبد بمشورة ، وما سعد باستغناء برأي » قال أيضاً : « مَا خَابَ من اسْتَخَارَ ، وَلاَ نَدِمَ من اسْتَشَارَ » وقال أيضاً – عليه الصلاة والسلام – « إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُم خِيَارَكُمْ ، وَأَغْنِيَاؤُكُمْ أَسخيَاءَكُمْ ، وأَمرُكُم شُورَى بَيْنَكُم ، فَظَهْرُ الأَرْض خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا . وإذا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ وأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ ، ولم تكن أموركم شُورَى بَيْنَكُم ، فَبَطْنُ الأَرْضِ خَيرٌ من ظَهْرِهَا » [1493].

ويقول الشيخ قطان رحمه الله: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الأمر}.. الآية، فهو نص قاطع في تقرير مبدأ الشورى في الحكم الإسلامي ، لا الاستئثار بالسلطة الفردية المتحكمة وانه لمبدأ عظيم هذا الذي يقرره القرآن بصدد ذلك ، وهو المعمول به اليوم عند الأمم الراقية التي سقتنا [1494].

[1492]- تفسير الطبري، ص 346/7

[1493]- تفسير البحر المديد، ص 391/1

[1494]- تفسير القطان، ص 235/1

الفصل السابع:
مكونات عملية الاتصال في القرآن الكريم

قال تعالى: {**وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** } (القصص /51) أي أتبعنا بعضه بعضا، وبعثنا رسولا بعد رسول. وقال ابن زيد: وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم في الآخرة في الدنيا. وقال أهل المعاني: والينا وتابعنا وأنزلنا القرآن تبع بعضه بعضا: وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ونصائح ومواعظ إرادة أن يتذكروا فيفلحوا [1495].

ولو تأملنا تفسير هذه الآية لوجدنا أنها تشتمل على مكونات عملية الاتصال في القرآن الكريم [1496]:

1. الهدف: إن هدف إرسال الرسل: "هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم لهم بذلك" [1497] قال تعالى: {**الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** } (إبراهيم/1)
2. المرسل: هو الله عز وجل الذي " أرسل الرسل وزودهم بالهدايات السماوية التي تهدي الناس إلى ما يسعدهم [1498]" قال تعالى: {**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ** } (التوبة/33)

المستقبل: إن المستقبل في هذه الآية وفي كل الآيات قسمان، الأول هم الرسل الذين يستقبلون الرسالة عن ربهم عن طريق الوحي قال تعالى: {**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً** } (النساء/163)، والقسم الثاني هم الناس الذين يستقبلون الدين عن طريق رسلهم قال

[1495]- تفسير القرطبي، ص 295/13

[1496]- أنظر: مدخل إلى علم الاتصال، منال طلعت، ص 73-76، بتصرف، و موقع: دليل المدرب في تدريب المتدربين، مصدر سابق

[1497]- تفسير الطبري، ص 512/6

[1498]- التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 228/14

تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (إبراهيم/4)

3. الرسالة: هي الرسالة المحمدية أو الدين الذي يبين الله فيه كل أمور العباد التي تنفعهم في دنياهم وآخرتهم، أي الشريعة والمنهاج الذي يسيرون عليه فيسعدوا في دنياهم ويفوزوا بآخرتهم، وهذا ما يتضمنه **"القول"** في الآية السابقة، قال تعالى: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً } (الأحزاب/39) وقرأ أبي {رِسَالَةَ } على التوحيد لجعل الرسالات المتعددة لاتفاقها في الأصول وكونها من الله تعالى بمنزلة شيء واحد وإن اختلفت أحكامها [1499]. وقال تعالى أيضا: {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ } (المائدة/48)

4. قناة الاتصال: وهي الحلقة بين المرسل والمستقبل التي لا يشوبها تشويش ولا خطأ، كما قد ينجم عن وسائل الاتصال التي هي من صنع البشر، وهذه الحلقة هي جبريل عليه السلام، قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } (الشورى/51)

5. التغذية الراجعة: وهي المعلومات الراجعة من المستقبل والتي تسمح للمرسل بتكوين حكم نوعي حول فاعلية الاتصال. "فمسؤولية المرسل، سواء أكانوا أنبياء أو علماء أو دعاة أو مسئولين أو أساتذة في الجامعات والمدارس... الخ، أن يقوم بعملية التقييم لكل عمل ولكل مرحلة من مراحل هذا العمل، التي يتأكد المرء فيها من أنه قام بواجبه كما ينبغي وأدى رسالته على ما يرام، ويتم قياس ذلك من خلال أداء المتلقي وهو المستقبل، فإذا كانت رسالة المرسل قد أديت بالطريقة الصحيحة والسليمة كان تطبيق المستقبل

[1499]- تفسير الآلوسي، 207/11

صحيحا وسليما "[1500]، وهذا ما نراه في فعل رسول الله صلى عليه وسلم الذي هو قدوتنا وحبيبنا، فكان عليه الصلاة والسلام حريصا في إيصال هذا الدين كما ينبغي وأن يعلمه أصحابه كما ينبغي وهذا ما ذكره الله عز وجل في كتابه العزيز: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**} (المائدة/3) ، فهذا الإتمام والرضى ما تم إلا بعد أن قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بأداء واجبه خير أداء وبلغ الدين كاملا كما ينبغي وعلى أكمل وجه، وبهذا شهد جميع أصحابه الذين حضروا معه حجة الوداع بعد أن أتم خطبته فقال صلى الله عليه وسلم: " ألا هل بلغت قالوا نعم، قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع"[1501].

6. الاستجابة: وهذا ما نراه جليا في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تنفيذ أوامر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم، ونضرب على ذلك مثلا من قول الله عز وجل: {**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** } (المائدة/91)، فقال عمر: انتهينا، انتهينا[1502]، فهذه صورة من صور الاستجابة الفورية للصحابة لأمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأما المشهد الثاني من ضرب المثل على استجابة الصحابة التي يصحبها التطبيق والعمل: **روى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كنا لا نجاوز العشر آيات حتى نحفظها ونعلمها ونعمل بها)** .

7. بيئة الاتصال: نقصد ببيئة الاتصال هو الوسط الذي يتم فيه حدوث الاتصال بكل عناصره المختلفة، وهي المكان أو الظرف الذي يكون فيه الإنسان فيختلف من مكان إلى مكان ومن ظرف إلى ظرف : فلو تأملنا سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة لوجدنا أن بيئة وظرف الدعوة في مكة كانت تختلف اختلافا كليا عن بيئة

[1500]- مهدي محمود سالم، الأهداف السلوكية تحديدها-مصادرها-صياغتها، كتبة العبيكان، الرياض – 1422هـ - 2001م، ص 39-40 بتصرف

[1501]- صحيح البخاري، كتاب الحج، رقم الحديث 1625

[1502]- عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، الجزء الخامس ص 200، الرياض 2003

وظرف الدعوة في المدينة المنورة[1503]، وهذا ينطبق أيضا في تواصل العلماء مع باقي المسلمين في أمر الفتاوى، حيث أن الفتوى التي تصلح في مكان معين قد لا تصلح في مكان آخر[1504]، أي أن مراعاة البيئة في عملية الاتصال أمر في غاية الأهمية، وله تأثير مهم على البشر في إيصال رسالة معينة يريد أن يصلها المرسل[1505]، فاختلاف البيئة كان له دور كبير في التشريع الرباني فعنيت السور المكية بترسيخ العقيدة وأصول الدين وتوحيد الخالق عز وجل، والإيمان بالملائكة واليوم الآخر والأعمال الصالحة، وعنيت السور المدنية بالتشريع للمجتمع الإسلامي ودولته الجديدة، وتنظيم العلاقات بين الإنسان وربه وبينه وبين نفسه، وبينه وبين بقية البشر، وبينه وبين سائر المخلوقات، وفيها الحدود والأحكام والأمر بالجهاد ومجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، والاهتمام بأمر المنافقين إلى غير ذلك[1506]، مصداقاً لقوله تعالى: {**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**} (الآية/125).

وهذا التواصل الذي يحدد طبيعة الصلة ونوعها لابد له من ركيزة قوية ترتكز عليه و لا تحتكم للهوى ولا للمصالح الخاصة وأفضل من يحدد هذا الأمر هو خالق البشر، قال تعالى: {**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**} (الشورى/15)، هذا في أمر الهوى، وهذه الصلة التي تربط البشر بعضهم ببعض لابد لها من هدف ومصلحة عامة يجتمع الكل عليها وهي اعمار الأرض التي نعيش عليها والتي فيها معاشنا وحياتنا والتي استخلفنا الله عز وجل فيها، قال تعالى: {**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**} (الأحزاب/72)، وهذا الاستخلاف والأعمار لابد له من أن يقوم على منهج تعاون وتكافل وتعامل متبادل بين هذا البشر الذي سيقوم بهذه المهمة، قال تعالى: {**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ**

[1503]- يراجع سيرة ابن هشام، ص 240/1 – 246، زاد المعاد ص 48/2، و د. محمد أبو الفتح البيانوني: المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت – 1415هـ - 1995م، ص 75

[1504]- د. يوسف القرضاوي، مقال بعنوان: الجمود على الفتاوى القديمة، موقع هدي الإسلام، تاريخ الإطلاع: 2012/08/06

[1505]- أنظر: مدخل إلى علم الاتصال، منال طلعت، ص 91

[1506]- أنظر: التفسير الوسيط لطنطاوي، ص 267/9

وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَىٰ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} (المائدة/2)، وهذا التعاون والتعامل لابد له أيضا من أسلوب ومنهج حتى ينجح ولا يكون فيه ظلما لأحد على حساب الآخر وهذا المنهج لابد له أن يقوم على العدالة واحترام الآخر، لقول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (المائدة/8).

الفصل الثامن:

أهمية التواصل الرباني وتأثيره الروحي

المبحث الأول:

العلاقة بين التواصل الرباني (أي الإيمان) والصحة النفسية

إن للتواصل الرباني أهمية كبيرة على التأثير الروحي للإنسان، تقول الدكتورة ليلى الأحدب: إنه لا يمكن مغالبة الفطرة التي يعتبر الإيمان جوهرها. ووفق المنظور الإسلامي فإن حياة المخلوقات مرتهنة إلى غاية؛ هي العبادة **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ }** (**الذاريات/56**)، وهي بمعناها الواسع تعني تلك الصلة الدائمة بين الإنسان وربه واتصال روحه بالمصدر العلوي. ومن ثم لم يكن غريبًا أن نجد مثل "جيفري لانج" (عالم رياضيات أمريكي أسلم) يعبر عن تلك الفطرة (الإيمان) بالقول: "يبدو أننا جميعا بحاجة لأن نؤمن بأحد ما أو شيء ما. فالحياة دون معنى أو اتجاه بائسة حقًّا. ويبدو أنه يتوجب أن نحيا من أجل شيء ما عزيز علينا ونموت من أجله، سواء كان هذا الهدف أو الشيء مبدأ سياسيًّا أو خطة حياتية أو أمة أو حلمًا أو فكرة أو مالا أو سلطة أو جاها أو أسرة أو شهرة أو ثأرا [1507].

وبالتواصل الرباني تطمئن النفس وتستقر يقول تعالى: **{الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ }** (الرعد/28)، وذلك أن النفس تضطرب بظهور صفاتها وأحاديثها وتطيش فيتلون القلب ويتغير لذلك فإذا تفكر في الملكوت ومطالعة أنوار الجمال والجبروت استقر واطمأن ، وسائر أنواع الذكر إنما يكون بعد الاطمنان [1508]. ويقول الرازي: أن القلب كلما وصل إلى شيء فإنه يطلب الانتقال منه إلى حالة أخرى أشرف منها ، لأنه لا سعادة في عالم الأجسام إلا وفوقها مرتبة أخرى في اللذة والغبطة . أما إذا انتهى القلب والعقل إلى الاستسعاد بالمعارف الإلهية والأضواء الصمدية بقي واستقر فلم يقدر على الانتقال منه ألبتة ،

[1507]- الدكتورة ليلى أحمد الأحدب، مصدر سابق

[1508]- تفسير الألوسي، ص 168/7

لأنه ليس هناك درجة أخرى في السعادة أعلى منها وأكمل؛ فلهذا المعنى قال: **{ ألا بذكر الله تطمئن القلوب }**[1509].

وبهذا الاطمئنان والاستقرار يكسب الجسد توازنه النفسي والذهني[1510].

اعلم أن النفس مجبولة على شيم مهملة، وأخلاق مرسلة، لا يستغني محمودها عن التأديب، ولا يكتفي بالمرضي منها عن التهذيب، لأن لمحمودها أضدادا مقابلة، يسعدها هوى مطاع، وشهوة غالبة؛ فإن أغفل تأديبها تفويضا إلى العقل، أو توكلا على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع، أعدمه التفويض درك المجتهدين، وأعقبه التوكل ندم الخائبين، فصار من الأدب عاطلا، وفي صورة الجهل داخلا، لأن الأدب مكتسب بالتجربة، أو مستحسن بالعادة، ولكل قوم مواضعة، وكل ذلك لا ينال بتوقيف العقل، و لا بالانقياد للطبع، حتى يكتسب بالتجربة والمعاناة، ويستفاد بالدربة والمعاطاة، ثم يكون العقل عليه قيما، وزكي الطبع إليه مسلما، ولو كان العقل مغنيا عن الأدب، لكان أنبياء الله تعالى عن أدبه مستغنين، وبعقولهم مكتفين وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"[1511].

لقد حفلت كتابات المفكرين قديما وحديثا بدراسة موضوعية لظاهرة التدين لدى الإنسان، واعتمدوا في دراسة هذه الظاهرة على رصد تاريخي لسلوك الإنسان، منذ أقدم العصور، ووصلوا إلى نتيجة وقناعة بأن الشعور الديني هو غريزة فطرية لدى الإنسان، ظهرت آثارها عليه منذ فجر التاريخ، وكان يعبر عنها بوسائل مختلفة، بعضها مما يرفضه العقل لسذاجته، وبعضها مما يقبله العقل و لا يرفضه على الأقل، لاحتمال الصدق فيه، ومن هنا كان دور الأنبياء هاما وضروريا لتوجيه ظاهرة التدين لدى الإنسان نحو المنهج الصحيح، بحيث لا تكون تلك الغريزة فريسة الأسطورة والخرافة، تقود صاحبها إلى التيه والضلال[1512].

[1509]- تفسير الرازي، ص 40/19

[1510]- كارل غوستاف يونج، علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية 1997 ، ص 222

[1511]- أبو الحسن علي الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار الفكر، بيروت – 1415هـ - 1995، ص 168

[1512]- د. محمد فاروق النبهان، أثر التربية الإسلامية في السلوك الاجتماعي، كتاب دعوة الحق، عدد 4، المغرب – 1420هـ - 1999م، ص 54

ولقد قرر علم النفس الحديث، على أن الإيمان/التدين له دور فعال في استقرار النفس ومنح الجسد توازنه، بل إن علم النفس المعاصر يعتبر الدين عاملا مهمًا في إعادة الطمأنينة إلى النفس؛ فقد أكد كارل يونج أهمية الدين وضرورة إعادة فرص الإيمان والرجاء لدى المريض، حيث أشار إلى ذلك بقوله:

أحب أن ألفت الانتباه إلى الوقائع التالية: في الأعوام الثلاثين الماضية، استشارني أناس من جميع بلدان العالم المتمدن، وعالجت المئات من المرضى، كان أكثرهم بروتستانت وأقلهم يهودا، ولا أكثر من خمسة أو ستة كاثوليك مؤمنين. من بين جميع مرضاي الذين هم في النصف الثاني من العمر — أي ممن يزيدون على الخامسة والثلاثين — لم يكن ولا واحد منهم من كانت مشكلته في نهاية الأمر ليست مشكلة البحث عن نظرة دينية للحياة. لذلك أستطيع القول، وأنا مطمئن، أن كل واحد من هؤلاء وقع في المرض لأنه أضاع ما تورثه الأديان الحية لأتباعها في كل عصر، ولم يشف ولا واحد منهم شفاء حقيقيا إلا بعد أن استرد نظرته الدينية. طبعا، إن هذه النظرة لا علاقة لها أبدا بعقيدة خاصة أو بالانتماء إلى كنيسة معينة [1513].

كما يعتبر التواصل الرباني (التدين) السياج الذي يحمي الإنسان من كل طارئ خارجي يطرأ على النفس البشرية من كآبة وأمراض نفسية، تماما كما الغلاف الأرضي الذي يحمي الأرض من الأشعة المضرة بها ومن رذاذ شظايا الشهب في الغلاف الجوي، ويعتبر التدين السد المنيع للنفس من انهيار الحالة النفسية، وإلى ذلك يشير كارل يونج، بقوله:

كان الإنسان يقف دائما محتاجا إلى العون الروحي الذي تمده به ديانته الخاصة، كل فرد بحسب ديانته. إن فض الفدام عن الخافية يعني تفجر آلام روحية شديدة، هو أشبه شيء بسقوط حضارة زاهرة تحت وطأة جحافل غزاة من الهمج، أو اجتياح في أعماق النفس، ذلك الإقليم الذي أطلقت عليه منذئذ اسم (الخافية العامة) أو (الخافية الجامعة) collective unconscious، وأطلقت على محتوياتها اسم (النماذج البدئية) archetypes. منذ الأزمنة السحيقة كانت تحدث انفجارات في الخافية، وكانت تتكرر مرة بعد مرة [1514].

[1513]- كارل غوستاف يونج، علم النفس التحليلي، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية 1997 ، ص 222

[1514]- المصدر السابق ، ص 231

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: " القلب فقير بالذات إلى الله من جهتين: من جهة العبادة.....ومن جهة الاستعانة والتوكل....فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر، ولا يلتذ ولا يطيب، ولا يسكن ولا يطمئن، إلا بعبادة ربه وحده وحبه والإنابة إليه. ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه (بالفطرة)، من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه. وبذلك يحصل له الفرح والسرور، واللذة والنعمة، والسكون والطمأنينة. وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له؛ فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله، فهو دائما مفتقر إلى حقيقة "إياك نعبد وإياك نستعين . فإنه لو أعين على حصول كل ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده، ولم يحصل له عبادة الله، فلن يحصل إلا على الألم والحسرة والعذاب، ولن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب لله بحيث يكون الله هو غاية مراده، ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله، لا يحب شيئا لذاته إلا الله " [1515].

لا عجب أن يكون للتواصل الرباني أثرا كبيرا على الصحة النفسية للإنسان، كيف لا وإذ بالإنسان يتأثر بالكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة الصادرة من الإنسان تجاهه، فإذا كانت الكلمة طيبة وإطراء عليه، تجده يتبسم ويضحك وتظهر مظاهر البهجة على وجهه، وأما إذا سمع كلمة تزعجه، وجدته غاضبا مكفهرا تظهر علامة الغضب على عينيه ووجهه، فكيف إذا كان الكلام كلام خالقه، فلا شك أن الأثر الذي سيكون عليه أفضل وأنجع وأكبر، ونقرأ ذلك في كتابه سبحانه وتعالى: {**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ**} (يونس/57)، إن هذا الخطاب الموجه لكافة الناس على أشكالهم وألوانهم ومعتقداتهم، إذا ما أمانوا به وتواصلوا مع خالقهم في أمورهم كلها، كانت النتيجة الحتمية لشفاء ما في الصدور — أي الصحة النفسية — ذكرت الدكتورة ليلى الأحدب في مقال لها، أن هايكو إيرنست أكد على أنه تبدّى من خلال عدد متزايد من الدراسات وجود تأثير وثيق وإيجابي متبادل بين الإيمان/التدين والحالة الصحية؛ فمن يؤمن بإله خيِّر أو بأي قوة سامية أو حتى "بمجرد" معنى أعمق للحياة فإنه يتغلب على أزمات الحياة والمشقة (الإرهاق) والصراعات النفسية الاجتماعية بسهولة كبرى؛ فالإيمان يسهل وجود "إستراتيجيات تأقلم" فاعلة، وبالتالي فهو أقل تعرضا للأمراض النفسية

[1515]- العبودية لابن تيمية، ص 108-109

والجسدية. فالإيمان يؤثر وقائيا، ويبدي -إذا ما وقع المرض- ثقة كبرى بسيرورة الشفاء وينمي هذه السيرورة. إنه يسهل حصول الشفاء"[1516].

ويقول الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي: " لقد علمتنا الحياة أن أكثر الناس قلقا وضيقا واضطرابا، وشعورا بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان، وبرد اليقين. إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت باللذائذ والمرفهات؛ لأنهم لا يدركون لها معنى، ولا يعرفون لها هدفا، ولا يفقهون لها سرا، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس، أو انشراح صدر؟
إن هذه السكينة ثمرة من ثمار دوحة الإيمان، وشجرة التوحيد الطيبة، التي تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها . فهي نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض، ليثبتوا إذا اضطرب الناس، ويرضوا إذا سخط الناس، ويوقنوا إذا شك الناس، ويصبروا إذا جزع الناس، ويحملوا إذا طاش الناس. هذه السكينة روح من الله، ونور؛ يسكن إليه الخائف، ويطمئن عنده القلق، ويتسلى به الحزين، ويستروح به المتعب، ويقوى به الضعيف، ويهتدي به الحيران. هذه السكينة نافذة على الجنة يفتحها الله للمؤمنين من عباده: منها تهب عليهم نسماتها، وتشرق عليهم أنوارها، ويفوح شذاها وعطرها، ليذيقهم بعض ما قدموا من خير، ويريهم نموذجا صغيرا لما ينتظرهم من نعيم، فينعموا من هذه النسمات بالروح والريحان، والسلام والأمان " [1517].
ومن خلال دراسة منهجية : ذكرت الدكتورة ليلى الأحدب تقريرا علميا بهذا الصدد تقول فيه : وقد قوم النفساني العيادي ديفيد لارسون بصورة منهجية كل الدراسات التي نشرت في أكبر مجلتين متخصصتين في الطب النفسي بين عامي 1978 و1989 فيما يتعلق بالعلاقات بين الإيمان والصحة النفسية، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن التدين يؤثر في 84% من الحالات بشكل إيجابي، وفي 13% بشكل حيادي، وفي 3% فقط ظهر أن التدين مضر صحيا [1518].

[1516]- الدكتورة ليلى أحمد الأحدب، مقال بعنوان الإيمان وأثره على الصحة النفسية، تاريخ المقال 2003/11/20، www.islamonline.net
[1517]- د. يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، دار الذخائر، السعودية – 1417هـ - 1996م، ص 75-76
[1518]- الدكتورة ليلى أحمد الأحدب، مصدر سابق

المبحث الثاني:

هديه صلى الله عليه وسلم في التواصل المنشود

وإجمالا لما أوردت في أمر التواصل في القرآن، أذكر هنا هدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في التواصل المنشود، والوسائل التي استخدمها في عملية التواصل مع المسلمين أو غير المسلمين:

أرسل الله محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم، فأكرمُهم على الله أطوعهم لله عز وجل [1519]. ولقد حمل على عاتقه صلى الله عليه وسلم مهمة تبليغ الرسالة للناس كافة، فكان يقوم بمخاطبة أهله وقومه وسائر قبائل العرب، بل وامتدت دعوته وتواصله مع ملوك الفرس والروم والحبشة وغيرهم، قال الواقدي: (..) بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر مصطحبين حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب الاسكندرية. وشجاع بن وهب ابن أسد بن جذيمة شهد بدرا إلى الحارث بن أبي شمر الغساني يعني ملك عرب النصارى، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر، وهو هرقل ملك الروم، و عبدالله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن الحر [1520]. وذلك تطبيقا لأمر الله تعالى : **{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً } (سبأ/28)**

لقد تواصل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مع الجميع بأدب وحكمة ومجادلة بالحجة، وكان القدوة الحسنة التي تأسى بها أصحابه رضوان الله عليهم. أستطاع الرسول صلى الله عليه وسلم "والذي كان خلقه القرآن" [1521]، أن يكسب قلوب الناس ومحبتهم وإعجابهم به، لما كان عليه من أخلاق حسنة وصفات عظيمة [1522].

[1519]- تفسير ابن كثير، ص 518/6

[1520]- السيرة النبوية، لابن كثير، ص 343/3

[1521]- سبق وأن تم تخريجه

[1522]- انظر: سبل الهدى والرشاد، ص 7/6-9

ومن خلال هذه السيرة العطرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يمكن لنا أن نسلط الضوء على بعض الأساليب التي استخدمها صلى الله عليه وسلم في تواصله الناجح مع غيره:

حيث استخدم النبي صلى الله عليه وسلم الابتسامة والملاطفة، وهما وسيلتان من وسائل التواصل التي بهما تتم الألفة، حيث أن الألفة هي أساس الاتصال، كما تعد الألفة والانسجام مع الآخرين أحد عناصر النجاح الأساسية في كافة أوجه الحياة، وهو كما قال جرير بن عبد الله: **(ما رآني رسول الله إلا تبسم)** [1523]، و استخدم صلى الله عليه وسلم أيضا حسن الإصغاء والاستماع، كما فعل مع عتبة بن ربيعة، " فما كان يُقاطع من يحادثه " [1524]، وروى أبو داوود عن أنس بن مالك قال: (**ما رأيت رجلا التقم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحى رأسه عنه، حتى يكون الرجل هو الذي ينزع**) [1525]

واستخدم عليه الصلاة والسلام اللغة في التواصل، فقد أوتي جوامع الكلم، وكان يقول **(وإن من البيان لسحراً)** [1526]، وربما كلّم بعض الناس بلهجاتهم، ورفع الصوت مع الأعرابي، واستخدم عليه الصلاة والسلام أسلوب الحوار، وهو من أنجح وسائل الاتصال ومن تلك الأساليب التي تعتمد على أسلوب استجواب المحاور والتدرج معه ليصل المحاور لاستنتاج الحل بنفسه : **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ " : أَنَّ رَجُلا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : إِنَّ امْرَأَتِي وَلَدَتْ غُلامًا أَسْوَدَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ ؟ " قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : " مَا أَلْوَانُهَا ؟ " قَالَ : حُمْرٌ ، قَالَ : " هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ ؟ " قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : " فَأَنَّى تَرَى ذَلِكَ ؟ " قَالَ : نَزَعَهُ عِرْقٌ ، قَالَ : " وَلَعَلَّ هَذَا نَزَعَهُ عِرْقٌ".** [1527]

واستخدم الحركات المفهمة والإشارات الموضحة للمعاني، فقال: **(بُعثت أنا والساعة كهاتين**

[1523]- شمس الدين السرخسي، المبسوط، مطبعة السعادة، مصر 1331 هـ ص 77/1

[1524]- انظر " تهذيب سيره ابن هشام لعبد السلام هارون " ص 62-63 و القصه أخرجها الإمام البغوي في التفسير (107/6) في تفسيرسورة فصلت، وذكر ابن كثير بعض رواياتها في تفسيره (90/4 - 91) ، و القصه حسنها الألباني في تخريج فقه السيره ص[113]

[1525]- أخرجه أبو داود 4 / 251 (4794).

[1526]- محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتب العلمية-بيروت 1990 ، ص 482/4

[1527]- صحيح البخاري، رقم 6799، وصحيح مسلم، رقم 2764 ومسند الإمام أحمد، رقم 7017

وأشار بإصبعيه)[1528] وقال صلى الله عليه وسلم: **(فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج هكذا وحلق بين أصابعه)** [1529].

واستخدم أسلوب التواصل الجسدي، فعلّم ابن مسعود التشهد وكفه بين يدي رسول الله [1530]، وشبك يده في يد أُبي سعيد بن المعلي رضي الله عنه، وقال ألا أعلمك سورة ما أُنزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في القرآن مثلها، فقال : (الحمد لله رب العالمين ..) [1531]. واستخدم أسلوب الاستفهام فقال: (أتدرون من المفلس .. ..) واستخدم وسائل الإيضاح فرسم خطاً، ورسم بجواره خطوطاً ، وقال : هذا صراط الله وهذه السُبل [1532].

واستخدم المواقف المؤثرة في التعليم وإيصال المعاني في قصة المرأة التي وجدت صبيها في السبي [1533]، فجعلها فرصة للتذكير برحمة الله. واستخدم نبرات الصوت، وذلك في قوله: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت [1534]، وعرف الصحابة الغضب من قطعة الدم وهي تتحرك في وجنتيه، وقرأ الصحابة الرضا في إشراق وجهه، وعرفوا عدم الرضا من سكوته، واستخدم الأبعاد النفسية في الاتصال والتواصل فأمر ببعث الهدي عندما أرسلت قريش الحليس بن علقمة مفاوضاً يعظّم الشعائر [1535].

واستخدم الثقافة الواسعة في التواصل والتأثير فقال لعدي بن حاتم الطائي: (أنا أعلم بدينك منك) [1536]، وهذا يدل على فهم الآخرين وقدرته صلى الله عليه وسلم على التفاهم معهم .

وكان إشراق وجهه وحُسن هيئته صلى الله عليه وسلم من أهم وسائل التواصل، وكان يجبر من يراه على حبه وتصديقه كما قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه عندما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة : (هذا ليس بوجه كذاب) [1537].

[1528]- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، البداية والنهاية، دار عالم الكتب، بيروت 2003، ص 287

[1529]- المصدر السابق، ص 486/4

[1530]- محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت 1987، ص 2310/5

[1531]- المصدر السابق، ص 1738/4

[1532]- محمد ابن حبان ابن احمد أبو حاتم التميمي، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993، ص 180/1

[1533] - محمد ابن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت 1987، ص 2235/5

[1534]- المصدر السابق، ص 939/2

[1535]- عيون الأثر، لابن الناس، ص 116/2 ، وانظر: السيرة النبوية لابن كثير، ص 316/3

[1536]- عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، المصنف، دار الفكر، عمان 1994، ص 455/8

[1537]- أبو الحسن الحنفي الشهير بالسندي، حاشية السندي على ابن ماجة، دار الجيل- بيروت، ص 300/1

وكان سريع التذكر دقيق الملاحظة، يلمس الجوانب الإيجابية، ولذلك قال للأحنف بن قيس لما تأخر عن الوفد: (إن فيك خصلتين يحبهما الله: الرفق والأناة) [1538]، ومع هذا كله فقد كان مرناً لطيفاً لا ينزع يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع، ولا يصرف وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرف [1539]. وانعكس كل ذلك على أصحابه، فعظمت في نفوسهم مشاعر الانتماء والمحبة والتواصل والشعور بالرضا والسعادة.

ومن أسلوبه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن متعنتا، ولكن معلما وميسرا، ذكر الإمام الشامي في السيرة: عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إن الله تعالى لم يبعثني متعنتا ولكن بعثني معلما وميسرا**) .

وروى الشعبي عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: (**ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه من شئ قط، إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى**) [1540].

وعن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – قال: ما رأيت من الناس أحدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم[1541].

وكان من أسلوب تواصله صلى الله عليه وسلم مع الآخرين من خلال اهتمامه باللعب والممازحة والمداعبة: فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تداعبنا، قال :" **نعم غير أني لا أقول إلا حقا**" [1542].

وجاء كذلك عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل يسوق بأمهات المؤمنين فاشتد في السياقة !فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم:" **يا أنجشة رويدك سوقا بالقوارير** " [1543].

وقد ورد في السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يبعث البنات الصغار يلعبن مع سيدتنا

[1538]- مسلم ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص 46/1

[1539]- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ص 9/7

[1540]- سبل الهدى والرشاد، ص 6/7

[1541]- المصدر السابق، ص 398/9

[1542]- أخرجه الترمذي (1990) وأحمد في المسند 2 / 340 والبيهقي في السنن 10 / 348 وابن عبد البر في التمهيد 4 / 221 وذكره الهيثمي في المجمع 9 / 17 والسيوطي في الدر 6 / 122 وابن كثير في البداية والنهاية 6 / 55.

[1543]- سبل الهدى والرشاد، ص 396/11

عائشة رضي الله تعالى عنها [1544].

وكان يمكنها من اللعب وينظر إلى نسائه وهن يلعبن : **(عن عائشة – رضي الله تعالى عنها – قالت: زارتنا سودة يوما، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني وبينها فأتيت بحريرة فقلت لها: كلي، فأبت، فقلت لتأكلين وإلا لطخت وجهك، فأبت، فأخذت من القصعة شيئا، فلطخت به وجهها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع رجله من حجرها، وقال الطخي وجهها فأخذت شيئا من القصعة فلطخت به وجهي، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك ...)** [1545]

وكان يريها صبيان الحبشة وهم يرقصون ويلعبون في مسجده، ويقول لها: " **يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟**" [1546]، وسابقها في السفر على الأقدام مرتين، فقال: "**يا عائشة هذه بتلك**" [1547]. وكان يسلم على الغلمان وهم يلعبون [1548]. وعن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ليخالطنا حتى يقول لأخ لي صغير: " **يا أبا عمير ما فعل النغير**" [1549].

ومن تواصله عليه الصلاة والسلام مع الآخرين أنه كان رفيقا بالرد والإجابة حتى مع غير المسلمين، فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: (السام عليك) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (عليكم)، قالت عائشة رضي الله تعالى عنها: ففهمنا ، فقلت: السام إلا عليكم واللعنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (مهلا يا عائشة إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله)، قالت: يا رسول الله ألم تسمع لما قالوا ؟ قال: (قد قلت: عليكم) [1550]. هكذا كان تواصله صلى الله عليه وسلم مع كل الفئات العمرية بالمودة والرحمة والمداعبة، ولم يقتصر تواصله صلى الله عليه وسلم على الملاطفة وحسن التعامل مع المسلمين فحسب بل كان تواصله صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين أيضا، فبهذا الأسلوب والتعامل كسب قلوب من حوله وجمع أصحابه رضوان الله عليهم فاحبوه وأحبهم حتى أنهم كانوا يفدوه بأنفسهم رضي الله عنهم وأرضاهم .

[1544]- أنظر: سبل الهدى والرشاد، ص 167/11

[1545]- المصدر السابق، ص 70/9

[1546]- المصدر السابق، ص 174/11

[1547]- المصدر السابق، ص 173/11

[1548]- المصدر السابق، ص 146/7

[1549]- المصدر السابق، ص 111/7

[1550]- أخرجه أحمد في المسند 3 / 241 وذكره في كشف الخفا 2 / 227. نقلا عن سبل الرشاد، ص 7/8-9

الخاتمــة

وفي الختام أحمد الله على نعمته التي أنعم علي أن أعانني ووفقني على إتمام هذا البحث، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبين وقدوة الأولين والأخرين . وفي نهاية هذا البحث أضع أهم النتائج التي وقفت عليها :

1- أن التواصل في القرآن الكريم شمل الجميع، فبدأ من الخالق تعالى وامتد إلى ملائكته والإنس والجن حتى شمل كل شيء خلقه في هذا الكون الفسيح من جمادات ونباتات وحيوانات.

2- أن التواصل في القرآن الكريم أخذ جميع أشكاله من تواصل لفظي وغير لفظي كلغة الجسد والإشارات والإيماءات وأشكال المظهر والملبس والأطعمة والأواني وكل أشكال التواصل الأخرى .

3- يستدل من خلال الآيات القرآنية على إقرار القرآن الكريم لأهمية التواصل وضرورية توظيفه في جميع مجالات الحياة التربوية والعلمية والدعوية والعملية ، وأن أهمية هذا العلم في حياة المسلم والحياة البشرية، لا تكاد أن تنفك عنه بشكل من الأشكال في معاملاتها اليومية في شتى المجالات والتقنيات والعلاقات على أشكالها وأنواعها.

4- وتشير الآيات إلى مدى أهمية التواصل والحث على تعلمه وتعليمه، وبالتالي يتوجب استعماله فيما يرضي الله، حتى يؤدي إلى نتيجة إيجابية تقرب بين المسلمين من جهة، وتجتذب إليهم الثقافات الأخرى للتعرف على عظمة الإسلام من جهة أخرى، ولن يتم ذلك إلا بالتواصل الإيجابي الذي يحث عليه القرآن في آيات متعددة .

5- كما تشير الآيات القرآنية إلى : أن نظرية الإسلام في التواصل هي الحسنى والطيب في القول والعمل لقوله تعالى: **{وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً }** (البقرة/83)، وقوله تعالى أيضا: **{كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء}** (إبراهيم/24)، والذي من شأنهما كسب قلوب البشر وكسب محبتهم واحترامهم لك ولمن يتعامل وفقا لهذه القاعدة والأساس، قال تعالى: **{وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ }**

(آل عمران/159)، وهذا ما يسميه علماء التواصل في الغرب نظرية: Win-win situation أي نظرية "الكل فائز" .

6- أكد القرآن الكريم على أن لا يسود عملية التواصل مع الآخرين الصراخ والشتم والعصبية والكبر والتعالي والخروج عن حدود اللياقة والأدب، التي لا تمت بأي صلة ولا بأي حال من الأحوال بخلق الإسلام وتعاليمه في التعامل والحوار والنقاش، فهذا ما ينبذه الإسلام ويمنعه، وأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " **إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي أَحَاسِنُكُمْ أَخلاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ** " [1551]، وهذا ما يسمه علماء التواصل في الغرب نظرية: lose-lose situation، وهي نظرية "الكل خاسر" ، إلا أحدا يخرج من هذه العملية رابحا، ألا وهو عدو الله إبليس .

7- أن التواصل الإيجابي والنموذجي الذي بهما يتحقق التفاعل النفسي والفكري بين الأفراد والجماعات، لينجحوا في تحقيق التعارف والتعاون الذي هو مراد الله تعالى من اختلاف الأقوام والشعوب على وجه الأرض، وينهضوا بمهمة العبودية التامة لله بنشر الخير والفضيلة .

8- إن التواصل والتعارف والحوار الذي يدعو إليه الإسلام، لا يعني إلغاء الطرف الآخر، بل إن الهدف منه تمهيد الطريق للتعاون بين بني البشر، دون أن يفرض طرف ثقافته وحضارته على الطرف الآخر، كما يحفظ للشعوب هويتها وخصوصيتها الثقافية .

9- حذر القرآن الكريم من التواصل المنهي عنه وبين عواقبه الدنيوية والآخروية وأثاره السلبية النفسية والجسدية والمادية على البشرية، وعليه يجب على أفراد المجتمع الإسلامي الابتعاد كل البعد عن هذه الأفعال والأعمال .

10- تبين لنا من خلال آيات القرآن الكريم المتعددة باهتمام القرآن البالغ بالتواصل والحوار الذي استهدف الحقائق وأقام عليها البراهين والحجج الدالة على الإيمان، فالحوار القرآني شمل أقوم الطرق وأفضل المناهج لإقناع الناس جميعا إذا احتكموا إليه .

[1551]- أبو حاتم ابن حبان، صحيح ابن حبان، باب حسن الخلق، حديث رقم 487

11- إن التواصل والحوار القرآني يربي العقل على سعة الأفق، وحب الاطلاع، والاستدلال لمعرفة الحق، فقد تبين من خلال البحث أنه رتب النتائج على مقدمات جعلت الخصم يستسلم، لوضوحها للعيان، وقوتها في البرهان .

12- أشارت الآيات القرآنية على أن الإسلام دين يقر بمبدأ حرية الاعتقاد والاختيار والرأي ووضع لذلك الضوابط والضمانات .

توصيات مقترحة

أوصي في ختام هذا البحث بالتالي:

1- التنبيه إلى ضرورة توظيف عملية التواصل والحوار في العملية التربوية والتعليمية منذ الصغر حتى تشمل جميع المراحل العمرية لما لذلك من أهمية ودور في تحقيق أهداف التواصل المنشود

2- أوصي بإنشاء مراكز للتواصل والحوار في الجامعات الإسلامية في أوروبا لخدمة التواصل والحوار الإسلامي – الإسلامي وذلك لتعليم ثقافة التواصل والحوار وتعميمها .

3- كما أوصي إلى إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية لنشر وعي إسلامي حول التواصل المنشود وأدب الحوار والخلاف .

هذا وبعون الله وبحمده تم هذا البحث في يوم الأحد الموافق 2012/08/26 م

أيسلستاين / هولندا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثبت المصادر والمراجع: / المصادر العربية:

حرف الألف

- ابن الجوزي، عبد العزيز سيد هاشم العزولي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى – 1420هـ/2000م
- الاتصالات الإدارية، فهد بن سعود العثيمين ، دار يثرب للنشر والتوزيع، المدينة المنورة – 1425 هـ
- إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء، محمد الخضري بك، تحقيق: بديع السيد اللحام، دار الإيمان ، سوريا – 1997
- أثر التربية الإسلامية في السلوك الاجتماعي، كتاب دعوة الحق، د. محمد فاروق النبهان، عدد 4، المغرب – 1420هـ - 1999م
- أحكام الجراحة الطبية والآثار المترتبة عليها، محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مكتبة الصحابة، جدة، ط / 2، 1415 هـ - 1994 م
- إحياء علوم الدين، الإمام أبو حامد الغزالي، بقلم د. بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياطة فوترا سماراع، إندونيسيا (السنة ؟)
- أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ، جمال عبد الهادي محمد، وفاء محمد رفعت جمعة، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة 1991
- آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي، دار عالم الفوائد، الرياض– السنة ؟
- الإدارة الإسلامية: دراسة مقارنة بين النظم الإسلامية والوضعية الحديثة، د. فوزي كمال أدهم، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت 2001 م
- أدب الحوار والمناظرة، علي جريشة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة 1989
- أدب الدنيا والدين، أبو الحسن علي الماوردي، تحقيق: مصطفى الشعار، دار الفكر، بيروت – 1415هـ - 1995
- أدب النفس، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (المتوفى: نحو 320هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور أحمد عبد الرحيم السَّايح، الدار المصرية اللبنانية، مصر، الطبعة: الأولى، 1413 هـ - 1993 م
- الإدراك الحسي عند ابن سينا: بحث في علم النفس عند العرب، محمود عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت – الطبعة الثالثة 1980
- آذان الأنعام، عماد حسن، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم 2007

- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق – مصر، الطبعة السابعة: 1323هـ
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود (951هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت 1414هـ/ 1994م
- أَركانُ الإيمانِ، علي بن نايف الشحود، الطبعة: الرابعة، مزيدة ومنقحة، 1431 هـ - 2010 م
- استخدام الصوت، سالي وأدويان مورجان، مكتبة العبيكان، الرياض – 1994
- أسرار التكرار في القرآن الكريم المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن، محمود بن حمزة الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، ومراجعة: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، القاهرة – 1997
- الإسلام دين الهداية والإصلاح، محمد فريد وجدي، دار الجيل – بيروت، ط/ 1 - 1991
- الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين :عبد المنعم أحمد بركة ، مؤسسة شباب الجامعة ،
- 1410هـ ؛ أركان وضمانات الحكم الإسلامي : محمد مفتي، بجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، الكويت، العدد 12، 1409هـ ؛ التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1417هـ .
- الإسلام وعلم النفس، ، نزار العاني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا – الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى - 2008
- أسلوب الدعوة في القرآن، السيد محمد حسين فضل الله. دار الملاك، بيروت – 2012
- الإشارات الجسمية دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، كريم زكي حسام الدين، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية - 2001
- إشكالية التواصل في الفلسفة الغربية المعاصرة، د. عمر مهيبل، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط/1، 2005
- أطلس السيرة النبوية، شوقي أبو خليل، دار الفكر، دمشق 2002
- الإعراب المحلي للمفردات النحوية، الشيخ حسين منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2009
- الإعلام وتحليل الموضوع الإعلامي، محمد البخاري، كتاب الكتروني، طشقند 2008
- الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم د . محمد عمارة ، دار الشروق، القاهرة 1993.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، تحقيق: د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت 2003

- الأهداف السلوكية تحديدها-مصدارها-صياغتها، مهدي محمود سالم، مكتبة العبيكان، الرياض – 1422هـ - 2001م
- الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، دار الذخائر، السعودية – 1417هـ - 1996م

حرف الباء

- باب ما روي عن لقمان الحكيم من وصية ابنه...جامع بيان العلم وفضله، يوسف ابن عبد البر، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، الدمام 1994
- البحر المديد ، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية / 2002 م ـ 1423 هـ
- البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ، حققه ودققه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط/1، بيروت- 1988
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، لبنان، دار المعرفة، ط/2، 1972
- بسط حياتك، فربر تيكي كوستنمخر وآخرون، ترجمة عمار قسيس، مكتبة العبيكان، الرياض – 2004
- بلقاسم بن أحمد بلعرج، مجلة جامعة دمشق، المجلد 22- العدد 3 + 4 لعام 2006
- بناء على منهاج النبوة تبيان المعالم... والأخلاق، محمد أديب الصالح، مكتبة العبيكان، الرياض 2007
- بهجة المجالس وأنس المجالس، يوسف بن عبد البر القرطبي، متحف الجزائر – 2005
- البيان والتبيين، الجاحظ " عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري" (159-255هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت – لبنان، د.ت
- بيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية – 1972
- بين العلم والأدب، قدري طوقان، مكتبة فلسطين العلمية، المطبعة التجارية، القدس سنة 1946م

حرف التاء

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: محمود محمد الطنطاوي، مراجعة: مصطفى حجازي، وعبد الستار أحمد فراج، دار الجيل، مطبعة حكومت الكويت 1976
- تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، الصحاح ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط/3، 1984م:

- تحرير الإنسان وتجريد الطغيان، المطيري، حاكم بن عبيسان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 2009
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس - 1997 م
- التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام، محمود كرم سليمان، دار الوفاء، القاهرة 1988
- الترغيب والترهيب، عبد الحكيم السعدي، مطبعة الميناء، بغداد – 2002
- التصميم في الطبيعة، هارون يحيى، ترجمة أورخان محمد علي، دار النشر أراستيرما، استانبول 2003
- تعريف عام بدين الإسلام، علي الطنطاوي، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الرابعة – 1992
- تفسير ابن أبي حاتم، الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، المتَوَفَّى سنة 327 هجرية ، تحقيق : أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية – صيدا 1419 هـ
- تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)). عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي (المتوفى: 1359هـ)، ت المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين. دار الكتب العلمية بيروت– لبنان. الطبعة: الأولى، 1416هـ - 1995م.
- تفسير البحر المحيط، العلامة أبو حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت 1420هـ
- تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن / اختصار النكت للماوردي، الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي الشافعي 578 هـ / 660 هـ ، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم . بيروت، الطبعة الأولى : 1416 هـ / 1996م
- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 -774 هـ]، المحقق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الرياض - 1420هـ - 1999 م
- التفسير الموضوعي 2، منهاج جامعة المدينة العالمية، الناشر جامعة المدينة العالمية
- التفسير الميسر، عائض القرني، العشر الآخير، مكتبة العبيكان، الرياض – 1428هـ - 2007م
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1997
- تفسير روح البيان ، إسماعيل حقي البروسوي، مطبعة عثمانية، اسطنبول 1331هـ
- التقويم الذاتي في التربية، خليل محمد الحاج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2006
- التكافل الاجتماعي في الإسلام، عبد الله ناصح علوان، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة – 2007

- تكملة المعاجم العربية، رينهارت بيتر آن دُوزي، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ 1 – 8: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ 9، 10: جمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979 - 2000 م
- تكنولوجيا الإعلام والمجتمعات الرقمية، دة. فريال مهنا، دار الفكر، دمشق 2002
- تكنولوجيا المعلومات وصناعة الاتصال الجماهيري، محمود علم الدين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة 1990
- التواصل غير اللفظي في القرآن الكريم، محمد الأمين موسى، دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة 2003
- تيسير التفسير، إبراهيم القطان، راجعه وضبطه عمران أحمد أبو حجلة، مطابع الجمعية العلمية الملكية، عمان 1982
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، المحقق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت 1420هـ -2000 م
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الله بن ناصر السعدي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض – 1422هـ

حرف الجيم

- جامع البيان في تأويل القرآن "المسمى: تفسير الطبري"، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري [224 – 310 هـ]، المحقق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ، 1420 هـ – 2000م
- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكرى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى – 1421 هـ / 2000 م
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ – 1964م
- جريدة الرياض، مقال بعنوان: حول العالم ثم أغلق عينيك حتى تراني، 6 جمادى الآخرة 1428هـ – 21 يونيو2007م، العدد/1424،1
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت – الطبعة الأولى 1987
- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، محمود محمد شاكر، جمعها وقرأها وقدم لها: الدكتور عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة – 2003، الجزء الثاني

حرف الحاء

- حاشية الخضري على ابن عقيل للعلاّمة الشيخ محمد الخضري، على شرح العلاّمة ابن عقيل على ألفية ابن مالك، وبهامشه شرح ابن عقيل، دار الفكر بيروت – 1978م
- حاشية السندي على ابن ماجة، أبو الحسن الحنفي الشهير بالسندي (1138هـ)، دار الجيل- بيروت، بدون طبعة
- الحق المبين في معرفة الملائكة المقربين، محمد علي محمد إمام، مطبعة السلام، مصر – الطبعة الأولى: 2007
- حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، عبد الله علي عليان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط/1، 2004
- حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، عبد الله علي عليان، المؤسسة العربية للتوزيع والنشر، مسقط، الطبعة الأولى 2004
- حوار حول الإسلام، آلان جريش، موقع كتب عربية 2006

حرف الخاء

- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي، تحقيق: محمد على النجار، عالم الكتب، مصر 1953م

حرف الدال

- الدر المنثور في التأويل بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار الفكر، بيروت 1993
- دراسات في الخطاب، نور الهدى باديس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت – الطبعة الأولى 2008
- دراسات في علم النفس والصحة النفسية: اضطرابات انفعال الغضب، د. محمد أحمد إبراهيم ؛ دار الكتاب الحديث، القاهرة 2000
- دراسة حول الشباب وحوار الحضارات، منصور الرفاعي محمد عبيد، مركز الكتاب للنشر، القاهرة 2004
- الدعوة إلى الإصلاح، محمد الخضر حسين، المطبعة السلفية، القاهرة 1346 هـ
- دعوى الإصلاح، عبد الكريم ابن صالح بن عبد الكريم الحميد، دار الحميضي، ودار الكتاب والسنة، الرياض، ط /1، 1993
- دليل التدريب القيادي، د. هشام الطالب، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الطبعة الثانية- 1995

- دليل الترجمان في مبادئ الترجمة الشفهية، علي درويش، شركة رايتسكوب المحدودة، ملبورون – أستراليا، الطبعة الثانية – 2011
- دليل المدير الذكي: لأكثر التساؤلات ورودا، تعريب: د. هشام الدجاني، مكتبة العبيكان، الرياض– 2004
- دور القيم والأخلاق في الاقتصاد الإسلامي، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى القاهرة – 1995
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان، خبر – 1996

حرف الذال

- الذكاء الوجداني كمفهوم جديد في علم النفس، الدكتور بشير معمرية : مجلة عالم التربية، العدد 16، مطبعة النجاح، المغرب– الدار البيضاء–2005

حرف الراء

- رسالة العبودية، أحمد ابن تيمية "تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني"، تحقيق محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت – ط / 7، 1427هـ – 2005م
- الرسالة العرشية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى : 728هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة : الأولى، 1399هـ
- رسالة العقائد، حسن البنا، باب تقدير الإسلام للعقل، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة 2006
- الرعاية لحقوق الله، الحارث ابن أسد المحاسبي، المحقق: عبد الحليم محمود، دار المعارف 1984
- رواد علم الجغرافيا في الحضارة العربية والإسلامية، د. علي بن عبد الله الدفاع، مكتبة التوبة، الرياض – 1993
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الرابعة 1405هـ 1985م.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن القيم الجوزية، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – 1412 هـ /1992 م
- روعة التوازن في الإسلام، سائد البرغوثي، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان – الأردن 2004
- رياض الصالحين، الإمام النووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1995

حرف الزين

- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزى، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي . بيروت - 1422 هـ
- الزواج العرفي، فاطمة مصطفى، دار الحرية للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى — 1998

حرف السين

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (942 هـ) ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى — 1414هـ/1993م
- سحر الاتصال، محمد أحمد العطار، دار الهدى والنشر والتوزيع، الإسكندرية، الطبعة الثانية - 2008
- سر ينبوع الشباب، روبرت سباستيان، تعريب: د. نبيل الحفار، مكتبة العبيكان، الرياض 2004
- السلوك الاجتماعي بين علم النفس والدين، فوزي سالم عفيفي، وكالة المطبوعات، الكويت — 1980
- السيرة النبوية دروس وعبر، مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، بيروت 1985
- السيرة البوية، ابن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — 1971م
- السيرة النبوية، ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر — الطبعة الثانية – 1375هـ/1955م

حرف الشين

- شأن الدعاء، حمد محمد الخطابي، تحقيق أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، الرياض 1992
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (698-769هـ) ومعه كتاب منحة الجليل، بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محي الدين عبد الحميد، الناشر ، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط /14، 1385هـ-1965م
- شرح العقيدة الأصفهانية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: محمد بن رياض الأحمد، المكتبة العصرية — بيروت، الطبعة: الأولى - 1425هـ
- شرح شافية ابن الحاجب، رضى الدين الاسترابادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد وآخرين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت 1982

- شرعية الاختلاف "دراسة تأصلية منهجية للرأي الآخر في الفكر الإسلامي"، عبد الله أحمد اليوسف، دار الهادي، بيروت، الطبعة الثانية – 2004
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني — د. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، الطبعة: الأولى، بيروت – 1420 هـ – 1999 م
- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وقضايا الإصلاح في الفكر الإسلامي المعاصر: رؤية معرفية ومنهجية، تحرير فتحي حسن ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 2011
- الشيخ يوسف آل عصفور ومنهجه العلمي، محسن آل عصفور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2006

حرف الصاد

- الصحاح في اللغة، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة – 1990
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد ابن حبان ابن احمد أبو حاتم التميمي، اعتنى به: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993
- صحيح البخاري، محمد ابن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير، بيروت 1987
- صحيح مسلم، مسلم ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى: 1374هـ/1955م

حرف الضاد

- الضوء المنير على التفسير، ابن القيم الجوزية، جمعه: علي الحمد المحمد الصالحي، مؤسسة النور، العنيزة – 1425هـ
- ضوابط الحوار مع الآخر، د. سعد عبد الله عاشور، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإسلامية) المجلد السادس عشر، العدد الأول يناير 2008
- الضوابط الشرعية لموقف المسلم في الفتن، صالح آل الشيخ، نص محاضرة ألقاها صالح ابن عبد العزيز آل الشيخ بتاريخ: ربيع الثاني 1411هـ ، وروجع النقل على الشريط، ونقله من الشريط: أكرم بن سردار شيخ، في 1411/5/22 هـ، الموقع: ملتقى أهل الحديث
- ضوابط المعرفة و أصول الاستدلال و المناظرة : صياغة للمنطق و أصول البحث متمشية مع الفكر الاسلامي / تأليف عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني . ط/2 ، منقحة و مزيدة.1401هـ ، 1981م

حرف الطاء

- طل الربوة تربية الأستاذ لتلميذه، د. عبد الله قادري الأهدل، كتاب الكتروني من موقع الإسلام
- طوق الخطاب: دراسة في نظرية ابن حزم، علي أحمد ديري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-2007

حرف العين

- عالم الغيب بين الوحي والعقل، يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت 2003
- العقل والعلم في القرآن الكريم، د. يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى - 1996
- العقيدة في ضوء القرآن والسنة: الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة 4 - 1989
- العلاقات العامة والإعلام في الدول النامية، محي محمود حسن وآخرون، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية-1985، ص 15
- علم الاجتماع العام، د.كمال التابعي و د. علي المكاوي، كتب عربية.كوم، 2007
- علم النفس التحليلي، كارل غوستاف يونج، ترجمة نهاد خياطة، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية 1997
- علم النفس: معرفة النفس الإنسانية في القرآن والسنة، سميح عاطف الزين، دار الكتاب اللبناني، بيروت-1991
- عمدة التفسير، الحافظ ابن كثير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الوفاء، الطعبة/2، القاهرة - 2005
- عمر ين عبد العزيز معالم التجديد الإصلاح الراشد على منهج النبوة، علي محمد محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر – الطبعة الأولى 1427/ هـ 2006
- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، أبو عبد الله، عز الدين، من آل الوزير (المتوفى: 840هـ)، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، 1415 هـ - 1994 م
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، المحقق: محمد الخطراوي – محي الدين مستو، دار المعرفة – بيروت

حرف الغين

- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، محمد حسن النيسابوري، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، دار الكتب العلمية - الطبعة : الأولى، بيروت 1416 هـ - 1996 م

حرف الفاء

- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تدقيق: عبد العزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت 1989
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت 1412 هـ - 1992 م
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت 1401 هـ
- الفراسة وقوة الحدس، فيليكس إيشباخر، تعريب: كامل محمد إسماعيل، مكتبة العبيكان، الرياض- 2004
- الفرد والمجتمع في الإسلام، عبد الوهاب بوحديبة ومحمد معروف الدواليبي، مطبوعات اليونيسكو 2000 م
- الفرد والمجتمع في الإسلام، محمد معروف الدواليبي، وأخرون، طباعة: حسيب درغام وأولاده، لبنان، الطبعة الثانية – 2000
- فقه اللغة وسر العربية، أبو منصور الثعالبي " عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي النيسابوري (350-430هـ)، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت – 2008، وطبع لأول مرة في باريس 1861، تحت رعاية الكنت: رشيد الدحداح
- الفقيه والمتفقه، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى – 1417هـ/ 1996م
- فكرة الزمان عبر التاريخ، كولن ولسن، ترجمة فؤاد كامل، عالم المعرفة، الكويت 1992
- فلسفات الإعلام المعاصرة: قراءة في ضوء المنظور الإسلامي، محمود يوسف سماسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا 2008
- فلسفية لعبقريات إسلامية، بركات محمد مراد، دراسات مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 2006
- فن ومهارات الاتصال الفعال، وليد الشعيبي، (دار النشر غير معروفة)، السعودية 2007
- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به وخرج أحاديثه: إبراهيم بن عبد الله الحازمي، دار الشريف للنشر والتوزيع، الرياض – الطبعة الأولى 1414هـ – 1993م
- في أصول الحوار و تجديد علم الكلام / لطه عبد الرحمن . ط/ 1 ، 1407هـ ، 1987م
- في أصول الحوار، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط/ 4، 1415هـ / 1994م
- في التواصل مع الآخر، د. قطب مصطفى سانو، (ورقة مقدمة إلى المؤتمر السنوي الثاني: نحن والآخر المقرر انعقاده ما بين 6-8 صفر لعام 1427هـ الموافق 6-8 مارس لعام 2006م بدولة الكويت

بتنظيم اللجنة العليا لصياغة البرامج والإجراءات والخطط الكفيلة بحماية الشباب من مظاهر الانحراف والتعصب الديني بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلاميّة بدولة الكويت).

- في رحاب الصحافة، محمد الأمين موسى، الرباط 1998
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، مكة المكرمة 1992
- فيض القدير، محمد عبد الرؤوف المناوي، دار الكتب العلمية، بيروت 1994

حرف القاف

- القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق 1988
- قانون العقوبات ومخاطر تقنية المعلومات، د. هشام محمد فريد رستم ، مكتبة الآلات الحديثة، الطبعة الأولى، أسيوط، 1992.
- القرآن الحكيم "رؤية منهجية جديدة لمباحث القرآن الكريم"، صلاح الدين بسيوني رسلان، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة-1981
- قصص الأنبياء، للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة – الطبعة الأولى 1968
- القصص القرآني، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية – 1975
- القوة في يدك (كيف تنمي ذكاءك العاطفي)، د. ياسر عبدالكريم بكار، مكتبة العبيكان، الرياض 2008
- القيادة المؤثرة ، جمال ماضي ، دار النشر والتوزيع الإسلامية، مصر، الطبعة الأولى – 2006

حرف الكاف

- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (100-175هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، والدكتور ابراهيم السامرائي، طُبِعَ في مطابع الرسالة، الكويت، توزيع الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، وزارة الثقافة والاعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، 1400هـ، 1980م
- كتاب الفراسة، فخر الدين الرازي، تحقيق: د. يوسف مراد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982
- كتاب المهدي، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط /8 – 2004
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي الفاروقي التهاوني، المحقق: رفيق العجم و علي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت – الطبعة الأولى 1996

حرف اللام

- لا تتجاهل، هارون يحيى، ترجمة ميسون نحلاوي وتحقيق أورخان محمد علي، مؤسسة الرسالة، بيروت 2004
- لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - 1415 هـ
- لسان العرب، للعلامة أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، تصوير: دار صادر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت - 1968م
- لطائف الإشارات المسمى بتفسير القشيري، الإمام أبو القاسم القشيري، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية – 2007
- لطائف الإشارات، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ-2000 م
- لغة الكيمياء عند الكائنات الحية، أحمد مدحت إسلام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت "سلسلة عالم المعرفة، العدد93، سبتمبر 1985.
- اللغة والتفسير والتواصل، د. مصطفى ناصف، عالم المعرفة، الكويت 1995
- لماذا يكرهونه: الأصول الفكرية لموقف الغرب من نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم، باسم خفاجي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض – 1427 هـ / 2006 م
- الله والإنسان في القرآن: علم الدلالة الرؤية القرآنية للعالم، توشيهيكو إيزوتسو، ترجمة وتقديم د. هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، ط / 1، بيروت 2007
- اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، للشيخ محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت 1998

حرف الميم

- مباحث في علوم القرآن، الشيخ مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة 2004
- مباحث في علوم القرآن، القصبي محمود زلط، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، الطبعة الثانية - 1987
- مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط/ 11- 2000
- المبسوط، شمس الدين السرخسي، مطبعة السعادة، مصر 1331 هـ
- مجلة البحوث الإسلامية، بعنوان: التذكر والتذكير في القرآن، العدد الثالث عشر، الإصدار: من رجب إلى شوال 1405هـ
- مجلة العربي، د. عماد الدين خليل، عدد 259، رجب 1400هـ - حزيران 1980.

- مجموع الفتاوى، تقي الدين احمد بن تيمية الحراني، اعتنى بها واخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الجيل-1997
- مجموع فتاوى ورسائل بن العثيمين، محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأخيرة – 1413 هـ
- محاورات الأنبياء لأقوامهم في القرآن الكريم، د. نجيب السودي، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، بالجمهورية اليمنية 2004
- المحيط: معجم اللغة العربية ،أديب اللجمي و شحادة الخوري و البشير بن سلامة و عبد اللطيف عب و نبيلة الرزاز، بيروت، الطبعة الثانية – 1994
- مختار الصحاح، أبو بكر الرازي، أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار (631هـ)، تحقيق: لجنة من علماء اللغة العربية، دار الفكر العربي، بيروت 1997
- مختصر الشمائل المحمدية، أبو عيسى محمد بن سورة الترمذي صاحب السنن، اختصره وحققه محمد ناصر الدين الألباني، المكتبة الإسلامية ، الطبعة الأولى، عمان – الأردن 1405هـ
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم الجوزية، تعليق وتقديم د. الحسن بن عبدالرحمن العلوي، دار أضواء السلف، ط1، الرياض 2004
- مختصر صحيح مسلم، الإمام زكي الدين المنذري، تحقيق: ناصر الدين الألباني، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت 2007
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت 1416هـ - 1996م.
- مدخل إلى علم الاتصال، منال طلعت محمود، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية 2002
- مدخل إلى علم الاجتماع، جي روشية، ترجمة د. مصطفى دندشلي، المؤسسة العربية، ط /1، بيروت 1983
- المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني: مؤسسة الرسالة، بيروت – 1415هـ - 1995 م
- مدخل إلى علم النفس العام، أحمد فائق، و محمود عبد القادر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – 1980
- مدخل تمهيدي في علم النفس العام، محمد حسن غانم، الدار الدولية للإستثمارات الثقافية، مصر- 2008
- المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد بن محمد أبو شهبة، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط/ 3 – 1987

- المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – 1990
- المسلم والبناء الحضاري: الوحود الذاتي وعمارة الأرض، محمد أديب الصالح، مكتبة العبيكان، الرياض-1428هـ/2007م
- المسلمون والإسلام، الشيخ محمد عبده، موقع الكتب العربية 2008
- المصنف، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، دار الفكر،المراجعة والتصحيح: مكتب الدراسات والبحوث في الدار، عمان – 1414هـ/ 1994م
- معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى 516 هـ]، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الرابعة ، الرياض 1417 هـ – 1997 م
- معجم أسماء المستشرقين، د. يحيى مراد، دار الكتب العلمية، بيروت – 2004
- معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمجمعات وإحياء التراث، الناشر: مجمع اللغة العربية، القاهرة – 1409هـ – 1989م
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، القاهرة – 1429 هـ – 2008 م
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة و كمال المهندس، مكتبة لبنان، بيروت – 1984
- معجم المغني، د. عبد الغني أبو العزم، معجم رقمي، حسب ترقيم شبكة المشكاة الإسلامية
- المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية)، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى، أحمد حسن الزيّات، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، المكتبة العلمية، طهران (بدون سنة طبع).
- معجم علوم التربية، عبد اللطيف الفارابي وآخرون، سلسلة علوم التربية، عدد 9–10، دار الخطابي للطباعة والنشر 1994
- معجم لغة الفقهاء، د. محمد روا قلعة جي و د. حامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت 1982
- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت – 1979
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط/2، 1969
- مفاتيح الغيب المسمى بالتفسير الكبير، للإمام الفخر الرازي، مطبعة البهية، مصر ، ط/1، 1357هـ

- مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، الطبعة : الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت - 1421هـ - 2000 م
- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت 1991
- مفردات معجم القرآن الكريم "تفسير الراغب الأصفهاني"، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، الناشر: كلية الآداب - جامعة طنطا، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م ، جزء 2، 3: من أول سورة آل عمران - وحتى الآية 113 من سورة النساء، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشِّدِي، دار النشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى: 1424 هـ - 2003 م، عدد الأجزاء: 2 ، جزء 4، 5: (من الآية 114 من سورة النساء - وحتى آخر سورة المائدة)، تحقيق ودراسة: د. هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى، الطبعة الأولى: 1422 هـ - 2001 م
- مفهوم الحكمة في الدعوة، صالح ابن عبدالله ابن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- السعودية 1422هـ
- مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق – 2001
- مقدمة بن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، المطبعة الشرقية، البحرين 1327هـ
- مقدمة في مناهج البحث في الدراسات الإعلامية، جمال راسم محمد، القاهرة، جامعة القاهرة، مركز التعليم المفتوح 1999
- من أجل التعلم، عارف شيخ، القراءة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2008
- من أسرار القرآن "الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية -20-، الدكتور زغلول النجار، قضايا وآراء، عدد 126 لسنة 14 من رجب 1422 الموافق: 1- أكتوبر 2001
- المناظر، الحسن ابن الهيثم، تحقيق: محمود إسماعيل، دار العودة، بيروت، الطبعة الأولى - 1974
- مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، ابن الجوزي، تحقيق: حلمي محمد إسماعيل، دار ابن خلدون، 1996
- المنتخب في تفسير القرآن، لجنة علماء الأزهر، الدار التونيسية للنشر، تونس 1984م
- المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق، أبو محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت - 1986
- المنطق الفطري في القرآن الكريم، محمود يعقوبي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر- 2000
- المنظور الإسلامي للعلاقات العامة، منصور عثمان محمد زين، دراسات دعوية: العدد 15، المحرم 1429هـ - يناير 2008م

- منهج التعليل بالحكمة وأثره في التشريع الإسلامي، رائد نصري جميل أبو مؤنس، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا 2007
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، محمد بن محمد الحطاب، دار الفكر، بيروت، ط/3، 1992، ج 6 / فرع كلام الملائكة مع غير الأنبياء
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم و السنة المطهرة، يوسف الحاج أحمد، مكتبة دار ابن حجر، الطبعة الثانية، دمشق – 2003
- موسوعة القيم والأخلاق الإسلامية، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر – 2005

حرف النون

- نحو المعاني، احمد عبدالستار الجواري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 2004
- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، عبد الرحمن بن الجوزي جمال الدين أبو الفرج، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت – سنة النشر: 1407 - 1987
- نشط حياتك، بيترو كيمل، تعريب محمد حديد، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى – 2004
- نظام الحكم في الإسلام، منصور الرفاعي محمد عبيد، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة 1905
- نظرات في كتاب الله، حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي (المتوفى: 1368هـ)، دار التوزيع والنشر الإسلامية – القاهرة، 1423 هـ - 2002 م
- نظرة جديدة في سيرة رسول الله، كونستانس جورجيو، محمد التونجي، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2000
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ/ 1995 م
- نقض المنطق السلمي، محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة – 1401هـ ، 1981 م
- النكت والعيون المسمى بتفسير الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (364-450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت 1993
- نهاية الرتبة في طلب الحسبة، عبد الرحمن الشيرازي، تحقيق السيد الباز العريني، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان 1981

حرف الهاء

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د : الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة –كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

حرف الواو

- الوجود بين السببية والنظام، إلياس بلكا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا–2009
- الوسائل والأساليب المعاصرة للدعوة الإسلامية، د. صالح الرقب، بحث مقدم لمؤتمر كلية أصول الدين، مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، المنعقد في الفترة: 7–8 ربيع الأول 1426 هـ – 16–17 أبريل 2005 م
- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر – حلب، الطبعة: الأولى، 1422 هـ – 2001 م

حرف الياء

- يسقط النقد الفردي، محمد نور الدين، دار كتب عربية، القاهرة 2005

المصادر اللاتينية :

- Marco Mostert, Communicatie in de Middeleeuwen: studies over de verschriftelijking van de middeleeuwse cultuur, Uitgeverij Verloren, Hilversum 1995
- Jan Remmerswaal, Begeleiden van groepen, Bohn Stafleu van Loghum, Houten 2006 p.97
- Marco Mostert, Communicatie in de Middeleeuwen
- Rob Veenman, Arno van Doorn, Grondslagen van de professionele communicatie, Kluwer, Deventer 1998
- Marten Waardenburg en Sandra M. Schuiten, De geschiedenis van de communicatie, Kluwer, Deventer 2009
- Marten Waardenburg en Sandra M. Schuiten, De geschiedenis van de communicatie, Kluwer, Deventer 2009
- Yehuda E. Kalay, Architecture's new media: principles, theories, and methods of computer, MIT Press, 2004
- http://www.networkdictionary.com/telecom/t.php
- http://en.wikipedia.org/wiki/Organizational_communication
- R. D. Agrawal, Organization and management, Tata McGraw-Hill, 1983.
- William Albig, Public Opinion, READ BOOKS, New York City, 2007.
- PUNDRIK MISHRA, SALES MANAGEMENT: Key to Effective Sales, Global India Publications, New Delhi, 2009.
- Charles W. Lamb, Joseph F. Hair, Carl McDaniel, Marketing, 9th edition, Cengage Learning, Florence, 2007.
- Thorpe, The Pearson Guide to The State Bank of India Clerical Recruitment Examination, Pearson Education India, unknown year
- Sales Management, vorige bron.
- http://en.wiktionary.org/wiki/journalism
- Michael R. Peres, The Focal encyclopedia of photography: digital imaging, theory and applications, history, and science, 4 edition, Focal Press, Burlington, 2007.
- Jane Johnston,Clara Zawawi, Public Relations: Theory and Practice, 3rd edition, Allen & Unwin,Sydeny 2009.
- Eric McLuhan, Marshall McLuhan's Theory of Communication, Global Media Journal, Canada, 2008.
- Marshall McLuhan, *Understanding Media: The Extensions of Man* (New York, 1964).
- Marshall McLuhan (1911-1980), door: Communicatie en Informatiewetenschappen aan de universiteit Utrecht, Samenvatting Inleiding Mediavergelijking – 2008

- Vocational education: today and tomorrow, University of Wisconsin. Center for Studies in Vocational and Technical Education, Gerald George Somers, James Kenneth Little, University of Wisconsin, 1971.
- *Understanding Media*
- Lasswell, H. (1948). The structure and function of communication in society. In L. Bryson (Ed.), The Communication of Ideas. New York: Harper & Brothers.
- McLuhan, Marshall. *Understanding Media.* (Gingko Press, 1964, 2003).
- McLuhan, Marshall. *Letters of Marshall McLuhan.* (Oxford University Press, 1987) .
- Charles Horton Cooley, Hans-Joachim Schubert, On self and social organization, University of Chicago Press, 1998
- George Herbert Mead, (*Mind, Self and Society*), University of Chicago Press, 1974
- Niklas Luhmann, Soziale Systeme, Suhrkamp 1984
- Hower J. Hsia, On Channel Effectiveness, Springer, New York City, Vol. 16, No. 3 (Fall, 1968).
- Lasswell, H. (1948). The structure and function of communication in society. In L. Bryson (Ed.), The Communication of Ideas , New York: Harper & Brothers.
- Stone, G., Singletary, M., & Richmond, V. (1999). Clarifying Communication Theories: A Handson Approach. Ames: Iowa State University Press.
- Norbert Wiener,David Jerison,Isadore Manuel Singer,Daniel W. Stroock, The legacy of Norbert Wiener, AMS Bookstore, Washington, 1997.
- Klaas Wiertzema, Patricia Jansen, Basisprincipes van communicatie, Pearson Education, Amsterdam 2005.
- Rob Veenman, Arno van Doorn, Grondslagen van de professionele communicatie, Kluwer, Deventer 1998
- Klaas Wiertzema, Patricia Jansen, Basisprincipes van communicatie, Pearson Education, Amsterdam 2005.
- Dale Carnegie, How to win friends and influence people, Pocket books, New York 1982.
- In het belang van het dier: over het welzijn van dieren in de veehouderij, door: Francien H. de Jonge, Eric A. Goewie, van Gorcum & Copm. B.V., Den Haag 2000
- Rob Veenman, Arno van Doorn, Grondslagen van de professionele communicatie, Kluwer, Deventer 1998
- Interviewing and Investigating: Essential Skills for the Paralegal, Stephen P. Parsons, Aspen Publishers, New York 2008, 3rd edition

- Roman Jakobson, Andere Martinet, Linguistique Et Communication, Gramaont 1975
- Leonie Cornips, Eigen en vreemd: Meertaligheid in Nederland, Meertens Instituut (KNAW) / Amsterdam University Press – Amsterdam 2012
- Olga Bogdashina, Communicatiekwesties bij autism en syndroom van Asperger: spreken we dezelfde taal?, Nederlandse vertaling: Wijchen – Rosy Coenen & Fred van Lierop, Fontys OSO & Garant-Uitgevers n.v., Antwerpen – 2006
- Vendryes: Language Oral et Langage par Gestes
- Critchley, Macdonald: Silent Language, Buterwoths, London, 1975.
- Roland Barthes, Elements of Semiology, publ. Hill and Wang, New York-1968
- Ferdinand de Saussure's Course in General Linguistics, philosophical library, New York 1959
- Roland Barthes, Elements of Semiology, publ. Hill and Wang, New York-1968
- illiam J. Cromie, Scientists Find Evidence for A Sixth Sense in Humans, Harvard university, May 20, 1999.
- Robert Taylor, Sniffing Out Human Sexual Chemistry, Journal of NIH Research, Volume 6, January 1994.
- Maya Pines, Sniffing Out Social and Sexual Signals, Howard Hughes Medical Institute.
- William J. Cromie, Researchers Sniff Out Secrets of Smell, Harvard university, April 08, 1999.
- illiam J. Cromie, Scientists Find Evidence for A Sixth Sense in Humans, Harvard university, May 20, 1999.
- William J. Cromie, Researchers Sniff Out Secrets of Smell, Harvard university, April 08, 1999.
- Biomedical Research Report, Howard Hughes, Medical Institue, 1995.
- Marc de Laet, Paul Offermans, Pol Toye: Marketingonderzoek, Uitgeverij De Boeck nv, Antwerpen-2004, 7de druk
- Prof.dr. A.A. Kaptein, dr. R.A.M. Erdman, dr. J.B. Prins, Prof. Dr. H.B.M. van de Wiel: Medische Psychologie, Bohn Satfleu van Loghum, Houten 2006
- Moore, Keith L. The Developing Human. W.B. Saunders Company 1988, 4th ed
- Guyton, AC. Textbook of Medical Physiology. Philadelphia. Saunders - 1981
- Verckens J. Piet, communicatievaardigheden, Garant, Apeldoorn, 1999

مراجع الإنترنت :

- الاتصالات ، الموسوعة الحرة، مقال: http://ar.wikipedia.org/wiki
- أسرار الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، موقع المهندس عبد الدائم الكحيل، عنوان البحث: قل سيروا في الأرض: رؤية علمية جديدة www.kaheel7.com
- أسرار الغذاء في القرآن، جميل القدسي دويك، موقع العيسساوية، www.esawiah.com
- الإعلام في القرآن وموقفه من شائعات السوء، مبحث في شكل كتيب الكتروني، مكتبة الشاملة الالكترونيةwww.shamela.ws
- الإيمان وأثره على الصحة النفسية، الدكتورة ليلى أحمد الأحدب، مقال www.islamonline.net:
- بحث حول : معالم وضوابط التواصل مع الآخر ووسائله وآلياته، الشيخ عبد الله بن بيه، كتب هذا البحث بطلب من وزارة الأوقاف "كما ورد في المقدمة" ، تم نشره على صفحة الإنترنت: www.atida.org/
- التواصل اللفظي وغير اللفظي، جميل حمداوي، مجلة الكترونية أدب وفن، www.adabfan.com/
- التواصل والتواصل التربوي، محمد كريم، مقال: www.dgennad.net
- ثقافتنا لا يضرها التواصل مع الآخر : رئيس الجامعة الإسلامية السابق بباكستان، مقال: http://haras.naseej.com/Detail.asp?InNewsItemID=166726
- الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ابن البيطار، مكتبة الشاملة وترقيم الشاملة، الكتاب عبارة عن مخطوطة ممسوح ضوئيا، وكما عثرت عليها في مكتبة المصطفى الإلكترونية، الموقع www.al-mostafa.info
- الجمود على الفتاوى القديمة، د. يوسف القرضاوي، مقال على: موقع هدي الإسلام

- دليل المدرب في تدريب المتدربين،
http://www.fao.org/wairdocs/af196a/af196a01.htm
- دور الزواج في تحقيق الراحة النفسية، موقع : جامعة أم القرى:
www.uqu.edu.sa
- سلسلة مشكاة الأنوار، الشيخ محمد حسان، موقع الرحمة www.alrahma.tv
- صناعة الكلام، موقع فضيلة الشيخ الدكتور عويض بن حمود العويطي:
www.alatwi.net
- عوائق التواصل البيداغوجي، إدريس الناصري، موقع فضاء التربية والتكوين،
www.tarbaouiate.blogspot.com
- قاموس رقمي: هولندي – هولندي،
http://blackorwhite.nl/dutchdictionaryonline245678
- للتعايش مع الآخر، عمرو خالد، مجلة كل الناس، تصدر في مصر مقالة أسبوعية، موقع: مجلة كل الناس
- مبادئ الفسيولوجي – علم وظائف الأعضاء ، د. سعد كمال طه،:
www.kotobarabia.com
- مختصر لكتاب منار التربية الإسلامية للسنة الأولى من سلك الباكالوريا، المملكة المغربية، وحدة التربية التواصلية، عنوان الباب: قيم التواصل وضوابطه، السنة الدراسية 2004، من موقع: www.edumek.com، تاريخ الإطلاع: 2012/06/03، وأنظر موقع: شبكة التربية الإسلامية الشاملة أقسام الأولى باك
- مقال بعنوان التواصل الحضاري، عيسى الطيب طيبي، موقع : المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية
- مقال بعنوان: ما هو التيليباثي، http://forum.borg8.com/t80644.html
- الموسعة البريطانية، http://www.merriam-webster.com/dictionary/communication
- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم – ذاكرة الروائح، عبد الدائم الكحيل، موقع كحيل: www.kaheel7.com

- موسوعة الإعجاز في القرآن الكريم والسنة المطهرة www.quran-m.com
- موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، عدد الأجزاء: 2 ، تم تحميله في/ ربيع الأول 1433 هـ
- موقع ابن عثيمين، بعنوان باب الأذان والإقامة
- موقع شبكة حورة العربية www.khorh.com
- موقع صخر، قاموس عربي – إنكليزي، http://lexicons.sakhr.com
- موقع وزارة الأوقاف المصرية: www.islamic-council.com
- نظرات استشرافية في فقه العلاقات الإنسانية بين المسلمين وغير المسلمين، د. حسن ابن محمد سفر، من موقع الإسلام
- الورق كعنصر بنائي في إبداع الطبعة الفنية، ملخص رسالة ماجيستير، وسام محمود عبد الله رضوان، قسم الفنون الجميلة/التصوير، الأسكندرية لعام 2006، نقلا عن موقع: www.ibnalislam.com